الدعــوة الإسلامية
والإعــلام الــدّيــنى

د. عبد الله شحاته

الهيئة المصرية العامة للكتاب

الدعوة الإسلامية
والإعلام الديني

د. عبد الله شحاته

رئيس قسم الشريعة
كلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة

الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٨٦

الطبعة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الدعوة الى الله رسالة الانبياء والمرسلين ، وسبيل الهداة والمصلحين ، وقد اصطفى الله الدعاة والهداة لتبليغ رسالته وشرح دعوته ، (الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس ان الله سميع بصير) الحج ٧٥

وفى الحديث الشريف (لايزال الله يرسل لهذه الأمة على راس كل مائة عام من يجدد لها أمر دينها)

ومن هؤلاء الاعلام الامام الطبرى ، والائمة الاربعة ابو حنيفة ومالك والشافعى واحمد .

ومنهم الامام ابو حامد الغزالى ، والسيد جمال الدين الأفغانى ، والشيخ محمد عبده ، والاستاذ حسن البنا ، والاستاذ سيد قطب . طيب الله ثراهم اجمعين .

والدعوة الاسلامية غنية برجالها ، بل ان الرجال يشرفون بانتسابهم للاسلام وعملهم له ، وتضحيتهم فى سبيله ، فمن انتدبه الله لذلك فقد حظى بالنعمة الكبرى ، والفضل العميم ، وقد جعل الله التفقه فى الدين لونا من الوان الجهاد ، لانه الجهاد الفكرى الذى يشرح العقيدة ويحمى الرسالة ، ويرد كيد المعتدين ويثبت ايمان المؤمنين .

قال تعالى (وماكان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون) التوبة ١٢٢ .

وقد أصبح الاعلام فنا من الفنون ، تخصص له المعاهد والكليات ، ويواكب الحروب ويسبب الهزائم والانتصارات . والاعلام الدينى ، ينبغى ان يواكب العصر ، وأن يستخدم أسلحته ، وأن يجود فنون الدعوة الى الله .

قال تعالى (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة)

والحكمة هي توجيه الدعوة بالأسلوب المناسب والوسيلة المناسبة .

وقد تناولت فى مقدمة هذا الكتاب فصولا عن الدعوة الاسلامية واطوارها وثقافة الداعية ، وعن الخطابة الدينية ، وكيفية النهوض بها ، وعن الاعلام الدينى والحديث الدينى بالاذاعة والتليفزيون . ثم قدمت بعض البحوث فى العقيدة ، ونظام الاسرة .

واتبعت ذلك بعدد من الأحاديث فى فنون متعددة شملت : العبادات ، والآداب الاجتماعية ، والمرأة ، والجهاد، والأخلاق ، والذكريات الاسلامية . وهذا هو الاسلام ، ومن هدى القرآن ، والحلال والحرام ، وسؤال وجواب وقصص القرآن الكريم ، وتربية الهية كريمة .

وهى موضوعات قصيرة قدم اكثرها فى الاذاعة أو التليفزيون آمل ان يجد فيها القارىء صورة مناسبة لعرض الفكرة الاسلامية بأسلوب العصر ، واضحة الهدف ، سهلة الأداء ، تيسر ولا تعسر ، وتنير الطريق لمن اراد الهدى

قال تعالى (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام)

أسال الله أن يجعل هذا العمل مفيدا ونافعا .

وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب .

د. عبد الله شحاته

الدعوة إلى الإسلام

رسالة الاسـلام

اختار الله بلاد العرب لتكون مقر الرسالة الأخيرة التى جاءت للبشرية جميعا ، والتى تتضح عالميتها منذ أيامها الاولى ، كانت الارض المعمورة ــ عند مولد الرسالة الاخيرة ــ تكاد تتقسمها امبراطوريات اربعة هى : الامبراطورية الرومانية ، والفارسية ، والهندية ، والصينية . وفى هذا الوقت جاء الاسلام لينقذ البشرية كلها ، مما انتهت اليه من انحلال وفساد واضطهاد ، وجاهلية عمياء فى كل مكان من المعمورة . جاء ليهيمن على حياة البشرية ويقـودها فى الطريق الى الله على هدى ونور ، ولم يكن هنالك بد من أن يبدأ الاسلام رحلته من أرض حرة لا سلطان فيها لامبراطورية من تلك الامبراطـوريات ، وكانت الجزيرة العربية وأم القـرى وماحـولها بالذات ، هى أصلح مكان على وجـه الارض لنشأة الاسلام يومئذ ، وأصلح نقطة يبدأ منها رحلته العالمية .

لم تكن فى بلاد العرب حكومات منظمة ، ولا ديانة ثابتة واضحة المعالم ، وكان خلخلة النظام السياسى للجزيرة ، الى جانب خلخلة النظـام الدينى ، افضل ظرف يقوم فيه دين جديد ، متحررا من كل سلطان عليه فى نشأته .

وهكذا جاء القرآن لينذر مكة ومن حـولها من البلاد ، قال تعـالى : **(وكذلك اوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر ام القرى ومن حولها)** الشورى ٧ .

وامتد نور الاسلام الى المدينة ، ومنها الى سائر الجزيرة العربية . ولما خرجت الجزيرة من الجاهلية الى الاسلام ، حملت الراية وشرقت بها وغربت وقدمت الرسالة للبشرية جميعها ، وكان الذين حملوها هم أصلح خلق الله لحملها ، وقد خرجوا بها من أصلح مكان فى الارض لميلادها ، وهـكذا تبـدو سلسلة طويلة من الموافقات المختارة لهذه الرسالة : (الله اعلم حيث يجعـل رسالته) الانعام ١٢٤ .

وسائل نجاح الدعوة الى الله

لقد رسم القرآن دستور الدعوة الى الله فى قوله سـبحانه : (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ان ربك هـو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) النحل ١٢٥ .

وقد عرض القرآن فى كثير من سوره أهداف الدعوة الجديدة ، وأركانها وحقائقها الاساسية ، ومن هذه الحقائق : الايمان بالله وحـــده ، وبالحيـــاة الآخرة ، وبالوحى والرساله . كما أرسى القرآن قواعد الدعوة ومبادئها ، وعين وسائلها وطرائفها ، ورسم المنهج للرسول الكريم ، وللدعاة من بعده ، فللنظر فى دستور الدعوة الذى شرعه الله فى هذا القرآن :

ان الدعوة دعوة الى سبيل الله :

لا لشخص الداعى ، ولا لقومه ، فليس للداعى من دعوته الا انه يؤدى واجبه لله ، لا فضل له يتحدث به ، لا على الدعوة ولا على من يهتـــدون به ، وأجره بعد ذلك على الله .

والدعوة بالحكمة : وهى النظر فى احوال المخاطبين وظروفهم ، والقدر الذى يبينه لهم الداعية فى كل مرة حتى لا يثقل عليهم، ولا يشق بالتكاليف قبل استعداد النفوس لها ، والطريقة التى يخاطبهم بها ، والتنويع فى هـــذه الطريقة حسب مقتضياتها ، فلا تســـتبد به الحماســـة والاندفاع والغيرة ، فيتجاوز الحكمة فى هذا كله وفى سواه .

وبالموعظة الحسنة : التى تدخل الى القلوب برفق ، وتتعمق المشـــاعر بلطف لا بالزجر والتأنيب فى غير موجب ، ولا يفضح الأخطاء التى قد تقع عن جهل أو حسن نية ، فان الرفق فى الموعظة كثيرا ما يهدى القلوب الشارده ، ويؤلف القلوب النافرة ، ويأتى بخير من الزجر والتأديب والتوبيخ .

والجدل بالتى هى احسن : بلا تحـــامل على المخـــالف ولا ترذيل له وتقبيح ، حتى يطمئن الى الداعى ، ويشعر أن ليس هدفه الغلبه فى الجدل، ولكن الاقناع والوصول الى الحق ، فالنفس البشرية لها كبرياؤها وعنادها ، وهى لا تنزل عن الراى الذى تدافع عنه الا بالرفق ، حتى لا تشعر بالهزيمه ، وسرعان ما يختلط على النفس قيمة الراى وقيمتها هى عند الناس ، فتعتبر التنازل عن الراى تنازلا عن هيبتها واحترامها وكيانها ، والجدل بالحسنى هو الذى يطامن من هذه الكبرياء الحســـاسة ، ويشـــعر المجـــادل ان ذاته مصونة ، وقيمته كريمة ، وان الداعى لا يقصد الا كشف الحقيقة فى ذاتها ، والاهتداء اليها ، فى سبيل الله ، لا فى سبيل ذاته ونصرة رأيه وهزيمة الراى الآخر .

النبى الداعية

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم المثل الاعلى للدعاة والهداة ، فهـــو صادق النية مخلص فى دعوته ، واضح الهدف شديد اليقين ، لقد وقف على جبل الصفا وقال : «والله الذى لااله الا هو انى لرسول اليكم خاصـــة والى الناس عامة ».

ثم هو النبى الحكيم استاذ التربية السلوكية ، لقد أسر الدعوة وصبر فى سبيلها وتحمل الوان الاذى والاضطهاد ، وكان يصنع الرجال فى مكة ،

ويكون لهم القدوة الحسنة ، والامام والقائد ، فهو المثل الاعلى فى الصلاة والصيام والزكاة والحج ، وسائر العبادات والمعاملات .

وهو صاحب الموعظة الحسنة ، التى سلك طريقها الى القلوب بعد تشويق وتمهيد . وقد وضع دعائم التوحيد والايمان فى وصيته الجامعة لعبد الله بن عباس :

عن عبد الله بن عباس رضى الله عنه قال : كنت رديف النبى صلى الله عليه وسلم على بغلته فقال لى ياغلام : هل اعلمك كلمات ينفعك الله بهن فى الدنيا والآخرة ؟ قلت بلى يارسول الله علمنى ، فقال ياغلام : «احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، اذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لواجتمعت على أن ينفعوك بشىء مانفعوك الا بشىء قد كتبه الله لك ، واعلم أن الامة لو اجتمعت على أن يضروك بشىء ماضروك الابشىء قد كتبه الله عليك ، جفت الاقلام وطويت الصحف » .

وقد ناقش عليه الصلاة والسلام أهل مكه ، ونقل اليهم نقاش القرآن وادلته وحججه على وجود الله ، من مشاهد الكون ، ومشاهد النفس ، وخلق الليل والنهار ، والسماء والارض ، والجبال والبحار ، وبيان أن الاصنام لاتنفع ولا تضر ، ولا تسمع ولا تجيب . وقد نوع القرآن فى أساليب الدعوة وطرقها ، وفى سبيل ذلك أشتمل على الامور الاتية :

١ ــ العقائد والمثل والايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر .

٢ ــ قصص المرسلين وجهادهم مع قومهم ، ثم بيان العاقبة وهى نصر المؤمنين ، وخذلان الجاحدين .

٣ ــ التشريع للجماعة المسلمة فى أمور العبادات والمعاملات .

٤ ــ الأخلاق الاسلامية والحث على السلوك السليم ، وقد حفلت كثير من السور ببيان قيمة الاخلاق والهداية والايمان .

وقد شقت الدعوه الاسلامية طريقها الى المدينة ، وبنى بها المسجد النبوى ، وقد كان دارا للعبادة وبرلمانا للشورى ومؤسسة لرعاية الفقراء ، ومدرسة للدعوة وتعاليمها . ومن هذا المسجد تخرج الدعاة والهداة والأئمة.

وارسل النبى معاذا الى اليمن ليقضى بكتاب الله ، ثم بسنة رسول الله ، ثم يجتهد بعقله وفكره وقلبه ليعمل بروح الشريعة ومبادئها السمحة .

ان الاسلام دعوة هادئة لخير الفرد والجماعة ، ومن تعاليم الاسلام : الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وتبليغ الدعوة وتعليمها لمن لم يعلمها ، وطلب العلم فريضة ، وتعليمه لمن لايعلمه صدقة ، والبحث عنه جهاد .

وقد حملت دعوة الاسلام وسائل النجاح فى بساطتها وسهولتها ، ويسرها ومرونتها . فالطفل يحفظ سورة قصيرة هى سطر واحد فيعرف احكام العقيدة من قوله تعالى :

(قل هو الله احد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا احد)

ومن سورة الفاتحة نجد اهداف الايمان بالله وطلب الاستقامة والبعد عن الاعوجاج والضلال .

أن الايمان بالله ، والاخلاص له ، ووضـــوح الفكره ، وحاجه الناس اليها ، وتواضع الداعيه ، وحرصـــه على تبليغ الدعوة ونشرها : كل ذلك من عوامل نجاح الدعوة .

والـداعية هو الايمان المتحرك ، والقرآن الحى ، والقـدوة العملية ، والنموذج المحتذى ، وكلما التصق بالقرآن قراءه وتطبيقا كلما زاد نجاحه وتاثيره . وعندما تبجح اهل مكه ووقفوا فى وجه الدعوة والداعية نزل الادب الالهى يقول للرسول الامين وللدعاة والهداة من أمته :

(ومن احســـن قولا ممن دعا الى الله وعمـل صـــالحا وقال اننى من المسلمين ، ولا تستوى الحسنة ولا الســيئة ادفع بالتى هى احسن ، فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم ، ومايلقاها الا الذين صبروا ومايلقاها الا ذو حظ عظيم) فصلت ٣٣ ـ ٣٥ .

سنن الله فى الدعوة والدعاة

جاء الاسلام دعوة عالميه ، تؤمن بالكتب والرسل ، وتدعو الى الوحـدة والجماعه فالله واحد ، والامه واحدة ، والكتاب واحد ، والهدف من الرسالات السماوية واحد ، وهو هدايه البشريه ودعوتها الى الايمان ، وصـيانتها من الفرقة والاختلاف .

وفى آيه مشهورة من سورة الشورى تطالعنا وحدة الرســالات جميعا ، ووحدة الرسل ، ووحدة الدين ، ووحده الهدف للجميع ، وهو توحيد الله ، وتدعيم القيم ومحاربه الرذائل والانحراف . قال تعالى :

(شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى أوحينا اليك ، وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن اقيموا الدين ولاتتفرقوا فيه ، كبر على المشركين ماتدعوهم اليه الله يجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب) الشورى ١٣ .

وتقرر الآية التالية بعد ذلك أن التفرق قد وقع مخالفا لهذه التوصية ولم يقع عن جهل من اتباع أولئك الرسل الكرام ولكن عن علم ، وقــع بغيـــا وحسداً :

(وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم) الشورى / ١٤ .

ثم تصـــف أتباع الأديان وحملة الكتب السماوية بأنهم فى حيرة وشك لاضطراب أحوال الديانات ، وخروجها عن الهدف الذى جاءت له :

(وان الذين اورثوا الكتــاب من بعــدهم لفى شــــك منـه مريب) الشورى ١٤ .

ان اقسى ضربة توجه الى الدعوة ، هى شك أصحابها وارتيابهم فيها ، فاذا فقد الداعية ثقته فى دعوته ويقينه بها ، فقد الحرارة والايمان ، وفقــد القدرة على هداية الآخرين لان فاقد الشىء لايعطيه .

ولقد قدم لنا القرآن هذا الدرس الحى ، وبين أن اصعب داء يصيب الدعوة يكمن فى شيئين : ـ

اولهما : ضعف الايمان بالله .
ثانيهما : الفرقة والاختلاف .

ومن كلمات أحد الدعاة المخلصين لاتباعه :

لا اخشى عليكم الدنيا كلها ولكنى اخشى عليكم احد امرين :

اولهما : ان تغتروا بأنفسكم وتفقدوا صلتكم ويقينكم بربكم ، فينزع الله عنايته عنكم :

(ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا) التوبة ٢٥ .

ثانيهما : ان تختلفوا فتفشلوا ، قال تعالى **(ولاتنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين)** الانفال ٤٦ .

ان الضربة القاضية التى أصابت الدعوات السابقة على الاسلام ، هى فقدان اتباع هذه الديانات لحرارة الايمان ، وقوة العاطفة ، ثم انتشار الفساد والكساد ، واستمراء اللهو والمتعة والابتعاد عن القيم والمثل ، وقد حذر القرآن من هذه الحال فقال سبحانه :

(ألم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله ومانزل من الحق ، ولايكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون) الحديد ١٦ .

ان العقيدة الصادقة والايمان الصادق ، والاستعداد للبذل والفداء من اسباب نجاح الدعوة .

وقد حرص الانبياء والرسل على دعوة قومهم ، وتحملوا الالام فى سبيل هذه الدعوة . مكث نوح فى قومه الف سنة الا خمسين عاما ، ووضع فى النار ابراهيم وتحمل يوسف السجن ، وابتلع الحوت يونس ، وخرج موسى من مصر خائفا يترقب قال رب نجنى من القوم الظالمين ، وحاول الأعداء قتل المسيح وصلبه فرفعه الله اليه ، وكان محمد صلى الله عليه وسلم مثلا اعلى فى تحمل تبعات الجهاد فى مكة والطائف والمدينة ، وهذ ضريبة الدعوة والفكر لان الداعية يخرج على مألوف الناس ويدعو الى الخير ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويؤمن بالله ، قال تعالى **(كنتم خير أمة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله)** آل عمران ١١٠ .

الداعية أشد الناس بلاء ، وأكثرهم تحملا ، لانه قائد فكرة ، وحامل مشعل ، ورسول اصلاح ، وزعيم حركة تغيير ، ودائما يتحمل الدعاة قسوة تغيير المألوف . وفى الحديث الشريف (أشدكم بلاء الانبياء ثم الأولياء ثم الامثل فالامثل) .

وعندما يصدق الايمان تنفتح اقفال الارض ، وتتكشف خزائنها . ولعل هذا يفسر لنا وجود هذا الحشد من الرجال العظام فى الصحابة من أمثال ابى بكر وعمر وعثمان وعلى وحمزة والعباس وأبى عبيدة وسعد بن ابى وقاص، وخالد بن الوليد وسعد بن معاذ ، وأبى ايوب الانصارى وغيرهم وغيرهم ، من تلك العصبة التى تلقت الاسلام ، فتفتحت له وحملته ، وكبرت به من غير شك وصلحت ، ولكنها كانت تحمل البذرة الصالحة للنمو والتمام .

(أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) الانعام ٩٠ .

الاسلام دين القيم

التأمل فى صفات المؤمنين يوحى بأن الاسلام دين القيم ، دين يهتم بالجوهر لا بالعرض ، ويتهوين النفس البشرية لا بالقيم الزائلة فما هى قيم الجماعة المؤمنة .

انها الايمان ، والتوكل ، واجنناب كبائر الاثم والفواحش ، والمغفرة عند الغضب ، والاستجابة لله ، واقامة الصلاة ، والشورى الشاملة والانفاق مما رزق الله . والانتصار من البغى ، والعفو والاصلاح ، والدعوة الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، وتحمل تبعات الجهاد والصبر على البلاء والشكر على النعماء والثقة بالقضاء .

وبهذه القيم نحول العرب من أشتات مختلفين الى أمة متماسكة ، متراحمة مؤمنة بالله مستقيمة على هداه ، فوطأ الله لهم اكناف الارض وصاروا خير أمة اخرجت للناس .

قال تعالى :

(فما أوتيتم من شىء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها ، وماعند الله خير وابقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ، والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون ، والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلاة وامرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون ، والذين اذا اصابهم البغى هم ينتصرون ، وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا واصلح فاجره على الله انه لايحب الظالمين) الشورى ٣٦ ــ ٤٠

ضعف الدعوة

قال تعالى : **(فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا)** مريم ٥٩ . فبعد النصر المبين ، والعصر الذهبى للاسلام، وبعد أن فتحت الارض وجاء المال ، ضعف الوازع الدينى ، وخفت صوت الدعوة وانتشر اللهو والترف ، وصارت بغداد عاصمة الخلافة تعج بالمتناقصات . فنرى مجالس اللهو والقيان والغلمان ، والغزل بالمذكر والمؤنث، حتى قال الشاعر :

اخلع ببغداد العذارى ودع التنسك والوقارا
فلقد بليت بفتية ما ان يرون العار عارا
لا مسلمين ولا يهود ولا مجوس ولا نصارى

وعندما هان أمر الدعوة ، وضعفت قوة اليقين وحرارة الايمان ، سقطت همة المؤمن وسقطت بغداد فى يد التتار سنة ٦٥٦هـ ، لكنها سقطت فى يد اللهو والعبث قبل أن تسقط فى يد التتار ، ولما ذاق التتار حلاوة الاسلام تحولوا الى دعاة له ومؤمنين به .

ادوار الدعوة الاسلامية

الفقهاء يذكرون أن الفقه الاسلامي مر بمراحل مختلفة يمر بها الكائن الحى ، وهى دور النشـأه والنمو ، ودور النضج والكمال ثم دور التقليـد والجمود ، واخيرا دور اليقظه الفقهية :

١ ــ دور النشأه والنمو من البعثة المحمدية الى سنة ١٠٠ هـ

٢ ــ دور النضج والكمال من ١٠٠هـ الى سنه ٣٥٠هـ ، وهو عصر ازدهار الفقه ، وانتشاره فى الكرة الأرضية .

٣ ــ دور التقليد والجمود من ٣٥٠هـ ــ ١٢٨٦هـ . وينقسم الى قسمين :

(أ) بداية التقليد من سنة ٣٥٠ هـ الى سقوط بغداد سنة ٦٥٦ هـ .

(ب) مرحلة التقليد المطلق والجمود والضعف من سنة ٦٥٦ هـ الى ظهور المجلة العدلية للاحكام الشرعيه بتركيا سنة ١٢٨٦ هـ .

٤ ــ دور اليقظه الفقهية من سنة ١٢٨٦ هـ الى الوقت الحاضر .

ومايقال عن الفقه يمكن ان يقال عن الدعوة الاسلامية .

لقـد تلازم نجاح الدعوة مع وحدة المسلمين ، وحسن فهمهم وتطبيقهم للاسلام . فالاسلام دين عالمى ودعوه الله الى النـاس اجمعين ، دين العـدالة والمساواة والحريه والاخاء والتسامح ومكارم الاخلاق . وهذه الصفات تجعل من الاسلام دينا ممتازا ، وطبيعة الاسلام توجب على المؤمنين به الدعوة الى الله والجهاد بالقرآن قال تعالى : **(وجاهدهم به جهاداً كبيرا)** الفرقان ٥٢ .

وقد روى مسلم فى صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسـلم قال : « لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم » .

لقد امتد الاسلام الى الفرس والروم ومصر وشمال أفريقيا ، وامتد نوره الى اوروبا عبر أسبانيا .

وقد دخل المغول الى الاسلام بفضل الدعاه المسلمين ، ودخل البلغار على يد التجار المسلمين . ودخل الاسلام الهند فى وقت مبكر عن طريق التجـار العرب . كذلك وصل الاسلام الى اندونيسـيا والفيلبين على يد الدعـاة من العرب والهند . كما وصل الاسلام الى الصين فى القرن الاول الهجرى . كما وصـلت جاليات مسلمة الى امـريكا الشـمالية والجنوبية وأقاموا هناك ، واسسوا جمعيات ومساجد فى اشهر المدن ، ولهم سـمعة طيبة فى كل حقـل يعملون فيه من حقول التجارة والصناعة وغيرها . وللاسلام أعوان وانصار فى كل جهات العالم .

ان عصور التقليد والظلام والضعف انما حلت بالمسلمين نتيجة بعـدهم عن دينهم ونتيجة فرقتهم واختلافهم .

لقد امرنا القرآن ان نجهر بالدعوة وان نستعلى على الاهواء ، وان نستقيم على امر الله ، فهو وحده مرسل الرسل ، ومنزل الكتب وولى المؤمنين وناصر المتقين . قال تعالى : **(فلذلك فادع واستقم كما امرت ولا تتبع اهواءهم وقل آمنت بمـا انزل الله من كتـاب وامرت لأعـدل بينكم الله ربنـا وربكـم لنـا اعمالنا ولكم اعمـالكم لا حجـة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا واليـه المصـير)** الشورى ١٥ .

منهج الدعوة الإسلامية

اهداف المستشرقين :

الاســلام يحمل خصائص الدعوة العالمية ، وقد ختم الله به الأديان ، وجعله صالحا لكل تطور فى الحياة البشرية على اختلاف بيئاتها ومستوياتها، وهناك فى الغرب حركتان قويتان تتصلان بالشرق والاسلام .

١ ــ أما الحركة الاولى فهى الاهتمــام بالشرق ودراســة علومه ومعارفه وحضارته وامكانياته ، لمعرفة الطريق الى الســيطرة عليه ثقافيا أو اقتصاديا .

وقد انشئت كراسى للدراسات العربية والاسلامية والشرقية فى عدد من الجامعات الغربية .

٢ ــ اما الحركة الثانية فهى البحث عن دين عالمى تطمئن اليه النفوس ويحل المشاكل الداخلية المعقــدة التى لايســتطيع العلم حلها ، لان العلم رغم تقدمه السريع لم ينجح فى حل المشـــاكل الخلقية والنفســية ونرى ان الفرصة سانحة امامنا لعرض الاسلام ، ففيه حل لمشاكل الانســـان فى القرن العشرين .

من هدى القرآن

لقد سلك الاسلام اجمل الطرق للوصول الى النفس البشرية عن طريق الهداية والدعوة الى الايمان بالحكمة والموعظة الحسنة .

وآيات القرآن واحاديث الرسول خير شــاهد . ففى القرآن الكريم : **(يا ايها المدثر قم فأنذر)** . **(ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر)** آل عمران ١٠٤

(ياايها الرسول بلغ ماانزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته) المائدة ٦٧ .

اما النبى الكريم فكان المثل الاعلى للداعية وقد زوده الله بالحلم والحكمة والصبر وعندما يئس أهل مكة ذهب الى الطائف يدعوها الى الاسلام فأوذى

ابلغ الاذى ، واستجار بالله سبحانه فى دعاء صادق فنزل جبريل من السماء وقال يامحمد ان شئت أطبق الجبال عليهم فعلت ، فقال النبى لاتفعل انى لارجو أن يخرج من ظهورهم من يعبد الله ، اللهم اهد قومى فانهم لايعلمون .

الدعوة الى الاسلام فى الوقت الحاضر

ان اقتناع المسلمين بأهمية دينهم ، وحاجة العالم اليه ، يعد أساسا سليما ونقطة انطلاق للدعوة الى هذا الدين .

وان التخطيط أمر ضرورى لنجاح كل مشروع ، واذا كان اعداء الاسلام يخططون للنيل منه ومن امته ، فيجب أن نحاربهم بمثل سلاحهم .

أن القائد الحكيم هو الذى يتمتع بمرونة الحركة ، وسرعة اتخاذ القرار والقدرة على المناورة والمفاجأة ، والاحتفاظ بالسرية وتعبئة الروح المعنوية .

وجيش الدعوة الى الاسلام فى القرن العشرين ، بحاجة ماسة الى رجال على درجة عالية من الذكاء والبصيرة ، والثقة بالنفس والغيرة والحماسة وطهارة القلب والاخلاص لله سبحانه . **(ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شىء عليم)** التغابن ١١ .

اعـداد الداعيـة

لابد من معرفة الداعية بحالة البلاد التى يتوجه اليها للدعوة ، حتى يكون كلامه وعمله مثمرا ومفيدا ، وينبغى أن يحط الداعية بتاريخ البلاد ، ونظام الحكم ، والعقيدة والعادات والامكانيات المادية والظروف المختلفة ، ذلك أن ظروف العالم تتغير من زمن الى زمن ، ومن منطقة الى منطقة .

أن الله عز وجل حث على أعداد الدعاة بقوله سبحانه : **(وما كان المؤمنون لينفروا كافة ، فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون)** التوبة ١٢٢ .

علينا أن نجهز هذه الطائفة التى تنفر الى الالمان ممن يجيدون الالمانية والى الامريكان ممن يجيدون الانجليزية ، فنخاطب الناس بلغاتهم ، ونحمل اليهم هداية السماء وختام الرسالات ونقدم الدواء لمن يحتاج اليه ، بعد تشخيص مناسب ، فالحكمة الحقة هى وضع الشىء فى موضعه ، وتقديم العظة المناسبة فى الوقت المناسب وبالحكمة المناسبة ، قال تعالى : **(يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وما يذكر الا اولوا الالباب)** البقرة ٢٦٩ .

التخطيط للدعوة

يبذل أعداء الاسلام جهدا منظما ، ويقومون بنشاط متعدد الاشكال والالوان ضد الاسلام والمسلمين ، فهم يشجعون الحركات الاقليمية كالدعوة الى الفرعونية والبابلية والفينيقية والبربرية ، لان هذه الدعوات تحطم الوحدة الكبرى التى خلقها الله بين المسلمين ، وهم يحاربون الوحدة بين الامم الاسلامية ، ويشككون فى قدرة الاسلام على القيام بدور حضارى بناء .

والدعوة الى الاسلام فى حاجة الى تفنيد مفتريات العدو ، وتأكيد قدرة الاسلام الذاتية على العطاء ، وهذه الدعوة بحاجة الى انشاء جهاز مستنير ، جامع لارباب الفكر والتخصصات الفنية المختلفة التى تتصل بالدعوة ، وتكون مهمته الأولى الأساسية هى الدعوة النقية الخالصة بعيدة عن المؤثرات المحلية والاغراض الخاصة ، وليت هذا الجهاز يكون واحدا للعالم الاسلامى كله ، ويختار له مقر فى القاهرة قلب العالم الاسلامى او الحجاز مهبط الوحى ، ويكون لهذا الجهاز فروع وادارات وشخصيات تمثله فى الدول الاسلامية بقدر الامكان .

ان التفكير فى تكوين جمعيات ، وانشاء منظمات واجهزة لمباشرة الدعوة بطريقة منهجية منظمة ، تفكير حديث فى تاريخ الدعوة الاسلامية ، وفى سنة ١٩١٠ م اسس السيد محمد رشيد رضا جمعية فى القاهرة ، كانت تهدف الى تأسيس دار للدعوة والارشاد .

« وفى شبه القارة الهندية اربع وعشرون جمعية للدعوة الى عقائد الاسلام وعقد المناظرات مع غير المسلمين ، وطبع ونشر الكتب التى ترد على هجمات الجمعيات المعادية» (١) . ومن اهم هذه الجمعيات جمعية (انجومان حمامى اسلام) فى اجمر ، وجمعية (انجومات حمايت اسلام) فى لاهور ، ومن الهيئات التى تحمل عنوان اندعاية للاسلام ، المجلس الاعلى للشئون الاسلامية بالقاهرة ، ومجمع البحوث الاسلامية بالازهر ، وجمعية التعريف الدولى بالاسلام فى القاهرة .

ولمصر موقع جغرافى وتاريخى وثقافى وقيادى هام ، وهى قبلة فكرية للعالم الاسلامى ، وقد حملت لواء النهضة الحديثة ، وبها اعداد وافرة من الجامعات ومراكز البحث العلمى وهى تستقبل ابناء العالم الاسلامى للدراسة والتعليم والتدريب ، ويقوم الازهر بواجب فى هذا الميدان ولكنه يحتاج الى عناية ورعاية وامكانيات مادية وفكرية حتى يؤدى واجبه على الوجه الاكمل .

ثقافة الداعية

ينبغى أن يتزود الداعية بمهارات وخبرات ودراسات مناسبة لما يقوم به ، ومن هذه الخبرات مايأتى :

١ ــ التعمق فى معرفة القرآن والسنة ، وعلوم الشريعة والسيرة النبوية والعبادات والمعاملات والاخلاق وغيرها من فروع الثقافة الاسلامية .

٢ ــ أن يجمع الى العلم القديم علما حديثا بالمعارف المختلفة التى توضح العلوم الدينية بأسلوب العصر ، وبذلك يكون نموذجا مشرفا يعيش مع العصر واحداثه ويتصل بالمجتمع ومايعج به من مشاكل .

٣ ــ أن يكون متمكنا من لغة القوم الذين يخاطبهم .

(١) الدين العالمى ومنهج الدعوة اليه . لفضيلة الشيخ عطية صقر ، الكتاب الحادى عشر لمجمع البحوث الاسلامية ص ١٦٢ ، ١٦٣ .

٤ ـ ان يكون خبيرا بأسلوب الدعوة وطرق التربية والتعليم والرعاية والتوجيه، فقد نصح النبى معاذا وزميله حين أرسلهما الى اليمن قائلا : « يسرا ولا تعسرا ، وبشرا ولاتنفرا ، وتطاوعا ولاتختلفا» (١)

٥ ـ ان يكون على خلق كريم ، فالاخلاق سلاح فعال فى نجاح الدعوة ، وهى فى الوقت نفسه دعاية صامتة ، قد تغنى عن الدعاية القولية ، ومن اخلاق الداعية عدم الحرص على الدنيا ، والعفة والقناعة والصبر ، والاخلاص لله فى السر والعلن ، والاعتزاز بالاسلام دينا وسلوكا .

قال تعالى : **(ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين)** فصلت ٣٣ .

ومن كلمات النبى صلى الله عليه وسلم لعمر : « أما علمت أن الحلم كاد أن يكون نبيا » (٢) .

٦ ـ أن يكون الداعية حسن الهيئة ، طيب المظهر ، جميل الهندام «وقد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم حلة يلبسها للعيدين والجمعة » (٣) .

وفى الحديث يقول النبى صلى الله عليه وسلم لاصحابه : « ما على أحدكم لو اشترى ـ ان وجد سعة ـ ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوبى مهنته » (٤) .

وقد اعتنق اليهودى سعيد بن الحسن الاسلام سنة ١٢٣٨ م ، بسبب رؤيته لمشهد صلاة الجمعة فى مسجد عام وقال : «لما ظهر خطيب الجمعة مرتديا عباءته السوداء استولى على شعور عميق بالرهبة .. وأيقنت فى نفسى أنى خلقت لأكون مسلما » (٥) .

٧ ـ ان يكون الداعية حكيما ، سليم الفكرة ، حسن الاداء ، بعيدا عن السب والشتم والتجريح ، قال تعالى **(ولاتسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم)** الانعام ١٠٨ .

واذاأراد الداعية ان يبين خطأ فكرة ،أو يقتلع عقيدة باطلة فليوجه الانظار الى بطلان مايشبه هذه العقيدة ، أو يترك الفرصة للعقول أن تستنبط الموعظة بالتفكير والتأمل ، وقد سلك القرآن ذلك فى ضرب المثل وحكاية القصص ، لأن القصة لاتحمل موعظة مباشرة وانما تترك فرصة للعقل أن يستنبط بنفسه العبرة والعظة .

٨ ـ ان يحسن الداعية اختيار الموضوع ، وأن يبتعد عن اثارة الشبهات وان يعرض التشريع مبسطا ، والعقيدة واضحة عند الدعوة الى الدخول فى الاسلام .

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه الدارقطنى والبيهقى والحاكم .

(٣) زاد المعاد لابن القيم ج ٢ ص ١٢١ .

(٤) رواه أبو داود وابن ماجه .

(٥) تاريخ الدعوة لارنولد ص ٤٥٨ .

سئل اعرابى عن الدليل على وجود الله فقال : البعرة تدل على البعير، والاثر يدل على المسير ، فسماء ذات ابراج ، وارض ذات فجاج ، وبحار ذات امواج ، افلا يدل ذلك على اللطيف الخبير ؟

وعندما سئل نيوتن (المتوفى ١٧٢٧ م) عن وجود الخالق قال : من الجلى الواضح انه لايوجد اى سبب طبيعى يمكن ان يعزى اليه توجيه جميع الكواكب وتوابعها للدوران فى وجهة واحدة وعلى مستوى واحد ، دون ان يحدث فيها اى تغيير يذكر ، فمجرد النظر لهذا التدبير يشعر بوجود قدرة الهية .

٩ ــ الداعية امام وقائد ، وهو قدوة ومثل اعلى ، فعليه أن يلتزم بما يدعو اليه ، وأن يحرص على هداية الناس ، وأن يجد سعادته فى مساعدة الآخرين ، ومن كلمات الاستاذ الشيخ محمد مصطفى المراغى :

« من لوازم الداعى أن يكون شجاعا صادقا قوى الايمان بما يدعو اليه ، يرى فى الاقدام لذة وحقا للنفس الخيرة ، ويؤديه احتسابا لله لا على انه مكلف به ، يؤديه للاجر وزيادة الدرجات والمرتبات ، ومن حق الداعى أن يكون بصيرا بالوسط الذى يعيش فيه ، خبيرا بأحوال النفوس ، واسع الحيلة فى التنقل من طريق الى طريق ، يقصد الهداية المطلوبة من طريقها النافع » (١) .

مقترحات لنشر الدعوة

مما يساعد على نشر الدعوة ويشد ازر الدعاة مايأتى :

١ ــ استغلال كل الوسائل الممكنة للنشر ، فقد كان عصر الاسلام يعتمد على الكلمة واللقاء المباشر . واليوم نجد وسائل لإعلام عديدة منها : الاذاعة والتليفزيون والصحافة والسينما والمسرح والمجلات والاعلانات والدعايات المختلفة . فعلى دعاة الاسلام ان يستغلوا كل فرصة مناسبة للدعوة اليه ، فى كافة وسائل الاعلام ، مع استخدام أسلوب العصر وطريقته ومنهجه . قال تعالى (**وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم**) ابراهيم ٤ .

٢ ــ ينبغى أن تنشأ مراكز اسلامية للدعوة للاسلام ، وتعليم الدين واللغة عن طريق التدريس والمحاضرات والندوات والكتيبات وغيرها .

٣ ــ التوسع فى ارسال البعوث الى كافة ارجاء الدنيا ، بعد اعدادهم اعدادا سليما .

٤ ــ التوسل الى تدبير الاموال اللازمة والخبراء بالدعوة للاسلام ، وياحبذا لو كان هناك صندوق عام يمول من كل الأقطار الاسلامية ، ويا حبذا لو زيدت فى ميزانية كل دولة المبالغ المرصودة لهذا العمل الجليل .

---

(١) جريدة الدستور ١٩٣٨ . وانظر : الدين العالمى . للشيخ عطية صقر ص ١٣٦ .

٥ ـ من أهم مايساعد على قبول الناس لدعوة الاسلام ان يكون العمل بالدين ومبادئه واقعا حيا فى المجتمع الاسلامى فالعمل بالدين اكبر دعاية له .

ان فى الناس فراغا روحيا وقلقا نفسيا فى هذه الايام بعد كثرة الحروب وبعد الصراع الدموى المادى ، وليس الا الدين سكنا للنفس ، ويقينا للقلب ، وحصنا فى الشدائد ، وصلة بين المخلوق والخالق ، وأمانا فى البأساء ، وعزاء فى المصائب ، وقوة فى النوائب ، ان الايمان يعنى نفسا مطمئنة ، وقلبا نقيا تقيا من الشرك بريا لا كافرا ولا شقيا .

فن الخطابة والإعلام الديني

(أ) الخطابة الدينية واهميتها ، واسباب ضعفها وطرق النهوض بها
(ب) الخطيب والصفات التى يحتاج اليها .
(جـ) الخطبة : مقدمتها ، موضوعها ، خاتمتها

الخطـابة :

الخطابة من مشافهة الجمهور واقناعه واستمالته .

والخطابة ـ منذ كانت ـ سلاح المجتمع الانسانى فى سلمه وحربه وفى ترقيته والاسراع به نحو المثل الاعلى الذى يجب أن يقصد اليه .

فليس بدعا ان كانت بلاغ الانبياء الى أممهم وسبيل الدعاة الى الهداية والاصلاح . ولربما اثر الخطيب بحماسته وصدق عاطفته اكثر من تأثير الكاتب برزانته واعداد بحثه .

فالخطيب يواجه الجمهور ويحاول التأثير فيه بطريقة ادائه ونبرات صوته وجودة القائه وروعة بيانه .

والخطيب يواجه ويخاطب القارىء والامى والاعمى والبصير والطفل والكبير ، وهو يتعامل مع القوى البشرية مباشرة يخاطبها ويستميلها ويناجى ضميرها ويحرك بواعث الخير فيها ويسوق أدلته وبراهينه لاقناعها ويغير من اساليب الخطابة وتعبيراتها حسب مايطرأ على الجمهور من تغيير .

فالخطيب قادر على الاطالة اذا رغب جمهوره فى الاستزادة ، وعلى الايجاز اذا ظهرت له علامات السامة والملل ، وعلى تغيير طريقته واسلوبه وتعبيره ليناسب السامعين .

قال صلى الله عليه وسلم (**ان من البيان لسحرا**) .

اقسام الخطابة :

تنقسم الخطابة الى سياسيةوقضائية وحربية وحفلية ودينية . وسنقصر هذا البحث على النوع الاخير وهو :

الخطابة الدينية

الخطابة الدينية : هى التى نعتمد على الدين فى مادتها وموضوعها فتربط السـامعين بالخالق وتذكرهم بالثواب والعقاب وتدعوهم الى الخير وتحذرهم من الشر .

خطبة الجمعة :

وهى أشهر انواع الخطابة الدينية ، ففى كل اسبوع نجد ملايين المنابر فى العالم الاسلامى وقد صعدها الخطباء فى زيهم الدينى ليلقوا خطبة الجمعة .

والخطبة شرط فى انعقاد الجمعة عند الجميع ويجب ان تشـمل على خمسة أركان : حمد الله عز وجل ، والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والوصية بالتقوى ، وقـراءة آية من القرآن ، والدعـاء للمؤمنين والمؤمنات عند الشافعى ، ولم يشترط شيئا من ذلك عند « ابو حنيفة » ، وقال مالك الواجب ان يأتى الخطيب بما يسـمى خطبة فى العادة من كـلام مؤلف له بال .

والقيام فى خطبة الجمعة مع القدرة عليه مشروع باتفاق .

لماذا اخفقت الخطابة الدينية :

نلاحظ كثيرا من الخطباء الدينيين لم يبرعوا فى خطابتهم ، ويرجع ذلك للاسباب الاتية :

١ ــ خطبهم ذات موضوعات عدة من دعوة الى فضائل الى تنفير من رذائل، فتبدو الخطبة كشكولا جامعا لموضوعات عدة مبتسرة مقتضبة لم يدرس واحد منها دراسة كاملة ترسخ فى اذهان السامعين، وتمتلك مشاعرهم، والخطبة الناجحة لابد ان تكون ذات موضوع واحد .

٢ ــ وهذه الموضوعات الكثيرة ذات معان واحدة مكررة ،واحيانا ذوات اسلوب واحد تكرر على مسامع الناس فيملونها ، وقد مضت على الخطباء فترة من الزمن ــ وما زالت لها بقية ــ كان الخطباء يحفظون فيها خطبهم ، او يلقونها من كتب مطبوعة متمشية مع اسابيع كل شهر من كل عام ، فلا تصرف ولا تجديد ولا مراعاة لاحوال المسلمين .

٣ ــ على انها بموضوعاتها المتعددة ومعانيها الواحدة متخلفة عن قافلة الزمن مباينة للحياة الواقعية ، ليس فيها جدة ، وكثيرا مايشغل الناس حدث جلل او أمر طارىء ويتشوقون الى سماع كلمة الدين ، فاذا بهم يسمعون نغمات قديمة لاصلة لها يتوقعون ويتوقون الى سماعه .

٤ ــ ومن نتائج ذلك كله انها غير ملائمة لعقلية السامعين ، وغير مشوقة ، فأسلوبها متكلف ، ومعانيهـا لاتشويق فيهـا ، والقاؤها باعث للتثاؤب والملل .

كيف ننهض بها :

واذا ماأردنا أن ننهض بالخطابه الدينيه فعلينا أن نصلح هده العيوب ، بأن نجعل كل خطبه موحدة الموضوع ، جديدة الافكار والمعاني ، مسايرة للحياة الواقعيه معروضه في معرض شائق رائق . وأن نجملها بالوان من التشبيه والمقابلة وغيرها ، بحيث لاتكلف ولاتعسف ، ثم ليعلم الخطباء الدينيون انهم في مسلكهم قدوة للناس ومثل ، فيدين الناس بأقوالهم ووعظهم ان كانوا صالحين ، ولايهتدون بوعظهم ان كانوا غير صالحين . فالخطيب الذى يلقي خطبته كل اسبوع مره ، ثم لايحبس نفسه على الفضيلة ، يهدم بيده مكانته . ويقدم بنفسه دعاواه ضد الشاعر بما يقول :

وذموا لنا الدنيا وهم يرضعونها   افاويق حتى ماسدر لنا ثمل (١)

قال الشيخ حسين المرصفي : «ان من نصب نفسه لوظيفة الهدى ، ودعاء الناس الى الخير . يجب أن يكون ابعدهم من التصنع واحرصهم على الكمال فان أدنى هفوه منه تسقط اعتباره وتسهل التهاون به فلايكون لكلامه تاثير في القلوب . ويصير مجالسه مسلاة تتسلى الناس بحضوره . وقالوا :

ما احسن التاج وعلى رأس الملك احسن ، وما احسن الدرة وهى على نحر الفتاة احسن ، وما احسن الموعظة وهي من الفاضل التقى أحسن .

ثم ان الخطيب الديني ان لم يكن متأثرا متحمسا لما يدعو اليه فلا اثر لخطابته .

قال حسن البصرى اواعظ لم تقع موعظته بموضع من قلبه ، ولم يرق عندها .

« ياهذا ان بقلبك لشرا أو بقلبي » (٢) .

ولابد أن يكون الخطيب الديني مثقفا ثقافة دينية واجتماعية وتاريخية وادبية ، ليمتلك قلوب السامعين بطلاوة عبارته ، وحلاوة تصويره ، وطرافة معانيه وحداثة موضوعاته .

ثم لابد من اجادة الالقاء . ومما يبشر بالخير ان كثيرا من الخطباء المعاصرين تحللوا من القيود التى انحدرت الينا من عصور الضعف العقلي والادبي ، فجددوا وأنشأوا وتمشوا مع الحوادث . وأحسنوا الالقاء . وانا لننتظر في شوق ولهفة أن يكون خطباء الدين جميعا لسنا مصاقع ، ليطهروا النفوس من الاثرة والشر وليسهموا في اعزاز الدين واعلاء كلمة الله في عصر يتحلل الناس فيه من الدين وينسلون ، وهم انما ينفلتون من سعادة الى شقاء ومن هوى الى ضلال ومن شرف الى ضعة ومن حياة الى فناء .

خطبة لعمر بن عبد العزيز

« ايها الناس انكم لم تخلقوا عبثا ، ولم تتركوا سدى وان لكُم معادا يحكم الله فيه بينكم ، فخاب وخسر من خرج من رحمة الله التى وسعت كل

(١) اطباء الناقة والبقرة والشاه ، والطبى لذات الخف والظلف كالثدى للمرأه وفي الجمع اطباء مثل قفل واقفال ، وتقريب معنى ثمل هو ثدى ، انظر المصباح المنير .

(٢) البيان والتبيين ١/٨٤ .

شيء وحرم الجنة التي عرضها السموات والارض . واعلموا ان الامان غدا لمن خاف ربه وباع قليلا بكثير وفانيا بباق ، الا ترون انكم فى أسلاب الهالكين وسيخلفكم من بعدكم الباقون حتى تردوا الى خير الوارثين ؟

ثم أنتم فى كل يوم تشيعون غاديا ورائحا الى الله ، قد قضى نحبه وبلغ اجله ، ثم تغيبونه فى صدع من الارض ثم تدعونه غير موسد ولا ممهد ، قد خلع الاسباب وفارق الاحباب وواجه الحساب ، غنيا عما ترك فقيرا الى ماقدم .

وأيم الله انى لأقول لكم هذه المقالة وما اعلم عند أحدكم من الذنوب اكثر مما عندى فأستغفر الله لى ولكم » (١) .

الخطيب الدينى

صفات الخطيب :

١ ــ الاسنعداد الطبيعى .
٢ ــ سداد الراى .
٣ ــ صدق اللهجة .
٤ ــ طلاقة اللسان .
٥ ــ سعة الثقافة .
٦ ــ معرفة نفسية السامعين .
٧ ــ روعة المنظر وجودة الالقاء :
(أ) الوقفة
(ب) حسن الاشارة
٨ ــ سمو الخلق .

الخطيب الدينى داع الى دين الله ، مرشد الى الفضيلة والهدى ، ناصح باتباع الحق والسداد ومحذر من الوقوع فى الرذيلة . وليس كل من صعد المنابر هز القلوب وابكى العيون وحقق للسامعين الفائدة والهداية . ولذلك يحتاج الخطيب الى صفات وآداب يجب أن يتحلى بها فى نفسه وفى سياسته السامعين وملاحظة احوالهم .

١ ــ الاستعداد الطبيعى :

الخطابة فن من فنون القول تحتاج الى موهبة واستعداد ، ويجب ان يكون الخطيب مفطورا على حب الخطابة ، والميل اليها ، ولابد له مع ذلك من المران والمزاولة حتى يصقل فطرته وينمى مواهبه واستعداده .

قال أبو الحسن الرمانى : أصل البلاغة الطبع .

---

(١) فن الخطابة ، دكتور أحمد الحوفى ، ص ١٣٢ ، ط ٣ .

٢ ـ سداد الرأى :

وذلك بدراسه الخطيب للموضوع الذى يخطب فيه دراسة تامه ، فان الراى المحكم لايكون الا بدراسة عميقه واحاطة تامة واطلاع واسع وعلم غزير وفكر قويم . وليس معنى دلك انه لا يخطب الا اذا كان محضرا مهيئا للكلام، بل المراد الا يتكلم الا فى موضوع سبقت له دراسته والاحاطة به حتى يكون كلامه مسددا ، سواء اكان يلقى الخطبة بعد تهيئة ، ام يلقى الكلام ارتجالا من غير سابقة تحضير . فان المرتجل لايحسن ارتجاله فى كل الاحوال ، بل لايحسن الا اذا القى كلاما فيما فيه آراء محكمه ، ولا يتم له ذلك الا اذا كانت له سابقه اطلاع على ذلك الموضوع ، أو له به علاقة تمكنه من أن يدلى فيه برأى قيم له شان ، فعلى الخطيب الا يتعرض لحديث ليس له به علم ، حتى لا يشطط فيبدى رايا فطيرا ، والرأى الفطير مبتسر لا ينال الحق من كل نواحيه وقد يكون مع الحق على طرفى نقيض ، ومما يساعد على تكوين الرأى الناصح بعد الدراسة النامة ، سلامه الفكر من هم قاطع وفم شاغل ، لان من شغل بالهم لايخلص له راى ولا فكر . وقد قال الغزالى ان من عارضت فكره شوائب الهموم لايسلم له راى ولايستقيم له خاطر . وكان كسرى اذا دهمه امر بعث الى مرازبته فاستشارهم فاذا قصروا بالرأى ضرب فهارمته وقال « ابطأتم بأرزاقهم فأخطأوا فى آرائهم » .

وقال بشر بن المعتمر فى وصاياه للخطيب : « خذ من نفسك ساعة نشاطك ، وفراغ بالك ، واجابتها واياك ، فان قليل تلك الساعة اكرم جوهرا، واشرف حسبا ، واحسن فى الاسماع واحلى فى الصدور واسلم من فاحش الخطأ . واجلب لكل عين من لفظ شريف ومعنى بديع» . فصفاء الذهن وسلامة القلب لهما اثرهما فى احكام الراى واجادة اللفظ .

٣ ـ صدق اللهجة :

وهو ان يظهر الخطيب مخلصا فيما يدعو اليه ، حريصا على الحقيقة فيما يعمل ، فانه ان ظهر كذلك وثق الناس به وصدقوه فيما يدعو اليه ، واحسوا بانه شريف تجب اجابته لشرفه وشرف مايدعو اليه ، ومن أجل أن يكون الاخلاص باديا يجب أن يكون من حاله مايطابق مقاله ، فلايتجافى فى عمله عن قوله بل يكون اكثر الناس اخذا بقوله .

لايعجبنك من خطيب قوله حتى يكون مع اللسان اصيلا
ان الكلام لفى الفؤاد وانما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

ويقول الحكماء : حال رجل فى الف ابلغ من وعظ الف لرجل .

ان القدوه العملية والسلوك المستقيم ابلغ فى الموعظة من الاقوال المنمقة ، والحكم الرائعة . وقد كان الانبياء والمرسلون نماذج هادية وامثلة تحتذى ومثلا عليا فى السلوك والاعمال والاقوال . قال تعالى (**فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل**) . وقال سبحانه (**لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا**) . وقد ذم القرآن تناقض الأقوال مع الافعال وجعله من ابشع الخصال . قال تعالى (**ياأيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا مالا تفعلون**) .

ويقول القائل :

ياأيها الرجـل المعلم غيره ... هـلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذى السقام وذى الضنا ... كيما يصح بـه وأنت سقيم
ابدأ بنفسك فانهها عن غيها ... فاذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يسمع ماتقول ويهتدى ... بالقول منك وينفع التعليم
لاتنه عن خلق وتأتى مثله ... عار عليك اذا فعلت عظيم

٤ ـ طلاقة اللسان :

اللسان أداة الخطيب الاولى فلابد أن تكون الاداة سليمة كاملة لتتسنى له استعمالها على أكمل وجه وأتمه .

ولابد للخطيب ان يكون فصيحا ،ذرب اللسان ،بليل الريق ،قديرا على التعبير لان منطقه هو ثروته وعدته وهو بمنطقه يقنع وبمنطقه يستميل . وماهز بالمنابر فى القديم والحديث ، ولاتزعم الامم وقاد الجماهير ، الا اللسن الفصحاء .

قال بهلة الهندى .. « أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة وذلك أن يكون الخطيب رابط الجاش ساكن الجوارح متخير اللفظ ويكون فى كلامه التصرف فى كل طبقة ، ولايدقق المعانى كل التدقيق ، ولاينقح الالفاظ كل التنقيح ، ويصفيها كل التصفية ويهذبها كل التهذيب ، ولايفعل ذلك حتى يصادف حكيما وفيلسوفا عظيما » .

٥ ـ سعة الثقافة :

يجب ان يكون الخطيب ملما بقسط وافر من المعلومات والثقافة ، دائم الاطلاع على كثير من المعارف والفنون فانه يعرض عقله على الناس .

قيل لعبد الملك بن مروان : عجل اليك الشيب ياأمير المؤمنين . قال كيف لايعجل الى وانا أعرض عقلى على الناس فى كل جمعة مرة أو مرتين ، أو قال : شيبنى صعود المنابر والخوف من اللحن .

وليس للخطابة موضوع خاص تبحث عنه بمعزل عن غيره فانها لاتحجم عن النظر فى كل العلوم والفنون ، ولاشىء الا ويتطاول اليه جيد كلامها ويخضع لسلطان لسانها ومن ثم يجب على خطيب الدين أن يكون ملما بمعارف شتى من علم الاجتماع الدينى ، والتاريخ العام ، والتاريخ الاسلامى ، وعلم النفس وطرق التهذيب والتربية الدينية ومعرفة نفسية الجمهور أطفالا أو شبابا أو رجالا ، فقراء أو أغنياء ، تجارا أو موظفين ، حكاما أو محكومين ، فلكل فئة طرق تناسبها وأساليب تستميلها .

ولايستغنى الخطيب عن الاطلاع الدائم ، والا تخلف وأكدى وفقد تأثيره، فالروح نار اذا أنت لم تطعمها لتزيد وتقوى تناقصت وخبت . والانسان بالتعلم ومجالسة العلماء وبطول التقليب للكتب يجود لفظه ويحسن أدبه . وهو كما يقول الجاحظ لايحتاج فى الجهل الى أكثر من ترك التعلم ، وفى عدم

البيان الى أكبر من ترك التخير . ويقول فى موضوع آخر «وانا أوصيك الا تدع التماس البيان والتبيين ، وأن ظننت ان لك فيهما طبيعة وانهما يناسبانك بعض المناسبة ويشاكلانك فى بعض المشاكلة ، و تهمل طبيعتك فيستولى الاهمال على قوة القريحة ، ويستبد بها سوء العادة » .

ويحذر من مخالطة غير المتفقين ومن ترك الاطلاع بقوله «ولو جالست الجهال غير المتفقين سهرا فقط لم تنق من أوضار كلامهم وخبال معانيهم بمجالسة أهل البيان دهرا ، لان الفساد أسرع الى الناس وأشد التحاما بالطبائع » .

٦ ـ معرفة نفسية السامعين

هدف الخطيب أن يتغلغل فى نفوس سامعيه فيحركها كما يشاء معتمدا على اثارة عواطفهم واشعال مشاعرهم .

وسبيله الى ذلك أن يلم بعلم النفس الاجتماعى ليعرف روح هذا المجتمع، ويقف على طبائع النفوس وعواطفها ، ويعلم مايثير هذا المجتمع أو يهدئه ، وما يرضيه أو يغضبه ، وأى الاساليب ملائم له : أهو أسلوب البسط والاطناب أم اسلوب الاختصار والايجاز ؟.

والخطيب الناجح من امتزجت بروح السامعين روحه وكان هو وهم كسلكين كهربيين سالب وموجب يلتقيان فيشع منهما ضوء وحرارة .

والسامعون من طبقات شتى وبيئات عدة فيهم الكبير والصغير ، والمتعلم والامى ، والفقير والغنى ، والخصم والولى . فعليه أن يمهد الطريق الى اقناع هذا الجمهور المتباين والى التأثير فيه ، فالعواطف تختلف حسب الموضوعات من سكينة وهياج ، وطمأنينة وخوف ، وكره وحب ، ورضا وسخط . وتختلف فيما يثيرها ، فعواطف الفقير يثيرها مالايثير عواطف الغنى ، وعواطف الشاب يهيجها غير مايهيج عواطف الشيخ . ثم هى تختلف تباعا لمزاج السامعين وميولهم ، فبعضهم حساس فيما يتصل بالوظيفة ، وبعضهم فيما يتصل بالدين أو الفضيلة .. وهكذا .

فمثلا الخطابة أدلة وجدانية تثير الرغبة والاحساس ، وهذه صالحة للتأثير فى العامة فى مجال الوعظ والارشاد واشعال ثورة أو اخمادها .

ومن أمثلة ذلك خطبة الامام على (رضى الله عنه) وقد أغار الضحاك بن قيس على الحيرة من قبل معاوية وغنم من أموال أهلها ، فاستصرخ الامام على الناس فتقاعدوا ، فقام فيهم خطيبا فوبخهم وقرعهم بأدلة خطابية ، ثم استحثهم على الجهاد لحماية أعراضهم ودينهم ، ثم أقسم لهم انه لن يصدقهم، ولن يرجو نصرتهم . ثم عجب من أن يكونوا رجالا كرجال معاوية . ولكنهم لايعملون عمل الرجال ، فقال : « أيها الناس المجتمعة أبدانهم ، المختلفة أهواؤهم ، كلامكم يوهى الصم الصلاب ، وفعلكم يطمع فيكم الاعداء . تقولون فى المجالس كيت وكيت ، فاذا جاء القتال قلتم حيدى حياد ، ماعزت دعوة من دعاكم ، ولا استراح قلب من قاساكم ، أى دار بعد داركم تمنعون ؟ ومع أى امام بعدى تقاتلون ؟ المغرور والله من غررتموه ، ومن فاز بكم فقد فاز والله

بالسهم الاخيب . ومن رمى بكم فقد رمى بأفــوق ناصـــل . أصبحت والله لا اصدق قولكم ولا اطمع فى نصركم ، ولا أوعد العدو بكم ، مابالكم ، مادواؤكم؟ ماطبكم ؟ القول رجال أمثالكم » (١) .

ثم لابد للخطيب من دراية بنفسية السامعين ليشــوقهم دائمــا ، حتى لايملوا فان احس منهم فترة أو من حركاتهم مللا ، شوقهم بفكاهة مناسبة أو قصة طريفة ملائمة أو عبارة ملهبة ، فانهم أن ملوا انصرفوا عنه وصار يخطب لنفسه . ولذا قال عبد الله بن مسعود « حدث الناس ماحدجوك بأســماعهم ولحظوك بأبصارهم ، فاذا رأيت منهم فترة فأمسك » .

٧ ـ روعة المنظر وجودة الالقاء :

لابد ان يكون الخطيب رائع المنظر ، جيد الالقاء لان شخصيته ووقفته ، واشارته وجهارة صوته وحلاوته ، وحسن هندامه وبزته ، وحسن خلقه ، كل هذه أعوان على التأثير والاستمالة . ونحن نقرأ خطبا كان لها دوى حين سمعت فلا نحس بها روعة لانها استمدت تأثيرها من الاسباب التى صاحبت القاءها ، ولقد يعين على روعة المنظر واجادة الالقاء عدة عوامل :

(أ) الوقفة :

يقف الخطيب أمام الجمهور ليشرف عليهم وليتطلعوا اليه . ويستطيع ان يقف وقفة تضفى عليه فخامة وعظمة . مع اجتناب بعض العادات المستهجنة كوضع اليد فى الخاصرة ، أو كثرة الحركة ، وذلك بان يعتدل فى وقفته ويبرز صدره الى الامام ويلزم المهابة والوقار .

(ب) حسن الاشارة :

الاشارة لغة منظورة أو لفتة متحركة مفهومة فاذا اقترنت الاشارة باللغة فى موضعها الملائم اثرت تأثيرا عظيما ، وصــوت الخطيب مهمــا تتغير نبراته ونغماته لايكفى للتعبير عن العواطف كلها . فلابد من أن تساعده حركات اليد والرأس والمنكبين وملامح الوجه .

(ج) نظرات العينين :

فالعين هى النافذة التى تطل منها على العالم ،ويطل منها علينا ، تشف نظراتها العواطف ، وتكشف عما بداخلة النفس .

فمثلا العين المفتوحة تمثل الغيظ أو الخوف أو الاعجاب ، والعين المغلقة تشير الى التواضــع أو البغضـــاء ، والنظر الشزر يترجــم عن الاحتقــار والاستهانة . والعين المتحركة يمينا وشمالا تنبىء عن الرياء والاشمئزاز ، والعين المنطلقة الى الســماء ترمز الى الدعاء ، والنظــرة الى الارض تعبر عن

---

(١) جمهرة خطب العرب ٢٣٨/١ . وحيدى حيــاد : كلمة يقولها الهارب الفــار اى ابعدى وتنحى على أيتها الحرب . والسهم الأخيب : الذى لا يصيب . أفوق ناصل : سهم ناقص خارج

التأثر والخشوع أو الحياء ، والعين المستقرة فى نظرتها تفصح عن الشدة والثبات والرجاء ، والعين اللامعة ترجمان عن الظفر .

ولابد أن يراعى الخطيب عدة أمور :

١ ـ أن الاكثار من الاشارة باليد خطل وصرف للسامع عن الانتباه ، فعلى الخطيب أن يقلل منها .

٢ ـ أن يجعلها موافقة للمعنى وسابقة له ، فيشير ثم ينطق .

٣ ـ أن يتذكر أن الموضوعات لاتحتاج الى افتنان فى الالقاء ، فاذا لم يكن انفعاله قويا فليتكلم كما يحس .

الخطبة الدينية

اجزاء الخطبة :

(أ) المقدمة

(ب) العرض

(جـ) الخاتمة

(د) الخطبة الثانية

١ ـ المقدمة :

المقدمة من الخطبة كالمطلع من القصيدة ، وهى أول مايطرق الاسماع من الخطبة فيجب أن تكون جذابة جيدة الصياغة والاداء ، متصلة بموضوع الخطبة تخدمه وتمهد له . ويجب أن تشمل على حمد الله والشهادتين والصلاة والسلام على رسول الله ، مع تعظيم الخالق وذكر جلاله ووحدانيته حتى تخشع القلوب وتتفتح الاذهان لسماع الموضوع .

٢ ـ العرض :

يجب أن يعرض الخطيب الموضوع عرضا فنيا فيشرحه ثم يبدى رأى الدين فيه ، ويدلل على ذلك بالحجج والبراهين .

شروط جودة العرض :

١ ـ الوحدة ، وذلك أن تنبع مسائله كلها من ينبوع واحد كأنصاف اقطار الدائرة تتشعب كلها من مركز الدائرة . وقد سبق أن من أسباب ضعف الخطبة الدينة ان الخطبة الواحدة ذات موضوعات شتى .

٢ ـ الترتيب ، فيعرض الخطيب موضوعه متسلسلا يسلم كل جزء الى مابعده ، وبذلك تعهد الاجزاء كلها الى النتيجة التى يريدها .

٣ ـ الوضوح : وهو اساس الخطبة الناجحة ، وكلما كان الخطيب واضح المعنى سهل الأسلوب كلما كان اقرب الى الفهم وادعى الى التأثير .

٤ ـ التدليل بالادلة المنطقية او الخطابية ، والاستشهاد بالقرآن الكريم والاحاديث النبوية او بما اثر عن الصحابه او السلف الصالح .

٣ ـ **الخاتمة :**

هى آخر مايبقى فى آذان السامعين واذهانهم من الخطبة ، وفيها يتجلى نجاح الخطيب فى اقناع الجمهور واستمالته .

انواعها :

للخطيب ان يلخص فى خاتمته الافكار والعناصر البارزة من خطبته ، وله ان يستثير السامعين ويلهب مشاعرهم ، وقد يجمع بين الطريقتين .

شروط جودتها :

١ ـ أن تكون قوية العبارة لتهز المشاعر .

٢ ـ أن تكون قصيرة لان قصرها يكسبها روعة .

٣ ـ أن تكون مغايرة فى اساليبها لتعبيرات الخطبة .

٤ ـ أن يتبعها بحديث نبوى يؤيد موضوع الخطبة ويؤكده .

خطبة الجمعة الثانية

يجلس الخطيب جلسة قصيرة ثم يقف فيحمد الله ويثنى عليه ويتشهد ويصلى على النبى وآله ثم يدعو الناس الى الخير ويوصيهم بتقوى الله وطاعته، أو يشرح معنى من المعانى التى لم تتسع له الخطبة الاولى . ثم يعقب ذلك بالدعاء للمؤمنين والمؤمنات .

وهذه خطبة تقليدية من كتاب غالية المواعظ المطبوع بمطبعة السعادة بالقاهرة .

«الحمد لله رب العالمين ، واشهد ان لا اله الا الله البر الرحيم ، واشهد أن سيدنا محمدا رسول الله الصادق الوعد الامين ، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين . وبعد ،

عليكم ايها المسلمون بطاعة ربكم وبر آبائكم وامهاتكم والتزود لمعادكم ، فكأنى بك ياغافل وعمرك قد انقرض وهجم عليك المرض وغاب كل مراد وغرض، واذا بالتلف قد عرض اخاذا ، لقد كنت فى غفلة من هذا .

شخص البصر وسكن الصوت ، ولم يمكن التدارك للفوت ، ونزل بك ملك الموت وحاذا لقد كنت فى غفلة من هذا ، ثم ادرجوك فى الكفن وحملوك الى بيت العفن على العيب والقبيح والافن ، واذا الحبيب من التراب قد حفن وصرت فى القبر جذاذا .. لقد كنت فى غفلة من هذا . وتسربت عنك الأقارب تسرى،

فى مالك تفرى وتمرى ، وغاية امرهم أن تجرى دموعهم رذاذا .. لقد كنت فى غفلة من هذا . قفلوا الاقفال ، وبضعوا البضاعة ، ونسوا ذكرك ياحبيبهم بعد ساعة ، وبقيت هناك الى يوم الساعة لاتجد زادا ولا معاذا .. لقد كنت فى غفلة من هذا .

وبقيت هناك الى أن قمت من قبرك حسيرا ، لاتملك من المال نقيرا وأصبحت بالذنوب عفيرا ، فلو قدمت من الخير حقيرا صارا ملجأ وملاذا .. لقد كنت فى غفلة من هذا .

ونصب الصراط والميزان ، وتغيرت الوجوه والالوان ، ونودى شقى فلان وسعد فلان ، ومانرى للعذر نفاذا .. لقد كنت فى غفلة من هذا .

اللهم يامصلح الصالحين اصلح فساد قلوبنا ، واستر فى الدنيا والآخرة عيوبنا واغفر بعفوك ورحمتك ذنوبنا ، وامح عنا زللا واثما .

اللهم اشف مرضانا . اللهم ارحم موتانا . اللهم ارزقنا علما نافعا وقلبا خاشعا ورزقا واسعا وشفاء من كل داء .

اللهم اختم لنا بالايمان والاسلام يارب العالمين .

★ ★ ★

ويمكن للخطيب أن يسوق بعض النصوص أو الاحاديث التى ترقق القلوب ، ونجدها فى البخارى تحت عنوان كتاب الرقاق ، أو كتاب الادب . ونجدها فى صحيح مسلم ، وفى مسند الامام أحمد ، وفى غيرها من كتاب السنن ، وكتب الاحاديث القدسية ، وقد طبع المجلس الاعلى للشئون الاسلامية بالقاهرة كتابا جامعا للاحاديث القدسية .

نماذج من الأحاديث القدسية :

روى البخارى عن ابى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ان الله قال : من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب ، ومانقرب الى عبدى بشىء احب الى مما افترضت عليه ، ومايزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى احبه ، فاذا احببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ، وأن سالنى لأعطينه ، ولئن أستعاذنى لاعيذنه ، وماترددت عن شىء أنا فاعله ترددى عن نفس المؤمن يكره الموت وانا اكره مساءته » .

وروى مسلم فى صحيحه عن ابى ذر الغفارى عن النبى صلى الله عليه وسلم ، فيما يرويه عن ربه عز وجل انه قال : «ياعبادى انى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا . ياعبادى كلكم ضال الا من هديته فاستهدونى أهدكم . ياعبادى كلكم جائع الا من اطعمته فاستطعمونى اطعمكم ياعبادى كلكم عار الا من كسوته فاستكسونى اكسكم . ياعبادى انكم تخطئون بالليل والنهار وانا اغفر الذنوب جميعا فاستغفرونى اغفر لكم . ياعبادى انكم لن تبلغوا ضرى فتضرونى ، ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى ، ياعبادى لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على اتقى قلب رجل واحد منكم مازاد ذلك فى ملكى شيئا ، يا عبادى لو ان اولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على افجر

قلب رجل واحد مانقص ذلك من ملكى شيئا ، ياعبادى لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم قاموا فى صعيد واحد فسألونى فأعطيت كل انسان مسألته مانقص ذلك مما عندى الا كما ينقص المخيط اذا ادخل البحر » ، ياعبادى انما هى أعمالكم احصيها لكم ثم أوفيكم اياها ، فمن وجد خيرا فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه » .

نموذج من النظم الدينى

والكون مشحون بأسرار اذا حاولت تفسيرا لهـا أعياكا
قل للطبيب تخطفته يد الردى يا شافى الامراض من ارداكا
قل للسليم يموت لا من علة من بالمنايا ياسليم دهاكا
قل للمريض نجا وعوفى بعدما عجزت فنون الطب من عافاكا ؟
قل للبصير وكان يحذر حفره فهوى بها من ذا الذى ارداكا
بل سائل الأعمى يمر فى وسط الزحا م بلا اصطدام من ذا يقود خطاكا
قل للجنين يعيش معزولا بلا راع ولا مرعى من ذا الذى يرعاكا
واسأل بطون النحل كيف تقاطرت شهدا وقل للشهد من حلاكا
الله فى كل الحقائق ماثل أن لم تكن لتراه فهو يراكا

امل ورجاء

مجتمعنا مجتمع متدين للدين فيه منزلة وكلمة مسموعة ، وخطبة الجمعة زاد اسبوعي يقدم لجمهور المسلمين ، ونأمل أن تكون الخطبة زادا روحيا ووسيلة فعالة لبناء الامة والنهوض بها والدعوة الى التعاون والتكافل والتحذير من الرذائل وتصحيح القيم والمفاهيم ، وتوضيح أصول الشريعة الاسلامية .

الاقتصاد فى التقريع والتحذير :

الاسس التربوية نرى أن يتم بناء الايمان بالله عن طريق المحبة والمودة وعرض نعم الله وآلائه حتى ينشأ النشء سعيدا بايمانه سديد اليقين بربه ودينه وحبذا لو كانت العبادة لله أساسها الحب والرغبة وقوة الثقة والايمان بالله .

« وقد درج بعض الخطباء على تحذير الناس من الشر وتذكيرهم بالموت وتكرير نغمة رتيبة عن فساد المجتمع وما أصاب النساء من الخلاعة وما منى به الشباب من الاستهتار ، وهذا كلام للاستهلاك المحلي ، لايفيد الا اليأس والاسف . ولانمانع من التعرض له تعرضا يسيرا بقصد التوجيه والافادة ، ولكنا نمانع تكرير الخطب فى أمور سلبية كالاسف على فساد الزمان أو التخويف من الموت والبلى . وفناء الدنيا وهجوم الموت على الانسان ، نريد أن تكون الخطبة اسلوبا للبناء وطريقا لاحياء العادات السليمة والمنهج القرآنى الحكيم ، الذى اعد الرجال ومنحهم العزيمة والثقة والايمان والثبات ، ورسم الطريق للاسرة المؤمنة ولتكافل المجتمع ، وتواصى الناس بالخير والصبر ، ودفع المؤمنين الى الجهاد والنضال وبناء صرح الاسلام عاليا حتى يكون المسلمون خير أمة أخرجت للناس » (١) .

---

(١) د. عبد الله شحاته ، أركان الاسلام ، ص ١٤٣ .

قال النووى : يستحب كون الخطبة فصيحة بليغة مرتبة مبينة من غير تمطيط ولا تقصير، ولا تكون الفاظا مبتذلة ملفقة لأنها لاتقع فى النفوس موقفا كاملا ، ولاتكون ألفاظها وحشية لانها لايحصل مقصودها ، بل يختار ألفـاظا جزلة مفهمة .

وقال ابن القيم :

« وكذلك كانت خطبه صلى الله عليه وسلم أنمـا هي تقـرير لاصـول الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ولقائه ، وذكر الجنة والنار وما أعـد الله لاوليائه واهل طاعته وما اعد لأعدائه واهل معصيته فيملا القلوب من خطبه ايمانا وتوحيدا ومعرفة بالله وايامه ، لا كخطب غيره التى تفيد أمورا مشتركة بين الخلائق وهى النوح على الحياة والتخويف بالموت ، فان هذا امر لايحصل فى القلب ايمانا بالله ولا توحيدا له ولا معرفة خاصة ولا تذكيرا بأيامه ولا بعثـا للنفوس على محبته والشوق الى لقائه ، فيخرج السـامعون ولم يسـتفيدوا فائدة غير انهم يموتون وتقسـم أمـوالهم ويبلى التراب اجسـامهم ، فياليت شعرى أى ايمان حصل بهذا وأى توحيد وعلم نافع يحصـل به ؟ ومن تأمـل خطب النبى صـلى الله عليه وسلم وخطب أصحابه وجدها كفيلة ببيان الهدى والتوحيد وذكر صفات الرب جل جلاله وأصول الايمـان الكلية والدعـوة الى الله وذكر آلائه تعالى التى تحببه الى خلقه وأيامـه التى تخـوفهم من بأسـه والامر بذكره وشكره الذى يحببهم اليه ، فيذكرون من عظمـة الله وصـفاته واسمائه مايحببه الى خلقه ويأمرون من طاعته وشكره وذكره مايحببهم اليه فينصرف السامعون وقد أحبوه واحبهم ، ثم طال العهـد وخفى نـور النبوة وصارت الشرائع والاوامر رسوما تقوم من غير مـراعاة حقائقها ومقاصـدها فأعطوها صورها وزينوها بما زينوها به ، فجعلوا الرسوم والاوضـاع سـننا لاينبغى الاخلال بها واخلوا بالمقاصد التى لاينبغى الاخلال بها فرصعوا الخطب بالتسجيع والفقر وعلم البديع ، فنقص ، بل عدم حظ القلوب منها وفات المقصود بها .

الإعلام الديني

ارسل الله الرسل لهداية البشرية وانزل عليهم الكتب والصحف وامرهم ان يبلغوا الرسالة للناس . قال تعالى **(يا أيها الرسول بلغ ماانزل اليـك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته)** .

وقد بلغ الرسول صلى الله عليه وسلم رسالة ربه بالكلمة والحـديث العادى والخطبة والكتاب وكل ما اتيح له من وسائل الاعلام فى عهده .

وفى عصرنا الحاضر تطورت وسائل الاعلام وتعددت ، وبعد أن كانت الكلمة والخطبة تمثل ٨٠٪ من وسائل الاعلام ، أصبحت لاتمثل الا ٢٠٪ ، وجدت وسائل كثيرة للاعـلام مثل الاذاعة والتليفـزيون والسينما والمسرح والمجلة والكتاب والصحيفة والاناشيد والتمثيليات والملصقات والمنشورات وغيرها . وعلى الدعاة الى الله أن يستغلوا جميع الوسـائل المتاحة لنشر الدعـوة وان يستخدموا سلاح العصر واساوبه . فالله تعالى يقول **(واعدوا لهم مااستطعتم من قوة)** والعلماء يقولون : ان القوة تكون فى كل عصر بما يناسبه . ولابد أن تكون سلاح المؤمن ارقى سلاح ممكن لاحراز النصر لان مالايتم الواجب الا به فهو واجب .

وكذلك اسلوب الدعوة وأداتها ، لابد أن نستغل مايتاح لنا من الاذاعـة والتليفزيون والصحافة والمجلات وغيرها وأن نعرض الاسلام بلغة العصر حتى نؤدى فريضـة الله ، فقد اخـذ الله الميثاق على العلماء **(لتبيننه للناس ولاتكتمونه)** .

واسلوب الدعوة يكون فى كل عصر بما يناسبه حتى تقوم الحجة لله على عبـاده ويتحقق ابلاغ الناس دين الله بطـريقة تحـرك فيهم دواعى الاقتناع والقبول . قال تعالى **(ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة)** .

وقد أدت وسائل الاعلام دورا بارزا فى العصر الحديث ، ونريد أن نقدم للدعاة الى الله رسالة علمية ، فيها خبرة عملية وتجربة مفيدة عن تقديم البرامج الدينية وعن خطبة الجمعة والحديث الدينى بالتلفزيون والاذاعة .

١ ــ خطبة الجمعة بالتليفزيون

من حوالى سنة ١٩٦٣ م والتليفزيون العربى بالقاهرة يؤدى شعائر خطبة الجمعة وصلاتها من مسجد التليفزيون . حيث يقرأ القرآن أحـد مشـاهير

القراء . ثم يؤدى خطبة الجمعة وصلاتها احد العلماء المختارين ، وخطبة الجمعة مقصورة على عدد معين من العلماء اذ تتطلب حسن المظهر وجودة الالقاء وسهوله العباره وحضور البديهة وانطلاق اللسان والاحاطة بعلوم الشريعة وشئون الحياة . وبذاع خطبة الجمعةعلى الهواء مباشرة من مسجد التليفزيون، ولذلك اثره فى ارتباط المشاهدين بالخطيب ومتابعتهم له وصدق تجاوبهم معه .

ويستدعى ذلك ان يكون الخطيب محل ثقة وكفاءة عالية .

ولاتختلف خطبة الجمعة بمسجد التليفزيون عنها فى أى مكان آخر ، ولكن المستوى والموضوع والاسلوب وطريقه معالجة الموضوع يختلف ، ذلك أن خطيب التليفزيون يخاطب جماهير متعددة وأصنافا مختلفة وثقافات متنوعة ، وذلك كله يستدعى ان يكون حديثه سهلا ميسرا مسترسلا متناسبا مع جميع الفئات . واغلب من يستمع لخطبة الجمعة بالتليفزيون من النساء والاطفال والشيوخ الكبار والاجانب والمتخلفين عن أداء فريضة الجمعة ، حيث أن جموع الشباب والرجال تتجه الى المساجد يوم الجمعة لاداء هذه الفريضة .

وفى العادة يختار لخطبة الجمعة موضوعا عاما . مثل الوحدة الاسلامية الاخوة بين المسلمين ، السلام فى الاسلام ، الانسان فى القرآن ، حكمة العبادات من هدى القرآن ، اخلاق الاسلام ، المرأة فى الاسلام ، الدعاء ، الاسرة فى الاسلام ، حقوق الابناء والاباء فى الاسلام .

ويلاحظ أن عددا من الأجانب والسياسيين والدبلوماسيين وغيرهم ربما شاهدوا الخطبة ولذلك ينبغى تخير اللفظ والاسلوب والعبارة .

وخطبة الجمعة فى التليفزيون مقيدة بزمن معين قرابة ثلث ساعة . ولذلك ينبغى للخطيب أن يركز ذهنه وأن يحصر الموضوع ويرتب الخطوات وأن يكون حكيما لبقا حسن التأتى للامور .

وتستغرق الخطبة الاولى حوالى ربع ساعة يتبعها جلسة بين الخطبتين، ثم الخطبة الثانية ويعقبها الدعاء للمسلمين والمسلمات ، وتستغرق حوالى خمس دقائق .

ويعقب ذلك صلاة الجمعة ، وعادة يكون الامام حسن القراءة ، يقرأ القرآن فى خشوع وترتيل حتى يستأنس به المشاهدون ، ويهتدون بما يسمعون .

وفى أيام حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣ خطب اول جمعة فى الحرب بمسجد التليفزيون فتركت الخطبة أثرا حميدا فى نفوس الجنود والضباط ، وبلغ ذلك المسئولون فأمروا بأن يبقى الدكتور عبد الله شحاته يخطب الجمعة بالتليفزيون فترة حرب أكتوبر وانضمت الاذاعة الى مسجد التليفزيون فى هذه الفترة ، وكانت الخطب تتجاوب مع الجهاد واحكامه وبطولاته وحقوق الانسان فى تحرير ارضه ومواقف اليهود فى الماضى والحاضر ،وفى نهاية الخطبة الثانية كان الدعاء يصعد الى السماء مع الايدى المرفوعة والقلوب الضارعة والنفوس المتضرعة الى الله راجية منه النصر والتوفيق . **(وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم) الانفال/ ١٠ ..**

٢ – الاحاديث الدينية بالتليفزيون

التليفزيون وسيلة هامة من وسائل الاعلام ،يستمعها الكثير من المواطنين، وتصل الى الناس فى منازلهم وبها تأثير على المشاهدين .

وللاحاديث الدينية جانب من برامج التليفزيون العربى بالقاهرة ، فنرى من البرامج الدينة برنامج نور على نور ، فى نور القرآن ، اقوال الرسول ، من هدى النبوة ، هدى الله ، ندوة العلماء ، الدين والحياة ..

وبعض هذه البرامج تقليدى يفسر آية أو يشرح حديثا ، وبعضها متطور يعرض شئون العلم والاختراع ويبين آثار قدرة الله فى هذا الكون . أو يشرح أسرار الشريعة الاسلامية وفنونها أو يوضح احكام الدين ويربطها بالحياة ، أو يعرض مشكلة أو رسالة من الحياة ويحل المشكلة أو يجيب على السؤال .

ومن أقدم البرامج الدينية برنامج « نور على نور » ، وهو يعتمـد على استضافة بعض العلماء المتبحرين فى الدين ويطرح قضية أو موضوعا امامهم ويحدد جوانب الموضوع ويدعو احد المتحدثين ليتحدث فى جانب منه ، ثم يدعو المتحدث الثانى ، وربما تحدث الاول او اشترك فى مناقشة مع زميله أو مع احد السائلين فى استديوهات التليفزيون .

ويدير الندوة الاستاذ احمد فراج ، وله قدرة ممتازة فى تحضير الموضوع والاحاطة بمراجعه ، وتحديد النقاط لكل متحدث ، وتحضير الاسئلة وتوزيعها على السائلين ..

ومن البرامج التى تلحقه «ندوة العلماء» حيث يختار احـد اسـاطين العلم ليعرض افكاره وتجاربه وكتبه ، وتصـوراته لامور معينـة من الـدين والحياة .

وهناك برامج : « اقوال الرسول » و « من هدى النبوة » ، وتعتمد على اختيار احاديث دينية من كتب السنة ثم شرحها والتعليق عليها باسلوب عصرى مناسب يساهم فى نهضة الامة ، وتقويم المعوج وتهذيب السلوك ، وبيان احكام الشريعة .

ومن البرامج الدينية برنامج «فى نور القرآن » وهو يعتمد على تفسير القرآن الكريم تفسيرا موضوعيا . فيتناول موضوع الصلاة فى القرآن ويجمع آيات الصلاة ويوزعها على عدد من العلماء ، مثل : خشوع الصلاة ، فضل الصلاة ، أوقات الصلاة .. الخ. ومثل الزكاة فى القرآن ، أو الدعاء فى القرآن أو الاسرة فى القرآن .

ويقدم المتحدث تفسيرا للآيات يعتمد على عرض الافكار العامة للآيات ، وبيان المقاصد الرئيسية لها والتركيز على عنوان الحلقة .

وقد قدم البرنامج الكثير من الحلقات واسهم فى تفسير آيات القرآن وفى تقديم تفسير عصرى سهل ميسر ، وفى تيسير قراءة القرآن وفهمه .

ومن البرامج الدينة «هدى الله» ، وهو يعتمد على عرض موضوعات عامة مثل تحريم الخمر أو لباس المراة وزينتها ، ويستضيف بعض الاسـاتذة او المختصين ويوجه اليهم بعض الاسئلة .

وتباع نسخ مختارة من البرامج الدينية فى البلاد العربية والاسلامية وتلقى نجاحا واقبالا لأن الدين من اهم العوامل فى هداية البشر وتقويم السلوك وتصحيح مسار الحياه ولان للدين تأثيرا كبيرا فى نفوس الناس فى هذه المنطقة، فهى أرض الديانات والكتب الالهية والرسالات السماوية .

تحضير الحديث الدينى للتليفزيون

الوقت محدود امام المتحدث ، وهو جالس أمام الكاميرات والتصوير ، وفى العادة يسجل التليفزيون الحديث قبل اذاعته ، واحيانا يتوجه الحديث على الهواء مباشرة .

ومدة الحديث محدودة ، فهى بضع دقائق فى العادة ، وأحيانا عشر أو خمس عشرة دقيقة ، ولذلك لابد من تهيئة الحديث فى الذهن ، وتحضير نقاط الموضوع ومراعاة أن يكون التمهيد قصيرا ومناسبا ، ويتبع ذلك حسن التخلص والوصول الى الموضوع ، ومعالجة الموضوع فى نقاط مركزة لتغطية جوانبه وتقديم التصور العام له . ومناقشة الافكار والمعارضة له فى سهولة ويسر .

ويلاحظ المتحدث انه ليس فى قاعة بحث ، ولا فى مركز اكاديمى جامعى. انه يتحدث فى جامعة شعبية هى جامعة التليفزيون ، ويستدعى ذلك سهولة العبارة وسلامة الحديث وعرض الجوانب الاساسية للموضوع ، والبعد عن الخلافات والاقوال المتعددة التى تشوش فكر الانسان العادى .

ويكفى أن يذكر اقوى الآراء ، وان تعرض لذكر اكثر من رأى فينبغى ان يكون ذلك فى حيز محدود .

وعلى المتحدث أن يكون هادئا رزينا متمكنا من الموضوع مهتما بالامور الكبرى تاركا للتفريعات والجزئيات ، وان يحضر بعض الامثلة أو القصص أو الاحاديث التى يستشهد بها ، ولايلزم أن يقدم للناس كل ماحضره ، بل يختار أحسنه ويترك الباقى غير آسف على ذلك حتى لايخرج عن الوقت المحدد للبرنامج .

٣ ـ الحديث الدينى بالاذاعة

تقدم اذاعة القاهرة احاديث الصباح الدينية من البرنامج العام ، وتقدم فقرة دينية فى برنامج ربات البيوت تذاع يوم الأحد والاربعاء . وتقدم الاذاعات الاخرى فقرات دينية فى أوقات مختلفة ، فيقدم صوت العرب (فى نور التلاوة)، وتقدم اذاعة الشعب فقرة دينية كل مساء فيها القرآن الكريم والحديث الدينى ، ويتكرر ذلك فى ركن السودان والبرامج الموجهة التى تنطق باللغة الاجنبية ، فضلا عن اذاعة القرآن الكريم التى تقدم القرآن والتفسير والاحاديث الدينية .

تحضير الحديث الدينى للاذاعة

الاذاعة أصعب من التليفزيون ، لانك فى التليفزيون تعرض فكرك على الناس ، ساعدك فى ذلك قسمات وجهك واشارة يدك ، وصورتك وحركتك

وطريقة عرضك للموضوع . اما الاذاعه فالصوت وحــــده هــو الذى يصلك بالجمهور ولذلك ينبغى أن يكون الصوت معبرا ، وأن يقــوم الصــوت بجميع وسائل الايضاح . وفى الاذاعة نجد الفرصه ميسرة لتحضير الموضوع وتنظيمه وينبغى أن نحرص هنا ايضا على سهولة العبارة وقصر الفواصـــل وتحاشى الكلمات الصعبة فى النطق واستبدالها بكلمات أيسر واسهل ، وفى اللغة العربية من المترادفات فى الالفاظ الكثير .

والمتحدث يكون بصيرا بنفسه ، خبيرا بالكلمات السهلة عليه فى النطق والكلمات والحروف الصعبه .

وكمثال لذلك كان نطقى لحرف السين رديئا فى بعض الكلمات ، فكنت استبدلها بغيرها ، وقد تفاجأ اثناء تسجيل الحديث أمام المذياع بخطأ لفظى او اعرابى فتصحح الخطأ ، ويمكنك أن توقف التسجيل اذا كنت سجلت خطأ ، أو تعاود أستماع الحديث اذا كنت تشك فى صحة ماأذعته ثم نصوب الخطأ ، أو تسجل ماهو أولى وأوفق ، أو ماهو بعيد من الخلاف والشك . واذا كانت الاذاعة على الهواء مباشره فلا مجال لذلك .

وافضل الاحاديث ماكان بعيدا عن التكلف ، معبرا عما يعتقده الانسان ، محققا للصدق والواقع ، متجاوبا فيه الانسان مع نفسه ومجتمعه .

ونلاحظ أن الخطيب أمام الجماهير ربما احتاج الى الشجاعة والحماسة والتدفق ، ولكن المتحدث بالاذاعة ليس خطيبا ، انه يأخذ من الخطيب ، ومن المتحـدث ، ومن المدرس ، ومن الممثل ، ومن المـذيع ومن غـيرهم بعض الصفات .

فهو اهدأ من الخطيب ، وهو اكثر حماسا من المتحدث العادى ، وهو ممثل غير محترف يجسد الحقيقة ويبرز المعنى ويجعـل الصوت يعبر عن الحزن أو الفرح ، وعن علامات الاستفهام ، وادوات التعجب والتأثر .

فالمذيع أو المتحدث فى الاذاعة نمط فريد ، يجنح الى الهـدوء وحسن الالقاء ومخاطبة الناس جميعا فى بيوتهم وفى أماكن راحتهم ، وهذا يدعـوه أن يكون هو نفسه مستريحا ومريحا ، وأن يكون حلو الحديث هادىء النفس صـادق اللهجة واضح التعبير متمتعا بالموهبة وحسن الصـوت ، متمرسـا بالتمرين وحسن الاداء حتى يصل الى هـدفه بأفضـل السـبل وانجح الوسائل، قال تعالى **(ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى احسن)** . وقال سبحانه **(وقولوا للناس حسنا)** .

وقال صـلى الله عليه وسلم « ان من البيان لسـحرا وان من الشـعر لحكمة » . وكان صلى الله عليه وسلم اصدق الناس لهجة وافصح النـاس حديثا ، ولم يكن يسرد الحديث سردا سريعا ، وانما كان يلقيه بهدوء حتى يفهم عنه ، وكان الانسان يستطيع أن يعد حديثه حرفا حرفا . وكان عليـه الصلاة والسلام يختار الوقت المناسب للنصيحة ، ويتحدث مع اصـحابه فى شئونهم الدنيوية والدينية . يقول أحد الصحابة : « كان صلى الله عليه وسلم يتخوننا بالموعظة مخافة السآمة علينا والملل » .

قال فى المصباح المنير : (تخونت الشيء) تنقصته .

والمقصود ان النبى صلى الله عليه وسلم كان لايطيل الموعظة أو النصيحة، فخير الكلام ماقل ودل .

وافضل المتحدثين من ينتهى حديثه والجمهور متعطش الى سماع المزيد منه ، فكثرة الكلام تنسى بعضه .

مراجعة الحديث

ينبغى مراجعة الحديث بعد اعداده ، وتنظيم فقراته ، وتشكيل كلماته الصعبة ، وتكرير قراءته حتى يصبح سهلا ذلولا .

كما ينبغى التثبت من الآيات القرآنية ومراجعتها فى الوصف ومعرفة رقم الآية والسورة زيادة فى التثبت ، لان المتحدث يخاطب الآلاف والملايين ، والخطأ فى الاذاعة يشيع وينتشر .

وعليه ان يراجع الاحاديث النبوية وأن يتأكد من درجتها وصحتها ويسجل ذلك بايجاز ، حتى يكون الحديث وثيقا سليما .

وعليه ان يتأكد من صحة النصوص التى ينقلها ، وسلامة المصدر الذى ينقل عنه .

وبعبارة موجزة ان المتحدث يعرض عقله على الناس ، فعليه بحسن التخير وتزيين حديثه بالفكرة المناسبة والخبر الطريف ، والشاهد المختار ، وأن يقصد بعمله وجه الله ونفع العباد . وقال تعالى (**ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال انني من المسلمين**) .

البحث والمقـال

الداعية محتاج الى الناس ليبلغهم دعوته ، ويلتمس سعادته فى الدنيـا والآخرة بنشر الهدى وشرح أحكام الاسلام .

ومن شأن الداعية أن يسلك جميع السبل فى سبيل الوصول الى الهداية والاقناع .

ومن ذلك كتابة البحث والمقالة والقصة والنشيد والتمثيلية وغيرها .

والبحث موضوع يتعمق فيه الباحث فيحيط بمراجعه ويقرأ ماكتب فيه قديما وحديثا . ثم يبدأ فى الكتابة ومما يجعل البحث غنيا وثريا مراعاة قواعد البحث العلمى ، ومنها :

١ ــ كثرة المصادر والمراجع وحسن الاستفادة منها .

٢ ــ مراجعة قوائم دور النشر وفهارس المكتبات العـامة ، وتدوين مايهمـه منهـا .

٣ ــ جمع المادة العلمية ووضع الخطوط الكبرى للبحث فى ضوء ماجمع الباحث من معلومات .

٤ ــ قراءة البحث واخراجه فى ثوبه الجديد .

ويحسن بالباحث أن يسير الى المراجع والمصادر ، وأن يلاحظ علامات الترقيم ، وأن يحسن استعمالها فى مواضعها ، وأن يعتنى بأسـلوبه فيؤدى مايريد فى قوالب جذابة وعبارة واضحة .

★ ★ ★

والمقال بحث ميسر يتناول موضوعا من موضوعات الساعة يشغل الاذهان أو مشكلة من المشاكل ، أو أصلا من أصول الدين ، وينبغى أن تكون صفحاته مناسبة للمجلة او الجريدة التى سينشر منها وقد يكون بحث من صفحة واحدة ينشر فى جريدة سيارة أوسع انتشارا وأكبر نفعا من بحث كبير .

ان العاقل ينبغى أن يكون بصيرا بزمانه ،

فان وجد السبيل الى الكتابة فى صفحة دينية فى الاهرام أو الاخبار أو الجمهورية أو غيرها . فعليه مراعاة مقتضى الحال واختصار المقال الى صفحة

أو بعض صفحة ويلجأ عندئذ للوضوح والتركيز وتجنب التشعب والبعد عن الخلافيات .

فان كان المقال فى مجلة شهرية مثلا ، فان عـدد صفحاته يتراوح من خمس صفحات الى سبع صفحات وربما زاد على ذلك .

والمقال الذى ينشر فى مجلة دينيه غير المقال الذى ينشر فى مجلة ثقافية أو علمية أو أدبية .

فالبلاغه مراعاة مقتضى الحال وتجانس المقال مع المجلة .

والمقال العادى بضع صفحات يتناول موضوعا معينا .

ولابأس ان يرجع الكاتب الى مراجع اذا كان الموضوع مطروقا من قبل واحيانا يكتب الباحث خبرته ، ويسجل معاناته الخاصة فيكون مرجعه الوحيد هو الذاكرة وماسبق أن شاهده خلال تجاربه ، وقـد مكثت قـرابة خمسة عشر عاما اتحدث فى التليفزيون والاذاعة واخطب الجمعة بمسـجد التليفزيون ، ثم كتبت هذه التجارب من الذاكرة واكملت بها موضوع الخطابة الدينية ، فقد أستولى التليفزيون على منصة الخطابة وأحاديث المحافل وقلت رغبة الافراد والجماعات فى حضور الندوات العلمية والادبيـة والاجتماعيـة لاسباب متعددة من بينها قيام التليفزيون والاذاعة بمخاطبة الناس فى بيوتهـا واماكن راحتها .

وسيظل اللقاء المباشر له أهميته ودرجتـه العالية ، بشرط أن يدخـل ميدان المنافسة مع التليفزيون ، ويقدم الخصائص والموضوعات التى لم يقدمها التليفزيون ، ويتيح الفرصة للندوات والمناقشات والاستفسارات ..

نماذج من البحوث ....

وبين يديك نماذج من البحوث .... عن العقيدة ، وعن نظام الاسرة .. وعن السلام فى الاسلام .

العقيدة والإيمان بالله

١ ـ العقيدة والايمـان بالله
٢ ـ نظـام الاسرة فى الاســلام
٣ ـ الايمان سبيل السلام للفرد والمجتمع

ارسل الله محمدا صلى الله عليه وسلم على حين فترة من الرسل يدعو الى توحيد الله وينهى عن عبادة الاوثان والاصنام وانزل الله عليه كتابا مبينا يلفت نظر الانسان الى قدرة الله وجلاله وعظمته ، فيقول فى أول آية منـه **اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم ، علم الانسان مالم يعلم)** .

واستمرت آيات القرآن الكريم تدعـو الى توحيـد الله وتقـدم الأدلة المتعددة على وجوده وتبين ان الناس جميعا متساوون امام الله مهما اختلفت الوانهم أو أصولهم أو مراكزهم وانما يتفاضلون عنده بالتقوى ويدركون ثوابه بالعمل الصالح .

وتوالت حملات القرآن على عبادة الاوثان والاصنام فبينت انها لاتنفع ولاتضر ولاتسمع ولاتجيب ولاتملك لنفسها ولا لغيرها نفعا ولا ضرا ، وعلى ذلك فهى لاتخلق ، ولاتوجد ، ولاترفع سماء ولاتبسط ارضا ولاتدبر كونا ولايصح أن تعبد .

وقد حكى القرآن قصة ابراهيم مع قومه حين حذرهم من عبادة الأوثان ثم حطم الأصنام بيده وقال : (**افتعبـدون من دون الله مالاينفعكم شـيئا ولا يضركم ، اف لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون (١))** .

ضلال الوثنية

كانت الوثنية وباء أصاب المجتمع الجاهلى فاصبح نهبا رهيبا للاوهـام والخرافات وافسحت الطريق امام طوائف من المستغلين جعلوا انفسهم كهانا واحبارا وسحرة وعلماء كما كانت الوثنية عقبة أمام وحدة الامة السياسية ، وعقبة فى سبيل استخدام العقل ، والتفكير الحر .

---

(١) الأنبياء ٦٦ ، ٦٧ .

وقد أحسن مولاى محمد على فى وصف حالة وثنية العرب فى كتابه عن محمد رسول الله اذ قال (وكانوا منكبين على الوثنيه يسودهم اعتقاد أن العلى العظيم قد عهد الى نفر من الآلهه والآلهات ، والأصنام المسيطرة على العالم ، فكانت العرب تولى وجهها شطر الاصنام ، بتهل وتتضرع فى طلب رضوانها وشفاعتها . فى كل مايقومون عليه من الامور وهكذا كان اعتقادهم خاويا ، فارغا لايبدو له اثر فى شئونهم اليومية ، ولم يكتفوا بالاصنام ، بل كانوا يعتقدون ان الهواء والشمس والقمر والكواكب تتصرف فى أمورهم ومستقبل حياتهم ، وعبدوها بهذه الصفة وقد هووا الى الحضيض فى عبادتهم ، فعبدوا قطع الاحجار والاشجار ، وتلال الرمال ، وكانوا يخرون ساجدين امام اية قطعة جميلة من الحجر يصادفونها فى طريقهم .. وكانوا ينظرون الى الملائكة كانهم (بنات) .. وفوق الـ ٣٦٠ صنما التى كانت مقامة بالكعبة فقد كان فى كل منزل صنم خاص وباختصار غدت الوثنية طبعا ثابتا فيهم واثرت فى حياتهم اليومية ، ومختلف نواحيها) (١) .

هداية الاسلام

استطاع الاسلام ان يقتلع جذور هذه الوثنية ، وان يقيم على اشلائها صرح التوحيد ، وقواعد الايمان ومكث القرآن فى مكة ثلاثة عشر عاما يدعو الى الايمان بالله ويقيم الادلة على وجوده ويناقش مزاعم المشركين ويحكى قصص الرسل والانبياء مع قومهم ويبين أن الدعوة الى توحيد الله كانت أساس كل رسالة والقاعدة فى دعوة الانبياء جميعا وفى سورة هود نجد السورة تحكى قصة نوح مع قومه وهود وصالح وشعيب وابراهيم ولوط وموسى مع قومهم وتذكر أن كل نبى من هؤلاء كان يبدأ عمله بدعوة قومه الى التوحيد فيقول **(ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره) (٢)** .

فالتوحيد فى الاسلام ، هو حجر الزاوية فى بنائه بل هو جوهره النقى الصافى ومعينه الأصيل الرائق ، (فالله فى الاسلام واحد لايتجزأ ولايتعدد ، ولايتخذ صورا ، ولايتمثل فى مخلوقاته ، لاتدركه العقول ، ولاتحيط به الافهام ، هو الخالق والبارىء ، والمصور ، وهو الأول والآخر ، والظاهر والباطن ، وهو الحى القيوم العلى القدير السميع العليم البصير ، يبدىء الخلق ويعيده ، فعال لما يريد ، وهو الفرد الصمد لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد ، ثم ليس كمثله شىء ...

وهو أبدى ازلى لايعتريه قصور ولا عجز ، ولايعرض له فناء ولاموت) (٣)

★★★

وقد سأل كفار مكة النبى عن ربه ماشكله ومالونه وما نسبه ؟

... فانزل الله عليه سورة جمعت أساس التوحيد وهى :

(قل هو الله أحد ، الله الصمد، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا احد)

---

(١) محمد رسول الله لمولاى محمد على — ترجمة مصطفى فهمى ، نشر لجنة الجامعيين ١٦

(٢) سورة هود الآية ٥٠ وتكرر ذلك فى الآية ٦١ ، ٨٤ .

(٣) فتحى رضوان من فلسفة التشريع الاسلامى ص ٩٣ .

فهو واحد فى ذاته وفى صفاته ، وفى أفعاله ، وهو متفرد فى خلق الكون والقيام عليه وتدبير نظامه المحكم بقوانين ماثلة فى جميع الأشياء .

وهو الصمد المقصود فى الحوائج فهو الملاذ وهو الملجأ وهو المستعان وهو المستغنى عن كل أحد والمحتاج اليه كل أحد .

وهو المنزه عن النظير والمثيل فلم يتخذ زوجة ولا ولدا ، وليس له والد يدعى ولا قريب يرجى ، لاتدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير (١) .

ادلة الايمان بالله

من الفطرة والعقل والتاريخ (٢)

(أ) الفطرة

فى فطرة الانسان نزعة طبيعية الى التدين والايمان ، فقد خلق الله فى الانسان العقل والفكر وميزه بهذا العقل على جميع الموجودات وبهذا العقل يدرك الانسان جمال هذا الكون وجلال هذه الصنعة الرائعة ، ويدرك أن وراء هذا الجمال والجلال قدرة قادرة وعظمة باهرة .

(الست اذا وقفت أمام أثر فنى بارع فملأ صدرك ، واستبد باعجابك ، تجد فى نفسك باعثا قويا للتعبير لصاحب هذا الاثر عن شعور الاكبار لصنعته، والاعتراف بعظمته ، كان هذا دين فى عنقك تؤديه ، لاتبغى منه جزاء ، ولاتقضى به وطرا ، غير الترجمه عن صدق شعورك وتقديرك لهذه الآية القيمة ؟ فما ظنك بأعظم الآثار وأبهرها ؟ الا يستحثك على التوجه لصانعه بهذا التعظيم البليغ ، تسبيحا بحمده ، وتقديسا لجلاله بغير غرض ولاعوض ؟ فاذا شعرت بأنك أنت نفسك جزء من هذا الاثر العظيم ، وأنك مدين بوجودك وفهمك وقوتك لهذا الصانع الذى خلقك وصورك ، وشق سمعك وبصرك ومنحك العقل والبيان ، ومكنك من الانتفاع بما فى السماء والارض ، الست تقبل عليه بقلبك وجوارحك مقيدا بقيود احسانه اليك معترفا بعبوديتك له ؟ فهذه كلها غايات نبيلة تؤديها الأديان ، ولم تفشل فيها يوما من الأيام) (٣) .

ومن شأن الانسان اذا نزل به مكروه أو حل به بلاء لايستطيع مقاومته أو أصابته مصيبة لايقدر على ردها بالأسباب العادية أن يتحرك فى وجدانه شعور قوى بالتوجه الى قوة عليا يعتقد أن بمقدورها ازالة هذا الضر والبلاء ، أو تيسر له الصبر والعزاء ،وهذا أمر لاينكره الا معاند مكابر ، اما أصحاب الفطر السليمة فانهم يدركونه ، ويقرون به ويذعنون له ، قال تعالى (**هو الذى يسيركم فى البر والبحر حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة**

---

(١) د. عبد الله محمود شحاتة ،فى نور القرآن ص ١٧٨ .

(٢) استفدت فى هذا البحث مماكتبه الزميل الفاضل دكتور عبد الحليم مذكور بعنوان مذكرات فى علم الكلام .

(٣) د. محمد عبد الله دراز الدين ص ١٢٧ ، ١٢٨ .

وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا انهم احيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين ..) يونس ٢٢ ، وقال سبحانه (**أم من يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض ءاله مع الله قليلا ماتذكرون**) النمل ٦٢ .

وقد سئل الامام جعفر الصادق (١) عن الله وكيف نجده من يريده فقال لسائله الم تركب البحر يوما ؟ قال بلى ، قال : فهل هاجت الريح عاصفا بكم ؟ قال : نعم ، قال فهل خطر ببالك أو انقدح فى نفسك أن هناك من يستطيع ان ينقذك اذا شاء ؟ قال : نعم . قال : فذاك هو الله .

(ب) العقـل

يدرك العقل ان لكل شيء سببا ولكل مخلوق خالقا وقانون السببية من القوانين الفطرية الاصيلة فى النفس ، والنفس بحسب هذا القانون تطلب لكل حادثة محدثا وهى تطبق ذلك على كل ظاهره أو حادثة تراها ، ولو ادعى أحد الناس ان ظاهرة ما قد حدثت بلا سبب لأنكر الناس عليه هـــذا الادعاء ، وبحسب هذا القانون الفطرى ينبغى البحث عن خالق لهذا الكون لانه لم يوجد وحده ، ولم يستمر فى الوجود لذاته بل لأن له خالقا موجدا وهو الله تعالى . والقول بعدم احتياج هذا الكون الى خالق موجد عبث لاتصدقه أبسط العقول واكثرها سذاجة اذا احتكمت الى منطق العقل وحقائق الفطرة .

وقف قس بن ساعدة الايادى خطيبا فى قومه قبل البعثة المحمدية بقليل فقال : يامعشر اياد أن فى السماء لخبرا وان فى الارض لعبرا ، البعرة تدل على البعير وخط السير يدل على المسير ، سماء ذات أبراج وارض ذات فجاج وبحار ذات أمواج الا تدل ذلك كله على اللطف الخبير .

★★★

وروى أن بعض الزنادقة سأل الامام أبا حنيفة النعمان عن وجود الله فقال لهم دعونى فانى مفكر فى أمر قد سمعت عنه : ذكروا لى أن سـفينة فى البحر موقرة فيها أنواع من المتاجر وليس بها أحد يحرسها ولايسوقها ، وهى مع ذلك تذهب وتجيء ، وتسير بنفسها وتخترق الامواج العظام حتى تتخلص منها وتسير حيث شاءت بنفسها من غير أن يسوقها أحد فقالوا : هذا شيء لايقوله عاقل ، فقال : ويحكم أن هذه الموجودات بما فيها من العالم العلوى والسفلى وماشتملت عليه من الاشياء المحكمة اليس لها صانع ؟ فبهت القوم واسلموا على يديه .

(ج) التاريخ

يشهد التاريخ أن شعوب الارض كلها ــ فى القديم والحديث ، مدنيـة أو بدوية متقدمة أو متأخرة ، نزل عليها كتاب سماوى أو لم ينزل ــ قد فكرت فى قوة عليا ، ارجعت اليها الامر فيما نزل بها من خير أو شر وتوجهت اليهـا

---

(١) امام من أئمة الشيعة توفى سنة ١٤٨ هـ .

بالعبادة والخشية ، وقد تختلف التصورات من شعب الى شعب ومن عصر الى عصر لكن الجميع متفق على وجود هذه القوة العليا ، وان من ضلال الرأى ان يقال ان هذا الاتفاق كان صدفة او لا دلالة له ، فان دلالته ظاهرة وهى أن هذا الايمان يمثل نزعة انسانية عامة لابد أن تكون موضع اعتبار .

يقول معجم (لاروس) للقرن العشرين : (ان الغريزة الدينية : مشتركة بين كل الاجناس البشرية ، حتى أشدها همجية ، وأقربها الى الحياة الحيوانية ... وان الاهتمام بالمعنى الالهى وبما فوق الطبيعه هو احدى النزعات العالمية الخالدة للانسانية) ويقول ايضا (ان هذه الغريزة الدينية لا تختفى ، بل لا تضعف ولا تذبل ، الا فى فترات الاسراف فى الحضارة وعند عدد قليل جدا من الأفراد) (١) .

فالايمان بوجود اله هو استجابة لنداء الفطرة وتلبية لمنطق العقل وانسجام مع شهادة التاريخ .

العلم وادلة الألوهية

ادى تطور العلم وازدهاره واتساع مجالاته الى نشأة تيار يتبناه بعض العلماء الماديين الذين فسروا الكون تفسيرا ماديا أو آليا يجعل الطبيعة أو الكون نظاما من المادة المتحركة المضبوطة فى حركتها بقوانين صماء لاتقبل التخلف وكان تفسيرهم لظواهر الطبيعة قائما على الكشف عن السبب والنتيجة ، ومادام الأمر كذلك ، فليس هناك داع من وجهة نظرهم الى القول باله خالق مدبر ، ومن هؤلاء الماديين من يجزم بأن هذا الكون كله لايحتوى شيئا واحدا يلجئنا الى تفسيره بوجود غيره ولا استثناء عندهم فى ذلك للنظام الموجود فى الكون ولا للعقل الذى ليس بمادة الحياة الموجودة فى الكائنات (٢) .

★★★

ولكن هذا التفسير المادى للوجود بدأ ينحسر ويتراجع ، وأصبح كثير من العلماء يعتمدون على العلم فى الوصول الى اليقين بوجود الله ، وصرح كثير من هؤلاء (بأنه كلما تقدمت العلوم ضاقت بينها وبين الدين شقة الخلاف، فالفهم الحقيقى للعلوم يدعو الى زيادة الايمان بالله) (٣) .

بل تراجع انصار الاتجاه المادى نفسه عن نظرياتهم التى عجزت عن تفسير نشأة الوجود من الجماد . (٤)

---

(١) الدكتور محمد عبد الله دراز ، الدين ص ٨٤ .

(٢) عباس محمود العقاد الله ص ١٩٢ .

(٣) الله يتجلى فى عصر العلم ص ٥٤ .

(٤) تدبم الجسر قصة الايمان ص ١٦٣ .

ثلاث احتمالات لخلق الكون

ايدت التجارب والنتائج العلمية ان العالم لـه بداية ونهاية اى انـه موجود وحادث بعد ان لم يكن ومادام الكون مخلوقا وموجودا بعد أن لم يكن فان علينا أن نبحث عن السبب فى وجوده ولدينا عدد من الاحتمالات العقلية .

١ ـ أن يكون قد أوجد نفسه

٢ ـ أن يكون وليد الصدفة العشوائيه اى الوجود بغير قصد محكم ولاتدبير.

٣ ـ أن يكون قد أوجده خالق فاعل مختار حكيم .

فأما الاحتمال الأول فان العقل يرفضه لأن العدم لاينتج الوجود اذ أن فاقد الشيء لايعطيه ، ويؤكد المنطق الذى لايتطرق اليه الشك انه ليس هناك شيء مادى يستطيع ان يخلق نفسه .

اما الاحتمال الثانى فهو وجود الكون عن طريق الصدفة عشوائية ترتب عليها وجوده ، ورغم رواج هذا الاحتمال فى القديم الا انه يلقى كثيرا من السخريه لدى جمهور العلماء فى الوقت الحاضر وهذا هو احدهم يقول : (أن القول بأن الحياة وجدت نتيجة حادث اتفاقى (صدفة) شبيه فى مغزاه بأن تتوقع اعداد معجم ضخم نتيجة انفجار صدفى يقع فى مطبعه) (١).

وليس هذا رأى فرد واحـد فحسب بل فروع العـلم كافـة تثبت أن نظاما معجزا يسود هذا الكون اساسه القوانين والسنن الكونية التى لاتتغير ولاتتبدل . (٢)

على أن العلم قد وضع للصدفة قانونا رياضيا يفسر امكانية وقوع حادث ما عن طريق الصدفة التى لايحكمها القانون ، ويشرح العالم الامريكى كريس موريسون رئيس أكاديمية العلوم الامريكية هذا القانون قائلا : يمكننا أن نفهم شيئا عن قانون الصـدفة من المثال التالى : لو تناولت عشرة دراهم وكتبت عليها من واحـد الى عشرة ثم رميتها فى جيبك وخلطتها جيـدا ثم حاولت أن تخرجها من جيبك من الأول الى العاشر بالترتيب العـددى بحيث تلقى كل درهم فى جيبك بعد تناوله مرة أخرى فامكان أن تتناول الدرهم المكتوب عليه واحـد فى المحاولة الاولى هو واحـد الى عشرة محاولات وامكان أن تتناول الدرهمين ١ ، ٢ بالترتيب هو واحد فى العشرة آلاف محاولة .. وامـكان أن تنجح فى استخراج الدراهم من واحد الى عشرة بالترتيب هو واحد فى عشرة بلايين من المحاولات . (٣)

والمتأمل فى هذا الكون يجد من عجائب الخلق ودلائل الابداع وشواهد النظام مايخلب العقل ويبهر اللب ، فهل يعود ذلك كله الى الصدفة العمياء التى لاتعى ولاتعقل ؟

---

(١) الاسلام يتحدى . وحيد الدين خان ص ٦٥ .

(٢) الله يتجلى فى عصر العلم ص ٥ .

(٣) العلم يدعو للايمان .

ان الصدفة افتراض يرفضه العلم ويرفضه العمل فلا مناص اذن من التسليم بالفرض الثالث وهو ان هذا الكون من تدبير وصنع خالق حكيم وهذا هو الذى دعت اليه الاديان وأرشدت الناس اليه .

ادلة الألوهية
بين القرآن والعلم

اهتم القرآن فى كثير من آياته بأن يلفت نظر الانسان الى مافى الكون من آيات القدرة ودلائل الاعجاز وعجائب الصنع ومواطن الاعتبار ، فهذا الكون الفسيح الشاسع الأرجاء ، ومافيه من قوى منظورة لنا وغير منظورة ومايخضع له من نظام لايحتمل الخلل ، ودقة لاتسمح بالعبث دليل على أن هذا الكون لم يوجد عن طريق صدفة عمياء بل انه وجد لأن له خالقا حكيما هو الذى أوجده .

قال تعالى **(صنع الله الذى أتقن كل شىء)** (١)

وقال سبحانه (**والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم. والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ، لا الشمس ينبغى لها ان تدرك القمر ، ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون**((٢)

وقال أيضا **(انا كل شىء خلقناه بقدر)** (٣) .

وقد قدم لنا العلم أمثلة لاحصر لها تؤكد هذا المعنى وتؤيده ومن هذه الأمثلة ما يأتى :

١ ـ الكون فسيح الأرجاء بصورة لافتة للنظر ، ووحدة القياس فيه هى السنة الضوئية ومابه من الكواكب والنجوم والمجرات لايقع تحت حصر ولكل منها مجاله الذى يسبح فيه فى الفضاء بسرعة مخصوصة وبنظام مخصوص ولكنها لاتتصادم على الرغم من كثرتها وسرعتها وضخامتها .

٢ ـ ملاءمة الارض للحياة تتخذ صورا عديدة تدل على تدبير اله حكيم عليم فالهواء مؤلف من الأوكسجين بنسبة ٢١٪ ومن النتروجين بنسبة ٧٨٪ ومن بعض الغازات الأخرى ، وهذه النسبة لاتزيد ولاتنقص ، وهى الملائمة للحياة والأحياء ، فلو زادت النسبة لأدت الى وقوع الحرائق فى الجو لأقل شرارة ، ولو نقصت لاختنقنا عند تنفسنا له ، والاجسام الحية تحتاج الى الاوكسجين فى التنفس لأنه يؤدى الى احراق الطعام وتحويله الى وقود وطاقة ، ونسبة الأوكسجين فى الجو ثابتة والسبب فى ثباتها يرجع الى أننا نتنفس الأوكسجين فيخرج من الرئتين هواء فاسدا هو ثانى أكسيد الكربون ، وهو غاز قاتل للانسان ، لكن هذا الغاز يؤدى فائدة عظيمة للحياة ، ذلك أن النباتات تتنفسه لتحصل

---

(١) النمل ٨٨ .

(٢) يس ٣٨ ـ ٤٠ .

(٣) القمر ٤٩ .

على حاجتها من الكربون الذى عليه قوامها ، وحين تتنفس ثانى اكسيد الكربون تقوم بعملية اختزال تستبقى بها الكربون ، وتخرج الى الجو الأوكسجين الذى يساعد على استمرار الحياه ، ولولا ذلك لنفد الأوكسجين واختنق الأحياء (١) .

٣ ـ الجسم الانسانى يعد اعجوبه من الاعاجيب لما به من اجهزة دقيقة مرئية وغير مرئية ، فالمخ والقلب والرئتان والمعدة والكلى والكبد والامعاء كلها اجهزه تؤدى عملها فى اتقان ونظام ، والحواس والأعصاب تشاركها هذه الخاصية ، فمن الذى ركبها ومن الذى جهزها وامدها بأسباب العمل والاتقان والنظام ؟

٤ ـ ارتفاع مستوى سطح الأرض عن مستوى سطح الأنهار ، وارتفاع سطح الأنهار عن سطح البحار .

ولو حدث العكس لأغرقت الأنهار الأرض ولطغى البحار الملحة على الأنهار العذبة فأفسدت صلاحيتها للشرب . وفى القرآن **(مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لايبغيان)** اى خلط النهر والبحر يلتقيان فى مكان معين يصب النهر فى البحر وبين الاثنين حاجز من قدرة الله لايبغى احدهما على الآخر ، لأن الله اودع الاسباب فى كل قوى الحياة حتى يستمر النظام فى الكون كما قال سبحانه **(وكل فى فلك يسبحون)** .

٥ ـ لو زرعنا فى مساحة صغيرة جدا من الارض اصنافا مختلفة من النباتات وسقيناها بماء واحد لخرج كل صنف منها بثماره المختلفة دون تداخل أو اختلاط (٢) . قال تعالى **(وفى الارض قطع متجاورات وجنات من اعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون)** . الرعد ٤ .

٦ ـ ان ازدياد العلم ونمو المعرفة سيكون سببا فى نمو غريزة التدين لان تقدمنا الحثيث فى العلوم يقربنا حقيقة من الاعتراف بجهالتنا ، والاقرار بأن مثل مانعلمه من الكون فى جانب مانجهله منه كمثل قطرة واحدة من محيط خضم عميق (٣) .

وصدق القرآن حين يقول **(وما أوتيتم من العلم الا قليلا)**

٧ ـ اعترف مؤسسو الفلسفة الواقعية وكبار انصارها بأن نهاية العلم البشرى ليست هى اطفاء غريزة التدين بل زيادة اشعالها ومن ذلك شهادة أوجيست كونت ، وسبنسر ، وليتريه (٤) وغيرهم .

طريق المعرفة :

سئل الحلاج بم عرفت الله قال بجمعه بين الضدين

---

(١) عبد الحميد مذكور فى علم الكلام ص ٩٥ .
(٢) نديم الجسر ، قصة الايمان ص ٣١٢ .
(٣) محمد عبد الله دراز ، الدين ٩٠ .
(٤) محمد عبد الله دراز ، الدين ٩٦ ٩٧ .

فهو اول وآخر ، وظاهر وباطن .

وسئلت رابعة العدوية بم عرفت الله ؟ قالت عرفت ربى بربى ولولا ربى ماعرفت ربى (١) .

وسئل الامام الشافعى بم عرفت الله قال (بالنحله نصفها يلسع ونصفها بعسل) وسئل مره أخرى بم عرفت الله فقال : بورقة التوت تاكلها دودة القز فيخرج منها الحرير وتأكلها النحل فيكون منها العسل ، وتاكلها الظباء (٢) فيكون منها المسك ، وتاكلها الشاه فيكون منها البعر .

وظيفة الأديان فى المجتمع

الأديان مبعث السعادة والايمان بالله والسلوك السوى ، وهى وسيلة فعالة فى اصلاح الضمائر وتهذيب النفوس وتصحيح المعاملة وتطبيق قواعد العدل «ولها وظيفة ايجابية أعمق أثرا فى كيان الجماعة ، ذلك أنها تربط بين قلوب معتنقيها برباط من المحبة والتراحم لايعد له رباط آخر من الجنس أو اللغة أو الجوار أو المصالح المشتركة » (٣) .

وقد ادركنا بعد حرب العاشر من رمضان أثر الدين فى قوة اليقين وصدق البذل والفداء ، وجلال التضحية ، والرغبة فى الشهادة حتى كان الجيش يعبر وكأنه تعزف نغمة موسيقية دينية عمادها الله أكبر الله أكبر ، وقد فعل الايمان فعل السحر فى نفوس الجنود الصائمين المصلين فأمدهم الله بعونه ومدده ونصره وصدق الله العظيم **(وكان حقا علينا نصر المؤمنين)**

ويقول المارشال مونتجومرى فى خطبته أمام الجيش الثامن يوم ٤مارس ١٩٥١م (ان أهم عوامل الانتصار فى الحرب هو العامل الأخلاقى ، ولايمكن لقائد أن يدفع جنوده الى بذل اقصى جهودهم فى العمل الا اذا كانت ضمائرهم مرتاحة الى مايعملونه ويقينى أن الجيش اذا سار على غير مرضاة الله سار على غير هدى .

ان خطر الانحطاط الخلقى فى أفراد الجيش أعظم من خطر العدو ولذلك لانستطيع ان ننتصر فى معركة ، الا اذا انتصرنا على أنفسنا قبل كل شيء ((٤)

فادعاء المذاهب المادية بأن الدين أفيون الشعوب هو ادعاء باطل، والحكم فى شريعة الله أمانة وأصحابها مسئولون عنها أمام الله والناس ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فرض من فرائض الله وهو من أسباب شرف هذه الامة وعلو مكانتها ، والمال فى شريعة الله استخلاف يسأل صاحبه عنه كيف جمعه وفيم أنفقه فاذا فهم الناس الدين حق الفهم ، وقاموا بتعاليمه على النحو الذى

---

(١) عرفت الله بهدايته لى ولولا فضله على ما عرفته .

(٢) الظبى : الغزال .

(٣) محمد عبد الله دراز الدين ص ١٠٣ .

(٤) من الصحف المصرية فى ٥ مارس سنة ١٩٥١ .

يرضى الله فانهم يتأكدون من بطلان هذه الدعاوى المغرضة ، التي لاتلبث ان تتهاوى أمام حجة الايمان وقوة الحق ، وصدق الله العظيم (**وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا**) .

اثر الايمان عند العقاد

الف الكاتب الكبير الاستاذ عباس العقاد كتابا عنوانه : الله تحدث فيه عن نشأة العقيدة واطوارها قبل الاسلام وبعده وسرد البراهين على وجود الله ثم اكد حتمية الايمان وضلال الكفو حيث يقول فى آخر الكتاب (ونحسب اننا نظلم نصيب الحس اذا قلنا ان مسألة الايمان مسألة عقل ومسألة (وعى) وليس للحس فيها نصيب .

فنحن نستطيع أن نرى بأعيننا أن الايمان ظاهرة طبيعية فى هذه الحياة لان الانسان غير المؤمن انسان (غير طبيعى) فيما نحسه من حيرته واضطرابه ويأسه وانعزاله عن الكون الذى يعيش فيه ، فهو الشذوذ وليس هو القاعدة فى الحياة الانسانية وفى الظواهر الطبيعية ، ومن اعجب العجب أن يقال ان الانسان خلق فى هذا الكون ليستقر على ايمان من الوهم المحض او يسلب الاستقرار .

وليس حجة للمنكر أن يقول ان الانكار ممكن فى العقول ، بل حجة للمؤمن أن يقول ان حال المنكر ليست بأحسن الاحوال ، وانه اذا انكر عن اضطرار تبين لنا على الفور أنه فى حال (غير الحال الطبيعى) الذى يستقيم عليه وجود الأحياء .

وخاتمة المطاف أن الحس والوعى والبديهه جميعا تستقيم على سواء الخلق حين تستقيم على الايمان بالذات الالهية وأن هذا الايمان الرشيد هو خير تفسير يسر الخليقة يعقله المؤمن ويدين به المفكر وتتطلبه الطبع السليم (١) .

ويقول الاستاذ محمد فريد وجدى فى دائرة معارف القرن العشرين تحت مادة دين (نعم يستحيل أن تتلاشى فكرة التدين لانها أرقى ميول النفس واكرم عواطفها ، ناهيك بميل يرفع رأس الانسان ، بل ان هذا الميل سيزداد ... ففطرة التدين ستلاحق الانسان مادام ذا عقل يعقل به الجمال والقبح وستزداد فيه هذه الفطرة على نسبة علو مداركه ونمو معارفه) .

---

(١) الله : عباس العقاد ص ٢٩٦ .

نظام الأسرة فى الإسلام

الأسرة هى الخلية الأولى فى بناء المجتمع ، وقوة الأسرة وترابطها من اسباب قوة المجتمع وسلامته .

وقد اهتم الاسلام بالاسرة ووضع لها القواعد والنظم التى نضمن لها البقاء وتحقق لها السعادة كما حث الاسلام على الزواج لأنه الوسيلة المشروعة لبناء الأسرة ، واشباع الحاجة النفسية والبيولوجية ووضع الاسلام نظما سليمة لاختيار الزوجة ووضح حقوق الرجل والمراة .

فاوجب على المراة طاعة زوجها ورعاية اطفالها والقيام بأمور الأسرة وشئونها ، كما اوجب على الرجل أن يدفع المهر والنفقة وان يتولى قيادة الأسرة والقوامة عليها ، وحث القرآن الرجل على العشرة بالمعروف وامر بالتعاون المستمر بين افراد الاسرة وتدعيم الروابط وازالة أسباب النزاع .

ويتضح من مقارنة حال المراة فى الجاهلية بحالتها فى الاسلام ، ان الاسلام أكرم المراة وليدة وفتاة وزوجة وأما ، وشملها فى جميع تشريعاته بعطف كريم ورعاية رحيمة وسما بها الى منزلة رفيعة لم تصل الى مثلها فى أية شريعة من شرائع العالم قديمه وحديثه ، وسوى بينها وبين الرجل فى معظم شئون الحياة ولم يفرق بينهما الا حيث تدعو الى هذه التفرقة طبيعة كل من الجنسين ، ومراعاة الصالح العام ، وصالح الأسرة ، وصالح المراة نفسها .

وهذه دراسة لبعض الجوانب فى شئون الأسرة تؤكد سمو الاسلام وتوضح ان الشريعة الاسلامية تحتوى على جميع المبادىء اللازمة للنهوض بالمجتمع فى شتى نواحيه وانها شريعة حيه صالحه للتطور وانها كرمت انسانية الانسان رجلا كان أو امراة وسوت بينهما فى خمس نواح هامة وهى القيمة الانسانية ، والحقوق المدنية وحق التعليم والثقافة ، وحق العمل ، وشئون المسئولية والجزاء وسنوضح هذه الأمور بكلمة موجزة .

القيمة الانسانية :

سوى الاسلام بين المراة والرجل فى القيمة الانسانية المشتركة وبين أنه ليس لأحدهما من مقومات الانسانية أكثر مما للآخر وأنه لافضل لأحدهما على

الآخر بحسب عنصره الانسانى وخلقه الأول وان المفاضلة بين اى رجل واية امراة انما نقوم على امور اخرى خارجة عن طبيعتهما ، وهى الأمور المتعلقة بالكفاية والعلم والأخلاف ... وما الى ذلك ، كما هو شـأن المفـاضلة بين الرجال انفسهم بعضهم مع البعص .

الشئون الدينية :

سوى الاسلام بين الرجل والمراة فى الحقوق المدنية بمختلف أنواعها فأعطى المراة الحقوق المـدنية التى اعطاها للرجل ، فجعل لها الحق فى أن تتعاقـد ونتحمل الالتزامات وتملك العقار والمنقول وتتصرف فيما تملك .

يقول الاستاذ محمد عزة دروزه (١) من الحمائق المرآنية الكبرى أن الفرآن قد قـرر للمراة اهلية تامة وحقا كامـلا فى جميع التصرفات المـدنيه والاقتصادية والشخصـية بحيث جعل لها الحق والأهلية لحيازة المال مهما عظم مقداره والارث والهبة والوصيه والدين وبملك العقار والتعاقد والتكسب والمصالحه والتفاضى والتصرف بما تحوز وتملك ، ويصل الى يدها من مال من اى نوع انفاقا وبيعا وعتقا وهبة وشرط موافقتها على الزواج ، وجعـل لها الحق فى تزويج نفسها اذا ترملت ، وغير ذلك من الحقوق التى لم تصل المراة الغربيـة اليها الا حديثا ، ولم نزل فى بعض بلاد الغرب محرومه من بعضها)

وبقية الأمور التى سوى فيها الاسلام بين الرجل والمراة ظاهره فحقها فى التعليم واضح لآن طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة وحقها فى العمل ظاهر لأنها كانت تشارك فى الغزو والجهاد فى عهد النبوه وتقوم بكثير من الأعمال داخل البيت وخارجه ، ونحن نرشح للمراة العمل الذى يتناسب مع طبيعتها كالتدريس والتمريض بدلا من الأمور العنيفة والأعمال الشاقة .

ثم أن الله سوى بين الرجل والمرأة فى المسئولية والجزاء وكل مافى القرآن والسنة من احكام أو تشريعات فانها للرجال والنساء الا مانص الشرع على تخصيصه قال تعالى .

(من عمـل صـالحا من ذكـر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ماكانوا يعملون) النحل ٩٧

وجوه التفرقة بين الرجل والمراة فى الاسلام

فرق الاســلام بين الرجل والمراة فى بعض التكاليف الدينيه ، والأعباء الاقتصادية والاشراف على الأسرة ، ولكن هذه التفرقة كان يراعى فيها طبيعة كل من الجنسين ، وصالح المراة نفسها وكان رائد الاسلام فى ذلك التخفيف عن المراة وصيانتها ومراعاة أحوالها الجسمية ومبلغ احتمالها فمن ذلك مثلا أنه يسقط عنها التكليف بالصلاة فى مراحل حيضها ونفاسها وسقط عنها قضاؤها كذلك .

(١) محمد عزة دروزه : المرأة فى القرآن والسنة ص ٤٠ .

ومن دلك ايضا أنه يجب عليها الافطار فى رمضان فى مراحل حيضـها ونفاسها ، ويجوز لها الافطار فى مراحل حملها ورضاعها ، ومن ذلك انها تلبس ملابس الاحرام فى الحج كاملة سابغة لصيانتها عن كشف أعضاء جسمها .

وربما تساءل الانسان عن الحكمة فى التفرقة بين الرجل والمراة فى الميراث ولماذا جعل الله الرجال قوامين على النساء ، وماهى حكمة تعدد الزواجات ولماذا أبيح الطلاق فى الاسلام وبين يديك توضيح لهذه الأمور .

الميراث

جعل الاسلام نصيب الذكور فى المراث اكبر من نصـيب نظائرهم من الاناث فى معظم الاحوال فللذكر مثل حظ الانثيين من الأولاد والاخوة والأخوات. وللزوجة من زوجها المتوفى نصف نصيب الزوج من تركة زوجته ، ونصبب الأب من تركة ولده يبلغ احيانا ضعف نصبب الأم واحيانا يساويها .

وقد أعطى الاسلام الانثى نصف نصيب الذكر من الميراث للاسباب الآتية:

١ ـ البنت اذا كانت صغيرة فهى فى رعاية أسرتها ، فاذا تقدم زوج لخطبتها فانه ملزم بالمهر وباعداد منزل الزوجية .

٢ ـ اذا تزوجت المرأة فان نفقتها ونفقة الذرية على زوجها ، واذا كان لها مال فان لها مطلق الحرية فى التصرف فى هذا المال فاذا كان زوجها فقيرا وانفقت من مالها على نفسها وأولادها فان هذه النفقة تعـد دينا على الرجل يجب أن يردها الى زوجته عند يساره .

٣ ـ عند طلاق الزوجة يتحمل الزوج وحده جميع الاعباء الاقتصاديه فعليه مؤخرا صداق زوجته ، وعليه نفقتها من مأكل ومشرب وملبس ومسكن مادامت فى العدة ، وعليه نفقة أولاده وأجور حضانتهم ورضـاعتهم ، وعليه وحده نفقة تربيتهم بعد ذلك ، ولاتلقى المراة أى عبء اقتصادى فى هذه الشئون .

٤ ـ الرجل هو الممثل للاسرة والمتكفل بالتزامها سواء أكان اخا أم زوجا واذا رجعت المراة يوما ما الى بيت اسرتها فستلقى رعاية واجبة وصلة للرحم مفروضة ، وقد كان الاسـلام رحيما بالمراه حين أعطاها نصف نصب الرجل واعفاها من اعباء المعيشة وألقاها جميعها على كاهل الرجل ، لأنه تنظيم الله السميع العليم .

الزواج

حث القرآن على الزواج ورغب فيه لأنه آية من أيات الله فى اعمار الكون ونقارب الأسر ورعاية النشء وتيسير شئون الحياة قال تعالى : **(ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة)** الروم ٢١

وفى الآية مايفيد ان الرجل والمراة يكمل احدهما الآخر ، وقد شـاءت حكمة الله ان تقوم الحياة بين الزوجين على اسـاس المودة والرحمة وقد قرر الاسلام حقوقا وواجبات لكل من الزوج والزوجة وجعل للرجل حق القوامة

على الاسرة والاشراف على شئونها قال تعالى (**الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم**) النساء ٢٤ .

وتفيد الآية ان قوامة الرجل على المراة سببها شيئان

الأول : ان الرجل هو المكلف بالانفاق على الأسرة ، ولايستقيم مع العدالة فى شيء أن يكلف فرد الانفاق على هيئة ما بدون ان يكون له حق القيام عليها والاشراف على شئونها .

الثانى :ان المراة مرهفة العاطفة قويه الانفعال ،وان ناحية الوجدان ان تسيطر سيطرة كبيرة على مختلف نواحي حياتها النفسيه

وقد سوى الله المراة على هذا الوضع حتى يكون لها من طبيعتها مايتيح لها القيام بوظيفتها الاساسيه وهى الأمومه والحضانه على خير وجه فلا يخفى ان الوظيفة تحتاج الى عاطفة مرهفة ووجدان رقيق وحنان رحيم أكثر ممـا تحتاج الى التفكير والادراك والتأمل . فقوة العاطفة والوجدان فى المراة هى اذن مظهر من مظاهر كمالها وكمال انوثتها ، وليسـت نقصا فى حقها كما قد يتبادر الى اذهان بعض الناس .

رياسة رحيمة

ورياسة الرجل فى الأسرة لاتقوم على السيطرة والاستبداد ولكنها تقوم على المودة والمحبة والارشاد ، وقد قيدها الاسلام بقيود كثيرة تحفظ للمراة كرامتها وتصون حقوقها وتحقق مصلحتها على خير وجه .

وتتمثل رياسة الرجل على الزوجة فى حقه فى تدبير سياسة البيت فى تعاون مع المراة وفى ان تطيعه زوجته فى دائرة المعقول والمعروف وقد فرض الاسـلام عليه فى مقابل ذلك عـدة واجبات فأوجب عليه الانفاق على الأسرة وصيانة أفرادها ورعاية حقوقهم ، كما أوجب عليه العدالة والمعاملة بالحسنى والرفق فىعلاج مشاكل الحياة الزوجية ،واخذ الأمور بيسر وهوادة وانيقوم المعوج فى رفق ولين ، ولذا كان النبى صلى الله عليه وسلم أرفق الناس بأهله وأكثرهم حلما ورأفة مع زوجاته وقال عليه الصلاة والسلام .

(خيركم خيركم لأهله)

وقد لخص القرآن الكريم هذا النظام الحكيم فى عبارة موجزة بليغـة اذ يقول (**ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة**) (١)

فللمراة من الحقوق فى نظر الاسلام مثل ما عليها من واجبات ، والرجل مثلها عليه من الواجبات بمقدار ما له من حقوق ، وحتى الدرجة التى منحها الله له على المراة وجعل له الرعاية على الأسرة بسببها ليست حقا خالصا من الواجبات .

تقول المفسرون : فى معنى (**ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف**) أنها تعنى أن كل ما يحق للزوج طلبه وانتظاره من زوجته من أمور مشروعه منطاعة وأمانة

(١) البقرة ٢٢٨ .

وعفة واخلاص وحسن معاشرة ومعاملة ، يحق للزوجه طلبه وانتظاره من زوجها ومن جملة ذلك ايضـا اعتبار كل من الزوجين نفسـه شريكا للآخر فى مختلف نواحي الحياة ، ومعاملة كل منهما للآخر على هذا الاساس (١)

وقد قال المفسرون فى معنى (**وللرجال عليهن درجة**)

ان الحياة الزوجية حياة اجتماعية ولابد لكل اجتماع من رئيس ، وقد جعلت الرئاسه للرجل لأنه أعلم بالمصـلحه وأقدر على التنفـيـذ بقوته وماله وللمزايا الطبيعية والاجتماعية التى امتاز بها وللأموال التي ينفقها ومما كان ولا يزال متسقا مع طبائع الامور ، ومما تعترف به المرأة ولو فى قرارة نفسها وقد قال أهل التأويل أن حق القوامة على الزوجة يزول اذا قصر الزوج فى النفقة أو امتنع عنها (٢)

تعدد الزوجات

كان العرب قبل الاسلام يجمعون فى عصمتهم زوجات عديدة بدون تحديد فى وقت واحد وكانت الحياة الزوجية والعائلية تتعرض من جراء ذلك لصور عديدة من الضرر والشقاق والبلاء فشاءت حكمة الله ان يضع الحق فى نصابه وان يوضح ان اساس الحياة الزوجية هو المودة والرحمة وان الاقتصار على زوجة واحدة ادعى الى العدل والمودة وأبعد عن الجور والظلم فقال سبحانه **(وان خفتم الا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ماطاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم الا تعدلوا فواحدة)** (٣)

وقد روى البخارى عن عائشة انها سئلت عن معنى هذه الآية فقالت

(هذه اليتيمة تكون فى حجر وليها تشركه فى ماله ويعجبه جمالها ومالها فيريد ان يتزوجها بغيران يوفى لها صداقها وربما طمع فى مالها وأساء صحبتها) لأنها يتيمة ليس لها ولد يدافع عنها .. فنهاهم الله عن نكاح اليتيمة اذا خاف الانسان ظلمها واباح لهم الزواج باكثر من واحدة عند الحاجة والضرورة .

فاذا خاف الانسان على نفسـه من الظلم او الميل الى احد الزوجتين وجب عليه الاقتصار على زوجة واحدة .

شبهات الاوروبيين

يتكلم الاوربيون بكثير من الكلام المعسول عن تعدد الزوجات ويقولون (ان شرف الانسان اسمى من ان يمتهن او ان يجعل اداة متعة) .

وفى الواقع هم الذين اباحوا اتخاذ الخليلات والعشيقات وجعلوهن اداة متعة فقط ومنعوهن حقوق الزوجية فى النفقة أو الميراث أو الحاق الولد . ونشـأ عن كثرة الأخدان وانتشـارهن فى أوروبا انتشـار الأمراض السرية الفظيعة ، وقلة النسل لأن النسل قد يخنق أو يجهض أو يمنع .

---

(١) محمد عزة دروزة المرأة فى القرآن والسنة ص ٣٠ .

(٢) محمد عزة دروزة المرأة فى القرآن والسنة ص ٢٢٠ .

(٣) النساء ٣ .

وهل غفل الأوروبيون عن المصير الشيء الذى ينتظرهم اذا استمر الحال على ذلك ؟ فالكبير يموت والنشيء يقتل :

نبهوا لذلك فصدرت قوانين تقول أبناء الرواج الحر اذا اعترف بهم أبوهم الحقناهم به

فتأخذ الأولاد كل حقوق الابناء ، فهم تفادوا اسم الزوجة فقط واما أبناؤها فانهم يمنعون بكل الحقوق اذا الحقهم بهم أبوهم .

ويمكن أن ندون هنا بعض الملاحظات الآتية :

آ ـ أوروبا لاتبيح تعدد الزوجات بينما تبيح تعدد الخليلات ولكن القرآن حارب هـذه العشرة الا بين الزوج وزوجته قال تعالى (**محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان**) النساء ٢٥ .

٢ ـ الرسول نهى عن الزواج المقصود منه المتعة وحدها ، وعن الرغبة فى التنقل بين أحضان النساء فقال صلى الله عليه وسلم (ان الله لايحب الذواقين ولا الذواقات فاذا تزوجتم فلا تطلقوا) .

٣ ـ الاسلام لم يأمر بالتعدد ولم يحض عليه بل أباحه عند الضرورة

٤ ـ من الضرورات التى تبيح التعدد أن تكون الزوجة عاقرا ، أو مريضة ولا يرى الزوج من الرأفه والانصاف طلاقها ، وهناك احتمال بتزايد عدد النساء فى مجتمع ماعلى عدد الرجال ـ خصوصا فى أعقاب الحرب ـ وتتعرض الزائدات للشقاء والعوز والسقوط وهناك احتمال السفر والتغرب لمدة طويلة لأسباب متنوعة لا يكون فى الامكان اصطحاب الزوجة فيها ففى ذلك يكون التعدد سائغا أو واجبا أو مرغوبا فيه وما عدا هذه الحالات فان التعدد بسبب المشاكل والبغضاء والتناحر فى داخل الأسرة فيجعل حياتها جحيما (١)

٥ ـ الواقع ان اكثر المتزوجين من المسلمين حين يتزوجون بأكثر من واحدة ينوون عدم العدل فالجديدة هى المحظية والقديمة هى الضرة وابناؤها أبناء الضرة

٦ ـ يرى الامام محمد عبده ان تعدد الزوجات كانت له محاسنه فى عصر السلف الصالح حيث النفوس سليمة والقلوب نظيفة والجميع يمتثلون أمر الدين ، واصبحت له مساوىء ظاهرة لكثرة مساوىء الناس وضعف أخلاقهم ، ولما ترتب على تعدد الزوجات من الكذب والخيانة والجبن والتزوير ، ونية عدم العدل ، مع أن تعدد الزوجات محرم قطعا عند الخوف من عدم العدل (٢)

٧ ـ يرى بعض المجتهدين المحدثين انه ليس فى الشريعة ما يمنع أن يعهد بتقدير ظروف الناس فى التعدد الى هيئة رسمية اجتماعية أو قضائية وأن يقيد الناس فى التعدد بحكم هذه الهيئة جوازا أو منعا فان التعدد

---

(١) محمد عزة دروزة المرأة فى القرآن والسنة ص ١١٨ .

(٢) تفسير المنار ـ ٤ ص ٣٥٠ .

مباح بشرطين ، أن يكون له مبرر وداع شريف معترف به شرعا . وشرط آخر هو الا يؤدى الى الجور وعدم العدل فموقف هذه الهيئة التأكد من تحقيق الشرطين السابقين (١) .

٨ ـ الفت جمعية فى المانيا تطالب بتطبيق أحكام الشريعة الاسلامية فى الزواج والطلاق . وطالبت النساء هناك ـ بعد الحرب العالمية الثانية ـ بتعدد الزوجات حتى تجد النساء من يكفلهن وينفق عليهن وعلى ماينجبن (٢) .

الطلاق

الزواج رابطة مقدسة ، يحرص الاسلام على دوامها ويحث على المحافظة عليها لأن فيها تحقيقا لتآلف الأسر وترابطها ، وحماية النشء ورعايته ، كما يحذر الاسلام من الطلاق ويأمر باجتنابه هذه الكلمة ومايؤدى اليها ، قال صلى الله عليه وسلم (ابغض الحلال الى الله الطلاق) (٣) .

مبررات عامة للطلاق

احيانا تطرأ على الحياة الزوجية حالات تجعل الطلاق ضروره لازمة فقد يصل الشقاق بين الزوجين الى حد يستحيل عنده الصلح وتصبح الحياة الزوجية جحيما لا يطاق ، ويصبح أفراد الأسرة جميعا ذكورهم واناثهم صغارهم وكبارهم ، مهددين من جراء ذلك بأسوأ النتائج وشر الكوارث فى مختلف فروع حياتهم المادية والمعنوية والخلقية، وقد تتنافر طباع الزوجين كل التنافر ، أو يحمل أحدهما كراهة شديدة للآخر ، وتعجز جميع الوسائل الانسانية فى علاج هذا الحال ، وقد تفسد اخلاق أحد الزوجين أو لايرعى لعقد الزواج عهدا ولا حرمة ، وقد يجن احد الزوجين جنونا مطبقا ، وقد يصاب بمرض معد خطير لايرجى برؤه ، وقد يفقد مقومات جنسه وقد يكون عقيما لايلد ، وقد يغيب غيبة طويلة ولايعرف أحى هو أم ميت ، وقد يحكم عليه بالسجن المؤبد، وقد يعسر الزوج فلا يستطيع الانفاق على الزوجة ، وقد يرى الزوجان انفسهما أن استمرار زواجهما متعذر من جميع الوجوه ويريد كلاهما أن يفارق الآخر بالمعروف ليغنى الله كلا من سعته .

ولما كانت هذه الأسباب لها نظائر واشباه فى حيادة الآدميين ، ولما كان تحريم الطلاق مع هذه الحالات يوقع الناس فى اشد مظاهر العنت والحرج ، لذلك أباح الاسلام الطلاق ولكنه لم يبحه على الاطلاق بل احاطه بأحكام وقيود وتكفل عدم ايقاعه الا فى حالات الضروره ، وبذلك جعله اداه لتحقيق الصالح العام وصالح الأسرة نفسها ومن الوسائل التى شرعها الاسلام لتفادى وقوع الطلاق مايأتى :ـ

---

(١) محمد المدنى عميد كلية الشريعة فى كتاب المجتمع الاسلامى كما تنظمه سورة النساء ص ٢٧٣ .

(٢) د. محمد عبد الله دراز تفسير سورة النساء محاضرات لكلية دار العلوم سنة ١٩٥٥

(٣) اخرجه أبو داود وابن ماجه .

١ ــ أحاط الاسلام عقد الزواج بسياج من القدسية ، واضفى عليه من الجلال مايدعو الى احترامه والالتزام به ، والوفاء بشروطه وسماه الله تعالى ميثاقا غليظا .

٢ ــ بغض الاسلام الناس فى الطلاق لأنه يزلزل كيان الأسر ويشتت شمل الذرية ويستنزل غضب الرحمن قال صلى الله عليه وسلم (تزوجوا ولا تطلقوا فان الطلاق يهتز له عرش الرحمن) (١) .

٣ ــ أمر الزوج ان يصبر على زوجته ، وأن يهتم بالنظر الى محاسنها والنواحى الطيبة فيها والا يكرر النظر الى الناحية القبيحة فلكل شخص حسنات وسيئات قال صلى الله عليه وسلم

(لايفرك مؤمن مؤمنة ان كره منها خلقا رضى منها آخر) (٢)

٤ ــ عند نضوب الحب بين الزوجين يمكن أن يصبر الانسان فلعل قلبه أن يتحول الى الحب أو لعل الله أن يرزقه بذرية صالحة قال تعالى **(وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا)** (٣)

وقد جاء رجل الى عمر بن الخطاب يستشيره فى طلاق زوجته فقال له عمر لا تفعل فقال الرجل ولكنى لا أحبها فقال عمر (ويحك : ألم تبن البيوت الا على الحب فأين الرعاية ، وأين التذمم (٤) وأين الوفاء)

٥ ــ يأمر الاسلام الزوجين عندما تتأزم الحياة الزوجية ويحدث النفور ، أن يتدارسا أسباب الخلاف ويعملا على تلافيها وأن يحاولا ــ رأب الصراع ، واصلاح الخطأ .

٦ ــ فان لم يستطيعا تحقيق الوفاق بوسائلهما الخاصة كان التحكيم وسيلة للعلاج قال تعالى **(وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما ان الله كان عليما خبيرا)** النساء ٣٥

٧ ــ رتب الاسلام على الطلاق من الناحيتين المالية والاجتماعية نتائج خطيرة وألقى بسببه على كاهل الزوج أعباء ثقيلة ، منها مؤخر الصداق ونفقة الزوجة ، ونفقة الاولاد ، ومن شأن هذه الأعباء أن تحمل الزوج على ضبط النفس وتدبر الامر قبل الاقدام على الطلاق .

٨ ــ لم يجعل الله تعالى الطلاق فى مرحلته الأولى قاطعا لرباط الزوجية قطعا باتا ، ولكنه جعله رجعيا وأمر أن تقيم الزوجة فى بيت زوجها مدة العدة دون أن تحتجب عنه فقد يكون ذلك وسيلة الى استئناف الرابطة الزوجية مرة أخرى .

---

(١) ذكره الكاسانى فى كتابه : (بدائع الصنائع فى باب الطلاق) .

(٢) فرك الرجل زوجته من باب سمع كرهها وابغضها وفركته كذلك .

(٣) النساء ١٩ .

(٤) التحرج من أن يصبح الرجل مصدرا لشقاء الأسرة وتفريق شملها .

٩ ـ يقرر الاسـلام ان الطلاق ينبغي أن يكون فى طهر لم يحـدث فى اثنائه اتصال بين الزوجين ، فمن عزم على الطلاق وجب أن ينتظر طويلا حتى تحيض الزوجة ثم تطهر ان شاء أمسكها وان شاء طلقها .

١٠ ـ امر القرآن ان يقع الطلاق امام شـاهدين لاهمية هذا العمـل ولأن الزواج لايتم الا امام شاهدين فلا يتم الطلاق الا امام شاهدين قال تعالى **(واشهدوا ذوى عدل منكم)** وقد ذهب الشـيعة الامامية الى وجوب الاشهاد على الطلاق وهذا الاشهاد ركن من أركان الطلاق عندهم وكل طلاق بدون اشـهاد يقع باطلا ولا يترتب عليـه شيء ، وحبذا لو أخذ تشريعنا بهذا الرأى تضييقا لدائرة الطلاق .

عدد الطلقات

جعـل الشرع الطلاق ثلاث مرات متفرقات لتهيئة الفرصـة للتفكير فى اصلاح الحال التى قد تنشأ عن ثورة نفسية مؤقتة أو تسرع بلا روية فان لم تنفع هاتان الفرصتان فى ازالة أسباب الخلاف كانت الطلقة الثالثة هي الفاصلة قال تعالى **(الطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان ...)** البقرة ٢٢٩

ولقد احسن الشرع المصرى صنعا اذ قرر القانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ ان الطلاق المقترن بعدد لفظا أو اشارة يقع طلقة واحدة .

وينبغى الا يقتصر المشروع على ذلك وأن يصدر قوانين أخرى تحظر جميع انواع الطلاق المخالفة للنوع المبين فى الكتاب والسـنة .

ففى ذلك احقاق للحق ورجوع بنظام الطلاق الى الاوضاع الصحيحة التى سنها الاسلام وانحرف عنها بعض المسلمين ، فليس المقصود من الطلاق اللعب واللهو ومن يتجاسر على الحلف بالطلاق انما يفعل منكرا من القول وزورا

ان الطلاق ابغض الحلال ولم يشرعه الله الا للضرورة القصوى ، منعا للحرج وعلاجا للشقاق والضرار ويجب أن يتم فى طهر الزوجة وفى هدوء نفس كامل ، وأمام شاهدين

الإيمان سبيل السلام للفرد والمجتمع

١ ـ الايمان بالله :

يتصف الله عز وجل بكل كمال ، ويتنزه عن كل نقص ،

يتصف الله بالحياة والعلم والارادة والسمع والبصر ، فهو سبحانه بكل شيء عليم فعال لما يريد ، وفى بداية سورة المجادلة ، سمع الله صوت امـراة تشكو للنبى من زوجها واستجاب لرجائها حيث قال سبحانه :

(قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى الى الله والله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير) المجادلة ١

تقول السيدة عائشة رضى الله عنها مااسمع الله وما ابصره . لقد جاءت المجادلة خولة بنت ثعلبة تقول : يارســول الله ان زوجى أوس بن الصـامت تزوجنى وانا شابة مرغوب فى لى مال وجمال ، فانتظر حتى اذا ذهب مالى وولى جمالى وتفرق اهلى قال لى انت على كظهر امى ، وارجو ان تردنى اليه. فقال النبى صلى الله عليه وسلم : ليس لى عندك حل ما أراك الا قد حرمت عليه . فجاءت المراة ثانية تقول : يارســول الله انى انجبت منه أولادا كـان بطنى لهم وعاء وكان ثديى لهم سقاء وكان حجرى لهم كفاء وان ضممهم اليه ضاعوا وان ضممتهم الى جاعوا فردنى اليه . فقال النبى ليس لى عندك حل ماأراك الا قد حرمت عليه . فجاءت المراة مرة ثالثة تقول : ان زوجى لايبغضنى وأنا لا أبغضه ولكنه دخل على وأنا فى الصلاة فلمع خلخالى فى ضوء القمر فرغب فى بعد الصلاة مباشرة ولم أكن قد تهيأت بنفسى له ، فامتنعت عليه فغضب وقال تمتنعين عنى ؟ انت على كظهر أمى . ثم ندم على ذلك ورغب فى عودتى اليه فردنى اليه .

وكان الظهار يحرم المراة على زوجها فى الجاهلية ولم يكن قد نزل بشانه شيء فى الاســلام . فقال لهاالنبى ليس لى عندك حـل ماأراك الا قد حرمت عليه .

وبكت المراة وقالت للنبى انا لا اشتكى اليك ولكن اشتكى الى الله . وهنا ظلل على النبى ونزل عليه وحى السماء ، واستجاب الله لرجاء المراة وسمع كلامها من فوق سبع سماوات .. ونزلت آيات كريمة فى أول سورة المجادلة

تنهى الرجل عن الحلف بالظهار ، وعن تحريم المرأة على نفسها . وبينت أن ذلك زور ومنكر من القول . ثم رسمت الطريق لمن وقع فى الظهار وأراد الرجوع الى زوجته فبينت ان عليه أن يعتق رقبة او يصوم ستين يوما أو يطعم ستين مسكينا كفارة عن قوله وتهذيبا لنفسه .

قال تعالى (**الذين يظاهرون منكم من نسائهم ماهن امهاتهم ان امهاتهم الا اللائى ولدنهم وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا وان الله لعفو غفور ، والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير ، فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتلك حدود الله وللكافرين عذاب اليم**) المجادلة ٢ ــ ٤

٢ ــ الايمان بالرسل :

لقد ارسل الله الرسل وانزل عليهم الكتب لهداية البشرية واخراجها من الظلمات الى النور ،

(رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما) النساء ١٦٥

هؤلاء الرسل نجوم هادية وعلامات مضيئة فى تاريخ البشرية جعلوا للناس الدعوة الى التوحيد والايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وكانوا دعاة الى مكارم الاخلاق ودعائم الفضيلة وحربا على الرذائل والشذوذ والمنكر .

فهؤلاء الرسل يشتركون جميعا فى الاساس العام وهو الدعوة الى الايمان بالله ربا وخالقا ورازقا بيده الخلق والامر وهو على كل شىء قدير ، والايمان بالملائكة وباليوم الاخر وبالبعث والحساب والجزاء .

وينفرد بعض الرسل بدعوات اصلاحية تناسب المجتمع الذى أرسلوا اليه . فشعيب عليه السلام حارب تطفيف الكيل والميزان . ولوط عليه السلام حارب المثلية الجنسية بين الرجال ، وبين ان الطبيعة البشرية تقتضى ان التوافق الجنسى والتلاؤم لايتم الا بين الرجل والمراة . قال لوط : **(اتأتون الذكران من العالمين ، وتذرون ماخلق لكم ربكم من ازواجكم بل انتم قوم عادون)** الشعراء ١٦٥ ، ١٦٦

وحارب موسى التفرقة العنصرية بين المصريين واليهود وظل يكافح فرعون وجبروته حتى نجى الله المؤمنين وأهلك الظالمين : **(ان فرعون علا فى الأرض وجعل اهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح ابناءهم ويستحيى نساءهم انه كان من المفسدين ونريد ان نمن على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين ، ونمكن لهم فى الارض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ماكانوا يحذرون)** القصص ٤ ــ ٦

وجاء المسيح عليه السلام فى وقت غلا فيه اليهود فى حب المال والاهتمام بالمادة وتعنت الرومان فى الطغيان والجبروت ، فكانت دعوة المسيح عليه السلام صيحات صارعة فى التجرد من هوى النفس والخضوع للمال فيقول : (لاتكنزوا

اموالكم فى الارض حيث يكون اللصوص والسراق ولكن اكنزوا اموالكم فى السماء) .

ويقول المسيح (من احب مالا او ابنا اكثر من الله فليس منى)

ويقول ايضا (من ضربك على خدك الايمن فادر له خدك الايسر ، ومن طلب رداءك فاعطه أزارك ، ومن اراد أن تمشى معه ميلا فامش معه ميلين) .

وكانت رسالة النبى محمد صلى الله عليه وسلم عامة للناس اجمعين . قال تعالى **(وماارسلناك الا رحمة للعالمين)** الانبياء ١٠٧

وقد اشتملت هده الرسالة على الاسس العامة ، والخطوط الاصلية فى الديانات الالهية ،وجمع القرآن حقائق الالهيات، وصدق الكتب السابقة ، وهى التوراة والانجيل والزبور والفرقان ، لان هذه الكتب لاتضارب بينها ولاتعارض فى الأسس العامة التى جاءت بها . قال تعالى : **(وانزلنا اليك الكتاب بالحق، مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه)** المائدة /٤٨ .

وفى أول سورة آل عمران يقول القرآن **(الم ، الله لا اله الا هو الحى القيوم ، نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وانزل التوراة والانجيل ، من قبل هدى للناس وانزل الفرقان)** . وقد دعا القرآن الى الايمان بالرسل جميعاً ، وعدم التفرقة بينهم ، فربهم واحد ودعوتهم واحدة ، هى هداية البشرية ، وارشادها الى مكارم الاخلاق وحمايتها من الرذيلة والانحراف . قال تعالى : **(آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير)** البقرة/٢٨٥ .

ولايكمل ايمان المسلم الا اذا آمن بأن الله ارسل رسلا وانبياء كثيرين لهداية الناس منهم من ذكر فى القرآن ومنهم من لم يذكر ، قال تعالى **(ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك)** غافر/٧٨ .

وقد اشتهر من الرسل خمسة سموا بأولى العزم من الرسل ، لكثرة ماتحملوا من المشاق فى سبيل الدعوة الى الله وهم : نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم . قال تعالى **(فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل)** الاحقاف/٣٥ .

وقد ارسى القرآن دعائم الوحدة الايمانية بين الرسل فبين أن هدف الرسل واحد وطريقهم واحد وغايتهم واحدة .. وابرزت آيات القرآن وحدة الدين عند الله وكررت هده الحقيقة على لسان الرسل جميعا **(قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون)** البقرة/١٣٦ .

وقد اصطفى الله الانبياء ومنحهم الله الوحى والرسالة ، واختصهم بصفات كريمة هى الصدق والامانة والتبليغ والفطانة ، وجميع الصفات الطيبة التى تدعو البشر الى الاستماع اليهم وتقبل الحق منهم .

والرسالة منحة الهبة يختص الله بها من يشاء من عباده . يقول صاحب الجوهرة :

ولم نكن بنبوة مكتسبة ولو رقى فى الخير أعلى عقبه
بل ذاك فضل الله يؤتيه من يشاء جل الله واهب المنن

ان الاصطفاء للرسالة منة كبرى ونعمة الهيه ، اذ هى رباط بين السماء والارض (**الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس ان الله سميع بصير**) الحج/٧٥ .

وقد اصطفى الله للرسالة آدم عليه السلام ، ونوحا عليه السلام . كما اصطفى سبحانه آل ابراهيم ومن نسله اسماعيل واسحاق والاسباط وآلاف الانبياء . كما اصطفى آل عمران ومن نسله مريم وعيسى الذى جعله الله دليل القدرة الالهية فخلقه من أم دون اب ، كما خلق حواء من اب دون ام وخلق آدم من دون اب ولا ام . قال تعالى (**ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون**) آل عمران/٥٩ . لقد اصطفى الله أفرادا كما اصطفى ذرية وسلالة من أعقاب الانبياء للنبوه والهداية (**ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ، ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم**) آل عمران ٣٣ ، ٣٤ .

لقد اخلص الرسل فى تبليغ رسالة الله الى عباده لايبتغون من ذلك اجرا ولا جاها وانما يبغون وجه الله سبحانه . ولكن الرسل قوبلوا من قومهم بالتكذيب والانكار فصبروا وصابروا واوذوا وقاتلوا وقتلوا .

قال الله تعالى (**وكاين من نبى قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما اصابهم فى سبيل الله وماضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين ، وماكان قولهم الا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ، فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين**) آل عمران ١٤٦ — ١٤٨ .

والظاهرة الملاحظة فى القرآن أن جواب الكفار للرسل حوى عنصر التكذيب والمكابرة فى جميع العصور ، كأنما وصى بعضهم بعضا بهذا الجحود والكنود .

(**وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن فى ملتنا فاوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ، ولنسكننكم الارض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد**) ابراهيم ١٣ ، ١٤ .

ولقد كانت رسالات الانبياء ذات صبغة واحدة فى الدعوة الى الايمان والهداية وتوحيد الله ونبذ الاصنام والانداد .

(**قالت رسلهم أفى الله شك فاطر السموات والارض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى أجل مسمى قالوا ان انتم الا بشر مثلنا تريدون ان تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فاتونا بسلطان مبين**) ابراهيم/١٠ .

ولقد خص الله الرسل السابقين بمعجزات مادية ملموسة ، فأنقذ ابراهيم من النار ، واعطى موسى اليد البيضاء والعصا تبتلع حبال السحرة . واعطى عيسى ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى باذن الله . ثم اعطى محمدا صلى الله عليه وسلم وحيا من السماء ودعوة الى الهداية خاطب بها العقل

والفكر ولم يحمل السيف الا دفاعا عن النفس أو تحطيما لطواغيت الكفر أو دفعا للفتنة ، وقد تكفل القرآن بدعوة الناس ومناقشتهم ورسم الطريق الى الايمان الهادف ، والتصديق واليقين : قال صلى الله عليه وسلم : « ما من نبى الا واوتى من الآيات ما على مثله آمن عليه البشر وانما كان الذى أوتيته وحيا يوحى » .

٣ ــ السلام فى الاسلام :

جعل الله شهور العام اثنى عشر شهرا منها اربعة حرم هى ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب . ثلاثة اشهر متتابعة فى نهاية العام الهجرى وبدايته ، وشهر منفرد هو شهر رجب الفرد ، والاشهر الحرم اشهر مباركة يضاعف فيها الثواب ويحرم فيها القتال حتى تهدأ النفوس ويكون هناك فرصة عملية للسلام والأمان . فقد جاء الاسلام بهذا السلام الحقيقى .

فالله اسمه السلام ، والجنة دار السلام ، والقرآن نزل فى موكب من السلام ، وتحية المؤمنين يوم يلقون ربهم سلام .

وحين ينتهى الانسان من صلاته ويخرج من العبادة الى الدنيا يخرج من الصلاة بالسلام على اليمين والسلام على اليسار .

ولن يتردد المؤمن فى قبول دعوة السلام اذا دعى اليها ، فالسلام هو الاساس ،ففيه يعمل الناس وتتكاتف الجهود من اجل البناء والاعمار ،وحفظ الدماء والارواح .

قال تعالى (**وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم ، وان يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله هو الذى ايدك بنصره وبالمؤمنين ، والف بين قلوبهم لو انفقت مافى الارض جميعا ماالفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم انه عزيز حكيم**) الانفال ٦١ ــ ٦٣ .

لقد حارب الاسلام دفاعا عن النفس ، وردا للظلم والعدوان وانتصافا للحق . قال تعالى (**أذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير، الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز ، الذين ان مكناهم فى الارض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور**) الحج ٣٩ ــ ٤١

لقد مكث المسلمون فى مكة ثلاثة عشر عاما يدعون الى الله . ويرسون دعائم التوحيدويقدم القرآن الأدلةالمتتابعة على الوحدانية، وفى ايجاز واعجاز يجيب القرآن على اسئلة الكافرين حين قالوا يامحمد صف لنا ربك ماهو وابن من هو وما نسبه وماقبيلته واجاب القرآن (**قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد**) . وساق القرآن العديد من الادلة على قدرة الله وتفرده بالخلق والانعام فيقول سبحانه (**أم من جعل الارض قرارا وجعل خلالها انهاراوجعل لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزا أاله مع الله بل اكثرهم لايعلمون ، ام من يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض أاله مع الله قليلا ماتذكرون**) النمل ٦١ و ٦٢

وتوالت آيات القرآن تصف جمال الكون وترابطه ودقة نظامه ، وتبين أن وراء هذه الصنعة المحكمة قدرة سامية وقوة عالية (**افحسبتم انما خلقناكم عبثـا وانكم الينا لاترجعـون فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم**) المؤمنون ١١٦

ولكن اهل مكة صموا آذانهم عن سماع الحق وغرهم اموالهم واولادهم ومنعهم الجاه والسلطان والمنصب والعلو فى الارض عن الاستجابة لداعى الايمان ثم زادوا فى غلوهم فعذبوا المؤمنين وفتنوهم واخرجوهم من ديارهم وهاجر المسلمون الى الحبشة والى المدينة .

ثم اذن الله للمؤمنين بالقتال لانصاف المظلومين ، واغاثة المستضعفين وردع الباغين وتحطيم الطاغوت والجبروت حتى يترك الناس احرارا فى تقبل العقيـدة واختيار مايشـاءون دون اجبار ولا ارهـاب . قال تعالى (**ومالكم لاتقاتلون فى سبيل الله والمسـتضعفين من الرجال والنسـاء والولدان الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلهاواجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا**) النساء ٧٥

لقد نزل الاسلام رحمة للناس ودعوة عالمية تخاطب القلب والوجدان . ولا يقبل اعتناق الاسلام الا اذا خالط الايمان اليقين واستقر فى القلب والنفس (**قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسـلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم**) الحجرات ١٤ .

وقد قامت الدعوة الاسلامية على الاقناع واقامة الحجة والبرهان . قال تعالى (**ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسـنة وجادلهم بالتى هى احسن**) النحل ١٢٥

وقال سبحانه (**لااكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى**) البقرة ٢٥٦

وان حرص الاسلام على السلام ظاهرة واضحة فى قبول الاسلام ممن اظهره باللسان وعدم البحث عن خبيئة نفسه وقلبه .. فى احدى المعارك أعلن احد المشركين الاسلام ليحافظ على نفسه وماله عندما رأى الموت رأى العين ، فقتله مسلم . وبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم ، فعنف هذا المسلم وقال له : اقتلته بعد أن قال لا اله الا الله . فقال المسلم : انما قالها خوفا من القتل. فقال له النبى : هلا شققت عن قلبه ، أى هل كشفت عن قلبه . فقال المسلم كيف أكشف عن قلبه ، وانما قلبه بضعة منه . فقال النبى فلا انت كشفت عن قلبه ، ولا أنت تركته بعد أن قال لا اله الا الله . فكيف أنت بلا اله الا الله اذا جاءت يوم القيامة .

وانزل الله عز وجل الوحى : (**ياايها الذين آمنوا اذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا ولاتقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا ان الله كان بما تعملون خبيرا**) النساء ٤٤ .

لقد حرص الاسلام على سلام الفرد ، بالعقيدة والايمان بالله ، والرضا بالقضاء والقدر خيره وشره حلوه ومره .

وحرص الاسلام على سلام الاسرة فشرع الزواج وامــر بحسن العشرة والمعاملةوحذر من هدم صرح الاسرةاتباعا لنزوة عارضة قال تعالى **(وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا)** النسـاء ١٩ .

وحرص الاسلام على سلام الدولة فأمر بطاعة الله وأولى الامر من العلماء والامراء والحكام واهل الحل والعقد ونهى عن الخروج على الجماعة وحث على وحدة الصف وأمر بالتعاون والتناصح والتكافل قال تعالى **(ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون)** الانبياء ٩٢ .

كما حرص الاسلام على سلام العالم فأمرنا بحسن الجوار مع النــاس جميعا ونهانا عن البغي والعدوان كما أمــر الاســلام بوفاء العهــد والالتزام بالعقود والوفاء بها وحذر من الغدر والبغى . قال تعالى **لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين)** الممتحنة ٨ .

وبذلك جمع الاسلام خصائص الرسالة العالمية والدعـوة العــامة الى الناس جميعا لانها دعــوة الله الى خلقه فليس فيها محــاباة لطائــفة أو جنس وليس فيها دعوة الى عنصرية أو عصبية أو طائفيــة ، بل هى دعــوة الله الى الناس جميعا ، فالخلق كلهم عيال الله يتفاضلون عنده بالتقوى ويدركون ثوابه بالعمل الصالح .

قال تعالى **(ياأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير)** الحجرات ٣ .

وقال صلى الله عليه وسلم : « أيها الناس ان ربكم واحد وان أباكم واحد لا فضل لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى ، ولا لابيض على أحمــر ولا لاحمر على أبيض الا بالتقوى كلكم لآم وآدم من تراب » .

أحاديث الإذاعة

هذه احاديث قصيرة قدمت من الاذاعة والتليفزيون ، في بغداد ، والقاهرة ، والرياض ، والخرطوم .

وكان الوقت محددا للحديث دقائق واحيانا بخمس دقائق .

وكان ذلك يفرض على المتحدث التركيز والايجاز حتى يغطى جوانب الموضوع فى وقت يسير .

ولئن فاتنا الاستقصاء والتوسع فقد عوضنا ذلك بالجدة وحسن العرض ، وتنوع الموضوعات المناسبة .

وقد قسمت هذه الأحاديث الى ١٢ موضوعا هى :

١ ـ العبادات
٢ ـ الآداب الاجتماعية
٣ ـ المرأة
٤ ـ الجهاد
٥ ـ الاخلاق
٦ ـ الذكريات الاسلامية
٧ ـ هذا هو الاسلام
٨ ـ من هدى القرآن
٩ ـ الحلال والحرام
١٠ ـ سؤال وجواب
١١ ـ قصص القرآن الكريم
١٢ ـ تربية الهبة كريمة

ولم يكن هذا التقسيم حادا فاصلا ، وانما كان من باب التقريب والترتيب والا فالموضوعات كلها تتحدث عن الاسلام وآدابه فى التشريع والاجتماع وشئون الحياة .

أما الموضوعات التى كتبتها لغير الاذاعة ، فكانت أشمل واحرص على الاحاطة بجوانب الموضوع ، كما تجد ذلك واضحا فى موضوعات : الحج ، والجهاد فى الاسلام ....

وآمل ان يجد فيها الداعية الى الله زاده مفيدا او رفيقا مؤنسا ..

(١)

العبادات

الصلاة - الصيام - الزكاة - الحج

الصلاة

للصلاة فى الاسلام منزلة كبرى فهى عماد الدين وركنه الاساسى ، وهى أول ماأوجبه الله تعالى من العبادات ، تولى ايجابها بمخاطبة رسوله ليلة الاسراء والمعراج من غير واسطة .

وهى أول مايحاسب عليه العبد يوم القيامة ، وهى آخر وصية وصى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم امته عند مفارقته للدنيا حيث قال : «الصلاة الصلاة وماملكت أيمانكم» .

وقد بلغ من عناية الاسلام بالصلاة أن أمر بالمحافظة عليها فى الحضر والسفر والأمن والخوف فقال تعالى (**حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين * فان خفتم فرجالا او ركبانا فاذا أمنتم فاذكروا الله كما علمكم مالم تكونوا تعلمون**) سورة البقرة ٢٣٨ ، ٢٣٩ .

وقد عرض القرآن للصلاة فى مواقع كثيرة ومن جهات متعددة عرض لها فى مفتتح اطول سورة من كتابه وهى سورة البقرة وأوضح أنها من صفات المتقين الذين استحقوا أن يكونوا على هدى من ربهم وأن يكونوا مفلحين .

قال تعالى (**الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون . أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون**) .

كما عرض القرآن للصلاة فى كثير من سوره وأمر باقامتها والاستعانة بها والمحافظة عليها ووصفها بانها كتاب موقوت على المؤمنين وجعل اقامتها

اول عمل بعد الايمان بالله ، وبين اثرها فى تهذيب النفوس ووقايتها للانسان من الفحشاء والمنكر .

كما قرن الفلاح والنجاح باقامتها والمحافظة عليها فى أوقاتها والاطمئنان فى اركانها وحضـور القلب فيها . قال تعالى : **(قد افلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون)** .

وقد ذكر القرآن عقاب تارك الصلاة وشدد النكير على من يفرط فيها . قال تعالى : **(فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون)** . وقال سبحانه **(ماسلككم فى سقر قالوا لم نك من المصلين)** .

ولأن الصلاة من الامور الكبرى التى تحتاج الى هداية خاصة ، سأل ابراهيم عليه السلام ربه أن يجعله مقيما لها هو وذريته فقال **(رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى ربنا وتقبل دعاء)** .

لقد جعل الله الصلاة صـلة العبد وربه ، روسـيلة للمناجاة والمناداة ومصباحا هاديا للمؤمن الى طريق الخير وهى الزاد الحقيقى للروح ، كما انها شفاء للصدور وهداية للنفوس ووسيلة للهدى والاستقامة ، كلما غلبت الانسان شئون الحياة أو نازعته نفسه الى الشر والانحراف ، فاذا تذكر المؤمن انه سيقف بين يدى الله عز وجل متطهرا مكبرا راكعا ساجدا كان ذلك من أسباب تمسكه بالفضيلة وبعده عن الرذيلة **(ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر)** .

والصلاة وسيلة الى تحقيق رضوان الله وثوابه وتوفيقه وهدايته وهى شفاء لكثير من الامراض العضوية والنفسية فقد ذكر عدد من الاطباء ، أن بعض شفاء الامراض المستعصية قد تم علاجها بسـبب ارشاد المريض الى الصلاة سواء صلى هو لنفسه أم صلى عنه غيره . قال تعالى **(واقم الصلاة لذكرى)** ، أى حافظ على الصلاة لتذكرنى فان ذكر الله دواء وشفاء قال تعالى **(فاذكرونى اذكركم واشكرو لى ولا تكفرون)** البقرة / ١٥٢

والصلاة أولا واخيرا عبادة مفروضة جعلها الله سبيلا لوقوف المخلوق بين يدى الخالق ، ودعاء العبد الفانى للواحد الباقى وهى روح الاسلام وجوهره ولبه . وفى الحديث القدسى يقول الله عز وجل (انما أتقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتى وقطع نهاره فى ذكرى واطعم الفقير وآوى الجائع من أجلى) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أرأيتم لو أن نهرا بباب احدكم يغتسل منه فى كل يوم خمس مرات أكان يبقى على جسـمه شىء من الدرن قلنا : لا يارسول الله . فقـال (ص) : فذلك مثل الصـلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا والذنوب» .

الخشوع فى الصلاة

الخشوع فى الصلاة روحها وحقيقتها ، اذ أن الخشوع هو اخلاص القلب نفسه لله والتجاءه اليه ، هو مناجاته ومناداته ، هو الفكر والتدبر فى قـراءة الفاتحة ، والسورة التى تقرأ بعد الفاتحة ، وهـو الخضـوع فى السـجود والاطمئنان فى اداء الاركان وقد تحدث الامام أبو حامد الغزالى عن الخشـوع

فذكر فضله ورسم الطريق لجمع الذهن فى الصلاة ، ووجه النداء لكل مصل قائلا :

١ ـ اذا رايت ذهنك منصرفا عن الصلاة بسبب الضوضاء والحركة أو الصور والنقوش فالجأ الى مكان هادىء مظلم أثناء الصلاة .

٢ ـ اذا كان عدم الخشوع سببه انصراف الذهن وانشغاله بأمور الدنيا ، فحاول أن تجمع ذهنك . وأن تنبه نفسك قبل الصلاة الى انك ستقف بين يدى الله ، وانه مطلع عليك ، واستحضر عظمة الله فى قلبك ، وفضل الخشوع ولذة المناجاة لله .

٣ ـ اذا لم ينجح كل هذا فاعلم أن هناك داء أصيلا فى النفس لابد من قطعه وهذا الداء هو حب الدنيا والركون اليها . فبقدر ماتكون النفس مشغولة بالحظوظ العاجلة بقدر ماتنصرف عن المناجاة ، والدنيا والآخرة مثل كفتى الميزان اذا رجحت احداهما خفت الاخرى .

٤ ـ ليس سهلا اخراج حب الدنيا من القلب وليس أمرا ميسورا أن تجد نفسك خاشعا فى الصلاة فقد كان السلف الصالح يجاهدون أنفسهم حتى يصلوا ركعتين لاتحدثهم أنفسهم فيهما بأى شىء من أمور الدنيا فلايستطيعون .

٥ ـ اعلم ايضا ان الخشوع فى الصلاة ثمرة للاقبال على الله والعمل للآخرة وتفضيل الآخرة على الدنيا فمن كان قلبه متعلقا بالله مستحضرا قدرته وعظمته عارفا بالحساب والجزاء والجنة والنار متاكدا أن الآخرة خير وابقى من الدنيا ، انبعثت همته فى الصلاة وصار يخشع فيها شيئا فشيئا حتى تصبح صلاته أقرب الى الكمال .

٦ ـ ان لم تكن خاشعا فى الصلاة فلاتيأس ، وخذ فى الاسباب وادع الله أن يلهمك الخشوع والخضوع لأوامره ، وحضور القلب فى الصلاة فانه يقول **(واذا سألك عبادى عنى فانى قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون)** . البقرة : ١٨٦ .

آداب الصلاة

يقول الله تعالى فى كتابه الكريم : **(قد افلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون)** .

ايهـا المؤمن

الايمان : تصديق بالجنان ونطق باللسان وانقياد بالجوارح نحو طاعة الرحمن ، وليس الايمان كلاما لفظيا ، ولكنه سلوك فعلى ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليس الايمان بالتمنى ولكن ماوقر فى القلب وصدقه العمل ، الا وان أقواما غرتهم الامانى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا نحسن الظن بالله وكذبوا على الله لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل » .

واول فرائض الاسلام هى الصلاة ، فهى عمادالدين وركن الاسلام ومفتاح الفلاح ودليل الى مرضاة الله ، وهى نور على الصراط وانيس فى القبر وثقل فى ميزان الحسنات قال تعالى (**قد افلح من تزكى • وذكر اسم ربه فصلى • بل تؤثرون الحياة الدنيا •والآخرة خير وابقى**) •

والصلاة وسيلة لطهارة النفوس ونظافة القلوب ومراقبة الخالق وذكر الله تعالى وتدبر آلائه ونعمائه . قال تعالى : **(واقم الصلاة لذكرى)** يفتتح المؤمن صلاته بتكبير الله فهو اكبر من كل شىء ، من سلطان الهوى ومن اغراء الشيطان ، قال تعالى : **(ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون)** •

يبدأ المؤمن صلاته بقراءة سورة الفاتحة فيستشعر بركة الله حين يقول: بسم الله الرحمن الرحيم ، ويتذكر فضله ونعمه حين يقول : الحمد لله رب العالمين، ويتذكر رحمته الواسعة وستره وحلمه حين يقول : الرحمن الرحيم ثم يستشعر عظمة الله وجبروته حين يقول مالك يوم الدين . ثم يخاطب ربه بقلبه ولسانه قائلا : اياك نعبد واياك نستعين ، ثم يطلب من الله الهدى والسداد ، وان يجنبه الزلل والخطل فيقول : اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين . ثم يدعو ربه أن يستجيب دعاءه فيقول : آمين .

أيها المؤمن

هذه هى الفاتحة ام القرآن يقرؤها المؤمن فى صلاته سبع عشرة مرة فى صلاة الفرض فضلا عن صلاة النفل ، وليس تكرار الصلاة الا وسيلة عملية لحماية الانسان من وطأة الحياة وتسلط الشيطان والهوى ، فالمؤمن يبدأ نهاره بصلاة الصبح ، وفيها يتذكر القلب عظمة الله الذى جعل الليل سكنا واعقبه بالنهار نورا وسعيا ، ثم يبدأ المؤمن عمله ، وبين كل فترة واخرى يأتى ميقات الصلاة فيتطهر المؤمن ويغسل اطرافه فيعيد الى نفسه طهارتها ونظافتها ، ثم يكرر وقوفه بين يدى ربه فى مناجاة مخلصة ومناداة قانتة فى قراءة القرآن ، وركوع وسجود وتشهد يغمر القلب بالايمان ، ثم يختم الصلاة بالسلام عن اليمين واليسار ، فيخرج من صلاته وهو سلام وأمان للناس أجمعين .

ايها المؤمن ،

أن اداء الصلاة فى اوقاتها المحدودة يعلمنا النظام فى العمل واحترام المواعيد ، وانه لتذكرة للمتقين ، فى خمسة اوقات يتوبون فيها الى الله مما أسلفوا ويجددون صلتهم به اذا الهتهم الحياة الدنيا عنه ، فالزم نفسك بالصلاة والمحافظة عليها فى أوقاتها وأمر بها زوجك وولدك . قال تعالى : **(وامر اهلك بالصلاة واصطبر عليها لانسالك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى)** والتقوى هى الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل والاستعداد ليوم الرحيل.

وتذكر أن الحياة الى فناء وبعدها حساب وخلود وجزاء . وانك لو رأيت أهل سخط الله تعالى وماصاروا اليه من الوان العذاب وشدة نقمته عليهم ، وسمعت زفيرهم فى النار وشهيقهم ،

ولو رايت اهل طاعة الله تعالى وماصاروا اليه من خير ونعيم وجنة عالية قطوفها دانية .

لو رايت ذلك فحافظت على الصلاة فى أوقاتها مهما كلفك ذلك من جهد وتعب ورأيت فيها طريقا الى الجنة ونورا على الصراط ووسيلة لمناجاة الله فى الدنيا والسعادة بقربه يوم القيامة .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «خمس صلوات كتبهن الله على العباد من أتى بهن لم يضيع منهن شيئا استخفافا بحقهن ، كان له عند الله عهد ان يدخله الجنة ، ومن لم يات بهن فليس له عند الله عهد ان شاء عذبه وأن شاء غفر له » .

ايهـا المؤمن :

ان الاسـلام كل لايتجزأ ، وقـد بنى الاسلام على خمسة أركان هى : شهادة ان لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله . واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلا .

وهذه الاركان تربية عملية للمؤمنين ، فهم حين يقيمون الصلاة يتجهون الى الله بالعبادة ويرتفعون بهذا عن عبادة العباد وعبادة الاشياء ، يتجهون الى القوة المطلقة بغير حدود ويحنون جباههم لله لا للعبيد والقلب الذى يسجد لله حقا ، ويتصل به على مدار الليل والنهار ، يستشعر انه موصـول السـبب بواجب الوجود ، ويجد لحياته غاية أعلى من أن تسـتغرق فى الارض وحاجات الارض ، ويحس انه أقوى من الخلائق لانه متصل بخالق الخلائق ، وهذا كله مصدر قوة للضمير كما أنه مصدر للطهارة والتقوى وعامل هام من عوامل تربية الشخصية ، وجعلها ربانية التصور ربانية الشعور ، ربانية السلوك .

أخرج البخارى فى صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يقول الله تعالى فى الحديث القدسى : (**ياعبادى انى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محـرما فـلا تظالموا ، ياعبـادى كلكم جـائع الا من اطعمته فاستطعمونى اطعمكم ، ياعبادى كلكم عار الا من كسوته فاستكسونى اكسكم، ياعبادى انكم تضلون بالليل والنهار وانا اغفـر الذنوب جميعا فاسـتغفرونى اغفر لكم**) » .

الزكاة

حديثنا اليوم عن الزكاة . والزكاه عباده قديمة عرفت فى الاديان السابقة على شكل من الاشكال . قال تعالى فى شأن ابراهيم واسماعيل واسحق : **« وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا واوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة وايتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين »** ٧٣ الأنبياء

ويقول سبحانه فى شأن اهل الكتاب عامة : **(وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة)** .

ومن حديث القرآن عن المال نستخلص المبادىء الآتية : —

١ — اعلن القرآن أن المال فى يد الاغنياء ليس الا وديعة من الله استخلفهم فى حفظه وادارته وتوزيعه بما رسم لهم من طرق صالحة مفيدة قال تعالى **(وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه)** .

فليست الزكاة تبرعا أو تفضلا من الاغنياء على الفقراء ، ان شاءوا تطوعوا بها وان شاءوا حبسوها ومنعوها وانما هى حق معلوم ، للسائل والمحروم ، وهى فريضة محكمة الى يوم القيامة ، فرضها الله ليحفظ التوازن بين الاغنياء والفقراء ، **(كى لايكون دولة بين الاغنياء منكم)** ٧ الحشر .

فالمال مال الله والاغنياء خلفاء الله عليه والفقراء عيال الله وان أحب خلفاء الله اليه أبرهم بعياله ، وان البر ذمة وفريضة لازالة الفوارق الطبيعية الشاسعة لما وراءها من ضغائن واحقاد ، تؤدى الى هز كيان المجتمع ففى الزكاة ازالة للضغينة ، وابادة للجريمة .

٢ — حارب القرآن الشح والبخل ودعا الى التكافل والتعاون والايثار قال تعالى **(وتعاونوا على البر والتقوى ولاتعاونوا على الاثم والعدوان)** وقال عز شأنه **(ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون)** وفى الحديث (اياكم والشح فانه أهلك من كان قبلكم ، أمرهم بالقطيعة فقطعوا ، وأمرهم بالبخل فبخلوا وأمرهم بالفجور ففجروا) (اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة . واتقوا الشح فان الشح اهلك من كان قبلكم حملهم على ان يسفكوا دماءهم ويستحلوا محارمهم) (ان الشح من الكفر والكفر من النار) لان الشح مبعث الحقد والضغن والفساد ولانه يمنع التعاون والتراحم بين العباد .

٣ ـ توعد القرآن مانع الزكاة بعذاب القبر وصفائح جهنم وسوء الحساب قال تعالى (**والذين يكنزون الذهب والفضة ولاينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم ، يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ماكنزتم لانفسكم فذوقوا ماكنتم تكنزون**) ٣٤ ، ٣٥ التوبة .

وفى الحديث الشريف « مامن صاحب ابل ولا بقر ولا غنم لايؤدى زكاتها الا جاءت يوم القيامة أعظم ماكانت وأسمنه تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافهـا كلما قضيت من آخرها عادت عليه من أولها حتى يقضى بين الخلائق »

ولنستمع الى حديث القرآن فى شأن أرباب الاموال الذين لايقومون بحق الفقير والمسكين « **كلا بل لا تكرمون اليتيم . ولا تحاضون على طعام المسكين . وتأكلون التراث أكلا لما . وتحبون المال حبا جما . كلا اذا دكت الأرض دكا دكا . وجاء ربك والملك صفا صفا . وجيء يومئـذ بجهنم يومئذ يتذكر الانسان وانى له الذكرى ، يقول ياليتنى قدمت لحياتى ، فيومئذ لا يعذب عذابه احد . ولا يوثق وثاقه أحد** » الفجر من ١٧ ـ ٢٦ .

ويقول سبحانه : « **ماسلككم فى سقر ؟ قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين** .

٤ ـ حدد القرآن الاصناف الثمانية ، الذين تدفع اليهم الزكاة فقال سبحانه :

« **انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله ، والله عليم حكيم** » ـ ٦٠ ـ التوبة

ولاتستحق هذه الاصناف حقها فى الزكاة ، الا بعد أن تستنفد الوسائل الخاصة فى الارتزاق فالاسلام حريص على الكرامة الانسانية ومع انه جعل الزكاة حقا واجبا لا منحة وتفضلا فانه لم يغفل أن اليد العليا خير من اليد السفلى وأن المعطى أيا كان متفضل والآخذ متفضل عليه ، ولذا مدح القرآن الاستعفاف والاستغناء وحثنا على تفقد فئات من الناس اخلى عليهم الدهر ومع ذلك يتجملون بالتصبر والتعفف

قال تعالى :

« **للفقراء الذين احصروا فى سبيل الله لا يستطيعون ضربا فى الأرض يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافا ، وماتنفقوا من خير فان الله به عليم** » ٢٧٣ البقرة .

٥ ـ حث القرآن على الصدقة بجميع أنواعها وبين انها خير للمجتمع ومتممة لاهداف الزكاة ، فى الرحمة بالفقراء والضعفاء ، وحماية اليتامى والمساكين ، قال تعالى :

« **واعبدوا الله ولاتشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين** » ٦ النساء .

وقال عز شانه :

« وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب» «ان تبدو الصدقات فنعما هى وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم » البقرة ٢٧١ .

بل يعتبر القرآن ان اطعام الفقير والمسكين عقبة وقمة اذا اقتحمها الانسان وصل الى السعادة الحقة التى لايشوبها تنغيص ولا الم . قال تعالى :

(فلا اقتحم العقبة ، وما ادراك ما العقبة ، فك رقبة ، او اطعام فى يوم ذى مسغبة ، يتيما ذا مقربة ، او مسكينا ذا متربة ، ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة ، اولئك اصحاب الميمنة) البلد ١١ ــ ١٨ .

وحسب الفقير أن الله لم يذكر فى كتابه شأنا من الشئون باسم العقبة الا فى هذا الموضوع موضع تنظيم علاقته بالغنى ، موضع رحمة الانسان بأخيه الانسان . فاقرءوا القرآن وتفهموا أحكامه فلا نكاد تخلو سورة من سوره من وصية بالخير والبر والمعروف .

وبذلك يعظم الترابط والتساند ، والتآخى والتعاون ، ويصبح المجتمع الاسلامى يدا واحدة كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا .

شهر رمضان

مرحبا شهر رمضان ، مرحبا شهر الصيام
مرحبا شهر القرآن ، مرحبا شهر الصدقة وصلة الارحام

(شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه) البقرة ١٨٥ .

شهر فرض الله صيامه ، والصوم فى حقيقته الامساك عن الأكل والشرب وشهوة البطن والفرج من طلوع الفجر الصادق الى غروب الشمس .

الصوم امساك عن المفطرات وعزوف عن رغبات النفس وتجرد عن طلبات الجسم الى مرضاة الرب .

والصائم يترك طعامه وشرابه من أجل مرضاة الله وتقواه قال تعالى **(ياايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون)** البقرة ١٨٣ .

الصوم وقاية من المعاصي وبعد عن الشر والعدوان وامتثال لأمر الله وتشبه بالملائكة الأبرار قال صلى الله عليه وسلم (الصيام جنة فاذا كان صوم أحدكم فلا يرفث ولا يجهل وان امرؤ خاصمه أو شاتمه فليقل انى صائم انى صائم والذى نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله تعالى من ريح المسك يقول الله تعالى أيها العبد الصائم التارك طعامه وشرابه من أجلى أنت عندى كبعض ملائكتى) .

ومن أهم آثار الصيام ثلاثة اشياء :

١ ـ التحرر من سلطان العادة ، فان للعادات سلطانا على النفوس فاذا تحرر الانسان من سلطان الأكل والشرب والدخان وكل مطالب الجسم لفترة من الوقت خرج من الصيام وقد قويت ارادته وتزود بالصبر ومضاء العزيمة وصارت لمطالب الروح والقلب المنزلة الأولى عنده وقدم المسلم طاعة الله على حظوظ النفس .

٢ ـ تعود الصبر وغض البصر وحفظ اللسان وامساك اليد والرجل والقلب عن الحرام . قال تعالى **(ولاتقف ماليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولا)** والصوم نصف الصبر والصبر

نصف الايمان ، فالصوم ربع الايمان ، والصـــوم قائم على الصـــبر والاحتمال قال تعالى (**انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب**) .

٣ ــ ومن آثار الصيام تعود مراقبة الله وامتثال أمره واجتناب نواهيه وفى الحديث القدسى (كل عمل ابن آدم له الا الصــوم فانه لى وانا أجزى بـــه) .

الصوم طريق الى مرضاه الله وطريق الى الجنة ونعيمها وفى الحديث اذا جاء رمضان فتحت ابواب الجنة وأغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين ونادى مناد من قبل الله تعالى ياطالب الخير أقبل ويا باغى الشر أدبر) .

حكمة الصـــوم

بنى الاسلام على خمسه اركان ، هى شهاده أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلا .

وهده الاركان الخمسة تتعاون كلها فى بناء شخصية المسلم ، وارساء دعائم التعاون والتوادد والتراحم بين المسلمين .

فالشهادتان اعتراف بالتوحيد ، والصلاة صلة بين المخلوق والخالق ، والزكاة دعامة التعاون والتكافل بين الغنى والفقير .

والصوم صفاء للنفس ، ورقة للقلب ، وطهارة للروح ، والحج توحيد بين المسلمين فى الهدف والطواف وتعظيم المناسك .

كأنى بالمسلمين جميعا فى شهر رمضان وقد اتحـدت أهدافهم وصــفت قلوبهم وغيروا مواعيد طعامهم ونومهم .

كأنى بهم وقد صلوا صــلاة التراويح ، وعمرت بهم المســاجد واقبلوا على قراءة القرآن ، ودعاء الرحمن وطاعة الله الواحد الأحد .

كأنى بالمسلمين وقد أذن مؤذن الفجر فى رمضان فتركوا الطعام والماء والدخان والمخالطة الخاصة بين الرجل والمرأة ، واستقبلوا يومهم بصلاة الفجر ودعاء الله فيقول المؤمن نويت صيام غد من شهر رمضان ايمانا واحتســابا لوجه الله تعالى .

كأنى بالصائم وهو يجوع ويعطش ، ولكنه يراقب مولاه ويمســك عن المفطرات من طلوع الفجر الصادق الى غروب الشمس ايمانا واحتسابا .

كأنى بالصائم وقد صامت معدته عن الطعام ، وصامت جــوارحه عن الحرام فأمسك عينه عن النظر الى ما حرم الله ، وامسك لســانه عن الغيبة

والنميمة ، وأمسك اذنه عن سماع الاثم والبهتان ، وامسك يده عن ايذاء الناس ، وامسك رجله عن المشي الى الموبقات ، وامسك فؤاده عن التفكير فى الاذى والمنكر .

فالصوم وقاية من المعاصى ، وحماية للنفس ، وتدريب على الطاعة وصفاء للقلب، وصلة بين الانسان وربه ، ورياضة روحية تصفو فيها النفس، وتصل الروح نفسها بالملأ الأعلى ، ويصبح الانسان أشبه بالملائكة المقربين ، الذين لايعصون الله ماأمرهم ويفعلون مايؤمرون .

مراتب الصيام

ايها المؤمنون :

ان معالم الدين واضحة ، واهدافه ومقاصده معلومة ، فقد بين الله الحلال من الحرام ، وميز الخبيث من الطيب ،

اخرج البخارى فى صحيحه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (الحلال بين والحرام بين ، وبينهما أمور مشتبهات ، لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه ، الا وان لكل ملك حمى الا وان حمى الله محارمه الا وان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهى القلب)

ايها المؤمنون

انما فرض الله الصيام ليكون درسا عمليا فى ابعاد الصائم عن الشبهات فقد أعلمه ان كمال الصوم انما يكون بحفظ الجوارح والاعضاء ، وصيامها عن المحرمات وبعدها عما يغضب الله وبهذا كان الصوم مدرسة يتعلم فيها الصائم صفاء النفس وطهارة القلب وصدق العزيمة ، ودوام المراقبة والمحاسبة ، وبذلك يكون الصوم مقبولا كاملا وهو صوم الايمان بالله ، واحتساب الثواب عند الله وذلك ما عناه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله «من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ماتقدم من ذنبه»

ايها المؤمنون :

للصيام فى الاسلام مراتب ثلاث

المرتبة الثانية : وهى المرتبة الأولى مضموما اليها صوم الجوارح عن الصوم الظاهر الذى يكتفى أكثر الناس به ويظنون انهم ادوا به الواجب من العهد .

المترتبة الثانية : وهى المرتبة الاولى مضموما اليها صوم الجوارح عن ارتكاب الاثام ، فصوم اليد امساكها عن الايذاء وتناول المحرمات وصوم الرجل امساكه عن السعى الى الفساد والمشى الى ما يغضب الله ، وصوم اللسان امساكه عن قول المنكر وعن اللغو والكذب والهذيان والغيبة والنميمة ،

والفحش والمراء وزور الكلام وصوم الاذن : امساكها عن الاصغاء الى الافك واستماع الاكاذيب ، والانصات الى المشائين بالنميمة ، وصوم العين امساكها عن النظر الى الحرمات والتطلع الى الأسرار ، وفى ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (انما الصوم جنة فاذا كان احدكم صائما فلا يرفث ولا يجهل ، وان امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل : انى صائم انى صائم .

اما المرتبة الثالثة : فهى مع كل ماتقدم صوم القلب وتطهيرها عن كل مالا يناسب الايمان ولا يلائم الاخلاص فالتفكير فى الخطايا وتدبير الفتن افطار وصرف الهمة فى دنيات الأمور افطار ، والحسد والحقد افطار ، وترك المعروف افطار والسكوت عن المنكر يرتكب افطار والتهاون فى اقامة الحدود ورد المظالم افطار والتلاعب بالمصالح العامه افطار وهكذا ....

ومعنى الافطار هنا أن الصائم لم يرتفع بصومه الى منزلة خواص المقربين ، وانما هبط الى منزله عوام الصائمين وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال :

«كم من صائم ليس له من صومه الا الجوع والعطش وكم من قائم ليس له من قيامه الا السهر والتعب »

أيها المؤمنون :

تلك مراتب الصيام الثلاث وهى ما عبر عنها أبو حامد الغزالى بقوله الصوم على ثلاث درجات صيام العوام ، وصيام الخواص ، وصيام خواص الخواص .

فان لم تكن من طبقة خواص الخواص فلا اقل من أن تكون من طبقة الخواص وهم الذين يصرمون عن الطعام والشراب ويحفظون جوارحهم عن المحرمات والشبهات ، ويملأون قلوبهم بذكر الله ومراقبة عظمته وخشية حسابه قال تعالى :

« انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون . الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم » الأنفال آيات ٢ ، ٣ ، ٤ .

اللهم تقبل صيامنا واجعله قربى فى ميزاننا ، واجعل رمضان شاهدا لنا لا علينا وتقبل اللهم صلاتنا وقيامنا ونسكنا وارزقنا القبول والتقى ، والعفاف والغنى ، واهدنا سواء السبيل .

اللهم وفقنا ووفق ذريننا لاقام الصلاة وايتاء الزكاة وصيام رمضان وحج بيتك الحرام ، اللهم ارفع راية الاسلام وأعلى كلمته ، وانصر أمته ، اللهم أيد جيوشنا المرابطة فى سبيلك واملأ صدورها بفيض الايمان بك وجميل التوكل عليك واجعل معها بأسك الغالب ، وتوفيقك العظيم ، اللهم انصرها على أعدائها ، ومكنها من استرداد الارض السليبة ، ورد الينا المسجد الاقصى وحقوق العرب والمسلمين يارب العالمين .

شهر رمضان .. صيام ودعاء

ورد فى هدى النبوة انه : « اذا جاء شهر رمضان فتحت ابواب الجنان وغلقت أبواب النيران ونادى مناد من قبل الله تعالى ياطالب الخير أقبل ويا باغى الشر أدبر » .

وقد اختص الله شهر رمضان بعدد من الفضائل والمزايا يمكن أن نذكر عشرا منها :

١ ــ فهو شهر انزل الله فيه القرآن ، هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان .

٢ ــ وهو شهر الصوم . وفى الصيام صفاء النفس ، وخشوع القلب ، ومراقبة الله سبحانه وتعالى .

٣ ــ وهو شهر الصبر والاحتمال وتربية الارادة وخلق عادات اسلامية سليمة .

٤ ــ وهو شهر الصدقه وصلة الرحم ، ففيه صدقة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين . وفى الحديث : كان صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة ، وكان أجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل ، فلرسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة .

٥ ــ وفى السابع عشر من رمضان فى العام الثانى للهجرة كانت غزوة بدر الكبرى وهى أول معركة هامة فى تاريخ الدعوة الاسلامية . وكان انتصار المسلمين فيها نقطة تحول أساسية بدأت قوة المسلمين بعدها فى النمو والازدياد .

٦ ــ وفى ٢٠ من رمضان سنة ٨ هـ تم فتح مكة وخضعت أم القرى ، ودخل الناس فى دين الله أفواجا ، ويعتبر فتح مكة من أهم الامور التى أعتز بها الاسلام ، وتمكن بسببها من الصمود والانتشار .

٧ ــ وفى رمضان ليلة القدر ، وهى ليلة مباركة يضاعف الله فيها الثواب ، ويجعل ثواب العبادة فيها خيرا من ثواب العبادة فى الف شهر ، فهى منحة الهية ومكافأة ربانية وعطاء سماوى يكافأ به الصائمون المخلصون. وقد أخفى الله ليلة القدر فى العشر الأواخر من رمضان حتى يجتهد المسلمون فى أواخره فيحصلوا على قدر كبير من الثواب والأجر .

٨ ــ وفى شهر رمضان صلاة التراويح وهى عبارة عن صلاة ٢٠ ركعة بعد صلاة العشاء ويجوز أن تصلى ٨ ركعات مع اطالة القراءة .

٩ ــ وفى ختام رمضان يأتى عيد الفطر مكافأة للصائم الذى أرضى ربه وصام نهار رمضان وقام ليله فيكون الفرح والسرور فى عيد الفطر جزاء عاجلا ، وله فى الآخرة ثواب آجل .

١٠ ــ وفى أعقاب رمضان يأتى صيام الأيام البيض وهى ستة أيام من شوال ، بمثابة مسك الختام لصيام رمضان .

وفى الحديث : « من صام رمضان واتبعه ستا من شوال فكأنما صام السنة كلها » .

أيها المؤمن :

لقد ذكر القرآن شهر رمضان وحث على صيامه ، وأباح للمريض والمسافر أن يفطرا ، ثم يقضيا عدة الصيام من أيام اخر . قال تعالى : **(شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر ، يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ماهداكم ولعلكم تشكرون)** .

ومن هذه الآية يتبين أن صيام رمضان واجب وفرض على كل قادر على الصيام مهما كان موطنه أو اقامته . مادام غير مسافر ولا مريض ، ويتبين من الآية أن دين الله يسر لا عسر فيه ولا حرج . وأن تعاليم الاسلام تتفق مع الفطرة الانسانية .

ويجب أن يكمل الصائم صيام رمضان ، ثم يكبر الله تعالى ليلة عيد الفطر اظهارا للفرح والسرور بنعمة الله تعالى على الصائمين ، حيث وفقهم لصيام رمضان ، ثم جعل عيد الفطر منحة وفرحا وسرورا للمؤمنين .

وفى عيد الفطر يتبادل المسلمون التهانى والزيارات دعما لرابطة الاخوة، وتقوية لأواصر المودة بين المسلمين حتى يعودوا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا .

الحج

شعار الوحدة والعزة

قال تعالى : **«ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غنى عن العالمين»** .

الحج ركن من أركان الاسلام وفريضة من فرائض الدين فرضه الله على كل مسلم قادر على الحج اذا وجد السبيل اليه .

والحج مؤتمر اسلامى عام يجتمع فيه المسلمون من شتى بقاع الارض، فيتدارسون شئونهم ، ويناقشون أمورهم ويعملون على رفعة شأنهم وتحسين أوضاعهم ، والحج عبادة ونسك وتجرد من موائق الدنيا .

ومناسك الحج فى حقيقتها تثبت دعائم الدين وتقوى عقيدة الاسـلام فى نفس المسلم .

يبدأ الحاج عمله باخلاص النية ويتجهز لهـذه الرحلة بطهارة القلب والتجرد من الرياء ثم يقول اللهم انى أريد الحج والعمره فيسرهما لى وتقبلهما منى ، ويلبس ثياب الاحرام ويكثر من التلبية ومن ذكر الله سبحانه وتعالى .

مناسك الحج

الطواف :

اذا رأى المؤمن البيت الحرام هلل وكبر وقال : اللهم زد بيتك هذا تشريفا وتعظيما وتكريما ، ثم يبدأ الطواف حول البيت سبع مرات .

قال تعالى : **«وليطوفوا بالبيت العتيق»** .

ويبدأ الطواف من عند الحجر الاسود ، ويقبله ان استطاع أو يشير اليه بيده ان لم يستطع ، ثم يقف عنـد الملتزم وهو مكان التزم الله فيـه اجابة الدعاء بجوار باب الكعبة فيتشبث بأسـتار الكعبة ويلصـق وجهه بالكعبـة ويلحف فى الدعاء قائلا : اللهم ان لكل ضيف قرى ولكل قادر تحية فاجعل قرانا منك مغفرة ذنوبنا وستر عيوبنا ، ويكمل الطواف حول البيت سبع مرات ويكثر من الدعاء لله فى كل مرة فانه من أرجى أماكن القبول .

وبعد الطواف يصلى ركعتين فى مقام ابراهيم عليه السلام ، قال تعالى : **« واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى »** .

ويشرب من ماء زمزم ، فماء زمزم لما شرب له .. ان شربته تستشفى شفاك الله ، وان شربته للغنى أغناك الله . ثم يسعى بين الصفا والمروة سبعه أشواط يبدأ بالصفا ويختم بالمروة وعليه أن يقف على جبل الصفا ويستقبل البيت وينظر اليه ويقول : الله أكبر الله أكبر لا اله الا الله وحده لاشريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ..

ثم يذهب الى المروة ويعود الى الصفا الى أن يتم سبع مرات ، قال تعالى : ((ان الصفا والمروة من شعائر الله)) ، ثم يقص شيئا من شعره وبذلك تتم العمرة . ويتحلل من الاحرام ويلبس ملابسه العادية ويظل بمكة الى يوم التروية وهو يوم الثامن من ذى الحجة . فيحرم بالحج ويعمل أعمال الحج وهى الذهاب الى منى والمبيت بها ، والوقوف بعرفات فى اليوم التاسع من ذى الحجة . ويكثر من الدعاء فى ذلك اليوم ويصعد على جبل الرحمة قبيل الغروب ويدعو الله متبتلا راجيا فان الله تعالى يباهى ملائكته بالحجيج فى يوم عرفات .

ثم يفيض بعد الغروب الى المزدلفة فيصلى بها المغرب والعشاء جمع تاخير ، وعندما يمر بالمشعر الحرام يكثر من ذكر الله تعالى ، قال تعالى : ((**فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم**)) .

وفى صبيحة اليوم العاشر من ذى الحجة وهو يوم العيد الاكبر يعمل **اربعة اعمال وهى :**

١ – رمى جمرة العقبة الاولى بسبع حصيات بعد شروق الشمس .

٢ – ذبح الهدى شكراً لله على اداء الحج والعمرة .

٣ – الحلق أو التقصير .

٤ – زيارة البيت والطواف حوله سبع مرات وهذا هو طواف الافاضة ويسمى طواف الركن .

وبذلك يتم النسك ويتحلل من الاحرام . ثم يقيم بمنى يومين أو ثلاثة أيام بعد عيد الاضحى ، يرمى خلالها الجمار رجما للشيطان ويكثر فيها من ذكر الله تعالى ودعائه . قال تعالى : **واذكروا الله فى ايام معدودات فمن تعجل فى يومين فلا اثم عليه ومن تاخر فلا اثم عليه لمن اتقى** » .

وبعد رمى الجمار بمنى ، يتأهب للسفر من مكة ويطوف بالبيت طواف الوداع ويبكى أو يتباكى ويسأل الله الا يجعل ذلك آخر عهده بالبيت .

قال صلى الله عليه وسلم : (الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة) .

وبعد الحج يذهب المؤمن لزيارة المسجد النبوى ثم يزور الروضة الشريفة مسلما على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خشوع ومودة ومحبة،

ويدعو الله عنده ثم يسلم على ابى بكر الصديق وعلى عمر الفاروق ويزور البقيع وبه مدافن الصحابة الاجلاء ويزور معالم المدينه مثل مسجد قباء . وجبل احد . ويصلى فى الحرم النبوى مااستطاع . روى البخارى فى صحيحه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لا تشد الرحال الا لثلاثة مساجد : مسجدى هذا ، والمسجد الحرام بمكه ، والمسجد الاقصى بالشام) .

الحج رمز الوحدة :

لقد اراد الله لهذه الامة ان تكون خير امه اخرجت للناس ، فأمرها بوحدة الصف ووحدة الهدف وتماسك المشاعر وترابطها وحثها على التعاون والتراحم والتعاطف ، وشرع لها من العبادات والمناسك مايجعل هذا الترابط حقيقة عملية وسلوكا فعليا ، فالصلاة التفاف حول قبلة واحدة ووراء امام واحد ومناجاة لرب واحد .

والزكاة تراحم وتعاطف وتكافل وتماسك وعطاء من الاغنياء ومودة ومحبة من الفقراء .

والصيام وحدة فى الشعور وامساك عن الطعام امتثالا لأمر الله .

والحج تلبية مقصودة وندوة مجتمعة من بقاع الارض المتعددة امتثالا لله الواحد الاحد الفرد الصمد ، وشهادة بانه الاله المستحق للعبادة وأنه صاحب الحمد والمنة وفى الحج تجاور وتحاور وتلاق بين المسلمين من كل مكان حول الكعبة وحول الصفا والمروة وحول البيت العتيق يدعون ربا واحدا ويلتفون حول قبلة واحدة ويتناقشون فيما يعود عليهم بالنفع ، وعلى أمتهم بالخير والنصر .

لقد كانت احداث العاشر من رمضان سنة ١٣٩٣ هـ الموافق السادس من اكتوبر ١٩٧٣ م نموذجا عمليا لوحدة الأمة فما أن اذن المؤذن حى على الجهاد حتى عبرت القناة وحطمت حصون الطغاة وتقدم الجنود وظهر الفداء ونزل نصر السماء .

وعرف الصديق فى وقت الضيق فكان العرب المؤمنون يدا واحدة وصفا واحدا وشعورا واحدا يحسون أن المعركة معركتهم وأن القتال قتالهم وأن العدو عدوهم .

وتجاوب العرب المؤمنون من المحيط الى الخليج وتسابقوا الى مساندة المجاهدين ودعم المقاتلين وظهرت وحدة العرب لأول مرة فى التاريخ الحديث قوة عملية وصورة ايجابية تنفع الاصدقاء وتضر الاعداء :

فان لم تستطع نفعا فضر فانما يرجى الفتى كيما يضر وينفعا

ان مصر كنانة الله فى أرضه وهى قلب العروبة النابض لقد حباها الله بالماضى العريق والتاريخ المجيد والقيادة المؤمنة الواعية وهى الآن تسير فى جهادها وتصنع امجادها وتعرف طريقها وتدعم صفوفها وتقوى جيشها ، وتؤازر اخوتها مع جاراتها ، فالوحدة قوة ورباط وعون فى النعماء والبأساء . وهى السبيل الوحيد الى العزة والنصر ، والطريق الامثل الى القوة

والسيادة ، والله يقول فى كتابه (**ان هـذه امتكم امة واحـده وانا ربكم فاعبدون**) الانبياء ٩٢ .

ايها الحجاج تحية خالصه . ودعاء ضارعا ان يكون الحج فى هذا العام رمزا عمليا للوحده والقوه وطريقا فعليا لأمجاد الاسلام ونصر المجاهدين ، وصدق الله العظيم . (**ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص**) .

ايها المؤمنون :

يد الله مع الجماعة وعناية الله مع المتقين ، ونصر الله للمجاهدين وبركة الله للغزاة والحجاج والمقاتلين :

(والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين) .

حجة الرسول صلى الله عليه وسلم

الحج ركن من اركان الاسلام وشعيرة من شعائره ، يجمع المسلمون من كل فج عميق من شتى بقاع الارض ، ويفدون الى بيت الله الحرم معظمين شعائره مكبرين مهللين طائفين بالبيت العتيق ، ساعين بين الصفا والمروة ، واقفين على عرفات فى يوم واحد وفى وقت واحد يصطف الجميع داعين مكبرين متبتلين ، ويباهى الله ملائكته بالحجيج يوم عرفات فيقول : ياملائكتى انظروا الى عبادى أتونى شعثا غبرا من كل فج عميق يسألون رحمتى ولم يرونى ويتعوذون من عذابى ولم يرونى ، أشهدكم ياملائكتى انى قد غفرت لهم .

حكمة الحج :

الحج مؤتمر اسلامى عام ، وسياحة دينية روحية بدأت من زمن بعيد لم تكن فيه الدنيا تقدر فضل السياحة .

وفى الحج يتعارف المسلمون ببعضهم ويقفون على مشاكل اخوانهم ، فهو وسيلة من وسائل الترابط والتعاون والتآلف ، ترى المسلمين قد قدموا من كل مكان : من تونس والجزائر ومراكش ، من ليبيا ومصر والسودان والحبشة وكل افريقيا ، من الشام والعراق والكويت ، من الهند وباكستان وتايلند ، من الفلبين واندونيسيا والملايو ، من أوربا وأمريكا والبرازيل . من كل هذه البلاد وغيرها يتوافد المسلمون بالسنة مختلفة والوان مختلفة ، ولكنهم يناجون ربا واحدا ويحجون الى قبلة واحدة ويؤمنون بدين واحد وكتاب واحد ونبى واحد وهدف واحد . (**ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون**) .

قد وحد بينهم مظهر واحد يستوى فيه الغنى والفقير والكبير والصغير ، وقد سوى بينهم قصد مشترك ودعاء موحد وتلبية لله واستجابة لندائه فيجهر الجميع قائلين : (لبيك اللهم لبيك ، لبيك لاشريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك) .

حجة الرسول صلى الله عليه وسلم :

عزم الرسول صلى الله عليه وسلم على الحج ليؤدى الفريضة وليبين للناس مناسك الحج والعمرة ، وكان ذلك فى ذى القعدة من السنة العاشرة للهجرة .

وما كاد النبأ يذيع فى الآفاق حتى توافد الناس الى المدينة استعدادا لنيل شرف الصحبة فى هذه الحجة العظيمة .

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس من المدينه فى أواخر ذى القعدة فنزل بذى الحليفه وصلى فيها العصر ركعتين وأحرم منها ثم رفع صوته بالتكبير والتلبية .

فى مكة :

سار صلى الله عليه وسلم حتى دخل المسجد الحرام من باب عبد مناف، الذى يسمى اليوم باب بنى شيبة ، فلما رأى الكعبة رفع يديه وكبر وقال : اللهم أنت السلام ومنك السلام واليك يعود السلام ، حينا ربنا بالسلام وادخلنا الجنة بسلام اللهم زد بيتك هذا تشريفا وتعظيما ومهابة وتكريما .

الطواف بالبيت :

قصد صلى الله عليه وسلم الحجر الأسود فاستلمه ولم يزاحم عليه ودعا الله عنده ثم بدأ طوافه .

وابتدأ الطواف من عند الحجر الاسود جاعلا الكعبة عن يساره وطاف سبعة أشواط مهرولا فى الثلاثة الأولى منها . ثم صلى فى مقام ابراهيم وقرأ قوله تعالى (**واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى**) .

السعى بين الصفا والمروة :

ثم رقى الصفا حتى رأى البيت فاستقبله ، وقال ثلاث مرات : لا اله الا الله والله أكبر ، لا اله الا الله وحده لاشريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير ، لا اله الا الله وحده ، أنجز وعده ، ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده .

وسعى صلى الله عليه وسلم بين الصفا والمروة سبعة أشواط مبتدئا بالصفا ومنتهيا بالمروة .

ولم يسع صلى الله عليه وسلم بين الصفا والمروة فى حجته غير سعيه هذا .

يوم التروية :

لما كان يوم التروية ــ وهو يوم الثامن من ذى الحجة ــ أهل الناس جميعا بالحج وأحرم كل من كان قد أحل ، وسار صلى الله عليه وسلم بالحجيج ضحى الى منى وبات بمنى ليلة التاسع من ذى الحجة وصلى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح وبقى بها حتى طلعت الشمس .

الوقوف بعرفات :

بعد طلوع الشمس يوم التاسع سار صلى الله عليه وسلم الى عرفات والناس حوله يكبرون ويلبون فلا ينكر على أحد منهم ، ونزل فى مكان قريب من عرفه اعد له بنمرة .

ولما انتصف النهار خطب على راحلته خطبه خالده بين فيها للناس انتهاء عهد الشرك وفساد أعمال الجاهليه وقرر حرمة الدماء والأموال والاعراض واسقط الربا واوصى بالنساء خيرا . وبعد انتهاء خطبته أمر بلال فأذن واقام الصلاه وصلى بالناس الظهر والعصر وجمع بينهما وقصر الصلاة من أجل السفر ثم ركب وانى الموقف وقال الناس وقفت ها هنا وعرفه كلهـا موقف ، وخير الدعاء يوم عرفة وخير ما قلته أنا والنبيون من قبلى لا اله الا الله وحده لاشريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير .

ثم استقبل القبلة ورفع يديه الى صدره كما يستطعم المسكين ودعا وتضرع الى غروب الشمس .

الافاضة الى مزدلفة :

ولما غربت الشمس واستحكم غروبها بذهاب الصفرة يوم عرفة افاض من عرفة الى مزدلفة ، وتسمى جمعا ، ولما وصل الى المزدلفة صلى المغرب والعشاء وجمع بينهما جمع تأخير ولم يصل بينهما شيئا .

ونام صلى الله عليه وسلم بمزدلفة حتى طلع فجر يوم النحر وهو يوم الحج الأكبر ، فصلى الصبح بأذان واقامة ، ثم ركب فاتى المشعر الحرام — وهو جبل يسمى قزح — فاستقبل القبلة وهلل وكبر ودعا حتى قرب طلوع الشمس وقال : وقفت هاهنا والمزدلفة كلها موقف .

الافاضة الى منى :

سار صلى الله عليه وسلم من مزدلفة الى منى ملبيا ، وبعد شروق الشمس توجه الى جمرة العقبة ورماها بسبع حصيات واحدة بعد واحدة ، مكبرا عند رمى كل حصاة .

ثم ذهب صلى الله عليه وسلم الى المنحر فنحر ثلاثا وستين بدنة بعدد سنى عمره ، ثم أمر عليا أن ينحر مابقى من المائة وقال : نحرت هاهنا ومنى كلها منحر وفجاج مكة طريق ومنحر فانحروا فى رحالكم . ثم دعا صلى الله عليه وسلم بالحلاق فحلق شعره .

طواف الافاضة

فى يوم النحر رأينا أن النبى صلى الله عليه وسلم عمل ثلاثة اعمال هى :

١ — رمى جمرة العقبة .
٢ — ذبح الهدى .
٣ — حلق الشعر .

ثم أفاض صلى الله عليه وسـلم من منى الى مكة قبل ظهر يوم العيد الاكبر فطاف بالبيت طواف الافاضة وهو طواف الركن ، ويسمى طـواف الزيارة . ثم صلى ركعتين فى مقام ابراهيم ، ثم شرب من ماء زمزم ، ثم عاد الى منى فصلى بها صلاة الظهر وخطب الناس بعـد الظهر خطبة جامعة جاء فيها :

(ان دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا) .

وأمر الناس ان يأخذوا عنه مناسكهم .

رمى الجمار :

لما انتصف النهار ثانى أيام العيد ذهب الى الجمار ماشيا فرمى الجمرات الثلاث الصغرى والوسطى والكبرى ، ثم كرر الرمى فى اليوم الثالث والرابع من أيام العيد .

طواف الوداع :

ذهب صلى الله عليه وسلم الى مكة فطاف بالبيت طواف الوداع ، ثم عاد الى المدينة المنورة ، ولما رأى المدينـة كبر ثلاثا وقال : (لا اله الا الله وحده لاشريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير ، آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحـده) .

وصلى اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

ثواب الحج والعمـرة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما ، والحج المبرور ليس له جـزاء الا الجنة) .

رواه مالك والبخارى ومسلم والترمذى والنسائى (١)

العمرة لغة الزيارة ، واعتمر البيت زاره ١

وشرعا قصـد البيت على كيفية خاصة .

(العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما) أى لما يقع بينهما من السيئات وهذا ظاهر فى فضيلة العمرة وانها مكفرة للخطايا الواقعة بين العمرتين .

---

(١) أنظر المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى حرف العين وفيه رواه البخارى فى كتاب العمرة ومسلم فى كتاب الحج والترمذى فى كتاب الحج والنسائى فى كتاب مناسك الحج وابن ماجه فى كتاب مناسك الحج وأحمد بن حنبل فى الجزء الثانى حديث رقم ٢٤٦ ، ٤٦١ ، ٤٦٢ ، والجزء الثالث حديث رقم ٤٤٧ .

واحتج به الجمهور وكثير من اصحاب مالك على جواز تكرير العمرة فى السنة الواحدة ، وكرهه لأنه صلى الله عليه وسلم اعتمر خمس عمرات كل واحدة فى سنة مع تمكنه من التكرير ، وقال آخرون لا يعتبر فى شهر اكثر من مرة واحدة (١) .

وجميع السنة وقت للعمرة فتصح فى كل وقت منها الا فى حق من هو متلبس بالحج فلايصح اعتماره حتى يفرغ من الحج .

واختلف العلماء فى وجوب العمرة فمذهب الشافعى والجمهور انها واجبة وممن قال به عمر وابن عمر وابن عباس وطاوس وعطاء وابن المسيب وسعيد بن جبير والحسن البصرى ومسروق وابن سيرين والشعبى وابو بردة ابن ابى موسى ، وعبد الله بن شداد والثورى واحمد واسحاق وابو عبيدة وداود وقال مالك وابو حنيفة وابو ثور هى سنة وليست واجبة (٢) .

الفرق بين الحج والعمرة :

يجب للعمرة مايجب للحج ، وكذلك يسن لها مايسن له ، وبالجملة فهى كالحج فى الاحرام والفرائض والواجبات والسنن والمحرمات . والمكروهات والمفسدات والاحصار وغير ذلك ولكنها تخالفه فى خمسة أمور وهى :

١ ـ الحج فرض عند الجميع مرة فى العمر ، والعمرة سنة مؤكدة عند الحنفية والمالكية . وفرض عند الشافعية والحنابلة .

٢ ـ الحج له وقت معين يؤدى فيه من السنة وهو شوال وذو القعدة وذو الحجة اما العمرة فتؤدى فى أى وقت من أوقات السنة وتتأكد فى رمضان للحديث : (عمرة فى رمضان تعدل حجة) .

٣ ـ ليس فى العمرة وقوف بعرفة ولانزول بمزدلفة ولارمى جمار ، ولا جمع بين صلاتين ولا طواف قدوم ولا خطبه .

٤ ـ ميقات العمرة الحل لجميع الناس ، وميقات الحج للمكى الحرم .

٥ ـ افعال العمرة اربعة هى :

الاحرام من الميقات ، الطواف بالبيت ، السعى بين الصفا والمروة ، التحلل من الاحرام بالحلق أو التقصير .

وافعال الحج عشرة هى :

الاحرام من الميقات ، الطواف بالبيت عند القدوم ، السعى بين الصفا والمروة ، الوقوف بعرفة ، المبيت بالمزدلفة ليلة النحر ، المبيت بمنى فى الليلة التالية ، رمى الجمار ٤٩ حصاة أو ٧٠ حصاة ، ذبح الهدى لمن عليه هدى ، التحلل من الاحرام ، طواف الافاضة .

---

(١) صحيح مسلم بشرح الامامين الأبى والسنوسى . الجزء الثالث . فصل العمرة .

(٢) صحيح مسلم شرح النووى ح ٩ ص ١١٨ .

(والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة) .

الحج المبرور هو الذى لايخالطه اثم مأخوذ من البر وهو الطاعة وقيل هو المقبول ومن علامة القبول ان يرجع خيرا مما كان ولايعاود المعاصى . وقيل هو الذى لا رياء فيه .

والحج المقبول هو ماكان على طريقة الرسول وهديه مقصودا به وجه الله بعيدا عن الرياء وثواب الحج المقبول تكفير السيئات ورفع الدرجات ودخول الجنة كما فى هذا الحديث (والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة) .

ومن علامات الحج المقبول أن يلتزم طاعة الله وان يبتعد عن الرفث والفسوق قال صلى الله عليه وسلم (من أتى هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كما ولدته أمه) .

قال الجمهور الرفث هو الجماع وقال الازهرى هى كلمة جامعة لكل مايريده الرجل من المرأة . واما الفسوق فهو المعصية ومعنى كيوم ولدته امه اى بغير ذنب .

والحج ركن من أركان الاسلام وشعيرة من شعائره فيه يجتمع المسلمون من سائر البلاد فيعظمون البيت الحرام ويتبادلون الرأى والمنافع ويعظمون الشعائر ويؤدون المناسك .

والحج وسيلة عملية من وسائل جمع الكلمة وتوحيد الصف وترابط المسلمين وتعاونهم وتساندهم حتى تقوى رابطتهم ويجتمع امرهم .

(٢)

الآداب الاجتماعية

اليتيم

تكررت وصايا القرآن بالعناية باليتيم ، الذى فقد أباه ، ففقد بفقده السند الحامى ومصدر العطف والحنان والرعاية والرحمة الحقة ، فمن واجب المجتمع أن يسهم فى رعاية اليتيم حتى ينشأ عضوا نافعا فيه ، ومن واجب الأوصياء أن يتقوا الله فيما تحت أيديهم ويعلموا أن الأيام وأن الدهر قلب ، فكما يخافون على أبنائهم وفلذة أكبادهم من الاهمال والتضييع فليخافوا على اليتامى وليحسنوا رعايتهم . قال تعالى (**وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا**) النساء ٩ .

وقد نشأ النبى صلى الله عليه وسلم يتيما ، اذ مات أبوه عبد الله وهو جنين فى بطن أمه فكفله جده عبد المطلب ثم عمه ابو طالب . وكان النبى شديد الوفاء لهما ، ثم طلب من عمه أن يعطيه ابنه عليا ، فرباه احسن تربية ونشأه احسن تنشئة ، فى بيت النبوة ومشكاة الدعوة . وكان أول من آمن من الصبيان ، هو الامام على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وقد ورد فى الهدى النبوى الشىء الكثير من العدة برفع الدرجات فيما يختص بكفالة اليتيم ، والقيام بحقه وواجبه وحسب من كفل اليتيم ورعاه وقام بوصايا الله فيه ، أن يكون مع النبى صلى الله عليه وسلم فى الجنة صاحبا وقريبا ، يتمتع بما فيها من النعيم ، كما متع اليتيم برعايته وحسن معاملته والاشراف عليه . قال صلى الله عليه وسلم « من عال ثلاثة من الايتام كان كمن قام ليله وصام نهاره وغدا وراح شاهرا سيفه فى سبيل الله ، وكنت أنا وهو فى الجنة أخوان ، كما أن هاتين أختان (والصق السبابة بالوسطى) » .

والبيت الذى يكرم اليتيم ويحفظ ماله ويرعى حقه بيت فاضل كريم ، قال صلى الله عليه وسلم «خير بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يحسن اليه ، وشر بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يساء اليه » .

اما هذه الام التى مات زوجها وترك لها أيتاما فشقيت فى سبيل تربيتهم والمحافظة عليهم ، اما هذه السيدة فحسبها مكانة عند الله قول الرسول عليه الصلاة والسلام : «أنا وامرأة سفعاء الخدين مات عنها زوجها وترك لها صبية صغارا فحبست نفسها عليهم حتى استغنوا عنها ، أنا وهى كهاتين يوم القيامة » وأشار بالسبابة مع الوسطى ، يريد أنها بجانبه فى الجنة لاينفصل بينهما شيء .

أيها الأخ المؤمن ، ان القرآن المكى والمدنى قد حث على رعاية اليتيم واكرامه قال تعالى فى سورة الضحى (**الم يجدك يتيما فآوى**) . ثم يقول : (**فاما اليتيم فلا تقهر ، واما السائل فلا تنهر ، واما بنعمة ربك فحدث**) .

وقال سبحانه :(**ارايت الذى يكذب بالدين ، فذلك الذى يدع اليتيم ، ولا يحض على طعام المسكين**) . وقال عز شأنه : (**ولاتقربوا مال اليتيم الا بالتى هى احسن ، حتى يبلغ اشده**) وكل هذه آيات مكية ، نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل هجرته الى المدينة . وفى المدينة المنورة تحرج المسلمون عن مخالطة اليتيم خوفا من ان يقربوا ماله ، وسالوا رسول الله عن طريقة رعايتهم اليتيم ، ولابد لهم من مخالطته وتثمير ماله ، فانزل الله عز وجل قوله (**ويسالونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير وان تخالطوهم فاخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح**) فأفهمهم أن المخالطة مع العدل والاصلاح من مقتضى مابينهم من الاخوة الانسانية والدينية والرحم .

ثم جاءت سورة النساء وبرزت فيها عناية خاصة باليتيم فى شأنه كله، ومهدت لهذه العناية بطلب تقوى الله والارحام وبيان أن الناس خلقوا من نفس واحدة ، فاليتيم حتى ولو كان من غير أسرتكم فهو أخوكم ورحمكم فقوموا له بحق الاخوة وحق الرحم واحفظوا أمواله وهذبوا نفسه واحذروا اهماله والقاء حبله على غاربه . وفى ذلك يقول الله تعالى : (**وآتوا اليتامى اموالهم ولاتتبدلوا الخبيث بالطيب ، ولاتأكلوا اموالهم الى اموالكم انه كان حوبا كبيرا**) . ويقول سبحانه (**وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح ، فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم ولاتأكلوها اسرافا ، وبدارا أن يكبروا . ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف . فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم وكفى الله حسيبا**) .

« انا لانضيع اجر من احسن عملا »

يقول الله تعالى فى كتابه الكريم (**ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لانضيع اجر من احسن عملا**) .

قرن الله الايمان بالعمل الصالح وبين ان الانسان مجزى بعمله ومحاسب على سعيه (**وان ليس للانسان الا ماسعى وان سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى**) وليس الايمان دعوى باللسان بل هو تصديق بالجنان وعمل فى مرضاة الرحمن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ليس الأيمان بالتمنى ولكن ماوقر فى القلب وصدقه العمل الا وان أقواما غرتهم الأمانى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا نحسن الظن بالله وكذبوا على الله لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل) .

وقد حارب الاسلام اللهو والترف والخمول والكسل ، لانهـا أدواء اجتماعية ، وأمراض تهدم بناء الدوله ، وتحطم النفوس وتغرى بالجريمه . قال تعالى :

(واتبع الذين ظلموا ماأترفوا فيه وكانوا مجرمين) وكان من دعاء النبى صلى الله عليه وسلم (اللهم انى أعوذ بك من الهم والحـزن ، واعـوذ بك من العجز والكسل ، وأعوذ بك من الجبن والبخل ، واعـوذ بك من غلبـة الدين وقهر الرجال) . ومن دعائه ايضا :

(اللهم انى اعوذ بك من الكفر والفقر) ؛ وهذا الدعاء النبـوى يرسم للامه طريق الهدى والعزه والقوة ، ويجنبها مظاهر الضعف فى الراى والوهن فى العزيمه ، والفتور فى السعى ، والذلة فى الحياه ، فالمؤمن القوى خير واحب الى الله من المؤمن الضعيف ، وان القوة كل القوة فى احترام انسانية الانسان ، والمحافظة على ماء وجهه أن يراق ، وعلى عزة ايمانه ان تذل ، وعلى قوة يقينه ان تهن ، ولن تكون للانسان قوة الا اذا اعتمد على سعيه وعمله وكده ونعمه فأصبح عضوا عاملا ، وخلية مثمرة ولبنة متممة لبناء أمته ، وتدعيم وطنه ، قال عليه افضل الصلاه والسلام (لأن ياخذ احدكم حبله فيأتى بحزمة الحطب على ظهره فيبيعها فيكف الله بها وجهه خير له من ان يسأل الناس أعطوه أو منعوه) . وقال ايضا :

(ما اكل احدكم طعاما خير من أن يأكل من عمل يده ، وان نبى الله داود كان يأكل من عمل يده) .

أيها المؤمنون لم يضيق الاسلام من حدود النشاط الاسلامى ولم يصغر من معانيه بل وسعها وكبرها وترك لها الحدود الفسيحة فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا مع اصحابه يوما فنظروا الى شاب ذى جلد وقوة وقد بكر لسعى ، فقالوا ويح هذا لو كان شبابه وجلده فى سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لاتقولوا هذا فان كان خرج ليسعى على ولده صغارا فهو فى سبيل الله وان كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو فى سبيل الله وان كان خرج يسعى على نفسه يعفها عن المسـألة فهـو فى سـبيل الله وان كان خرج سـعى رياء ومفاخرة فهو فى سـبيل الشيطان) .

وقد حث عليه الصلاة والسلام على العمل والسعى واكل القوت من عرق الجبين وكد اليمين فان من الذنوب ذنوبا لايكفرها الصوم ولا الصلاة ولكن يكفرها طلب القوت من حلال .

وقد جلس عليه الصلاة والسلام مع اصحابه فجعلوا يثنون على رجل فقالوا ان فلانا يصوم النهار ويقوم الليل ويكثر الذكر فقال أيكم يكفيه طعامه وشرابه فقالوا كلنا فقال كلكم خير منه ، سمع اصحابه ذلك فاندفعوا يعملون وينشطون حتى قرن الله التجار منهم بالمجاهدين فى سبيل الله قال تعـالى **(وآخـرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضـل الله وآخرون يقـاتلون فى سبيل الله)** فهل هناك شرف للعاملين وراء هذا الشرف العظيم .

وقد كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه مثالا للنشاط الاسلامى ، فلم يقعده مكانه من رسول الله صلى الله عليه وسلم من أن يضرب فى الارض وينمى

تجارته لانه يرى فى ذلك تنمية لموارد المجتمع الذى يعيش فيه وقــد بلغ ماله اربعين الف دينار فكان يعتق من هذا المال المستضعفين وكان يعـول فقراء المسلمين ، لقد غرس الاسلام فى اتباعه الســخاء والبــذل وجعلهم يجــودون بأرواحهم فكيف بأموالهم ؟

وتكافل المسلمون فى الرخاء والشده والعسر والبسر ، وكان عطف الغنى على الفقير ورحمة القوى للضعيف آية من آيات سمو هذا الدين وأثــره فى نفوس المسلمين واستجابتهم لتعاليمه .

★★★

تاجر عبد الرحمن بن عوف فاثرى فى الاسلام ثراء ضخما حتى قدم له مرة سبعمائة بعير تحمل البر والدقيق والطعام فلما دخلت المدينة سمع لهــا ضجة وبلغ عبد الرحمن حاجة اهل المدينة فقال العير وما عليها فى ســبيل الله .

★★★

وروى ابن عباس ان الناس قحطوا فى عهد ابى بكر وقدمت لعثمان بن عفان الف راحلة تحمل برا وطعاما .

فغدا التجار على عثمان فقرعوا عليه الباب فخرج اليهم فقال ماتريدون؟ قالوا بعنا ماعندك ، حتى نوسع به على فقراء المدينة ، فقــال لهم ادخــلوا ـ فدخلوا ـ فاذا الف وقر قد صب فى دار عثمان فقال لهم كم تربحوننى على شرائى من الشام قالوا العشرة اثنى عشر .

قال عثمان لقد زادونى قالوا العشرة اربعة عشر قال لقد زادونى قالوا العشرة خمسة عشر قال لقد زادونى قالوا من زادك ونحن تجار المدينة قال لقد زادنى الله لكل درهم عشرة **(من جاء بالحسنة فله عشر امثالهــا)** قالوا لانقدر على ذلك قال عثمان فاشهدكم معشر التجار انها صــدقة على فقراء المدينة ـ ذلك نبأ عن خلق الرجل المسلم الذى أيده الله بنصره وأعزه بعونه ولعل فى ذلك بلاغا لمن كان له قلب ولعل فى الماضى اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا .

عناية الاسلام بالأسرة

يقول الله تعالى فى كتابه الكريم

(ياأيهاالناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا) .

أيها المسلمون خلق الله آدم بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته واسكنه فسيح جنته قال تعالى :

(واذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين)

وخلق الله حواء من آدم لتؤنس وحدته وتكون له موده ورحمه وأمنا وسكنا قال تعالى (**ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة**) .

وقد حث القرآن الكريم على العنايه بالاسرة والمحافظة عليها لانها اللبنة الأولى فى بناء المجتمع والاساس السليم للامة القويه ، فاذا قويت روابط الالفه والمودة بين الزوجين وأبنائهما ثم بين الاقارب وأولى الارحام زادت اواصر التعاون والتساند فى المجتمع وأصبح المؤمنون صفا واحدا كالبنيان المرصوص ، لذلك حض الاسلام على الزواج لأنه الوسيله السليمة لبناء الأسرة ، واشباع العاطفه ، وامتاع النفس ، قال صلى الله عليه وسلم :

(الدنيا متاع ، وخير متاعها المراه الصالحة ، ان نظر اليها زوجها سرته وان امرها اطاعته ، وان غاب عنها حفظته ، فى عرضه وماله) .

واوصى الرسول عليه الصلاة والسلام باختيار الزوجة كريمه الخلق فاضلة النفس حميدة السيرة لانها شريكة لزوجها وأم لأولاده وامينة على بيته وعرضه وسره .

قال صلى الله عليه وسلم (تخيروا لنطفكم فان العرق دساس)

كما حذرنا من المراة السوء جميلة المظهر سيئة المخبر فقال (اياكم وخضراء الدمن قالوا وما خضراء الدمن يارسول الله ؟ قال المراة الحسناء فى المنبت السوء) .

ايها المسلمون

ان عنايه الاسلام بالاسرة فاقت كل عناية فقد أحكم الله تشريعاتها وفصل حقوقها ووضع لها النظام السليم الذى يكفيها شر الخلل والخطأ ويجنبها العثار والزلل .

بين الله حقوق الزوجين فى كتابه العزيز فأمر الزوج ان يعطى زوجته المهر والصداق دليلا على صدقه فى رغبته وجده فى طلبه وبرهانا على قدرته على النفقة والقيام بحقوق الزوجية قال تعالى : (**وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فان طبن لكم عن شىء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا**) .

وليس المهر ثمنا للزوجة ولا شراء لها وليس فى ارتفاع المهر ارتفاع لقيمة الزوجة ولا فى قلة المهر دليل على قلة شأنها لأن الزواج تعاون وتساند واشتراك فى خير عمل الا وهو بناء اسرة وتكوين منزل وتربية النشء عماد المستقبل وكنز الامة .

ومهر المراة الحقيقى هو خلق الزوج الكريم وانسانيته وعطفه المستمر ، وهدية الرجل من زوجته هو فضيلة نفسها ، لا كثرة مالها ولذلك ورد فى الحديث الشريف (أخفهن مهورا اكثرهن بركة) .

لقد أوجب الله على الزوج أن ينفق على زوجته حسب طاقته ويساره قال تعالى :

(لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لايكلف الله نفسا الا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا) .

فالبخل والشح فى النفقة جور وظلم (**ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون**) .

والاسراف فى النفقه والتطلع الى ملابس الآخرين وزينتهم وتقليدهم فى البذخ والترف والمأكل والملبس يرهق ميزانية الاسره ويعرضها للتمزق والانحراف .

قال تعالى (**ولاتمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى**) .

وقال سبحانه

(**ولا تبذر تبذيرا ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا**) . سورة الأسراء ٢٦ ، ٢٧

العشرة بالمعروف

يقول الله تعالى فى كتابه الكريم (**ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة**)

خلق الله آدم بيده ونفخ فيه من روحه . وخلق حواء من آدم لتكون له سكنا وامنا وهدوءا وراحة واوجب على الرجل حقوقا لزوجته هى الصداق والنفقة والعشرة بالمعروف قال تعالى (**وآتوا النساء صدقاتهن نحلة**) وقال سبحانه (**لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لايكلف الله نفسا الا ماآتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا**) ٧ ــ الطلاق .

★★★

واوجب على المراة حقوقا لزوجها هى طاعة الزوج ، وحفظ سره ، وماله وعرضه ، قال تعالى (**الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله**) ٣٤ ــ النساء .

وليس فى قوامة الرجل على المراة مهانة لها ولا احتقار لشأنها وانما مرد ذلك الى التوزيع الوظيفى لا الى التفضيل النوعى .

وقد أمر الله الرجل بحسن العشرة والعفو والصفح والمغفرة قال تعالى :

(**وعاشروهن بالمعروف**) (**وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم**) .

وبذلك تقوم الحياة الزوجية على أساس متين من التضحية والفداء ونكران الذات والعمل فى سبيل المجموع كما يقول السيد المسيح عليه السلام (من يفقد نفسه يجدها) أى من يضح بنفسه فى سبيل الحق فانه يثبت وجوده حقا .

ان طاعة الزوجه لزوجها ليس معناه فناءها أو الغاء وجودها بل ان فناءها فى زوجها هو عين وجودها .

اذا رأيت الزوجه المطمه لزوجها فانك نشاهد جمال الطبيعه الخاضعة لنواميس الحياة وقوانينها .

لأن للزوج وظيفة وللزوجة وظيفة فاذا انضم العملان سارت سفينة الحياة اشبه بسلكي الكهرباء احدهما سالب والآخر موجب ولا غنى لاحدهما عن الآخر ولا فائدة لاحدهما بدون الآخر .

قال صلى الله عليه وسلم (الدنيا متاع وخير متاعها الزوجة الصالحة ان نظر اليها زوجها سرته وان امرها اطاعته وان غاب عنها حفظته فى ماله وعرضه) .

ولنستمع الى اسماء بنت زيد الانصارية التى لقبت بخطيبة نساء العرب ورسولهن الى محمد صلى الله عليه وسلم .

وقفت اسماء عند رسول الله وهو بين اصحابه فقالت (بأبى وامى انت يا رسول الله) أنا وافدة النساء اليك ، ان الله عز وجل بعثك الى الرجال والنساء كافة فآمنا بك وبالهك انا معشر النساء محصورات مقصورات ، قواعد بيوتكم ، وحاملات أولادكم وانكم معشرالرجال فضلتم علينا بالجمع والجماعات وشهود الجنائز والحج بعد الحج وافضل من ذلك الجهاد فىسبيل الله عز وجل وان احدكم اذا خرج حاجا ، او معتمرا ، او مجاهدا ، حفظنا لكم اموالكم وغزلنا اثوابكم وربينا لكم اولادكم ، افنشاركم فى هذا الاجر والخير ؟ فالتفت النبى صلى الله عليه وسلم الى اصحابه بوجهه كله ثم قال (هل سمعتم مسألة امرأة قط احسن من مسألتها فى امر دينها) فقالوا يارسول الله ماظننا ان امرأة تهتدى الى مثل هذا فالتفت النبى اليها وقال : (افهمى ايتها المرأة.واعلمى من خلفك من النساء أن حسن تبعل المرأة لزوجها يعدل ذلك كله) واخبرت اسماء نساء العرب ففرحن جميعهن .

نعم اذا قامت الزوجة بواجبها فى طاعة الزوج والمحافظة على أسرته وتربية أولاده والقيام بحقه استحقت افضل المنازل وأعلى الدرجات . وكان لها عند الله ثواب المجاهدين واجر المؤمنين . قال تعالى :

(من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ماكانوا يعملون)

وكما اوجب الاسلام على المراة حقوقا لزوجها ، اوجب على الرجل ان يقوم بواجب اسرته من النفقة والكسوة وحسن العشرة والصبر والاحتمال قال تعالى **(وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى انتكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا)** وقال صلى الله عليه وسلم (لايفرك مؤمن مؤمنة ان كره منها خلقا رضى منها آخر) أى لايبغض الرجل زوجته لخصلة او عيب محتمل فلعل فيها خلالا كريمة ، لو نظر اليها بعين الرضى لأحتملها وابقى عليها كما

حرم الدين الطلاق بدون سبب وبين انه ابعض الحلال ، وانه يهتز له عرش الرحمن لأن فى الطلاق تصدع الاسر وتشريد الأبناء واشاعة للرذائل وفصما لعرى ونقضا لعقود عقدت على كتاب الله وسنة رسول الله قال تعالى (وكيف تأخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض واخذن منكم ميثاقا غليظا) وقال (ص) (ان الله لايحب الذواقين ولا الذواقات فاذا تزوجتم فلاتطلقوا) فاتقوا الله فى ارحامكم واستوصوا خيرا بازواجكم واولادكم .

قال صلى الله عليه وسلم (خيركم خيركم لأهله وانا خيركم لأهلى)

الاسراف والتقتير

يقول الله تعالى فى كتابه الكريم :

(ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا) الاسراء ٢٩

بين الله للانسان فى هذه الاية اصولا واقام له حدودا ان التزمها هدى الى صراط مستقيم ، وان جاوزها وحاد عنها كان من المعتدين الضالين (تلك حدود الله فلا تعتدوها)

والانسان مفطور على حب المال مفتون به (انما اموالكم واولادكم فتنة) .

والاسلام يكره كنز المال ويعاقب عليه (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم)

ويحرم البخل والشح فيقول سبحانه (الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل ويكتمون ماآتاهم الله من فضله واعتدنا للكافرين عذابا مهينا) .

★★★

وينهى الاسلام عن الاسراف ويندد بالمبذرين قال تعالى (ولا تسرفوا انه لايحب المسرفين) ، (ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا) .

ويأمر بالاعتدال فى النفقة والاتزان فى التصرف ويعد ذلك من محامد المؤمنين (والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما) .

وقد احل الله لنا الطيبات من الرزق فى غير اسراف ولا بطنة واباح الاستمتاع بخيرات الحياة ماابتعدنا عن الترف والفتنة فقال تعالى (يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولاتسرفوا انه لايحب المسرفين) (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا مااتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا واحسنوا والله يحب المحسنين) .

ايها المسلمون : البخل يفسد حلق صاحبه ويجمد ماله والبخيل انانى مشغول بنفسه ومعزول عن مجتمعه يظاهر بالفقر ويشكو القلة وينكر المنة ويكفر بالنعمة ، وهذا الصنف من الناس شر مابتلى به المجتمعات ، حيث غلبت عليهم المادية والمصالح الشخصية لا يسهمون فى مشروع نافع ولا يشاركون فى عمل صالح ، وجزاؤهم عند الله ان يذلهم فى الدنيا بمالهم ولهم فى الآخرة عذاب الحريق .

★★★

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (اياكم والشح فانه اهلك من كان قبلكم ، امرهم بالقطيعة فقطعوا ، وامرهم بالفجور ففجروا) .

كما ان الاسراف انغماس فى الحيوانية وانسلاخ من الانسانية واقبال على المطالب الفردية ، واهدار لحقوق الجماعة وخطر داهم يهدد حياة المجتمع ، والمسرفون متكالبون على الشهوات منغمسون فى اللذات والمنكرات ، فارغون الامن البطالة ، جائعون الامن الطعام والشراب عراة الا من فاخر الثياب ، ينعمون بفقر اممهم ، ويسعدون بشقاء اوطانهم يحبون فى فترات الظلام ويتوارون فى عصر النور ، ويظهرون ويسيطرون فى عهود الضعف ، ويختفون فى عهود القوة .

وقد حارب الاسلام التبذير لانه يودى بالمال ويستنزف الثروة ويوقع صاحبه فى مخالب الدين والشقاء .

اما الاقتصاد فانه يوفر المال ونعم المال الصالح للرجل الصالح والاقتصاد فى النفقة نصف المعيشة .

وقد نهى القرآن ان تكلف المراة زوجها فوق طاقته او ترهقه من امره عسرا وامر الزوج ان ينفق على زوجته وابنائه بحسب مقدرته فلا يبخل ولا يبذر قال تعالى

(لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لايكلف الله نفسا الا ما آتاها ، سيجعل الله بعد عسر يسرا) الطلاق ٧ .

ونهى القرآن عن الغلو فى التشبه بالاغنياء والمترفين والتسابق فى المظاهر الكاذبة والتطلع الى مااشتراه غيرك من أثاث ورياش وامر بالقناعة والاكتفاء بما أعطاك الله قال تعالى **(ولاتمدن عينيك الى مامتعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى)**

ولقد كانت النساء فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتين بحليهن وذهبهن ليجهزن به الجيوش ويقمن به صرح الاسلام ، وكانت نساء النبى صلى الله عليه وسلم القدوة الحسنة ، وبذلك صبرن على الشدائد واحتملن المعيشة القفار والرزق الكفاف فى سمو وسعة الصدر .

ولما جاءت نساء النبى صلى الله عليه وسلم تطلب منه المزيد من النفقه والزينة وقلن بارسول الله نساء كسرى وقيصر بين الحلى والحلل والاماء والحول ونساؤك على مانرى من هذه الحال اى فى شده ومسغفة وضيق ، سكت رسول الله صلى الله عليه وسلم وتكلم الوحى من السماء بقوله تعالى **(يا ايها النبى قل لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين امتعكن واسرحكن سراحا جميلا ، وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الاخرة فان الله اعد للمحسنات منكن اجرا عظيما)** الاحزاب ٢٨ ، ٢٩

وبدأ النبى صلى الله عليه وسلم يستشير نساءه ويخيرهن بين الرضا بما عنده او اطلاق سراحهن واعطائهن المتعة والنفقة وبدأ بعائشة وقال لها ـ اخيرك بين امرين ارجو الا تعطى فى احدهما قبل ان تستشيرى ابويك ، وقرأ لها الآية الكريمة ، فبكت عائشة وقالت أفيك أشاور ابوى بارسول الله ؟ اختار الله ورسوله ، وقالت كل نسائه مثل ذلك فعوضهن الله عن ذلك ان سماهن امهات المؤمنين .

(النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم واولو الارحام بعضهم اولى ببعض فى كتاب الله من المؤمنين المهاجرين الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا كان ذلك فى الكتاب مسطورا) الاحزاب ٦ .

حقوق الانسان فى الاسلام

يقول الله تعالى فى كتابه الكريم

(ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) الاسراء ٧٠ .

ايها المسلمون تحتفل الامم والشعوب كل عام بالذكرى الخالدة لاعلان حقوق الانسان وقد كان لديننا الحنيف القدح المعلى فى تقديس الحقوق والواجبات وللقرآن الكريم فضل السبق فى تكريم انسانية الانسان وتقدير آدميته .

كما كان لهدى النبى الكريم اثره العملى فى تحرير الانسان واقرار السلام واقامة القسط وتاكيد مفاهيم الاخاء والمساواة والحرية والعدالة منذ اربعة عشر قرنا من الزمان .

فقبيل الدعوة الاسلامية كانت الحريات موءودة والحقوق مسلوبة والعدالة مفقودة وكان الظلم والطغيان شريعة الافراد والجماعات ، يفتك القوى بالضعيف ، ويستلب القادر حق العاجز ويستنزف الغالب دم المغلوب ولما

اشرفت شمس الاسلام اذن الله للعالم أن يستنير بعد الجهالة وأن يهتدى بعد الضلالة وأن يتحاب بعدالعدوان وأن يتآخى بعدالطغيان وأن يعبد الله لاشريك له ونزل القرآن الكريم فايقظ الانسان وأحيا ضميره وخط للحياة مثلا رفيعة واخرج الناس من الظلمات الى النور (**كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد**) ابراهيم :

ولقد كان نزول هذا الكتاب العزيز حدثا تاريخيا عالميا فقد نزل للتحرير الانسانى العام حرر الفرد من الخرافات والاوهام ، وحرر الجماعة من الذل والهوان ، وحرر البشرية من الفوضى والطغيان ، ووضع حدا فاصلا بين عهود بغيضة من الهمجية والظلام وعصور كريمة سمتها النور والايمان . (**ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمؤمنين**)

ايها المسلمون بين البشرية رحم عامة يجب أن توصل وقربى متينة يجب ان تحترم ، وصلاة من صنع الله الذى خلق كل شيء فالنــاس جميعا أبنــاء رجل واحد تشابهوا فى الخلقة واتفقوا فى المبدأ واتحدوا فى المنتهى والى الله يرجعون .

وقد دعا القرآن الكريم النــاس الى وحدة انســانيه عامة تنظمهم فى مشارق الارض ومغاربها وتعم خيرها أقصاهم وأدناهم وحدة تقوم على الاخوة العامة ــ والزمالة الانسانية المشتركة قال تعالى (**ياايها الناس انا خلقناكم من ذكرا وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير**) (الحجرات ــ ١٣) .

وهذه الوحدة الانسانية يســتوى فيها الناس فى الحقوق والواجبات ويستوى فيها الغنى والفقير والقريب والبعيد وحدة لا تقيم وزنا للعنصريات والأجناس ، والطبقات والألوان ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وســلم فى خطبته فى حجة الوداع (ايها الناس ان ربكم واحد وان اباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم لىس لعــربى على عجمى ولا لعجمى على عــربى ولا لأحمــر على ابيض ولا لأبيض على أحمــر فضــل الا بالتقوى) .

وقد حقق رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحدة بين المسلمين وربط بين قلوبهم حتى أصبحوا أسرة واحدة تتكافأ دماؤهم ويســعى بذمتهم أدناهم ويأخذ القوى بيد الضعيف ، يرشده اذا غوى ويهديه اذا ضل.وينصره اذا ظلم ويحفظه فى ماله وعرضه ، قال تعالى (**انما المؤمنون اخوة**) وقال صلى الله عليه وسلم (المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه) ، وقد كان العدل بين الناس من أهم ماقرره الاسلام حفظا لنظام المجتمع البشرى ، قال تعالى (**ان الله يامر بالعدل والاحسان**) ٩٠ النحل . والعدل هو قانون الله الذى شرعه

لرسوله لانقاذ البشريه من ظلمات البغى والجهل والعدوان قال تعالى (**فلذلك فادع واستقم كما امرت ولاتتبع اهواءهم وقل آمنت بما انزل الله من كتاب وامرت لأعدل بينكم**) الشورى ــ ١٥ .

فى كل هذا تحقق السعادة والطمأنينة للبشرية ويعم السلام والامان وفى الحديث الشريف (الناس سواسية كأسنان المشط ليس لعربى فضل على عجمى الا بالتقوى) .

التفرق ضعف

ارسل الله محمدا صلى الله عليه وسلم هاديا ومبشرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ، وقد جمع الله به العرب بعد تفرق ووحد به المسلمين بعد شتات وامتن الله على المسلمين بهذه الوحده وتلك الألفة . فقال سبحانه (**واعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا**) آل عمران ١٠٣ وقد حاول اليهود من الأزل وضع أصابع الفتنة بين المسلمين محاولة منهم لتفريق صفوف المسلمين وتوهين وحدتهم وحتى يضرب العرب بعضهم بعضا وبذلك تضعف دولتهم ويتمكن اعداؤهم منهم وقد حذرنا الله من دسائس اليهود وكيدهم فقال سبحانه : (**يأيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين**) آل عمران ١٠٠ .

فالله جعل الوحدة والالفة دلالة على عمق الايمان وفهم الاسلام وجعل الفرقة والخلاف والاستماع الى دسائس الاعداء مما يؤدى الى الهزيمة والردة والكفر بآيات الله وأحكامه .

ثم نهى سبحانه عن الخلاف وبين أن القرآن يأمر بجمع الصف ووحدة الكلمة وهو حبل الله المتين من تمسك به هدى الى الطريق القويم قال تعالى (**وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم**) آل عمران ١٠١

وقد أحكم عليه الصلاة والسلام بنيان المسلمين واحسن تربيتهم فأمرهم بالتواصل والتراحم ونهاهم عن التدابر والتقاطع ففى الحديث الصحيح (مثل المسلمين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى) .

وكان عليه الصلاة والسلام ينهى المسلمين عن الفرقة والخصام والتنابز لأنها معاول هادمه تهدم قوة الصف ووحدة الامة قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم (لاتحاسدوا ولاتناجشوا ولاتباغضوا ولاتدابروا ، ولايبع بعضكم على بيع بعض ، وكونوا عباد الله اخوانا . المسلم أخو المسلم لايظلمه ولايحقره ولايخذله . المقوى هاهنا ويشير الى صدره ثلاث مرات ـ بحسب امرئ من الشران يحقر اخاه المسلم . كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه) رواه مسلم .

وقد حاول اعداء الاسلام توهين صفوف المسلمين اثر غزوه احد واستأجر أبو سفيان ركبا من عبد القيس كانوا فى طريقهم الى المدينه وقال لهم ابو سفيان هل انتم مبلغون عنى محمدا رساله ارسلكم بها اليه . واحمل لكم زبيبا بعكاظ اذا وفيتموها قالوا نعم . قال فاذا وافيتموه فأخبروه انا قد اجمعنا السير اليه والى اصحابه لنستأصل بقيتهم فمر الركب برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بحمراء الاسد وأخبروه بالذى قال أبو سفيان وأصحابه فقال عليه الصلاه والسلام (حسبنا الله ونعم الوكيل) أى كافينا الله هو ولينا ونصيرنا ، لقد حرجنا لنصره دينه مصممين على انه لا نخاف غيره ولا نرهب سواه ، وازداد المؤمنون ايمانا وتماسكا وتقدموا الى عدوهم ففر أعداؤهم طلبا للنجاه قال تعالى (**الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم ، الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم ، انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه فلاتخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين**) آل عمران ١٧٢ ـ ١٧٥ .

الاسلام والعمل

كانت دعوة الاسلام دعوه الحياة الفاضلة والقيم النافعة والخير والبر بالانسانية دعوة تقوم على التعاون والتراحم ومساعدة المحتاجين والأخذ بيد الضعفاء والمعوذين .

دعوة تلفت نظر الانسان الى الكون وخالقه وتدعو الانسان الى تعمير الكون ، واشاعة الخير والنماء فيه ، والعمل من أجل منفعة الآخرين قال تعالى:

« **ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لانضيع اجر من احسن عملا** » الكهف ٣٠ لقد مدح القرآن العمل الصالح ولم يضيق أبواب النشاط على المسلم بل جعل الأرض كلها ميدانا لنشاطه ، ودعاه الى استغلال خيراتها واستخدام طاقته فى تفجير ينابيع الخير فى ارجائها قال تعالى :

« **هو الذى خلق لكم مافى الارض جميعا** » البقرة ٢٨ .

فالانسان مدعو الى استغلال خيرات الأرض من معادن وبترول وكنوز وزراعة وتجارة وصناعة وغير ذلك مما يعود بالخير والنفع على الانسان وعلى الانسانية جمعاء .

قال تعالى « فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه » الملك ١٥

وقال سبحانه « فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله » الجمعه ١٠

سمع المسلم الأول كتاب الله يدعوه الى استغلال خيرات الأرض والى اتقان العمل فانطلق هذا المسلم ولم يدع سهلا ولا جبلا ، ولا واديا ولا عامرا ولا غامرا ، الا وقد تحصن باسلاميته ثم اقتحمه واستعمره واجرى الخير فى جنباته واطلع السعادة فى آفاقه .

★★★

وقد بارك الاسلام نشاط الانسان من أجل الحفاظ على مستواه أو رفع مستوى أسرته او المساهمة فى قوة أمته ، ووسع أوجه النشاط وفتح امام الانسان طرق الخير ولم يضيق فى وجهه سبيلا من سبل العمل النافع .

روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا مع أصحابه يوما فنظروا الى شاب ذى جلد وقوة ، قد بكر ليسعى فقالوا : ويح هذا لوكان شبابه وجلده فى سبيل الله !! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لاتقولوا هذا ، فانه ان كان خرج يسعى على ولده صغارا فهو فى سبيل الله ، وان كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو فى سبيل الله ، وان كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو فى سبيل الله ، وان كان خرج يسعى رياء ومفاخرة فهو فى سبيل الشيطان ، رواه الطبرانى ...

★★★

ولقد نظر صلى الله عليه وسلم وهو الحكيم الربانى الى مايفعل الكسل فى الأمم حين تنهار الهمم وتضعف العزائم ويستلين الناس حياة الدعة والراحة فتتخلف الأمة ويطمع فيها عدوها ثم تطحن طحنا وتباد ابادة ، قال صلى الله عليه وسلم :

(اخشى ماخشيت على أمتى كبر البطن ومداومة النوم والكسل)

ولقد شاء صلوات الله وسلامه على ان يربى أصحابه على عزة الايمان وصدق اليقين وشدة التوكل على الله مع الحرص على العمل النافع أيا كان هذا العمل ، فانه لبنة فى صرح البناء الاقتصادى ، وجهد مشكور مقابل بالأجر والثناء .

روى البخارى ومسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(لأن يأخذ أحدكم حبلا فيذهب ، فيأتي بحزمة حطب على ظهره فيبيعها فيكف بها وجهه ، خير له من ان يسأل الناس ـ أعطوه أو منعوه ـ) .

★ ★ ★

وبذلك يتحرر الانسان من ذل السؤال ومن أن يعيش عالة على غيره ، وان الانسان النافع هو الذي يسهم في خدمة وطنه ونفع امته سواء أكان زارعا ام صانعا ام عاملا في اي فن من فنون الحياة ، قال تعالى :

«فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » .
الزلزلة ٧ ، ٨

★ ★ ★

ان التوكل على الله سبحانه لايتنافى مع الأخذ بالاسباب بل حقيقة التوكل هي الايمان بقدرة الله والعمل الدائب كما أمر الله .

جاء اعرابي الى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وترك ناقته بباب المسجد ثم دخل على النبي صلى الله عليه وسلم فسأله قائلا : أأعقل ناقتي أم ادعها واتوكل . فقال له صلى الله عليه وسلم (اعقلها وتوكل)

فهل بعد هذا يقال بأن صدق التوكل ينافي الاستمساك بالأسباب ، ، ومكافحة الاحداث ، والمزاحمة والمسابقة والمنافسة ، وانتزاع المجد وصيانة الحق !!

اخرج الحاكم وابن ابى الدنيا عن معاوية بن قرة قال :

(لقي عمر بن الخطاب ناسا من أهل اليمن فقال : من انتم ؟ فقالوا : متوكلون !! قال كذبتم !! ماانتم متوكلون !! انما المتوكل الذي القى حبة في الأرض ، وتوكل على الله ..)

★★★

لقد اقسم الله بالزمن لينبه الانسان الى أن الزمن ماض لايقر متجدد لايقف وهو سجل الاعمال وفيه تخليد لحسنات المحسنين ولاعمال العاملين قال تعالى :

« والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات »

اليس في هذا القسم مايشعر بجلال المقسم به وعظم شأنه ؟

ووجوب الحرص عليه والانتفاع به والعمل فيه ؟ وأن الخسران المبين شامل للعاطلين المتبطلين ، لاصق بالعالة الساكتين .

وأما الذين يعملون ويدأبون ويصلحون ، ولايفترون فاولئك هم عناوين فخار ومصابيح رشاد ــ أولئك هم حماة الامم ودعاة النهوض ، أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفره ورزق كريم .

★★★

ان امتنا احوج ماتكون الى تكاتف القوى وتعاون العاملين ومساهمة كل انسان بطاقته ووسعه عملا وجدا واخلاصا وصدقا .

ويوم يقوم الصغير والكبير بكل جهد لخدمة هذا البلد فسيقف هذا العمل سدا منيعا فى وجه الأعداء الحاقدين .

وقد بارك رسول الله صلى الله عليه وسلم العمل وقبل يد احد العاملين لأنها يد طاهرة نظيفة من الكسل والتراخى دائبة فى العمل النافع والجهد الصادق قال على كرم الله وجهه (جعت يوما فخرجت اطلب العمل فى عوالى المدينة ، فاذا انا بامراة قد جمعت مدرا ــ ترابا متبلدا ــ تريد بله بالماء فبادلتها كل ذنوب(١) على تمره ، فملأت سته عشر ذنوبا حتى مجلت(٢) يدى ثم جئت المراة فبسطت كفى لتري المراة اثر العمل ، فعدت لى ست عشرة تمرة ، فاتيت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فأخبرته فاكل معى منها ..)

★★★

فالعمل فضيلة وكرامة ومهما تكن فى طلب القوت من عنت ومشقة فذلك خير من استجداء الناس ركونا الى الراحة ونفورا من النشاط .

جلس عليه السلام يوما فجعل أصحابه يثنون على رجل فقالوا : (ان فلانا يصوم النهار ويقوم الليل ويكثر الذكر) فقال (أيكم يكفيه طعامه وشرابه؟) فقالوا كلنا يارسول الله ، فقال (كلكم خير منه ..) سمع الصحابة ذلك فاندفعوا يعملون وينشطون حتى قرن الله التجار منهم بالمجاهدين فى سبيل الله ، قال تعالى :

« وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله ، وآخرون يقاتلون فى سبيل الله » المزمل ٢٠ .

فهل هناك شرف للعاملين فى الحياة وراء هذا الشرف ؟

★★★

لقد سرى روح النشاط الاسلامى فى كل ناحية ، وتناول جميع الاعمال فكان العالم المفكر الفيلسوف (ابن حزم) الاندلسى يقول (اعلموا أن اللذة والسلامة والعز والأجر فى أصحاب فلاحة الارض) .

---

(١) الذنوب ــ الدلو العظيمة .

(٢) مجلت ــ ظهر بها الاحمرار من العمل .

وارسل العلماء قضاياهم ، يتناقلها الناس فى هذا المعنى المقتبس من التشريع العملى للصدر الأول فقد جاء فى كشف الظنون : (لو علم عباد الله أن رضاء الله فى احياء أرضه ، لم يبق فى وجه الارض خراب ..)

★★★

علم الاسلام المسلمين العزة والاباء والانفة والكرامة ، فراحوا يعملون ويكدحون ويطرقون ابواب الرزق فى عزة وايمان .

وكان عليه الصلاة والسلام يؤاخى بين كل مهاجر ، وبين كل انصارى فلما آخى بين عبد الرحمن بن عوف وبين سعد بن الربيع قال سعد لعبد الرحمن ان مالى شطران لى شطر ولك شطر .. وأن لى زوجتين اطلق احداهن لتتزوج منها فقال له عبد الرحمن لا حاجة لى الى مالك ، ولا الى أهلك ، بارك الله لك فيهما ولكن دلنى على السوق ....

وتاجر عبد الرحمن بن عوف فأثرى فى الاسلام اثراء ضخما حتى لقد قدم له مرة سبعمائة بعير تحمل البر ، والدقيق ، والطعام ، فلما دخلت المدينة سمع لأهلها رجة !! فتصدق بها وبما تحمل فى سبيل الله .

★★★

ولقد نزع الاسلام من تلك النفوس الخيرة كل حقد وكل موجدة

فلن ترى رجلا حربا على رجل ولا عالما حاقدا على عالم . وهذا الامام احمد بن حنبل يثنى على الشافعى ويكثر الثناء عليه فقال له ابنه اى رجل كان الشافعى ؟ فقال الامام احمد يابنى كان الشافعى كالشمس للدنيا والعافية للناس فانظر يابنى هل من هذين خلف .

تلك صورة من صور الرجال الذين عملوا فأحسنوا العمل وتركوا لنا أسوة حسنة وخلقا فاضلا حتى نقتدى بهم ، فى جدهم وعلمهم وعملهم ، وفى حسن خلقهم وكريم صفاتهم **(اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده)** **الأنعام ٩٠ .**

السلام والوحدة

الحمد لله رب العالمين ، واشهد أن لا اله الا الله البر الرحيم ، واشهد أن سيدنا محمدا رسول الله الصادق الوعد الأمين ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين ، أما بعد .

يقول الله تعالى فى كتابه الكريم :

(يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا ومايذكر الا أولو الألباب)

الحكمة هى القرآن الكريم أو هى العلم والعمل ، والمشهور انها وضع الشيء فى موضعه أو حسن التأنى للأمور .

قيل لعنتره انت أشجع العرب قال لا . قيل فيم شاع عنك ذلك ؟ قال كنت اقدم اذا رأيت الاقدام عزما ، واحجم اذا رأيت الاحجام حزما ، ولا أدخل موضعا حتى أعرف لى منه مخرجا .

وكنت أعمد الى الضعيف الجبان فأضربه الضربة الهائلة يطير لها قلب الشجاع ثم أثنى عليه فأقتله .

أيها المؤمن : الأيام دول يوم لك ويوم عليك ، والحرب خدعة تحتاج الى الكر والفر واستخدام الاقدام والاحجام وربما كان التقهقر طريقا الى النصر ، مادام استخدامه عن تعقل وتبصر قال تعالى **(الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة)** .

وحين تلوح بادرة السلام ، وينجح العدو الى المسالمة فلن يتردد المؤمن فى قبولها مهما كانت بواعثها لأن السلام فى الاسلام عنصر اساسى وسبيل أصلى والحرب استثناء وضرورة لايلجأ اليها المؤمن الا مضطرا . قال تعالى .

(وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه السميع العليم ، وان يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين والف بين قلوبهم لو انفقت ما فى الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم انه عزيز حكيم)

أيها المؤمن : ان قوة المؤمنين تكمن فى ايمانهم وصدق يقينهم وسلامة صدورهم ووحدة صفوفهم .

يقول الله سبحانه وتعالى : **(واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا)** .

لقد جمع القرآن العرب بعد شتات ووحدهم بعد تفرق وكان الاسلام دين الوحدة والجماعة ، جمع المسلمين على معان خالدة من الحب والوفاء ، والتضحية والفداء ، والبذل والايثار .

وكانت هذه المحبة والموده قدرا الهيا وبركة سماوية لا تعادلها أموال الارض وكنوزها وكان المسلمون يدا واحدة فى السراء والضراء فى المحنة فى النعمة والشدة ، فلا يعرف الصديق الا وقت الضيق .

وحين هاجر المسلمون من مكة الى المدينة فرارا بدينهم وعقيدتهم ، استقبلهم اخوانهم من الانصار استقبال الأخ الشقيق لأخيه الحبيب وقاسموهم أموالهم ودورهم ويسروا لهم فرصة الحياة وفرصة العمل ، بل آثروهم على أنفسهم بدافع الايمان والوفاء قال تعالى **(والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولايجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا**

ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون) .الحشر ٩ .

ايها المؤمن :

استقر المؤمنون فى المدينة وآخى عليه الصلاة والسلام بين المهاجرين والانصار وكانت أخوة ودية عملية وقام المجتمع الاسلامى فى المدينة مهتديا بهدى القرآن ، حريصا على صلة الرحم ، ومعاونة المحتاج ، ومساعدة الضعيف ، وصار المسلمون صفا واحدا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا. وكانت احاديث النبى الكريم تذكى هذا الاخاء وتبارك هذه المودة وتحث المسلمين على التواصل والتراحم والتعاطف .

فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم (مثل المسلمين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى) .

ايها المؤمنون : من هذه الوحدة العمليه ، من هذه الصفوف المتراصة ، من هذه القلوب المؤمنة ، من هذه النفوس المخلصة ، من هذه الأيدى المتشابكة، من هذه الأفئدة المترابطة ، صاغ النبى الكريم مجتمعا متماسكا مترابطا متعاطفا ، وأعد الجيوش وقاد الغزوات وبعث السرايا تحارب باسم الله وتقاتل لتكون كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا السفلى . وخاض المسلمون غزوات فيها النصر وغزوات فيها الهزيمة فلم يسكرهم النصر ، ولم تضعف روحهم الهزيمة ، وتنزلت آيات القرآن تثبت المسلمين فى الشدة وتعلمهم أن الايام دول وأن الحرب سجال يوم لك ويوم عليك فيقول القرآن **(ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنو ويتخذ منكم شهداء ، والله لايحب الظالمين)** . ١٤٠ آل عمران .

وعاود المسلمون القتال يتشوقون الى الشهادة والى الموت فى سبيل الله وجادوا بأرواحهم وأموالهم لنصرة الدين وفداء الاسلام وكان المسلمون يقاتلون بروح جديدة وعقيدة سليمة ومحبة مخلصة وترابط وثيق ، ففتحت أمامهم البلاد ، وذلت لضربانهم اعناق الطغاة ، وجاءهم نصر الله المبين والفتح العظيم. وتوج الله جهادهم بفتح مكة أم القرى وكعبة القاصدين . فقال تعالى **(اذا جاء نصر الله والفتح ، ورايت الناس يدخلون فى دين الله افواجا ، فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا)** .

ايها العرب : هذا هو ماضيكم المشرف وتاريخكم الناصع وسيرة اجدادكم الحافلة بالتضحية والفداء . لقد كانوا روحا جديدا ، وفجرا جديدا، ونورا جديدا ، وسراجا للعلم والمعرفة وكانت دولتهم دولة العلم والايمان ، والخلق والاسلام ، وفتحوا البلاد بأخلاقهم قبل أن يفتحوها بسيوفهم ،

فعودوا ايها العرب الى ماضيكم ، والى اخلاف أسلافكم ، وتمسكوا بقيمكم ودينكم ، وعليكم بالوحدة والجماعة فانما يأكل الذئب من الغنم القاصية قال تعالى **(ان هذه امتكم أمة واحدة وانا ربكم فاعبدون)** . الأنبياء ٩٢

فالمسلمون كتابهم واحد ونبيهم واحد وقبلتهم واحدة وتجمعهم الآمال والآلام ويربط بينهم الاسلام والايمان ، وان عدونا الغاضب يعمل ليل نهار لتأكيد تفوقه وترسيخ اقدامه ، فكيف يترابط عدونا على باطله ونتفرق ونحن اصحاب الحق واصحاب الأرض والله عز وجل يقول :

(ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين) - الانفال ٤٦ .

أيها العرب :

اعملوا واجتهدوا واذابوا فان العمل النافع طريق النجاح قال تعالى **(ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، انا لانضيع اجر من احسن عملا** . ٣٠ الكهف .

ان للنصر ابوابا وطرقا توصل اليه هذه الأبواب :

١ ـ طاعة الله ورسوله فالنصر من عند الله وقد تكفل بنصر المؤمنين وتأييد المخلصين .

٢ ـ اعداد العدة ، وتحصين الثغور ، وتدريب الجيوش ، لتكون فى أعلى مستوى وأعظم كفاءة قال تعالى **(واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ، ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ، وآخرين من دونهم لاتعلمونهم الله يعلمهم ، وما تنفقوا من شيء فى سبيل الله يوف اليكم وانتم لا تظلمون)** . ٦٠ الانفال .

٣ ـ وحدة الصف والتماسك والترابط والتصالح قال تعالى **(انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون)** . ١٠ الحجرات .

وقال سبحانه (**ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص**) ٤ الصف .

٤ ـ الثقة بأن الاجل بيد الله ، وأن الرزق بيد الله وان الشهاده فى سبيل الله شرف وفخار وان الفرار والهزيمة خزى وعار .

٥ ـ البعد عن البطر والرياء واخلاص النية لله وللجهاد فى سبيله وطاعة القائد وتنفيذ الاوامر والمحافظة على الضبط والنظام قال تعالى (**ياأيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الأمر منكم**) . ٥٩ النساء .

تلك هى أسباب النصر فى الماضي والحاضر وقد استضاء بهديها المسلمون

الأولون فصاروا خير امة اخرجت للناس وصار المسلم جنديا من خير جنود الارض مطيعا لايعصى مقبلا لايفر ، صامدا لايتزعزع ، مجاهدا لايتخلف مؤمنا بمثل عليا مضحيا من أجلها بالمال والروح يخوض حربا عادلة لاحقاق الحـق وازهاق الباطل لايخاف الموت ولايخشى الفقر ولا يهاب قوة فى الارض ، يسالم ولا يستسلم ، ولاتضعف عزيمته الاراجيف والاشـاعات ولايسـتكين لدواعى الفرقة والخلاف ، ولايقنط أبدا ولاييأس من رحمة الله .

ايها العرب ايها المؤمنون : هذا هو الطريق ، وهذه هى السبيل ، طريق الهدى وسبيل الله وهديه وتوجيهه ، وصدق الله العظيم **(وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولاتتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون)** ١٥٣ الانعام .

الأدب

الأدب بطلق على نعلم فنون النظم والنتر ، كما يطلق على تعلم الاحلاق الرشيدة والصفات الحميده ومن ذلك قول القائل حلى النساء الدهب وحلى الرجال الادب .

وقد قالت الحكماء نعم العون لمن لا عون له الادب .

ـ وقال الاحنف بن قيس : الادب نور العقل كما أن النار فى الظلمة نـور البصر .

وقال بعض العلماء : الأدب على ثلاثة أقسام ـ كسبى وطبيعى وصوفى أما الادب الطبيعى فهو مابفطر عليه الاسان من الاخلاق الحسنة والاتصاف بالصفات المرضية كالحلم والكرم وحسن الخلق والحياء.والتواضع والصدق وترك الحسد ، الى غير ذلك من الصفات المحمودة ، وهى نعم الله سبحانه على عباده . واما الأدب الكسبى فهو مايكتسبه الاسـان بالدرس والقراءة والحفظ والنظر وهو عبارة عن ستة أشياء ـ الكتاب والسنة والنحو واللغة والشعر وأيام الناس .

وأما الأدب الصوفى فهو ضبط الحواس ومراعاة الأساس .

رأس الأدب :

قال بعض الحكماء : رأس الأدب المنطق ولا خير فى قول الا بفعل ولا فى مال الا بجود ولا فى صدق الا بوفاء ولا فى فقه الا بورع ولا فى صدقة الا بنية .

ولما دخل ضمرة بن ضمرة على المنذر بن ماء السماء وهو اذ ذاك ملك الحيرة واليمامة . وكان ضمرة ذا عقل وعلم وحلم وحكمة وشجاعة ، الا انه كان دميم الخلقة قصير القامة وكان ذكره قد شاع فى الآفاق ، فلما رآه المنذر احتقره فقال سماعك بالمعيدى خير من أن تراه .

فقال ضمرة : أيها الملك ليس المرء بحسنه وجماله وبهائه وكماله وهيئته وثيابه لا والله حتى أصغراه قلبه ولسانه ويعلو به أكبراه همته ولبه .

ودخل المختار بن عبيد على معاوية رضى الله عنه وكان عليه عباءة رثة فاستحقره فقال له المختار باأمير المؤمنين ان العباءة لا تكلمك ولكن يكلمك من فيها . ثم أنشد يقول :

أما وان كانت اثـوابى ملفقـــة   ليست بخز ولا من نســج كتان
فان فى المجـد همــاتى وفى لغتى   فصــاحة ولســانى غــير لحــان

حكمة القائد

جاء الاسلام دينا عاما ورحمه مهداه . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم نموذجا فريدا فى تربية الرجال وتهذيب النفوس وتوجيه المؤمنين . وكان من أقدر الناس على جمع الشمل ورأب الصدع والقضاء على الفتنة .

بعد فتح مكة حارب المسلمون هوازن والطائف وتم النصر المؤزر وغنم المسلمون غنائم كثيرة ، فوزع الرسول صلى الله عليه وسلم الغنائم بين المهاجرين ولم يعط منها للأنصار الا لرجلين فقيرين ، فغضب الأنصاروقالوا لقد وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أهله . وانتشرت المقالة بينهم . وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج جزعا يجر رداءه . وأمر مناديه أن ينادى الصلاة جامعة . فاجتمع المسلمون جميعا فى المسجد فقال عليه الصلاة والسلام : يامعشر الانصار مامقالة بلغتنى عنكم ؟ قالوا : نعم قلنا لقد وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أهله . فقال عليه الصلاة والسلام : يامعشر الانصار ألم تكونوا ضلالا فهداكم الله بى . ألم تكونوا كفارا فأسلمتم على يدى ، ألم تكونوا متفرقين فجمعكم الله بى . قالوا : نعم يارسول الله ، ولله ورسوله الفضل والمنة .

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : أما والله ان شئتم لقلتم فصدقتم وصدقتم . أتيتنا مكذبا فصدقناك ، وطريدا فآويناك . يامعشر الأنصار أاذا أعطيت بعض الناس لعامة من الدنيا أتألفهم بها وتركتكم الى ايمانكم تغضبون ؟

يامعشر الأنصار ، أما ترضون أن يرجع الناس بالشاء والبعير وترجعون برسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيوتكم . والذى نفس محمد بيده لو سلك الناس فجا وسلك الانصار فجا لسلكت طريق الانصار . ولولا الهجرة لكنت امرأ من الانصار . اللهم اغفر للانصار وابناء الانصار وابناء أبناء الأنصار .

فبكى الانصار وقالوا رضينا بالله ورسوله .

بهذه الحكمة كان عليه الصلاة والسلام يسوس النفوس ويؤلف بين القلوب ويجمع الصفوف حتى تصبح قوة واحدة كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا .

سيرة فاضلة

اشتهر عمر بن عبد العزيز بالعدل والورع والتقوى حتى سمى خامس الخلفاء الراشـــدين . ودخلت عليه زوجته فاطمة ذات يوم فوجـدته يبكى فسألته مايبكيك ياامير المؤمنين . فقال عمر بن عبد العزيز : تذكرت الفقير الجائع ، والمريض الضائع ، والعارى المحزون وذا العيال الكثير والمال القليل واشباههم فى بقاع الارض واقطار البلاد ، وعلمت أن خصيمى دونهم محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة . فخشيت ألا تثبت لى حجتى فرحمت نفسى فبكيت .

كانت سيرة الخلفاء الراشدين نورا يضىء ، ومثالا يحتذى .

خطب أبو بكر الصديق فقال : أيها الناس وليت عليكم ولست بخيركم فان أحسنت فتابعونى وان اعوججت فقومونى . القوى فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه ، والضعيف فيكم قوى حتى آخذ الحق له .

وظهر ايمان الصديق يوم الاسراء ، حين صدق النبى فسمى بالصديق كما ظهرت فدائيته ليلة الهجرة ، حيث كان رفيق النبى صلى الله عليه وسلم وكان يسير مرة أمام النبى ومرة خلفه ومـرة عن يمينه ومرة عن يســاره . فسأله النبى صلى الله عليه وسلم عن سبب ذلك فقال : يارسول الله أخاف الرصد فأكون أمامك ، وأخاف الطلب فأكون خلفك ومرة عن يمينك ومرة عن يسارك ، حتى وصلا الى الغار فقال أبو بكر : والذى بعثك بالحق نبيا لاتدخله حتى أدخله فان كان به أذى بدأ بى .

وسد أبو بكر ثقوب الغار ووضع رجله فى ثقب أخير ثم جعل رجله الثانية وسادةللنبى صلى الله عليه وسلم لينام عليها بعد تعب الرحلة . واشتد خوف أبى بكر على النبى صلى الله عليه وسلم وتساقطت دموعه خوفا على رسول الله ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم يا أبا بكر ، مابالك باثنين الله ثالثهما .

يا أبا بكر لاتحزن ان الله معنا .

قال تعالى **(الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لاتحزن ان الله معنا فانزل الله سكينته عليه وايده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم)** التوبة ٤٠

(٣)

المــرأة

« المراة العربية »
فى الجاهلية والاسلام

اخرج البخارى فى صحيحه ـ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان قرية من قرى اليمن كان فيها بطن من بطون العرب وكان منهن احدى عشرة امــراة وانهن خــرجن الى مجلس فتعاهــدن وتعاقدن الا يكتمن من اخبار ازواجهن شيئا .

قالت الاولى : (زوجى كلحم جمل غث على راس جبل مرتفــع ، لا ســـهل فيرتقى ولا سمين فينقل) ، لقد ذمت هذه المراة زوجهــا بقلة الخــير ، والبخل ، وصعوبة الوصول اليه .

وقالت الثانية : (زوجى لا ابث خبره انى اخاف الا اذره ، ان اذكره اذكر عجره وبجره .

ان عيوب زوجها كثيرة وقصه طويلة تكتفى بان تقول انه قصير القامة مذموم الصفات كبير البطن احدب الظهر .

وقالت الثالثة : (زوجى العشنق ان انطق اطلق ، وان اسكت اعلق) .

مسكينة هذه الزوجة انها تعيش مع زوجهــا اسما بدون مسمى ، فان تكلمت بما فى نفسها طلقها زوجها ، وان سكتت ابقاها فى عصمته معلقة لا أيما ولا ذات بعل .

وقالت الرابعة : (زوجى كليل تهامة ، لا حر ولا قر ، ولا مخافة ولا سآمة) ، لقد مدحت زوجها مديحا عاليا ، فهو عذب لطيف كليل الحجاز ، حيث

تشتد حرارة النهار ، ويكون نسيم الليل عليلا باردا لطيفا ، فشبهت زوجها بنسيم الصيف ليس حارا مؤلما ولا باردا مؤذيا ، فليس زوجها شديدا قاسيا ولا ضعيفا فاترا .

وقالت الخامسة : (زوجي ان دخل فهد ، وان خرج اسد ، ولا يسأل عما عهد) .

انه فى البيت وادع لطيف كثير النوم ، بعيد الايذاء ، وهو فى خارج البيت اسد شجاع ، يحمى قبيلته ويدافع عن عشيرته ، فوصفته بأنه مثل اعلى للزوج فى نظر المرأة ، فهو بطل مقدام خارج البيت وهو لطيف عطوف داخل البيت .

وقالت السادسة : (زوجي ان اكل لف وان شرب اشتف ، وان نام التف ، ولايولج الكف ، ليعلم البث) انه الزوج الاناني المحب لنفسه ، فان أكل لف الاكل فى شراهة ، وتدفعه الشراهة الى العطش حتى يشتف كل مافى الاناء ، وان نام التف بالغطاء غير مهتم بآلام زوجته ، غير سائل أو مصغ الى شكاتها .

وقالت السابعة : (زوجي غياياء ، عياياء ، طباقاء ، كل داء له داء ، شجك أو فلك ، أو جمع كلالك) .

انه زوج أحمق ضعيف البيان قليل الحيلة ، اذا حدثته زوجته سبها واذا مازحته شجها واذا اغضبته كسر عضوا من اعضائها ، وقد جمع هذا الزوج كل أدواء الكون وكل عيوب الناس فكل داء له دواء .

وقالت الثامنة : (زوجي المس مس أرنب ، والريح ريح زرنب ، وهو اغلبه ، والناس يغلب) ، انه لين الجانب ، طيب الرائحة حسن السمعة ، عظيم القدر جليل المنزلة فى تواضع وادب .

وقالت التاسعة : (زوجي رفيع العماد ، طويل النجاد عظيم الرماد ، قريب البيت من الناد) ،

انه رفيع المنزلة طويل القامة كثير الضيوف سيد مطاع بين قومه .

وقالت العاشرة : (زوجي مالك ؟ وما مالك ؟ مالك خير من ذلك له ابل كثيرات المبارك قليلات المسارح واذا سمعن صوت المزهر ايقن انهن هوالك) .

لقد عظمت زوجها واشارت الى أنه خير من كل أزواج صويحباتها السالفات — ووصفته بالكرم وهو أفضل صفة عند العرب .

وقالت الحادية عشرة : وهى صاحبة الحديث واهم المذكورات .

(زوجي أبو زرع ، فما أبو زرع ؟ اناس من حلى اذنى ، وملأ من شحم عضدى وبجحنى فبجحت الى نفسى .

قالت : خرج ابو زرع والاوطاب تمخض ، فلقى امراه معها ولدان لها كالفهدين، يلعبان من تحت حصرها برمانتين ، فطلقنى وتزوجها .

فتزوجت بعده رجلا سريا ، ركب شريا ، واخذ خطيا ، واراح على نعما ثريا ، واعطانى من كل رائحة زوجا ، وقال كلى ام زرع وميرى أهلك ، قالت فلو جمعت كل مااعطانيه مابلغ أصغر آنيه ابى زرع) .

هذه ام زرع ، وسميت أم زرع لكثره مايملك زوجها من مزارع وحقول مدحت زوجها الاول بانه اناس اذنيها من الحلى والزينة وملأ عضديها من شحم ولحم ، وعظمها وافرحها فعظمت نفسها فى عنها .

خرج ابو زرع فى احد أسفاره فرأى امراة لها ولدان نجيبان فطلق أم زرع وتزوج الثانية بحثا عن نجابة الولد ، وبعد ان تزوجت ام زرع رجل آخر اكرمها الثانى واعطاها اكثر من الاول ، ولكن حبها ظل وفيا للاول حتى قالت فلو جمعت كل مااعطانى الثانى مابلغ أصغر آنية أبى زرع .

وهاهنا قال صلى الله عليه وسلم ياعائشه انا لك كأبى زرع لأم زرع غير انه طلقها وانا لا أطلقك .

قالت عائشة بل أنت والله خير لى من أبى زرع لأم زرع .

وفى هذا الحديث الوان من الادب الرفيع والبلاغة العالية ، والوان من البديع والجناس والطباق والمقابله .

ولو وقفنا على أحاديث هؤلاء النسوة تبين لنا ان الذامات منهن لأزواجهن خمس والمادحات ست ، وفيه دليل على أن الصفو اكثر من الكدر وأن الرضا ادوم من الغضب ويستفاد من هذا الحديث مايجب على الازواج من حسن العشرة وجميل المعاملة ، وفيه المثل الاعلى للزوجة المخلصة من نحو الشرف والجود وسماحة الطبع ولين الجانب والصبر والوفاء .

قال صلى الله عليه وسلم مارزق المرء بعد التقى خيرا من المراه الصالحة، ان نظر اليها زوجها سرته وان أمرها أطاعته وان غاب عنها حفظته فى ماله وعرضه .

ويدل الحديث على ان المحبة تستر الاساءة ، وعين الرضا تغضى عن كل نقيصة وتظل المرأة هى المتفوقة فى هذه الناحية ، وهى المتسامية بعواطفها ومشاعرها والمستعلية على أشجانها وآلامها وماتقاسيه من ظلم الرجل وعذره

وقد حث الرسول الازواج على حسن العشرة ، واحتمال ضعف المرأة والمحافظة على كيان الاسرة ، والابقاء عليها متماسكة سليمة بعيدة عن عوامل الفرقة والتصدع ، قال صلى الله عليه وسلم (ان الله لايحب الذواقين ولا الذواقات فاذا تزوجتم فلا تطلقوا) .

وقال تعالى

(وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا)

المراة فى الاسلام

يقول الله تعالى فى كتابه الكريم

(ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة ولايظلمون نقيرا) ١٢٤ ــ النساء

ان القرآن الكريم رفع من شـان المراة ، وحث على اكرامها ، والعناية بشأنها وحسن تربينها وتعليمها ، ورعى الاسلام المراة وليدة ، وبنتا ناشئة ، وفتاة يافعة ، وزوجة فى كنف زوجها ، واما فى رعاية أبنائها .

اما رعايته للمراة وليدة فقد قضى الاسلام على ذلك المعين المهين وهو واد البنات مخـافة العـار والحاجة ، وشـنع على من يفعل ذلك ، فقـال سبحانه :

(واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسـودا وهو كظيم يتـوارى من القوم من سوء مابشر به ، ايمسكه على هـون ام يدسـه فى التراب الا سـاء مايحكمون) ٥٨ ــ ٥٩ النحل .

وسلك القرآن اساليب البيان العـالية والوان الزجـر الرهيبـة ، لمن برتكبون هذه الفعلة النكراء ، وهى واد البنات .

حتى ان الموءودة تسال يوم القيامة عن سبب قتلها ، كان الذى قتلها فقد معنى الانسـانية حتى لايستحق ان يسأل قال تعالى :

(واذا الموؤدة سئلت باى ذنب قتلت) وقال سبحانه :

(قد خسر الذين قتلوا اولادهم سـفها بغير علم وحـرموا مارزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وماكانوا مهتدين) .

وكان فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وتشريعه العملى ، يلقيان على الأمة ابلغ الدروس فى الـرفق بالفتيات ، وتقريبهن ومحادثتهن ، وحياطتهن بالحدب والشفق والرحمة والحنان . واكرم الاسلام المراة بنتا ناشئة وفتاة يافعة ، فحث على تعلمها وتهذيبها والقيام بشئونها واحسان توجيهها وتربيتها فقال صلى الله عليه وسلم

من كانت عنده بنت فعلمها فأحسن تعليمها ، ورباها فأحسن تربيتها واسبغ عليها من فضل الله الذى آتاه ، كانت له حجابا من النار وميمنة وميسرة

وقضى الاسلام على اساليب الجاهلية البالية فى تفضيل الذكور على الاناث بل امر باكرام البنت لتنشأ عزيزة كريمة ، فترضع ابناءها واحفادها لبان العزة والكرامة .

قال صلى الله عليه وسلم (من خرج الى سوق من اسواق المسلمين فحمل شيئا منه الى اولاده فكأنما حمل اليهم صدقة حتى يضعها فيهم وليبدأ بالاناث فانه من فرح انثى فكأنما بكى من خشية الله)

وكان للنبى صلى الله عليه وسلم اربع بنات ، وكان يلقب بأبى البنات لأنه كان بهن شفوقا حفيا ، يدنيهن اليه ويداعبهن ويلاطفهن .

روى البخارى عن ابى قتادة قال

خرج علينا النبى صلى الله عليه وسلم يحمل (امامة) بنت (ابى العاص) وامها (زينب) بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهى صبية قال فصلى — عليه السلام — وهى على عاتقه ، يضعها اذا ركع ويعيدها على عاتقه اذا قام، وكانت امامة من أحب الناس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ودخل على اهله — صلى الله عليه وسلم — ومعه قلادة ، فقال لأعطينها احبكن الى ؟؟ فقلن يدفعها الى عائشة فدعا بنت ابنته (أمامة) فعقدها لها بيده الشريفة .

وروت أم خالد بنت خالد بن سعيد قالت أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ابى وعلى قميص اصفر ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سنه سنه وهى باللغة الحبشية حسنة قالت فذهبت العب بخاتم النبوة ، فانتهرنى ابى ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم — دعها — ثم قال عليه السلام ابلى ثم ابلى واخلقى فعمرت بعد ذلك ما شاء الله أن تعمر ، ولقد تكون المراة على غير دين (محمد) ولقد تكون من اعدائه ثم تفد عليه اسيرة فلن ترى أعذب لسانا ، ولا أرق خطابا ولا أحسن استماعا ولا أجمل ردا مما يخاطبها به محمد عليه السلام .

ارسل مرة فصيلة على راسها على بن ابى طالب ، فاعملت فى قبيلة طىء اسرا وقتلا ، فلما سبق الاسرى الى محمد عليه السلام وقفت بينهم (سفانة) بنت حاتم الطائى وقالت يامحمد ، (هلك الوالد وغاب الوافد ، فأن رأيت أن تخلى عنى ولا تشمت بى أحياء العرب ، فأن أبى كان سيد قومه ، يفك العانى، ويقتل الجانى ويحفظ الجار ويحمى الذمار ، ويفرج عن المكروب ، ويطعم

الطعام ويفشي السلام ، — ويحمل الكل ، ويعين على نوائب الدهر ، وما أتاه أحد فى حاجة فرده خائبا ، انا بنت حاتم الطائى ، فقال محمد عليه السلام ياجارية هذه صفات المؤمنين فلو كان أبوك مسلما لترحمنا عليه ، خلوا عنها، فان أباها كان يحب مكارم الاخلاق ثم قال (ارحموا عزيز قوم ذل ، وغنيا افتقر ، وعالما ضاع بيد جهال) ثم اكرم قومها من اجلها تحية لها ، فاطلقهم من اسارهم فاستأذنته فى الدعاء له ، فأذن لها فالتفت عليه السلام الى أصحابه وقال (اسمعوا وعوا ماتقول الجارية) فقالت أصاب الله ببرك مواقعه ، ولا جعل لك الى لئيم حاجة ، ولا سلب نعمة عن كريم قوم الا وجعلك سببا فى ردها عليه .

ولقد ابانت الحكمة النبوية فى تلك القصة عن مقدار مايحويه قلب المرأة من استعداد كامل لتلقى الدين لو انها صادفت المربى الحكيم فان (سفانة) ما كادت ترى صاحب الرسالة ، وتستمع اليه حتى رجعت الى أخيها (عدى بن حاتم) فمدحت له فى الرسول ورغبته فى الاسلام ونصحته ان يذهب الى رسول الله مسلما وقالت له :

ان محمدا يحب الفقير ، ويفك الاسر ويرحم الصغير ، ويعرف قدر الكبير ومارأيت أجود ولا أكرم منه ، وانه لنبى فللسابق اليه فضله واصغى عدى الى رأى اخته وقدم على رسول الله مسلما ، ومعه اخته مسلمة أيضا .

ذلك هو القبس المحمدى والهدى النبوى ، الذى شملت رحمته امته كلها نساءها ورجالها ، وصدق الله العظيم **(لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم)** .

العشرة الزوجية .

يقول الله تعالى فى كتابه الكريم

(ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة) ٢١ — الروم .

خلق الله آدم بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وخلق حواء من قصيراه لتكون له سكنا وأمنا ولتشيع فى البيت الدفء والحنان والمودة والرحمة والحب ..

وقد حث القرآن على الزواج لانه الوسيلة الوحيدة لإشباع العاطفة وامتاع النفس وتكوين الأسرة ورعاية النشء :

وحث الرسـول صلى الله عليه وسلم على تخير الزوجة كريمة الخلق طيبة المنبت لتكون قرة عين لزوجها وأما فاضلة للذرية طيبة ، فقال عليه السلام تخيروا لنطفكم فان العرق دساس .

وروى الميدانى أن عمر رضى الله عنه مر بسوق الليل ــ فى المدينة فرأى امرأة معها لبن تبيعه ومعها بنت شابة فهمت العجـوز أن تمزج لبنهـا (أى تخلطه بالماء) فجعلت الشابة تقول يا أم لا تخلطيه (لاتغشيه) فوقف عمر فقالَ للأم من هذه سنك ؟ قالت ابنتى فزوجها من ابنه عاصم .

تعلمون كيف صارت هذه الفتاة ؟ وكيف صدقت فراسة عمر فيها ؟ فقد صارت جدة لأعدل بنى امية عمر بن عبد العزيز فهى جـدته لأمه وصـدقت فراسة عمر فى أن انجبت هذه النجيبة نجيبا . لقد كانت قوية العلق فأورثت ابن عبد العزيز تلك النقيبة .

★★★

وروى الادب العربى وصايا نافعة لأمهات فاضلات كانت بناتهن زهـرات يانعات فى حديقة مثمرة لان البنت تأخذ صفة أمها وتقلدها فى خلقها وعاداتها .

أوصت أم ابنتها فقالت اى بنية ان الوصية لو تركت لفضل ادب ، تركت لذلك منك ــ ولكنها تذكرة للغافل ، ومعونة للعاقل ، ولو أن امرأة استغنت عن الزواج لغنى أبويها وشدة حاجتهما اليها ، كنت اغنى الناس عنـه ولكن النساء للرجال خلقن ولهن خلق الرجال .

اى بنية انك فارقت الجو الذى منه خرجت ، وخلفت العش الذى فيه درجت ، الى وكر لم تعرفيه ، وقرين لم تالفيه ، فأصبح بملكه عليك رقيبـا ومليكا ، فكونى له أمة نكن لك عبدا وكونى له أرضا يكن لك سماء وكونى له فرشا يكن لك غطاء .

يابنية احملى عنى عشر خصال تكن لك ذخرا وذكرا :

الصحبة بالقناعة ، والمعاشرة بحسن السمع والطاعة ، والتعهد لموقـع عينيه ، والتفقد لموضع انفه ، فلاتقع عيناه منك على قبيح ، ولايشم منـك الا اطيب ريح .

الكحل احسن الحسن ، والماء اطيب الطيب ، والتعهد لوقت طعـامه ، والهدوء عنه حين منامه فان حرارة الجوع ملهبة وتنغيص النوم مبغضـة . ولا تفشى له سرا ولا تعصى له أمرا فانك ان أفشيت سره لم تأمنى غدره وان عصيت امره أوغرت صدره وكونى اشد ماتكونين له اعظاما يكن اشد لك اكراما واشد ماتكونين له موافقة اطول ماتكونين له مرافقة واعلمى انك لاتصلين الى ماتحبين حتى تؤثرى رضاه على رضاك وهواه على هواك فيما احببت وكرهت والله يختار لك .

أيهــا المؤمن :

لقد حث الاسلام المرأة على طاعة زوجها والمحــافظة على ماله وعرضــه والاخلاص فى تربية النشء واعداد البيت والقيام بحق الزوج .

قال صلى الله عليه وسلم لو كنت آمرا احدا أن يســجد لأحــد لأمرت المراة ان تسجد لزوجها لعظم حقه عليها .

واستمعوا الى (أسماء بنت زيد) الأنصارية التى لقبت بخطيبــة نســاء العرب ورسولهن الى محمد صلى الله عليه وسلم .

وقفت اسماء عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بين أصــحابه فقالت (بأبى انت يارسول الله) انا وافدة النساء اليك ان الله عز وجل بعثك الى الرجال والنساء كافة ، فآمنا بك وبالهك ، انا معشر النساء محصــورات مقصورات قواعد بيوتكم وحاملات أولادكم ، وانكم معشر الرجال فضــلتم علينا بالجمع والجماعات ، وشهود الجنائز والحج بعد الحج ، وأفضل من ذلك الجهاد فى سبيل الله عز وجل وان أحدكم اذا خرج حاجا أو معتمرا او مجاهدا حفظنا لكم اموالكم وغزلنا أثوابكم وربينا أولادكم ، أفنشاركم فى هــذا الاجر والخير ؟! فالتفت النبى صلى الله عليه وسلم الى أصحابه بوجهه كله ثم قال (هل سمعتم مسألة امراة قط أحسن من مسألتها فى امر دينها ؟ فقالوا يارسول الله ماظننا ان امراة تهتدى الى مثل هذا .

فالتفت النبى صلى الله عليه وسلم اليهــا فقــال : افهمى أيتها المراة واعلمى من خلفك من النساء ، ان حسن تبعل المراة لزوجها (اى قيامهــا بواجب الزوجية) يعدل ذلك كله فانصرفت المراة وهى تتهلل حتى وصلت الى نساء قومها بين العرب وعرضت عليهن ماقاله لها النبى صلى الله عليــه وسلم ففرحن جميعهن .

أيها المؤمن :

تقررت حقوق المراة فى المجمع الاسلامى ، واخذ المشرع يبنى الامهــات على أساس الدين والفضيلة فمجدت المراة وكرمت فخرجت للامة كل بطــل وكل عظيم .

ولله در الشاعر العربى اذ يقول :

قم ابن الامهــات على اســاس ولا تبن الحصــون ولا القــلاعا
فهــن يــلدن للقصــب المــدائى وهن يلدن للغــاب الســباعا

خمسة احاديث عن المراة

١ ـ المراة العربية قبل نزول القرآن

كان العربى قبل الاسلام صاحب المركز الممتاز فى الاسرة والمجتمع فهو قوام الاسرة وربها المسئول عن حياتها ورزقها وشئونها وسلامتها ، وهو المكلف بالحرب ، والمطالب بالثأر والمغرم .

وكانت القبيلة تهنأ فى ثلاث حالات ، فى فرس تنتج او شاعر ينبغ أو ولد ذكر يولد .

كراهية البنات :

وفى القرآن آيات عديدة تحكى ماكان لولادة البنات من كراهية ، وتندد بالكفار على نسبتهم البنـات الى الله بينما المفضـل عنـدهم البنون ، ويكون المعقول أن يكون لله ماهو مفضل ، وتذكر وادهم للبنات قال تعالى :

(ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم مايشتهون ، واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم . يتوارى من القوم من سوء مابشر به أيمسكه على هون ام يدسه فى التراب الا ساء مايحكمون) النحل ٥٧ ــ ٥٩ .

ويقول سبحانه **(فاستفتهم الربك البنـات ولهم البنون . ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون)** .

وقال عز شانه **(واذا الموؤدة سئلت باى ذنب قتلت)** التكوير ٨ ، ٩ .

حق الكسب والتصرف فى المال

ولم يكن حق المراة فى الارث معينا ثابتا سواء اكانت اما أم اختا ام زوجة ام بنتا . ولم يكن حقها فى الكسب والتصرف بما تملك مقررا معترفا به . بل كان هذا متغيرا حسب الظروف .

فلما جاء الاسلام سما بالمراة الى منزلة سامية ، وجعل لهـا الحق فى الحياة والميراث والعقود والبيع والشراء وسائر التصرفات ، قال تعالى :

(للرجال نصيب مما ترك الولدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا) .

لقد كان العرب يورثون الذكور دون الانـاث ويقولون انما يرث المال من يركب الفرس ويمسك السيف ويدافع عن القبيلة .

فلما نزل القرآن الكريم جعـل الله الميراث حقا ثابتا للكبير والصـغير والرجل والمرأة قال تعالى :

(ولاتتمنوا مافضل الله به بعضـكم على بعض للرجـال نصيب ممـا اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله ان الله كان بكل شيء عليما) النسـاء ٣٢ .

الحياة الزوجية

ولم تكن الحياة الزوجية فى الجاهلية قائمة على اعتراف بحقوق او تركه متبادله بين الزوجين وكانت الزوجه موضع الاضطهاد والابتزاز .

فلما نزل القرآن الكريم امر الرجل أن يعاشر زوجته بالمعـروف وأن يحسن عشرتها وان يوفيها حقها من المهر والنفقة والرعاية . قال تعالى :

(وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا) النساء ٤ .

وقال سبحانه : **(وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا)** النساء ١٩ .

وتوالت آيات القرآن تحث على الزواج وتعتبره آية من آيات الله وتبين أن أساس الزواج الناجح هو المودة والرحمة والألفة وحسن المعاملة : قال تعالى :

(ومن آياته أن خلق لكم من انفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة أن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) الروم ٢١ .

٢ – العشرة بالمعروف

قرر القرآن ان الله خلق الناس من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساءا .

وفى سورة الأعراف يقول سبحانه : **(هو الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ليسكن اليها ..)** الاعراف ١٨٩ .

وسورة الأعراف من السور المبكره فى النزول ونتطوى هذه الآيه على سرين أن الرجل والمرأة زوج يكمل احدهما الآخر ، وهما فى مرتبة واحده من ناحية الحياة الانسانية وكل مافى الامر أن لكل منهما وظيفة تناسليه مختلفة عن وظيفة الآخر .

وقد تأكد هذا المعنى فى جملة مشهوره من احدى آيات سوره البقرة وهى : (**ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف**) وهى تعنى ان كل مايحق للزوج طلبه وانتظاره من زوجته من أمور مشروعة من طاعة وامانة وعفة واخلاص وحسن معاشرة ومودة واحترام وثقة وتكريم وبر وترفيه ، يحق للزوجة طلبه وانتظاره من زوجها . ومن جملة ذلك أيضا اعتبار كل من الزوجين نفسه شريكا للآخر فى مختلف نواحى الحياة ومعاملة كل منهما للآخر على هذا الاساس . وقول القرآن : (**ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف**) يؤكد قوله سبحانه (**وعاشروهن بالمعروف**) وتكررت توصية القرآن للازواج أن يكون تعاملهم فى الحياة الزوجية على أساس المعروف وكلمة المعروف كلمة بليغة المدى لأنها كلمة عامة تعنى ماهو متعارف عليه بالحق والعدل ، وهذا لايقاس بزمن بعينه ، بل يظل يتبدل ويتطور حسب ظروف الحياة الاجتماعية وتطورها . والضابط العام فيه هو أن لايحل حراما ولايحرم حلالا .

وقد روى مسلم وأبو داود عن معاوية القشيرى قال : قلت يارسول الله ماحق زوجة أحدنا عليه قال : (تطعمها اذا طعمت وتكسوها اذا اكتسيت ولاتضرب الوجه ولاتقبح .

وقوله سبحانه (**ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة**) يوضح أن لكل من الزوج والزوجة حقوقا وعليه واجبات .

فحقوق الزوجة هى المهر والنفقة والعشرة بالمعروف ، وحقوق الزوج هى طاعته والمحافظة على عرضه وماله وبيته ، ثم قال سبحانه (**وللرجال عليهن درجة**) ، وذلك ان الحياة الزوجية حياة اجتماعية ولابد لكل اجتماع من رئيس لان المجتمعين تختلف آراؤهم ورغباتهم فى بعض الامور ولاتقوم مصلحتهم الا اذ كان لهم رئيس يرجع اليه فى الخلاف لئلا يعمل كل فرد للرجل الآخر فتنفصم عروة الوحدة الجامعة ويختل النظام وجعلت الرئاسة للرجل وعبر عنها بجملة (**وللرجال عليهن درجة**) لانه أعلم بالمصلحة واقدر على التنفيذ بقوته وماله .

وقال بعض المفسرين ان كون الرجل هو المسئول عن رعاية الاسرة والانفاق عليها قد جعل له شيئا من الهيمنة عليها وهو المراد بقوله تعالى (**وللرجال عليهن درجة**) .

وتتلاقى اقوال المفسرين على أن الحياة الزوجية اساسها العشرة

بالمعروف ودعامتها التوافق والتراحم والموده والالفة والحدب والرعاية من الزوج والطاعة والوفاء من الزوجة .

وكان من آخر وصايا رسول الله صلى الله عليه وسلم (الصلاة الصلاة واستوصوا بالنساء خيرا) .

٣ ـ الرعاية والعناية بالمراة

اكرم الاسلام المراة وليدة وناشئة وفتاة وزوجة واما فقد ندد القرآن بعادة واد البنات وانذر الفاعلين بالمساءلة والعقاب قال تعالى : **(واذا الموءودة سئلت باى ذنب قتلت)** التكوير ٧ ، ٨ .

ولقد روى الشيخان والترمذى عن عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (من بلى من هذه البنات بشىء فأحسن اليهن كن له سترا من النار) ، ولمسلم والترمذى (من عال جاريتين حتى يدركا دخلت أنا وهو الجنة كهاتين) وقرن النبى بين اصبعيه .

وروى الترمذى وأبو داود عن ابى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (من كان له ثلاث أخوات او بنتان او اختان فأحسن صحبتهن واتقى الله فيهن فله الجنة) .

وروى ابو داود عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (من كانت له أنثى فلم يئدها ولم يهنها ولم يؤثر ولده عليها أدخله الله الجنة) .

وهكذا سما القرآن بمنزلة المراةفنهى عن وادها وأمر برعايتها واكرامها، وكان سلوك النبى الامين فى رعاية البنات واكرامهن مثلا يحتذى ، فقد نهى النبى عن كراهية البنات ووطد لهن اعتبارهن الانسانى . ونالت المراة فى الاسلام منزلة كريمة لم تصل الى مثلها فى بعض المجتمعات المتحضرة للآن .

ومن الحقائق القرآنية الكبرى أن ألقرآن قد قرر للمراة أهلية تامة وحقا كاملا غير مقيد بأى قيد فى جميع التصرفات المدنية والاقتصادية والشخصية بحيث جعل لها الحق والاهلية لحيازة المال مهما عظم مقداره ، والارث والهبة والوصية والدين وتملك العقار والتعاقد والتكسب والمصالحة والتقاضى والتصرف فيما تحوز وتملك بجميع انواع التصرفات اتفاقا وبيعا وعتقا وهبة ووصية وشرط موافقتها على الزواج منها ، ولم يجعل لوليها الحق فى تزويجها بمن لاتريد أو بدون اذنها ، وجعل عودتها الى زوجها الذى طلقها بموافقتها ورضائها وقناعتها ، وجعل لها الحق فى فدائها نفسها من

زوجها وحفظ لها حقها في تزويج نفسها اذا ترملت ، وبعض هذه الحقوق لم تصل اليها المراة العربية الا حديثا ، بل ولم تزل في بعض بلاد العرب محرومة منها . فالمراة في الاسلام تتصرف في مالها تصرفا تاما ، ولايشترط موافقة زوجها على تصرفاتها الخاصة في مالها. على عكس بعض النظم المعاصره التي تشترط مصادقة الزوج وموافقته حتى تصح تصرفات الزوجة في مالها .

ونصوص القرآن كثيرة متعددة تؤكد حق المراة في التصرف الخاص بها من ذلك قوله تعالى : (**وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا**) النساء ٤ .

وهذه الآيه تأمر باعطاء المراة مهرها كاملا والا يأخذ الزوج شيئا من مال زوجته الا برضاها وموافقتها وقال تعالى (**فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به**) البقرة ٢٢٩ .

وهذه الآيه تجعل حق المراة ثابتا في طلب الخلع من زوجها اذا ردت اليه المهر أو شيئا منه واتفق الطرفان على انهاء الحياة الزوجية بينهما .

وقد وردت الاحاديث النبوية تؤيد هدى القرآن وتشرحه وتبينه ، روى الخمسة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (الثيب احق بنفسها من وليها والبكر تستأمر واذنها سكوتها) .

وروى ابن ماجه ان فتاة جاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : ان أبي زوجني ابن اخيه ليرفع به خسيسته (أي ليستفيد ماديا من زواجي) فجعل النبي الامر اليها (أي أعطاها حرية الاختيار) فقالت الفتاة قد أجزت ما صنع ابي ولكن أردت أن يعلم النساء أن ليس للآباء من الأمر شيء .

وفي البخاري ومسند احمد وغيرهما مايؤكد أن المراة لابد من موافقتها على الزواج بكرا كانت أم ثيبا ، حتى يكون الزواج عن تراض ويتحقق فيه المودة والرحمة والألفة وبذلك تستقر الاسر وتسعد الاجيال .

وفي سورة النور نجد الاوامر توجه الى الرجل والمراة بغض البصر والمحافظة على العرض وتحث على التقوى والاستقامة فيقول سبحانه (**قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ان الله خبير بما يصنعون ، وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ولايبدين زينتهن الا ماظهر منها**) النور ٣٠ ، ٣١ .

وفي سورة الأحزاب آية مشهورة سوت بين الرجل والمراة في المركز والتنويه والوعد الكريم بالنتائج المترتبة على الايمان والاسلام ومظاهرهما

من طاعة وصدق وصبر وخشوع وتصدق وصيام وعفة وذكر كثير لله ، وتضمنت تقرير واجبهما او ايجاب ذلك عليها سواء بسواء .

قال تعالى : (**ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة واجرا عظيما**) الأحزاب ٣٥ .

فقد قرن الله بين المسلمين والمسلمات فى عشر صفات متتابعة ثم قرن بينهما فى الجزاء الكريم للرجل والمرأة على السواء .

٤ ـ المساواة فى الحقوق والواجبات

سوى القرآن بين المؤمنين والمؤمنات فى المسئولية والجزاء والعمل والثواب وتواترت نصوص القرآن تمدح العمل الصالح من الرجل والمرأة على السواء قال تعالى : (**من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ماكانوا يعملون**) النحل ٩٧ .

وفى صدر الاسلام هاجر الرجال والنساء وتحملت المرأة عبء الجهاد والتضحية والفداء وشاركت الرجل فى الدعوة الى الله وتحمل الأذى والقتل والقتال واستحقت المرأة نفس الثواب والجزاء قال تعالى : (**فاستجاب لهم ربهم انى لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم واوذوا فى سبيلى وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجرى من تحتها الانهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب**) البقرة : ١٩٥ .

كما سوى القرآن بين الرجل والمرأة فى العقوبة والجزاء وفى التوبة والمغفرة لمن تاب . قال تعالى (**والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم ، فمن تاب من بعد ظلمه واصلح فان الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم**) المائدة ٣٨ ، ٣٩

وفى سورة التوبة آيات تقرر تعاون المنافقين والمنافقات فى الكيد والدس والوقيعة وآيات أخرى تصور مواقف المؤمنين والمؤمنات بصورة مشرقة أساسها الايمان والعمل الصالح والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وطاعة الله ورسوله واقامة الصلاة وايتاء الزكاة ثم تبادل الولاء والتضامن فى مايلم بالمسلمين من اخطار قال تعالى : (**والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله اولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم ، وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار**) . التوبة ٧١ ، ٧٢ .

٥ ــ الأهلية التامة للمرأة

كان القرآن روحا وحياة وبعثا ، احيا الجزيرة العربية وامدها بمقومات الحياة ، والوحدة والقوة ، وجعل من المسلمين خير امة اخرجت للناس ، كما سوى القرآن بين الرجل والمراة فى وجوب طاعة الله ورسوله والتزام اوامرهما، وحذرهما سويا من معصية الله ورسوله ومخالفة امرهما . قال تعالى : **(وماكان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا)** الأحزاب ٣٦

كما اقر القرآن للمراة بالشخصية المستقلة والاهلية المستقلة تبعا لذلك فامر الرسول أن يبايع النساء اسوة بالرجال قال تعالى : **(يايها النبى اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ان لايشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن ولا ياتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وأرجلهن ولا يعصينك فى معروف فبايعهن واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم)** الممتحنة ١٢

وفى نصــوص الســنة المطهره نجد احاديث متعددة يتمثل فيها روح المساواة والأهلية التامة للمراة . فقد روى الامام احمد والترمذى وأبو داود عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال : (النساء شقائق الرجال) .

وروى البخارى ان النبى صلى الله عليه وسلم : (قال نعم نساء الانصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن فى الدين) .

وروى البخارى ايضا : (أن النساء قالت للنبى صلى الله عليه وسلم يارسول الله غلبنا عليك الرجال فاجعــل لنا يوما من نفســك فواعدهن يوما لقيهن فيه فوعظهن وأمرهن) .

ايها المؤمن

جميع ما تقدم يسوغ القول بان الشريعة الاسلامية ونصــوص القرآن والسنة قد سوت بين المسلم والمسلمة فى التكاليف العامة من زكاة وحج وجهاد وصيام وصلاة وحدود وطاعة لله ورسوله وفى واجب التواصى بالخير والرحمة والصبر والتعاون على البر والتقوى والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والتضامن وتبادل الولاء والاخلاق الحسنة ، وفى واجب تدبر كتاب الله والحث على التفكير والتعلم وانها قررت للمسلمة اسوة بالمسلم الأهلية التامة والحق الكامــل فى مختلف التصرفات المدنية وأن كل هذا يتضمن اقرار مشاركة المسلمة للمسلم فى كيان الدولة والمجتمع سواء بسواء .

ويجعل لها بالتالى الحق مثله فى النشــاط الســياسى والاجتماعى على مختلف اشــكاله وانواعه ، ومن جملة ذلك تعلــم العلوم والفنون على انواعها لاستكمال الاستعداد لممارسة الأهلية والحقوق التى منحتها ، كما جعل للمراة

الحق فى ممارسة كافة الحقوق والاعمال والحريات المباحة والمشروعة والاستمتاع بزينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق ضمن نطاق القصد والاعتدال ومجانبة الاسراف والغلو والفواحش والآثام والبغى واسباب الفتنة .

فالمراة التى كلفت بجميع التكاليف البدنية والمالية والمدنية ، وحملت مسئوليتها مثل الرجل دون اى نقص ، ينبغى لها الحق فى ممارسة كل نشاط وسعى يمارسه الرجل والاستمتاع بالحقوق والمباحات والحريات المشروعة التى يتمتع بها الرجل ، فى مجالات الحياة العامة والخاصة سواء بسواء . مع مراعاة لطبيعة المراة وطبيعة كل زمان ومكان فمن اصول هذا الدين انه لاضرار ، وان اتقاء الشبهات واجب ، وان دفع المفاسد مقدم على جلب المصالح .

وهكذا تسجل الشريعة الاسلامية للمراة منذ اربعة عشر قرنا من الحقوق والواجبات مالم تسبق بمثله بل ومالم تلحق به لأنها شريعة الله **(ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون)** المائدة ٥٠

الأم فى القرآن

نزل القرآن على النبى الكريم فى ثلاث وعشرين سنة يدعو الى الايمان ويرسم الطريق السليم لقواعد الاسلام وآدابه ، ومثله وفضائله ، وقد كان القرآن ثورة على مخلفات الجاهلية ، وبناء لصرح الفضائل والقيم الانسانية .

كان من عادات العرب فى الجاهلية توفير الغنى واحتقار الفقير ، وتعظيم القوى واهمال الضعيف

كان العرب يرحلون بحثا عن المرعى والكلأ ، وربما تركوا كبار السن يلاقون مصيرهم المحتوم فى الصحراء .

وهذا هو سر عناية القرآن البالغة برعاية الوالدين واكرامهما والتأدب فى الحديث اليهما .

كما عنى القرآن بالأم عناية خاصة لأنها تحملت آلام الحمل والولادة والرضاعة والحضانة والتنشئة ،

ولأن الأم اكثر حنانا ورقة وشفقة ، فهى الجندى المجهول وهى صانعة الاجيال وهى التى ترعى الوليد حتى يشب وتكفله بأنواع الرعاية الصحية والنفسية والغذائية قال تعالى : **(ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهنا على وهن وفصاله فى عامين ان اشكر لى ولوالديك الى المصير)** سورة لقمان ١٤

يروى ان رجلا جاء الى امير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ يطلب منه ان يمكنه من حضانة ولده من زوجته المطلقة قائلا ياأمير المؤمنين حملته قبل ان تحمله ووضعته قبل ان تضعه ، فأجابت الأم قائله يا أمير المؤمنين حمله خفيفا وحملته وقرا ووضعه شهوة ووضعته كرها ، فقضى الخليفة العادل للأم بحضانة الولد . وقد شهد القرآن للأم بهذا الجهد المشكور فقال سبحانه : **(ووصينا الانسان بوالديه احسانا حملته امه كرها ووضعته كرها ، وحمله وفصاله ثلاثون شهرا ، حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة ، قال رب اوزعنى ان اشكر نعمتك التى انعمت على وعلى والدى ، وان اعمل صالحا ترضاه ، واصلح لى فى ذريتى انى تبت اليك وانى من المسلمين)** سورة الأحقاف : ١٥

وتطبيقا لهذه الخصوصية التى يلمسها الواقع المشاهد عند كل أم ويسجلها القرآن فى سورتين من سوره .

كانت وصايا النبى الكريم بالأم متكررة تحث على رعايتها واكرامها واطاعة أمرها خاصة فى حالة الكبر والضعف ، روى الشيخان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل من أحق الناس بحسن صحابتى يارسول الله ؟ قال أمك ، قال ثم من ؟ قال أمك ، قال ثم من؟ قال أمك ، قال ثم من ؟ قال أبوك .

★★★

وفى سورة الاسراء يتحدث القرآن عن الاحسان الى الوالدين بأسلوب قوى أخاذ فيحذر من الايذاء بأقل كلمه .

ويحث على القول الكريم والمعاملة الحسنة والتلطف والادب فى رعاية الوالدين ، ويدعو الى اخلاص الضراعة لله ان يرد للوالدين جميل عنايتهما فى التربية والتقويم ، ثم يلفت الى عهد الكبر الذى يصل فيه الوالدان الى حالة تشبه الابن فى الصغر ، فيتخذ الابن من ذلك فرصة الى عنايته بهما وتلمس رضاهما وقضاء مصالحهما والتأدب فى خطابهما ورعاية شئونهما لان هذا هو رد الجميل وهو التكافل الاجتماعى وهو دين الوفاء يقضيه الابناء للآباء .

ولن تزال البشرية بخير ماحافظ الابناء على رعاية الآباء واكرام الشيخوخة ، وبر الوالدين والاحسان اليهما ، قال تعالى : **((وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر احدهما أو كلاهما فلا تقل لهما اف))** وليس هذا فقط بل **(ولاتنهرهما)** وليس هذا فقط بل **(وقل لهما قولا كريما)** وليس هذا فقط بل **(واخفض لهما جناح الذل من الرحمة)** وليس هذا فقط بل **(وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا)** سورة الاسراء ٢٢ — ٢٤ .

الأم وراء رسل الله

تحدث القرآن الكريم عن الأم واشاد بدورها العظيم فى الحمل والولادة والرضاعة والتربية ، فهى الجندى المجهول الذى يضحى بنفسه من أجل هدف سام ومبدأ نبيل .

وقد قدمت الأمهات للبشرية روادا سابقين وهداة ومرشدين ، ويكفى أن تعلم أن اربعا من كرام رسل الله كان وراء كل منهم أم مخلصة مضحية .

وهؤلاء الرسل هم اسماعيل وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام .

كان وراء اسماعيل أمه هاجر ووراء موسى أمه يوكابد ووراء عيسى أمه مريم ووراء محمد أمه آمنة .

وقامت أمهات الرسـل بدور عظيم حفظه التاريخ وسجله القـرآن الكريم .

ذهب ابراهيم خليل الله بولده اسماعيل وتركه بجوار البيت الحرام فى بلاد جدباء لا زرع فيها ولا ماء ووقفت هاجر تبحث لاسماعيل عن الماء وتصعد فوق الصفا تارة وتهبط الى المروة أخرى حتى ضرب اسماعيل الارض بقدميه فنبع ماء زمزم تحتها وجاءت هاجر تقول زمى زمى واستجاب الله دعاء الخليل لأسرته وكانت زمزم مهدا لنبى الله اسـماعيل ، فى رعاية هاجـر وكفالتها ، وجاءت قبيلة جرهم من اليمن تستاذن فى الاقامة بجوار زمزم ، فاشـترطت هاجر على شيوخ القبيلة ان يقيموا ضيوفا لا أصحاب حق فى زمزم . فقبلوا ، وأقاموا ضيوفا مجاورين لاسماعيل ثم أصهاره فيما بعد ، وتبادل اسماعيل المنافع معهم ، وقد تحدث القرآن عن دعاء الخليل ابراهيم حين قال : ((**ربنا انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون**)) ابراهيم ٣٧ .

وقد وقفت ام نبى الله موسى مواقف خالدة ، حفظت وليدها من الضياع وحمته من القتل ، بثباتها وصبرها وايمانها ، وصارت مثـالا خالدا للصـبر والايمان ، قال تعالى : ((**واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه فاذا خفت عليـه فالقيـه فى اليم ولاتخـافى ولاتحزنى انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسـلين**)) القصص ٧ .

اما عيسى فقد كان معجزة للبشرية حملته أمه على غير مألوف البشر ، فقد نفخ فيها الملاك جبريل ، فتم الحمل وتمت الولادة وتمنت مريم الموت حياء من قومها ، لكن الله أنطق وليدها بما يطمئنها وجاءت بعيسى الى قومها ، فلاموها وعيروها فصمتت مريم عن الكلام وتركت وليدها يقـول فى اعجـاز وبيان : (**قال انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا ، وجعلنى مباركا اينما كنت واوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حيا ، وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا**) مريم ٣٠ ـ ٣٢ .

وقد صدقت مريم بكلمات ربها وكتبه ، ووقفت وراء المسـيح طفـلا وناشئا ، وآمنت به نبيا ورسولا ، قال تعالى : ((**ومـريم ابنـة عمـران التى احصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربهـا وكتبه وكانت من القانتين**)) التحريم ١٢ .

ونبينا محمد عليه الصلاة والسلام مات أبوه عبد الله وهو جنين فى بطن امه وجاءت الاخبار الى آمنة بنت وهب بوفاة زوجها الشاب فكان حزنها شديدا ومصابها جللا بيد انها احست بالسـلوى بين أحشـائها وبشرتها الرؤى بأنها حملت خير البشرية وهداية الانسانية فكرست حياتها للوليد المبارك وأودعته

آمالها ورجاءها . ولما بلغ عمر النبى سبع سنين حملته أمه لزيارة أخواله من بنى النجار فى المدينة وعادت آمنة بمحمد الى مكة فثقلت عليها الحمى فى الطريق واحست انها ستودع الحياة ، وفى مكان يسمى الأبواء بين مكة والمدينة قربت الأم وليدها من صدرها وبثته حنانها وآمالها ، وماتت قريرة العين بطهارته وامانته ، وقالت آمنة فى وداع ابنها الوحيـد ، كل حى سـيفنى وكل جديد سيبلى ولقد ولدت طهرا وخلفت شرفا فأنا باقية وذكرى ممتد فى العالمين .

(٤)

الجــهاد

الجهاد فى الاسلام

جاء الاسلام دعوة عامة لهداية الناس واخراجهم من الظلمات الى النور وارسل الله محمدا صلى الله عليه وسلم (**شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا**) (١) ، ليرشد الحيارى ويهدى الظالمين ، قال تعالى :

(وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) (٢) .

ولأن الرحمة الاســلامية تعم ولا تخص كان لها جانبان احدهما : بث التآلف والتواد والتراحم بين اهل الايمان واهل الحق ، والتعاون معهم على اقامة الحق ونصرته واعلاء كلمته ،

والجانب الثانى منــع الظلم ودفع الاذى ، والغلظـة على الظالمين حتى يؤوبوا الى الحق ، وعلى المعتدين حتى يكفوا عن الاعتداء .

وكان المسلمون نموذجا فريدا يجمع بين جانبى الرحمــة ، قال تعالى **(اشداء على الكفار رحماء بينهم)** (٣) .

ومن قانون الرحمة شرعت شريعة الجهاد ، فالجهاد فى الاسلام هو دفع الاعتداء واقامة الحق ورفع مناره والقضاء على الظلم والفساد .

ان الرحمة بالانسانية توجب وقف المعتدى عن الاعتداء ومنع الظالم من

---

(١) الأحزاب ٤٥ ، ٤٦ .

(٢) الأنبياء ١٠٧ .

(٣) الفتح ٢٩ .

الظلم ودفع الفساد فى الأرض واقامة دعائم الحق ، وذلك لايكون اذا قيل للمعتدى : قف مكانك ، وقيل للمظلوم إن معك من يحميك ومن يدفع عنك شر الظالم ، فاذا كان فى الحرب قتل ففيها منع لسفك الدماء ان قام بها أهل الحق والعدل .

★★★

ان الخير والشر يتنازعان فى كل انسان ، وفى انفس الجماعة وبين الدول. فمع الشر الاعتداء ومع الخير منع الاعتداء . ولذلك كان الجهاد شريعة ماضية الى يوم القيامة كما قال عليه الصلاة والسلام « الجهاد ماض الى يوم القيامة» لأن النزاع بين قوى الشر والخير ماض الى يوم القيامة ، فكان الجهاد لابد أن يستمر ليمنع الشر من أن يسيطر ، وليظهر الحق حتى لايضعف ولا يذل ولولا ذلك لعم الظلم وظهر الفساد فى البر والبحر من غير أن يظهر خير بجواره ،قال تعالى (**ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين**) (١).

تفنيد فرية :

اتهم بعض المغرضين الاسلام بانه قام على السيف والحروب ، وهذه دعوى باطلة للاسباب الآتية :

١ ـ الاسلام معناه الاذعان والانقياد واخلاص القلب لله ، وذلك يتنافى مع الاكراه والاجبار ، قال تعالى (**لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى**) (٢).

٢ ـ الاسلام يفرض على المؤمن به أن يكون واثقا بربه متيقنا بوجوده مؤمنا بقدرته ايمانا ثابتا عن يقين . قال تعالى (**قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم**) (٣) .

٣ ـ نهى القرآن الكريم عن الفتنة فى الدين واعتبر فتنة المتدين فى دينه أشد من قتله . قال تعالى (**والفتنة اكبر من القتل**) (٤) .

ولقد منع النبى صلى الله عليه وسلم رجلا حاول أن يكره بعض ولده على الدخول فى الاسلام . وجاءت امراة عجوز الى عمر بن الخطاب فى حاجة لها ، وكانت غير مسلمة فدعاها الى الاسلام فابت فتركها عمر ، وخشى أن يكون فى

---

(١) البقرة/٢٥١ .
(٢) البقرة/٢٥٦
(٣) الحجرات/١٤
(٤) البقرة/٢١٧ .

قوله وهو أمير اكراه فانجه الى ربه ضارعا قائلا : اللهم ارسدت ولم أكره ، وتلا قوله تعالى (**لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى**) (١) .

مشروعية القتال

شرع القتال للاسباب الآتية :

١ ـ الدفاع عن النفس ورد العدوان ، قال تعالى (**فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل مااعتدى عليكم**) (٢) .

٢ ـ ازاحة طواغيت الكفر والظلم من طريق الدعوة ، حتى يستطيع الفرد العادى أن ينظر فيها وأن يعتقد ما يشاء مجردا من الخوف والارهاب، قال تعالى (**وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله**) (٣) .

٣ ـ الاخذ على يد العابثين ، الذين يشوهون حقائق الاسلام ، وينفرون الناس منه ، ثم هم يخونون العهود وينقضون المواثيق ، قال تعالى (**وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم ، وطعنوا فى دينكم ، فقاتلوا ائمة الكفر انهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون**) (٤) .

٤ ـ حماية الضعفاء من العجزة والصغار والنساء ودفع الظلم عنهم ، قال تعالى (**وما لكم لاتقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل من لدنك نصيرا**) (٥) .

وقد ورد فى سبب نزول هذه الآية أن أقواما من ضعاف المسلمين لم يتمكنوا من الهجرة ، اذ حالت قريش بينهم وبين مايريدون تسومهم سوء العذاب لتصرفهم عن دينهم وتفتنهم فى عقيدتهم فكانوا يضجون بالدعاء قائلين : (**ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا**).

---

(١) البقرة ٢٥٦ .

(٢) البقرة ١٩٤ .

(٣) البقرة ١٩٣ .

(٤) التوبة ١٢ .

(٥) النساء ٧٥ .

الاسلام بين الحرب والسلام

الاسلام فى طبيعته دين السلام فالله اسمه (السلام) (١) ، والجنة اسمها (دار السلام) (٢) وتحية المؤمنين فى الجنة هى السلام : (**تحيتهم يوم يلقونه سلام**) (٣) والقرآن نزل فى موكب من السلام قال تعالى (**انا انزلناه فى ليلة القدر ..... سلام هى حتى مطلع الفجر**) (٤) . وحين ينتهى المؤمن من صلاته ينتهى بالسلام ، فالصلاة فترة محدودة كان يخاطب فيها ربه ويناجيه، ثم يبدأ تعامله مع الناس بقوله : السلام عليكم عن اليمين ، والسلام عليكم عن اليسار .

ولن يتردد المؤمن فى قبوله دعوة السلام اذا دعى اليها قال تعالى : (وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله) (٥) .

★ ★ ★

ومع ان القتال شرع لدفع الاعتداء لم يأمر القرآن بالحرب عند اول بادرة من الاعتداء ، او عند الاعتداء بالفعل اذا امكن دفع الاعتداء بغير القتال فقد جاء فيه (**وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به ، ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ، واصبر وماصبرك الا بالله ولاتحزن عليهم ولا تك فى ضيق مما يمكرون**) (٦) .

وقد مكث النبى صلى الله عليه وسلم فى مكة ثلاثة عشر عاما يدعو الى دين الله ويسوق الادلة على وجوب الايمان ويلفت انظار الناس الى كتاب الله المفتوح وهو الكون ، وكتابه المقروء وهو القرآن ، ولكن اهل مكة وقفوا فى طريق دعوته وعذبوا اتباعه حتى اضطروهم الهجرة الى الحبشة والى المدينة ثم اذن الله للمؤمنين بالانتصاف لأنفسهم وبدفع الظلم عن دعوتهم قال تعالى (**اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير . الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله** (٧)) .

قوانين الحرب :

الاسلام فى طبيعته دين السلام ، ولكنه اذا اضطر الى الحرب حارب دفاعا عن النفس ، وحماية للعقيدة ، وتحطيما لطواغيت الكفر ، وحماية

---

(١) الحشر : ٢٣ .
(٢) الأنعام : ١٢٧ .
(٣) الأحزاب : ٤٤ .
(٤) القدر : ٥
(٥) الأنفال : ٦١ .
(٦) النحل : ١٢٦ .
(٧) الحج : ١٣٩ ، ١٤٠ .

للمستضعفين ، واحقاقا الحق ، وتمكينا لدين الله فى الارض ، حتى يصل الى الناس بدون معوقات ، وتكون لهم الحرية التامة فى اعتقادهم وفكرهم . واذا فالاصل هو السلام والحرب ضرورة اجتماعية وانسانية ومع ذلك فقد امـر الاسلام بالفضيلة فى الحرب لان الحرب موجهة ضد الظلم والعدوان والطغاة لا ضد الافراد والشعوب ، ولذلك حرم النبى قتل من لم يقاتل ، وكان يوصى قواده الا يتعرضوا الى قتل النساء والاطفال والشيوخ وكل من لم يباشر القتال وليس له رأى فى القتال ، ورأى رسول الله (ص) امرأة مقتولة بعد انتهاء معركة فوجه اللوم الى القائد خالد بن الوليد وقال : « ماكانت هذه لتقاتل» .

فالحروب الاسلامية حروب فاضلة فى الباعث عليها وفى سيرها وفى انتهائها وفى معاملة المغلوبين لانها تستمد نظمها من قوانين السماء ومن هدى الله الحكيم العليم .

اعداد الامة للجهاد

الاسلام رسالة وفكرة وعقيدة ومنهج ، وقد اهتم ببناء الانسان وتكوينه كما عنى ببث الروح المعنوية العالية والفكرة السليمة والهدف الواضح ، لقد زين الايمان فى قلوب المؤمنين ووضح دعائمه وآدابه ورسم للامة طريق النصر واعدها للقتال اعدادا سليما .

ومن وسائل هذا الاعداد اتباع الدعائم الآتية :

١ ـ الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر .

لقد كان الايمان حجر الاساس فى تحول العرب من حفاة بداة متخلفين الى امة متحضرة مؤمنة متعاونة تؤمن بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا وتتبع احكام هذا الدين فى اقامة الصلاة ، وايتاء الزكاة والصيام والحج، ثم تتسابق الى ميدان القتال طلبا للشهادة واملا فى ثواب الآخرة ، ولازال العامل البشرى من اهم العوامل الحاسمة فى المعركة ، وقد اثبتت حرب ٦ اكتوبر ١٩٧٣ الموافق ١٠ رمضان ١٣٩٣ هـ اهمية هذا العامل ، فقد تسابق الرجال يعبرون القناة ، ويجتازون خط بارليف ، ويستهينون بالموت عند اللقاء ، حتى حطموا اسطورة اسرائيل ، واثبتوا أن الايمان عامل حاسم من اهم عوامل النصر .

٢ ـ اعداد العدة وتجهيز ادوات القتال والتدريب عليها واستخدام احدث الاسلحة ، وبذل المال الكافى لشراء السلاح الحاسم فى المعركة قال تعالى (**واعدوا لهم مااستطعتم من قوة**) (١) . اى أقصى مانستطيع من قوة للدفاع

---

(١) الانفال/٦٠ .

عن أوطاننا ودينناوهذه القوة تكون فى كل عصر بما يناسبه ، فمن هذه القوة تزويد الامة بمختلف أدوات الحرب الحديثة من مدافع وبوارج وطائرات ومصفحات وأسلحة ذرية وصواريخ وقنابل وغير ذلك . كذلك يجب على المسلمين أن يتعلموا الفنون التى يتوقف عليها صنع هذه المعدات لأن مالايتم الواجب الا به فهو واجب .

٣ ـ وحدة الصف ، وتماسك طوائف الامة وترابط المقاتلين والمجاهدين. قال تعالى **(ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص (١)**

٤ ـ البعد عن أسباب الخلاف والنزاع ، فان يد الله مع الجماعة ومن شذ شذ الى النار قال تعالى **(ولاتنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين)** (٢) . وفى الحديث : « من آتاكم وأمركم جميع يريد أن يفرق بينكم فاضربوه بالسيف كائنا من كان» .

٥ ـ الثبات فى الميدان وطاعة الله والتزام اوامره والبعد عن معاصيه . قال تعالى : **(ياأيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون)** (٣) .

٦ ـ الصبر على المكاره وتحمل تبعات الحرب وتكاليف الجهاد قال تعالى **(يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون)** (٤).

٧ ـ عدم تصديق الاشاعات والاراجيف ، ومحاولة اليأس والقنوط ، والقضاء على اساليب العدو ، وعلى الحرب النفسية التى يشنها رغبة منه فى تثبيط الهمم والتبشبس من النصر . قال تعالى **(ياأيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا)** (٥) .

٨ ـ الحذر واليقظة وعدم الاستهانة بالعدو ، قال تعالى **(ياأيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعا)** (٦) .

٩ ـ طاعة القائد وتنفيذ الاوامر والمحافظة على الضبط والنظام : قال تعالى : **(ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم)** (٧) .

---

(١) الصف/٤ .

(٢) الأنفال/٤٦ .

(٣) الأنفال/٤٥ .

(٤) آل عمران/٢٠٠

(٥) الحجرات/٦ .

(٦) النساء/٧١ .

(٧) النساء/٥٩ .

١٠ ـ عدم الفرار من الميدان والاستماتة فى القتال حتى النصر أو الشهادة قال تعالى (**ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما**) (١) . ان الشجاعة صبر ساعة ، ورب ثبات لحظات يحول المعركة من هزيمة الى نصر ولذلك حرم الله الفرار من المعركة قال تعالى : (**ياأيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير**) (٢) .

١١ ـ الثقة بان النصر من عند الله وان على المؤمن ان يعد العدة وان يأخذ فى الأسباب ثم يتوكل على الله (**وما النصر الا من عند الله**) (٣) .

١٢ ـ الثبات فى المحنة والهزيمة ، والثقة بأن مع العسر يسرا ومع الشدة فرجا . وتقبل الهزيمة بروح المتوثب للثأر الواثق بان الايام دول يوم لك ويوم عليك . قال تعالى (**ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس**) (٤) .

ترغيب الاسلام فى الجهاد

رغب الاسلام فى الجهاد وحث عليه ، واعتبر الجهاد من أشرف الاعمال وافضلها ، وجعل الجهاد تجارة رابحة رأس مالها الايمان بالله والجهاد فى سبيله هذه التجارة مغفرة الذنوب ودخول الجنة ، وهناك جزاء عاجل فى الدنيا وهو النصر المبين والبشرى للمؤمنين ، قال تعالى :

(ياايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم ، تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله باموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون ، يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم ، واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين) (٥) .

وفى نصوص القرآن والسنة نجد ان الجهاد أفضل الأعمال ، واكثرها ثوابا ، واعظمها اثرا ، اذ يشتمل الجهاد على الفضائل الآتية :

---

(١) النساء/٧٤ .

(٢) الأنفال/١٥ ، ١٦ .

(٣) الأنفال/١٠ .

(٤) آل عمران/١٤٠ .

(٥) الصف/١٠ ـ ١٣ .

١ ــ الجهاد افضل انواع العبادة . روى البخارى عن ابى هريرة رضى الله عنه قال : جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم : دلنى على عمل يعدل الجهاد . قال : لاأجده ، ثم قال : هل تستطيع اذا خرج المجاهد ان تدخل مسجدك فتقوم ولاتفتر (١) ؟ وتصوم ولا تفطر ؟ قال ومن يستطيع ذلك .

٢ ــ المجاهد لاينال الا احدى الحسنيين ، فهو ان مات دخل الجنة وان عاش فله الأجر والغنيمة ، او له عظيم الثواب ان لم يحصل على غنيمة . قال تعالى : (**قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين**) (٢) .

٣ ــ الجهاد افضل من التفرغ للعبادة والانقطاع عن الناس ، فلا رهبانية فى الاسلام ورهبانية المسلمين هى الجهاد .

قال صلى الله عليه وسلم : « ان مقام احدكم فى الصف ساعة افضل من صلاته فى بيته سبعين عاما » (٣) .

٤ ــ الجهاد فى سبيل الله أمان من نار جهنم ، وبراءة من عذابها ، قال صلى الله عليه وسلم : « عينان لاتمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس فى سبيل الله (٤) .

٥ ــ حث القرآن الكريم على الجهاد فى كثير من آياته ، وبين فضله وثوابه، وحذر من القعود والتخلف عن الجهاد ، وتوعد من ترك الجهاد بالعذاب والنكال . قال تعالى (**الا تنفروا يعذبكم عذابا اليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شيء قدير**) (٥) .

---

(١) لا تفتر : لا تنام .

(٢) التوبة/٥٢ .

(٣) رواه الترمذى وحسنه .

(٤) رواه الترمذى وقال حديث حسن .

(٥) التوبة/٣٩ .

الرباط

الرباط : هو الاقامة بالسلاح فى المكان الذى يتوقع هجوم العدو فيه للحراسة والدفاع . وهو قسمان :

١ ـ حراسة الحدود لصد العدوان الخارجى ، وهذا مايقوم به الجيش المنظم .

٢ ـ حراسة داخل البلاد . وهو مايسمى فى عصرنا بالمقاومة الشعبية .

مكان الرباط :

مكان الرباط هو الموقع الذى يتوقع هجوم العدو عليه ، وتكون هذه المواقع عادة آخر الحدود الآمنة للمسلمين .

فضل الرباط :

المرابط انسان مخلص يقف على خط النار دفاعا عن المسلمين وحماية لأوطانهم ، فهو راهب متجرد وفدائى غيور يبيع نفسه لله ويشترى جنة عرضها السموات والارض . قال تعالى (**ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن اوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم**) (١) .

وعن عثمان بن عفان رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «رباط يوم فى سبيل الله خير من الف يوم فيما سواه من المنازل» (٢) .

---

(١) التوبة/١١١ .

(٢) المدخل لابن الحاج ١١٥/٢ ، وفيه قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح .

حكم الرباط فى سبيل الله

الرباط فرض كفاية فى الاحوال العادية ، واذا فعله البعض بصورة كافية ، سقط عن بقية المسلمين ، واذا لم يفعله احد اثم الجميع ، لأنه يتوقف عليه حماية وحراسة ارض المسلمين واموالهم واعراضهم ومصالحهم، أما فى غير الاحوال العادية فهو فرض عين على القادر ، وهؤلاء المرابطون هم المقاتلون فى المعارك لأنهم مسلحون ومدربون ومستعدون .

اجر من مات مرابطا فى سبيل الله

المرابط مجاهد فى اخطر الاماكن وامسها بسلامة الامة وامنها ، فهو فى عبادة وثواب كبير واذا مات فى الرباط استمر ثوابه واجره الى يوم القيامة، وامنه الله من الفزع يوم البعث والحشر وحرم النار عليه وأوجب له الجنة . قال صلى الله عليه وسلم : « كل ميت يختم على عمله الا المرابط فى سبيل الله فانه ينمى له عمله الى يوم القيامة ويؤمن من فتنة القبر» (١) . وقال (ص) « حرمت النار على عين دمعت أو بكت من خشية الله ، وحرمت النار على عين سهرت فى سبيل الله » (٢) .

الشهداء

الشهيد هو من قتل فى معركة بيننا وبين أعداء الدين ، أو جرح وبقى فى موضع المعركة حتى مات ، ولم يتمتع بعد اصابته بشىء من ملذات الحياة، وكان يقاتل لتكون كلمة الله هى العليا وكذلك من قتله قطاع الطريق ، والخارجون على الامام أو قتل دون ماله أو عرضه .

ومن الشهداء شهداؤنا فى معارك التحرير فى حرب رمضان وما قبلها وما بعدها ، لقد أدوا واجبهم واستعذبوا الموت فى سبيل الله ولفظوا أرواحهم وجادوا بحياتهم دفاعا عن أوطانهم وامتهم فلهم جزاء الله فى الجنة وثوابه فى الآخرة .

حكم الشهداء :

لايغسل الشهداء ولا يكفنون بل تترك عليهم ثيابهم وينزع عنهم الاشياء التى لاتصلح للكفن كالفرو أو الدرع، كما ينزع عنهم أدوات الحرب لينتفع بها

---

(١) رواه أبو داود والترمذى ـ الترغيب والترهيب جـ ٢ ص ٣٦٦ .

(٢) رواه أحمد وغيره ـ الترغيب والترهيب جـ ٢ ص ٣٧٣ .

غيرهم ، وفى الحديث الشريف : «كفنوهم بكلومهم (١) ودمائهم فانهم يبعثون يوم القيامة واوداجهم تشخب دما اللون لون الدم والريح ريح المسك » .

ولا يصلى على الشهداء اكتفاء بشرف الشهادة عند جميع الائمة عدا الحنفية فانهم قالوا يصلى على الشهيد .

شهداء الآخرة :

وهم كل من جرح فى المعركة ونقل من مكانها وتناول شيئا من متاع الدنيا كالاكل والشراب والنوم . وهؤلاء شهداء فى الآخرة دون الدنيا ، فلهم ثواب الشهادة فى الآخرة ، لكنهم فى الدنيا يعاملون معاملة سائر الموتى فيغسلون ويكفنون ويصلى عليهم كسائر الناس .

فى حكم الشهداء :

عد عليه الصلاة والسلام اقواما واخبر انهم من الشهداء ، ومن هؤلاء: الذين ماتوا بالطاعون من غير فرار منه ، ومنهم الذين ماتوا غرقى أو حرقى أو ماتوا بمرض البطن والصدر ، ومنهم من مات غريبا عن وطنه واهله ، ومنهم المرابطون فى سبيل الله . فهؤلاء لهم ثواب الشهداء فى الآخرة ولا تطبق عليهم احكام الشهداء فى الدنيا .

وشهادة هؤلاء تسمى الشهادة الصغرى اما من مات فى المعركة فهو شهيد شهادة كبرى .

ثواب الشهداء

الشهداء عادة اكرم الناس نفوسا واخلصهم قلوبا ، انهم يحملون ارواحهم على اكفهم ويجودون بها فى سبيل الله رخيصة عليهم غالية فى موازين الحق ، ولذلك يهبهم الله الخلود فى حياة برزخية ابدية قال تعالى **(ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله اموات بل احياء ولكن لاتشعرون)** (٢) .

ومن ثواب الشهداء مايأتى :

١ ـ الشهيد فى الفردوس الأعلى من الجنة تسبح روحه حول العرش وتأوى الى قناديل من نور ، ولها اعظم المنازل عند الله وفى جواره وفضله ، قال تعالى **(ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من**

---

(١) الكلوم جمع كلم وهو الجرح .

(٢) البقرة/١٥٤ .

النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا . ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما) (١) .

٢ ـ جراح الشهيد تأتى يوم القيامة وهي وسام على صدره تطفح دما ، لونها لو الزعفران وريحها ريح المسك .

٣ ـ الشهداء احياء عند الله ، يتمتعون بنعيم الجنة ، ويكافاون بأرفع المنازل فى جنات عدن عند مليك مقتدر ، وقد تكفل الله ان ينقل أخبار الشهداء الى المؤمنين بيانا لفضل الشهادة وترغيبا للعمل من اجلها ، عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لما اصيب اخوانكم بأحد جعل الله ارواحهم فى جوف طير خضر ترد انهار الجنة وتأكل من ثمارها ثم تأوى الى قناديل من ذهب معلقة فى ظل العرش ، فلما وجدوا طيب ماكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا : من يبلغ اخواننا عنا انا احياء فى الجنة نرزق لئلا يزهدوا فى الجهاد ، ولاينكلوا (٢) عند الحرب، فقال الله أنا ابلغهم فأنزل الله قوله : **(ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون)** (٣) .

٤ ـ لشهيد الجو وشهيد البحر من الثواب اضعاف ما لشهيد البر لما فى ركوب الطائرة والبارجة من المخاطرة واقتحام الاهوال ، والاستعداد للبذل والفداء والتضحية ، قال صلى الله عليه وسلم : « غزوة فى البحر خير من عشر غزوات فى البر » (٤) .

٥ ـ الشهادة فى سبيل الله سنام العمل الصالح وذروة الاعمال الكريمة وافضل المآثر والامجاد وهى أحسن مايلقى به العبد ربه واكرم تاج يحمل صاحبه وأبقى ذكرى وأخلد عمل .

منزلة الجهاد فى الاسلام

الجهاد فريضة محكمة ، وشريعة ماضية الى يوم القيامة ، وقد تأيدت فرضيته بالكتاب والسنة والاجماع .

قال تعالى : (كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لاتعلمون)(٥)

---

(١) النساء/٦٩ ، ٧٠ .

(٢) نكل عن العدو وعن اليمين من باب دخل اى جبن .

(٣) آل عمران/١٦٩ .

(٤) رواه الحاكم وقال صحيح على شرط البخارى .

(٥) البقرة/٢١٦ .

وقال صلى الله عليه وسلم « **الجهاد ماض الى يوم القيامة** » اى فرضا باقيا لاعزاز الدين ودفع الشر عن العباد . وأجمعت الأمة على فرضية الجهاد. الا انه أحيانا يكون فرض كفاية واحيانا يكون فرض عين .

حكم الجهاد

الاصل فى الجهاد انه فرض على الكفاية اذا قام به البعض سقط الاثم عن الباقين (١) . وفى عصرنا الحاضر نجد ان القتال أصبح فنا ودراسة ، ويحتاج ليلاقة ومهارة وتمرينا ، بل وتفرغا لاحكامه ، ونجد أن الجندى فى الميدان محتاج الى جبهة متكاملة تؤدى واجبها من خلفه ، فالزراعة والصناعة والتعليم وكل وسائل البناء والعمران ادوات لازمة لرقى الأمة وامداد المجاهدين بما يحتاجون اليه .

فلا يمكن أن يكون الجهاد فرض عين ابتداء ، لأن الناس لو خرجت جميعا للجهاد فلن يكون هناك زراع يزرعون الأرض ، ولن يكون هناك صناع يمدون الجيش بالقوة المطلوبة ، وبذلك تفقد الامة قوة الانتاج ولا تجد من يقدم للجنود حاجاتهم .

والجهاد عمل من أشق الاعمال ، ومن يسر الاسلام الا يكون التكليف الشاق مستمرا والا يكون على جميع الناس . قال تعالى (**يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر**) (٢) . فلا يكون الجهاد واجبا الا على القادر عليه ويكون من ورائه من سائر الافراد فى جهاد آخر ، فالزارع يؤدى واجبا كفائيا والصانع سواء أكان نساجا او حدادا أو غير ذلك يؤدى واجبا كفائيا وهكذا . فالناس مختلفون قوى ومواهب وكل ميسر لما خلق له . وكل يقوم بفرض كفاية لاتستغنى عنه الأمة فى عمله والنبى صلى الله عليه وسلم كان يخرج الى الجهاد ولا يخرج جميع أهل المدينة (٣) .

متى يكون الجهاد فرض عين :

يصير الجهاد فرض عين على كل مسلم ومسلمة اذا هاجم العدو أرض الاسلام .فعلى كل قادر حينئذ أن يقوم بالدور الذى يسند اليه ، فالعلماء والعمال والتجار وغيرهم كل منهم يصير مجاهدا اثناء المعركة اذا كلفهم الامام بالبقاء فى مواقعهم واخلص كل منهم فى عمله وابتغى به وجه الله وكان فى نيته أن يساعد المجاهدين .

---

(١) فتح القدير : ٢٨١/٤ .

(٢) البقرة/١٨٥ .

(٣) الاختيار كتاب السير ٧٣/٣ .

قال صاحب الاختيار : الجهاد فرض عند النفير العام وكفاية عند عدمه قال تعالى **(انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله)** (١)

والنفير العام : أن يحتاج الى جميع المسلمين فلا يحصل المقصود وهو اعزاز الدين وقهر المشركين الا بالجميع فيصير عليهم فرض عين كالصلاة (٢) .

الاقرب فالاقرب :

اتفق الفقهاء على انه يجب على اهل كل ثغر ان يقاتلوا من بين ايديهم ، من الاعداء ، وأن عجزوا ساعدهم من يليهم الاقرب فالاقرب قال تعالى **(ياأيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين)** (٣) .

واذا التقى الزحفان وتلاقت الجيوش وجب على المسلمين الحاضرين الثبات وحرم عليهم الفرار الا أن يكونوا متحرفين لقتال أو متحيزين الى فئة أو يكون الواحد أمام ثلاثة من الاعداء أو المائة أمام ثلاثمائة فيباح الفرار . ولهم الثبات مع ذلك لاسيما مع غلبة ظنهم بالظهور عليهم . (٤)

وعيد المتخلفين عن الجهاد :

توعد الله المتخلفين عن الجهاد بالعذاب والنكال ، فما ترك قوم الجهاد الا سلط الله عليهم ذلا لاينزعه حتى يعـودوا الى أمر الله ، قال تعالى **(فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سـبيل الله وقالوا لا تنفروا فى الحـر قل نار جهنم أشـد حـرا لو كانوا يفقهون)** (٥) .

كما ورد فى السنة المطهرة تحذير شديد من ترك الجهاد والتخلف عن المجاهدين ، قال رسول الله صـلى الله عليه وسـلم : « من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق » . ـ رواه مسلم .

واجب الأمة نحو المجاهدين :

المجاهد رمز للتضحية والفداء ، أنه خط الدفاع الاول ، وهو يتعرض للموت فداء لوطنه وأمته فواجبنا نحو المجاهدين أن نرعى أسرهم وأن نحافظ

---

(١) التوبة/٤١ .

(٢) الاختيار شرح المختار كتاب السير ٣/٧٣ .

(٣) التوبة/١٢٣ .

(٤) الميزان الكبرى للشعرانى ٢/١٧٠ .

(٥) التوبة ٨١ .

على حرماتهم وان نبذل المال لمساعدتهم على القيام بواجبهم ، والا نبخل عليهم بجهد أو نفع أو جاه ، وان نكرم المجاهدين عند عودتهم وان تدعو لهم بالنصر والتوفيق .

روى البخارى ومسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من جهز غازيا فى سبيل الله فقد غزا ومن خلف غازيا فى سبيل الله فى اهله بخير فقد غزا » . (١)

---

(١) الترغيب والترهيب ، جـ ٢ ص ٣٧٧ .

غزوة بدر الكبرى

هاجر المسلمون من مكة الى المدينة وتركوا اموالهم وأوطانهم حفاظا على دينهم ودفاعا عن عقيدتهم ، قال تعالى **(ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد) ٢٠٧ ـ البقرة**

وكانت لقريش تجارة على طريق المدينة فقال النبى لأصحابه هذه عير لقريش ، اخرجوا اليها عل الله أن ينفلكموها فخف بعض النـــاس وتخلف أكثرهم ثقة منهم بأن النبى لن يلقى حربا .

ولما علمت قريش بالامر سارعت بالخروج الى حرب المسلمين وفى الطريق علموا أن تجارتهم قد نجا بها ابو سفيان ، وارسل اليهم ابو سفيان يطلب منهم العودة الى مكة .

فقال ابو جهل لا نرجع حتى نحضر بـدرا فنقيم فيه ثلاثا ننحر الجزر ونطعم الطعام ونسقى الخمر وتسمع بنا العرب ، فلا يزالون بها يهابوننا .

وسار جيش المشركين حتى وصل وادى بدر فنزل فى عدوته القصوى عن المدينة فى ارض سهلة لينة .

أما جيش المسلمين فانه نزل بعدوة الوادى الدنيا من المدينة فى أرض سبخة ـ فأصبح المسلمون عطاشا وبعضهم محدث فى حاجة الى الطهارة .

فأرسل الله لهم الغيث حتى سال الوادى فشربوا واتخذوا الحياض ، واغتسلوا ، وملأوا الاسقية ، ولبدت الارض حتى ثبتت عليها الاقدام . .

على حين كان هذا المطر مصيبة على المشركين فانه وحل الارض حتى لم يعودوا يقدرون على الارتحال ، ومصداق هذا قوله تعالى فى سورة الانفال .

(اذ يغشيكم النعاس امنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام) .

وقبيل المعركة اخذ عليه الصلاة والسلام يعدل صفوف المسلمين ويأمر بالصبر والثبات ثم قال (والذى نفس محمد بيده لايقاتلهم اليوم رجل مقبل غير مدبر الا وجبت له الجنة)

والتفت النبى الى جيش المشركين فقال (اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب لبيك اللهم فنصرك الذى وعدتنى)

ثم ابتدا القتال بالمبارزة فخرج من صفوف المشركين ثلاثة نفر عتبة بن ربيعة بين اخيه شسبية وابنه الوليـد فطلبوا اكفاءهن فخرج اليهم ثلاثة من الانصار فقالوا لا حاجة لنا بكم انما نريد اكفاءنا من بنى عمنا .

فاخرج لهم عليه الصـلاة والسـلام عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب ، وحمزة بن عبد المطلب وعلى بن ابى طالب .

فقتل حمزة شيبة وعلى الوليد وكرا على عتبة فقتلاه واحتملا عبيدة جريحا .

وبعد انقضاء هذه المبارزة بدا الهجوم بالصفوف والتحم الجيشان وحمى الوطيس وارسل الله ملائكة السماء تؤيد المؤمنين وتثبتهم قال تعالى **(اذ يوحى ربك الى الملائكة انى معكم فثبتوا الذين آمنوا سـألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنـان . ذلك بانهم شـاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب)** ١٣ ـ الانفال.

واخذ النبى حفنة من التراب ورمى بها فى وجوه الكافرين وقال شاهت الوجوه لا يرغم الله الا هذه المعاطس .. اللهم انشدك عهدك ووعدك اللهم ان شئت لم تعبد .. سيهزم الجمع ويولون الدبر ولم تكن الا ساعة حتى هزم المشركون وولوا الادبار وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون فقتل من المشركين نحو السبعين واسر منهم نحو السبعين .

وقد امر عليه الصلاة والسـلام بالقتلى فجمعوا فى قبر واحد ثم وقف عليهم وجعل يناديهم بأسمائهم واسماء ابائهم فيقول

يا ابا جهل بن هشام يا أبى بن خلف ، يا فلان بن فلان ،

أيسركم انكم اطعتم الله ورسوله ، فانا قد وجدنا ماوعدنا ربنا حقا ، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا ؟

فقال عمر يارسول الله ماتكلم من اجساد لا ارواح فيهـا فقـال النبى والذي نفس محمد بيده ماانتم بأسمع لما أقول منهم ولكنهم لايجيبون .

.. وهكذا اتم الله النصر للمؤمنين على قلة عددهم وعدتهم وادال لهم من الكافرين على كثرة عددهم وعدتهم ليكون ذلك درسا بليغا فى اثر الايمان

الصادق والعقيدة السليمة (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين) (ومايعلم جنود ربك الا هو وما هى الا ذكرى للبشر) ٣١ المدثر .

فمن جنوده الملائكة ومن جنوده سلاح الرعب والخوف ومن جنوده ارسال الرياح عاتية شديدة ومن جنوده ارسال طير ابابيل . وبكل ذلك ورد القرآن الكريم (وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم) ١٢٦ ــ آل عمران ، (فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا ان الله سميع عليم . ذلكم وان الله موهن كيد الكافرين) الأنفال ١٧ ، ١٨ .

اسرى بدر

انتهت غزوة بدر بنصر مؤزر للمسلمين فقتلوا من المشركين سبعين قتيلا واسروا سبعين اسيرا وفر الباقون .

وعاد المسلمون الى المدينة ومعهم الاسرى يسيرون فى القيود والاغلال فى ذلة وانكسار وخاف الاسرى على انفسهم من القتل فبعثوا الى ابى بكر الصديق فقالوا له يا ابا بكر ان فينا الآباء والاخوان والعمومة وبنى العم وابعدنا قريب كلم صاحبك يمن علينا بالعفو أو يقبل فينا الفداء فوعدهم ابو بكر خيرا .

وخافوا أن يفسد عمر بن الخطاب عليهم امرهم فارسلوا اليه فجاءهم فقالوا له مثل قولهم لأبى بكر ، فنظر اليهم شزرا وذهب وزيرا محمد اليه فجعل ابو بكر يحثه على الرفق بالاسرى وقبول الفداء منهم ويقول : يارسول الله بأبى أنت وأمى ! قومك فيهم الآباء والابناء والعمومة وبنو العم والاخوان وابعدهم منك قريب فامنن عليهم من الله عليك ، أو فادهم (اى اقبل منهم الفداء) يستنقذهم الله بك من النار ، ويكون ماأخذت منهم قوة للمسلمين ، فلعل الله أن يقلب قلوبهم .

وسكت الرسول فلم يجبه فقام ابو بكر وتنحى جانبا .

وجاء عمر فجلس مكان ابى بكر وقال يارسول الله ، هؤلاء الأسرى هم أعداء الله ، كذبوك وقاتلوك واخرجوك ، اضرب رقابهم ، هم رؤوس الكفر وائمة الضلال يعز الله بقتلهم الاسلام ويذل اهل الشرك ، ولم يجب النبى الأمين .

فعاد ابو بكر الى مقعده الاول وجعل يتلطف ويستعطف ويذكر القرابة والرحم ، ويرجو لهؤلاء الاسرى الهدى ان هو ابقى على حياتهم ، وعاد عمر

مثال العدل الصارم لاتاخذه فيه هوادة ولا رحمة ولما فرغ ابو بكر وعمر من كلامهما ، قام محمد فدخل قبته فمكث فيها ساعة ثم خرج والناس يخوضون فى شانهم ، يقف بعضهم فى صف أبى‌بكر ، ويقف آخرون فى صف عمر فشاورهم فيما يصنع وضرب لهم فى أبى بكر وعمر مثلا فأما ابو بكر فمثله كمثل ميكال ينزل برضا الله وعفوه عن عباده ، واما عمر فمثله كمثل جبريل ينزل بالسخط من الله والنقمة على أعداء الله ، ثم اخذ النبى براى ابى بكر وقبل الفـداء من الأسرى .

وقد نزل الوحى من السماء يؤيد راى عمر ويوضح ان قبول الفداء انما يكون بعد الانتصار المتكرر والسيطرة على الأعداء .

فأما فى مثل غزوة بدر فقدكان الأولى أن يقتل هؤلاء الاسرى من المشركين لتقطع شوكة الكفار ولتزول الحواجز والسدود من طريق الدعوة الى الله .

قال تعـالى : ((**ماكان لنبى ان يكون له اسرى حتى يثخـن فى الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم**)) . الانفال ٦٧ .

الشورى فى غزوة بدر

عندما خرج الرسول صلى الله عليه وسلم الى غزوة بدر فوجىء بجموع غفيرة من المشركين تفوق على المسلمين فى العدة والعدد ، وقد استشار النبى اصحابه فى قتال المشركين .

فقام المقداد بن عمرو فقال : يارسول الله امض لما امرك الله فنحن معك والله لانقـول لك كما قالت بنـو اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ، ولكن نقول : اذهب انت وربك فقـاتلا انا معكما مقـاتلون ، فوالذى بعثك بالحق لو سرت بنا الى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه ، فقال له النبى خيرا ، ودعا له بخير .

ثم قال : أشيروا على أيها الناس — وانما يريد راى الانصار — فقال سعد ابن معاذ زعيم الانصار : والله لكأنك تريدنا يارسول الله قال نعم ، قال سـعد يارسول الله آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ماجئت به هو الحـق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يارسول الله لما أردت فنحن معك ، فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا البحر فخضته لخضناه معك ، ماتخلف منا رجل واحد ، ومانكره أن تلقى بنا عدونا فى الحـرب ، انا لصبر فى الحرب ، صدق فى اللقاء ، ولعل الله أن يريك منا ماتقر به عينـك فسر بنا ، واستمد العون والتوفيق من الله .

وما أن أتم سعد كلامه وانتهى من حديثه حتى أشرق وجه الرسول وشاع السرور فى نفسه ثم قال سيروا وابشروا فان الله وعدنى احدى الطائفتين والله لكانى انظر الى مصارع القوم وارتحلوا حتى نزلوا قريبا من ماء بدر .

ويتضح من ذلك اثر الشورى فى الاسلام فالأسلام دين الشورى والديمقراطية ومشاركة الجندى للقائد وبذلك يتماسك المسلمون ويتعاونون ، وصدق الله العظيم :

« فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين » .

« انا فتحنا لك فتحا مبينا »

يقول الله تعالى فى كتابه الكريم

(انا فتحنا لك فتحا مبينا، ليغفر لكالله ماتقدم من ذنبك وما تاخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما ، وينصرك الله نصرا عزيزا)

ضيق كفار مكة الخناق على المسلمين فاضطرهم ذلك الى الهجرة الى المدينة وهم المشركون بقتل رسول الله أو حبسه أو نفيه ، فأمره الله بالهجرة **(واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين)** اى دبروا أمرا فى الخفاء ، ودبر الله نصر نبيه فى السماء ، وكانت هناك غزوات بين المسلمين والمشركين أهمها غزوة بدر وغزوة أحد وغزوة الاحزاب .

واعقب ذلك هدنة وصلح بين الطرفين . وعهد على وضع الحرب عشر سنين ، بيد أن قريشا نقضت العهد بمساعدتها قبيلة بكر حليفتها على قبيلة خزاعة حليفة رسول الله ، واعملت السلاح فى خزاعة حتى الجاتها الى البيت الحرام تستجير به ولا مجير .

وخرج عمرو بن سالم الخزاعى طريدا شريدا من مكة الى المدينة يستجير برسول الله ويطلب منه النصر والمعونة على قريش وأنشد بين يديه

يارب انى ناشد محمدا　　حلف ابينا وابيك الا تلدا
ان قريشا اخلفوك الموعدا　　ونقضوا ميثاقك المؤكدا
هم بيتونا بالوتير هجدا　　وقتلونا ركعا وسجدا
فانصر هداك الله نصرا أبدا

فقال النبى نصرت يا عمرو بن سالم ، وسار فى عشرة آلاف مجاهد الى مكة ودعا الله قائلا (اللهم خذ العيون والابصار عن قريش حتى نبغتها فى بلادها) ولما وصل النبى مر الظهران أمر بايقاد عشرة آلاف نار حتى اذا رات قريش كثرة جيش المسلمين وعظيم عدده وعدته خضعت تحت أقدام النبى العظيم .

ودخل عليه الصلاة والسلام مكة فاتحا منتصرا يقرأ سورة الفتح **انا فتحنا لك فتحا مبينا** ، ولم يأخذه الزهو ولا الخيلاء ولا الغرور ، وحين رأى البيت الحرام انحنى على راحلته شكرا لله تعالى حتى أوشك أن يسجد عليها وهو يقول (تايبون آيبون حامدون لربنا شاكرون) ثم دخل بيت الله الحرام فطاف وسعى ، وكان حول الكعبة اذ ذاك ثلاثمائة وستون صنما فجعل يطعنها بقضيب فى يده ويقول **(جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا)** ثم دخل النبى الكعبة وكبر فى نواحيها وخرج الى مقام ابراهيم وصلى فيه وشرب من ماء زمزم ثم جلس فى المسجد والعيون شاخصة اليه ينتظرون ماهو فاعل بمشركى قريش الذين آذوه واخرجوه من بلاده وقاتلوه . ولكن هنا تظهر مكارم الاخلاق وشمائل النبوة وسماحة المنتصرين وعفو القادرين .

قال عليه السلام : **يا معشر قريش ما تظنون انى فاعل بكم ؟ قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم** ، فقال كلمته الخالدة **(اذهبوا فانتم الطلقاء)**

(لاتثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين) .

وتوافد الناس للدخول فى الاسلام رجالا ونساء ، افرادا وجماعات ثم خطب عليه السلام خطبة ابان فيها كثيرا من الاحكام الاسلامية منها الا يقتل مسلم بكافر ، ولا بتوارث اهل ملتين مختلفتين ولا تنكح المرأة على عمتها او خالتها ، والبينة على من ادعى واليمين على من انكر ، ولا تسافر المرأة مسيرة ثلاثة ايام الا مع ذى محرم . ولا صلاة بعد الصبح والعصر ، ولا يصام يوم الاضحى ويوم الفطر ثم قال يامعشر قريش ان الله اذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء ، الناس من آدم وآدم من تراب وقرأ قوله تعالى

(ياايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير) .

ولما شرع الناس يبايعون رسول الله جاء رجل يرتعد خوفا فقال له عليه السلام (هون عليك فانى لست بملك انما انا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد) .

أيها المسلمون — بهذه المعانى انتصر المسلمون وعز الموحدون ، لقد جاهدوا من اجل الحق ، ومن اجل ان تكون كلمة الله هى العليا ، وصدقت

مارية القبطية حيث كتبت الى المقوقس حاكم مصر تصف له المسلمين فقالت : (ان هؤلاء المسلمين هم العقل الجديد وهم النور الجديد وهم الروح الجديد ونبيهم اطهر من السحابة البيضاء في اليوم الصائف واذا رفعوا السيف رفعوه بقانون واذا وضعوا السيف وضعوه بقانون يفتحون البلاد باخلاقهم قبل أن يفتحوها بسيوفهم) .

موالاة الأعداء

كان المسلمون يتجهزون لفتح مكة فى سرية تامة ، وكان حاطب بن أبى بلتعة من السابقين للاسلام ولكن الضعف استولى عليه وخاف على أسرته بمكة فارسل خطابا يقول فيه : (من حاطب بن أبى بلتعة الى اهل مكة اعلموا ان محمدا يريدكم فخذوا حذركم) .

واعطى الخطاب لامراة من أهل مكة تسمى سارة ، وهى مولاة لبعض بنى عبد المطلب وجعل لها أجرا معلوما اذا وصلت الخطاب لقريش بمكة ومالبث رسول الله أن أحيط بالامر خبرا فسارع فبعث على بن ابى طالب والزبير بن العوام فادركا ساره فاستنزلاها وبحثا عن الرسالة فى رحلها فلم يجدا شيئا فقال لها على والله ماكذب رسول الله ولا كذبنا لتعطينا الخطاب أو لتنزعين الثياب فلما رأت المراة الجد قالت اعرض فاعرض فحلت ذوائب شعرها فاخرجت الكتاب منها فرداها الى المدينة ، ودعا النبى حاطبا فساله ماحمله على ذلك ؟ فقال حاطب يارسول الله ، أما والله انى لمؤمن بالله وبرسوله وماغيرت ومابدلت ولكنى كنت امرءا ليس له فى القوم من أهل ولاعشيرة ، وكان لى بين اظهرهم ولد وأهل فصانعتهم من اجل ولدى . قال عمر بن الخطاب دعنى يارسول الله اضرب عنقه فان الرجل قد صار منافقا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ومايدريك ياعمر لعل الله قد اطلع الى اصحاب بدر يوم بدر فقال اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم . وكان حاطب من اصحاب بدر واذ ذاك نزل القرآن الكريم يحذر المسلمين من خيانة الامانة ومن موالاة الكفار ومن مصادقة الاعداء .

قال تعالى : ((**ياايها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة**)) الممتحنة : ١ .

((نظم الحرب فى الاسلام))

يقول الله تعالى فى كتابه الكريم

(وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولاتعتدوا ان الله لايحب المعتدين)

أذن الله للمسلمين بالقتال دفاعا عن انفسهم وردا لعدوان المعتدين

وحماية للضعفاء من الفتنة والاكراه فى الدين قال تعالى (**اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير ، الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله) الحج ٣٩ ، ٤٠ .**

والغـاية الايجابية من القتال بعـد ذلك هى حمـاية الاديان كلهـا من الاضطهاد أو الاكراه عليها وتمكين المسلمين من عبادة الله وحده واعلاء كلمته وتأمين دعوته وتنفيذ شريعته وذلك أمر فى مصـلحة البشر كلهم قال تعـالى **ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز ، الذين ان مكناهم فى الارض اقاموا الصلاة وآتو الزكاة وامروا بالمعروف ونهـوا عن المنكر ولله عاقبة الامور)** الحج ٤٠ ، ٤١ .

لقد كان المشركون فى مكة يضطهدون المسـلمين بكل ماقـدروا عليه من الايذاء والتعذيب لاجل ردهم عن دينهم وكان القرآن ــ ينزل آنذاك ــ فيأمر المسلمين بالصبر والاحتمال وتبليغ الدعوة الى المشركين **بالحكمـة والموعظـة الحسنة وجدالهم بالتى هى احسن .**

ولكن المشركين اصموا آذانهم عن دعوة الحق واصروا واستكبروا فى تعذيب المسلمين ــ واضطهاد المستضعفين وحاولوا قتل النبى أو حبسه أو نفيه وفى ذلك يقول القرآن الكريم **واذ يمكر بك الذين كفـروا ليثبتوك او يقتلونك او يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين)** ٣٠ الانفال .

ثم اذن الله لرسوله بالهجرة من مكة الى المدينة وهاجر المسلمون فرارا بدينهم وتخلصا من عنت قومهم وقد مات بعضهم فى الصحراء قبل أن يصل الى المدينة وفى شأنهم قال الله تعالى (**ومن يخرج من بيتـه مهـاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله وكان الله غفورا رحيمـا) .** النسـاء ١٠٠ .

وكان بعض المسلمين يتردد فى الاقدام على قتال المشركين ويرى أن يلتزم بوفاء العهود مع كفار مكة رغم خيانتهم وغدرهم وعدوانهم ولذلك نزل القرآن الكريم يدعو المسلمين الى الانتصاف لأنفسهم وقطع شوكة اعدائهم حتى يأخذ الدين سبيله الى قلوب الناس جميعا فى غير خوف ولا فتنة قال تعـالى (**ألا تقـاتلون قوما نكثوا ايمانهم وهموا باخراج الرسـول وهم بدءوكم اول مرة اتخشونهم فالله احق ان تخشوه ان كنتم مؤمنين ، قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخـزهم وينصركم عليهم ويشف صـدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم)** ١٣ ، ١٤ ، ١٥ التوبة .

وتوالت آيات القرآن الكريم تدعو المسلمين الى اليقظة والحذر واعداد العدة واتخاذ الاهبة حتى تكون القوة ذاتها مصدر أمن للامة ومصدر ارهاب وردع للاعداء قال تعالى (**واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل**

ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لاتعلمونهم الله يعلمهم وماتنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم وانتم لاتظلمون) ٦٠ ــ الانفال .

ايهـا المؤمن

لقد تميزت نظم الحرب في الاسلام بأسس سليمة ومبادىءسامية فالقتال دائما قتال في سبيل الله ليس لغرض دنيوي ولا لمارب شخصي وانما لاعـــلاء الدين وقطع دابر الكافرين واذا تم النصر وجاء الفوز فلايصح أن يكون هناك غرور وخيلاء ولا بطر وكبرياء ، فالنصر من عند الله والفوز بيد الله واذا كان جند المسلمين أقل من جند أعدائهم فليس ذلك داعيا الى الخوف والهزيمة بل ثقة المؤمن بربه لا حد لها فلله جنود السموات والارض (**كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين)** ٢٤٩ ــ البقرة .

وواجب المؤمن أن يجيـــد أساليب القتال وان يتمرس بأحـدث فنون الحرب وأقوى أسلحته حتى يتم له التفوق على عدوه قال تعالى **(ياايها النبي حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صـــابرون يغلبوا مئتين وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا بانهم قوم لا يفقهون، الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله والله مع الصابرين)** ٦٥ ــ ٦٦ ــ الانفال .

وحرم القرآن الفرار من المعركة ونهى عن التولي عند الزحف وجعل ذلك من الكبائر فالمؤمن عزيز لايذل شجاع لايجبن قوي لايضعف واثق بربه حريص على الشهادة في سبيله يستروح رائحة الجنة في جهاده الصادق وبلائه الحسن قال تعالى (**ياايها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير ، فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ومارميت اذ رميت ولكن الله رمى وليبلي المؤمنين منـــه بلاء حسنا ان الله سـميع عليم)** ١٥ و ١٦ و ١٧ الانفال .

وقد أوجب الاسلام الوفاء بالعهود في الحرب والسلم وحـرم الخيـــانة فيهما ومدح الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق قال تعالى : (**واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولاتنقضوا الايمان بعد توكيدها)** ٩١ ــ النحل .

وقد شنع القرآن على فعل اليهود ونقضهم العهود والمواثيق وغــدرهم بالمسلمين كلما واتتهم الفرصة قال تعالى (**ان شر الدواب عنـــد الله الذين** كفروا فهم لايؤمنون ، الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم **لايتقون ، فاما تثقفنهم في الحـــرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون** ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ــ الانفال .

ايها المؤمنون

هذه هى تعاليم دينكم وهذا هو نداء قرآنكم يدعوكم الى القوة والبأس ويستنفركم للدفاع عن أوطانكم والذود عن حرماتكم وتطهير المسجد الاقصى وحمل راية الجهاد طلبا الشهادة فى سبيل الله ورغبة فيما أعد الله للشـهداء الابرار من حياة أبدية وجنة عرضها السموات والأرض قال تعـالى **(والذين قتلوا فى سبيل الله فلن يضل اعمالهم ، سيهديهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم)** ٤ ، ٥ ، ٦ محمد .

المتخلفون عن الجهاد

فرض الله الجهاد دفاعا عن حوزة الوطن واعلاء لكلمة الله واقرارا للحق والعدل وقضاء على الفساد والبغى ، والجهاد فى سبيل الله باب من أبـواب الجنة وسبيل الى مغفرة الله ورضوانه وشرف الدنيا وسعادة الآخـرة قال تعالى .

(وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما) .

والقاعدون قوم آمنوا كما آمن الناس واسلموا كما أسلم الناس ولكنهم لم يفقهوا الاسلام ولم يتذوقوا حلاوة الايمان ولم يدركوا قيمة الوعد الذى وعد الله به المجاهدين قال تعالى **(ياايها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الارض ارضيتم بالحياة الدنيا من الاخرة فما متاع الحياة الدنيا فى الاخرة الا قليل)** ٣٨ ــ التوبة .

والمتثاقلون هم الذين يبطئون عن قافلة الجهاد ويتخلفون عن ركب القتال مع ايمانهم بلزومه ولكن غلبت عليهم أهواؤهم واستحكمت فيهم نزواتهم .

(ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين) ٤٦ ــ التوبة .

والمتباطئون اقوام لم يرفعوا الى الايمان بالجماعة والدخول فى الطاعة لله ولرسوله ، فلا يتسابقون الى الخير العام بل يغلب الطمع والاثرة على نفوسهم وليس عندهم ايثـار أو تضحية ــ يحزنون اذا انتصر المجـاهدون وارتفعت اعلامهم ويشمتون فى ابتلاء المجاهدين وهزيمتهم وهم الذين عناهم الله بقوله سبحانه **(وان منكم لمن ليبطئن فان اصابتكم مصيبة قال قد انعم الله على اذ لم اكن معهم شهيدا ، ولئن اصابكم فضل من الله ليقولن كان لم تكن بينكم وبينه مودة ياليتنى كنت معهم فافوز فوزا عظيما)** ٧٢ ، ٧٣ ــ النساء

والمترفون من الاغنياء شغلتهم اموالهم واولادهم عن ربهم وتعلقوا بالحياة الدنيا وتناسو الخير الذى وعد الله به عباده المخلصين ورضوا بالقعود عن الواجب وانصرفت نفوسهم عن الخير فاذا دعوا الى الجهاد استاذنوا فى التخلف وقدموا اعذارا باطلة ـ (**ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى الا فى الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين**) ... ٤٩ ـ التوبة .

(**فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرين**) . ٥٥ ـ التوبة .

والمرجفون فى المدينة هم اخطر هذه الفئات فهم عين العدو ولسانه بين المسلمين وفى صفوفهم ينشرون الاخبار الكاذبة والشائعات المغرضة والوقائع الباطلة والقصص المزيف وهم يباشرون اعمالهم فى الخفاء فيظهرون غير مايبطنون ، يكيدون للمسلمين فى السر ويتظاهرون بمودتهم والولاء لهم فى العلن ، وقد حذرنا الله منهم بقوله سبحانه (**ياايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يالونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من افواههم وماتخفى صدورهم اكبر قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون**) ١١٨ آل عمران .

والمنافقون أقوام يتلونون تلون الحرباء لا مبدأ لهم ولا عقيدة تحكمهم ، ياكلون على كل مائدة ويتبعون كل ناعق ، آمنت ألسنتهم وكفرت قلوبهم وتلطخت أيديهم يمشون بالوقيعة والنميمة ويتوقعون للمؤمنين الفشل والهزيمة (**واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزئون ، الله يستهزىء بهم ويمدهم فى طغيانهم يعمهون**) البقرة /١٤ ، ١٥ .

فاذا ظهرت عيوبهم وانكشفت آثامهم تبرأوا منها كذبا وزورا ، واقسموا الايمان اثما وبهتانا قال تعالى فى شأنهم (**ويحلفون بالله انهم لمنكم وماهم منكم ولكنهم قوم يفرقون ، لو يجدون ملجأ او مغارات او مدخلا لولوا اليه وهم يجمحون ، ومنهم من يلمزك فى الصدقات فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون ، ولو انهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون**) ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩، التوبة .

هؤلاء هم المخذلون والمنافقون ، والمترفون والمتخلفون عن الجهاد ، ذكرهم القرآن الكريم ليفضح اعمالهم ويكشف سوء فعالهم وليحذر الامة الاسلامية من دعاة السوء وألسنة الفساد وأصابع الكيد والفتنة .

ولتجد الاجيال الاسلامية فى كتاب الله دروسا واضحا فى التحذير من هذه الفئات الضالة المضلة التى تكيد للعروبة والاسلام .

(لئن لم ينته المنافقــون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون فى المدينــة لنغرينك بهم ثم لايجاورونك فيها الا قليلا ، ملعونين اينما ثقفــوا ، اخــذوا وقتلوا تقتيلا ، سنة الله فى الذين خلو من قبل ولن تجــد لسنة الله تبديلا) ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، الاحزاب .

وبعد أيها الشباب العربى المسلم اما آن لنا ان نعرف طريقنا ونوحــد هدفنا ونحمل السلاح ذوداً عن ديننا ووطننا واعلاء لكلمة الله وتلبية لنــداء الحق والواجب وصوت الضمير والكرامة .

(ياأيها الذين آمنوا هــل ادلكم على تجــارة تنجيكم من عــذاب اليم ، تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله باموالكم وانفسكم ذلك خير لكم ان كنتم تعلمون ، يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهــار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم ، واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين) ١١ ، ١٢ ، ١٣ سورة الصف .

الثبات على الحق

ايها المؤمنون :

سطعت الدعوة الاســلامية وتألقت فى آفاق الدنيا ، وقد ســارت معها فضائلها وذاعت محامدها ، فأينما وقع شعاع منها فقد سطعت معــه الفضيلة الاسلامية ، وانبلجت لديه الشمائل المحمدية ، فمن شاء أن يعرف كيف بسط الاسلام جناحيه على المعمور من الكون ــ وكيف استطاع الخليفة العباس أن ينظر الى السحابة فوق سماء بغداد فيقول لها (امطرى حيث شئت فان خراجك سيحمل الينا) .

من شاء أن يعرف ، كيف كان ذلك كله ؟ فليوقن ، انهــا الفضــائل والسجايا ، والاخلاق الاسلامية ، ولا شيء سواها . .

فما الجيوش المتكاثفة ، ولا العدة المذخورة ، ولا السيوف الملتمعة ، ولا السهام ولا القسى ولا الرماح ، ماكل ذلك بكاف فى غزو ، ولا فى انشاء دولة اذا لم تسعده الفضائل وتمده المحامد ، ويشيع فيه الخلق العظيم وكذلك كان الاسلام ، وكذلك كان المسلمون الأولون .

كانوا يغزون بفضائلهم نقــائص أعدائهم ، وكانوا يغالبون بأخلاقهم مالا يفعل الحديد والنار ، فمن أول الفضائل التى ارتكزت عليهــا الدعوة الاسلامية ثم طالت وسمقت ــ فضيلة الثبات على الحق ثبات اعيا القوى وفكك العرى، وترك الاعداء حيارى يتخبطون .

آذوا صاحب الدعوة (عليه الصلاة والسلام حتى كاد يستنفد الايذاء فما اجدى عليهم فرجعوا الى انفسهم ، واستلهموها ؟ الام يرمى صاحب دعوة بدعوته ؟؟

فالهمنهم شهواتهم ، ان الدعاة انما يطلبون بدعوتهم جاه الملك أو كنوز المال ، أو سؤدد الجاه ، ولاشيء غير هذا ، الا أن يكون بهم مس من الجن فيعالجون من مسهم .

هكذا الهمتهم نوازعهم الهابطة فارادوا أن يجربوا ذلك مع صاحب الدعوة (عليه الصلاه والسلام)

واجتمع المشركون بعد ان سئموا من كثرة ايذاء النبى وضجروا من صنوف اعنانه ؟ ـ اجتمعوا ـ فقال سيدهم المطاع فيهم وهو عتبة بن ربيعة يامعشر قريش ـ الا اقوم لمحمد فاكلمه وأعرض عليه امورا ، عله يقبل بعضها، فنعطيه اياها ويكف عنا ؟؟

فقالوا يا ابا الوليد قم اليه فكلمه فذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى فى المسجد وقال ياابن اخى انك منا حيث قد علمت من خيارنا حسبا ونسبا انك قد اتيت قومك بامر عظيم ، فرقت به جماعتهم ، وسفهت احلامهم ، وعبت آلهتهم ودينهم ، وكفرت من مضى من آبائهم فاستمع منى اعرض عليك امورا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها فقال عليه السلام (قل ياأبا الوليد) اسمع .

فقال ياابن اخى ان كنت تريد بما جئت به من هذا الامر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وان كنت تريد شرفا سودناك علينا ، حتى لانقطع امرا دونك . وان كنت تريد ملكا ملكناك علينا ، وان كان هذا الذى يأتيك رئيا من الجن لاتستطيع رده عن نفسك ؟؟ طلبنا لك الطب ، وبذلنا فيه اموالنا حتى نبرئك منه فانه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى ، فقال عليه الصلاة والسلام (لقد فرغت يا ابا الوليد ؟ فقال نعم قال فاسمع منى نقرأ صدرا من سورة فصلت **بسم الله الرحمن الرحيم (حم تنزيل من الرحمن الرحيم ، كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون ، بشيرا ونذيرا فأعرض اكثرهم فهم لايسمعون)** ومازال ـ عليه السلام ـ مسترسلا فى قراءة كلام الله حتى غلب التاثر والخوف على عتبة وقال للنبى (ص) ناشدتك الله والرحم ان تكف ، فلنقف هنا ! لننظر كيف يكون ـ الثبات على الحق ـ امام فتنة الدنيا وزهرة الحياة ، اليس ما ذكره عتبة هو كل ما تشتهيه نفوس وتهوى اليه قلوب ، وتتطلع نحوه عيون ؟؟ الست ترى عنده مصارع عزمات ، ومزالق همات ، وفناء عبقريات ؟ نعم ان ماذكره عتبة ، هو محمز للثبات وامتحان قاس للبطولات ، وماكان من جواب عند الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم الا ان يكون بلسان الوحى فيتولى افهامهم ويقوم على ارغامهم ويكذب ماكانوا يظنون .

الا فلتعلم هــذه السيرة النبوية من ساء ان يتعلم الثبــات على الحق والا فلا وسعه علم ولا تعليم .

لقد عرض على النبى الغنى والجاه وساومه الكفار ووســطوا له عمــه أبا طالب ليكفه عن دعوته فرد على عمه قائلا :

(والله ياعمى : لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يســارى على ان اترك هذا الامر ماتركته حتى يظهره الله أو تنفرد منى هذه السالفة) .

وظن النبى أن عمه يريد أن يخذله فتركه وانصرف فناداه عمه قائلا : يابن أخى امض لما تشاء فوالله لن يصلوا اليــك مادمت حيــا ، ثم انشــد يقول :

ولقـــد علمت بأن دين محمـــد | من خـير أديـان البرية دينـــا
لولا الملامــة او حــــذارمســـبة | لوجـدتنى سـمحا بـذاك مبينا
والله لن يصــلوا اليــك بجمعهم | حتى أوســـد فى التراب دفينـــا

ان هذا الايمان الراسخ وحرارة العقيدة وصدق الجهاد والتضحية ، كان مبعث النصر والظفر حتى أتم الله نعمته على رسوله فعاد الى مكة فاتحا منتصرا وجاء نصر الله والفتح ودخل الناس فى دين الله أفواجا .

حروب الردة

ظهر الاسلام فى بلاد العرب فقضى على آثار الوثنية والجاهلية ، ولما انتقل الرسول صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الاعلى ، ارتد كثير من الناس ولم يثبت على اسلامه من القبائل الا قريشا بمكة وثقيفا بالطائف والمهاجرين والانصار بالمدينة . وارتد كثير من الاعراب وأهل البادية وصدق فيهم قول القرآن الكريم (**الاعراب أشد كفرا ونفاقا واجدر الا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله والله عليم حكيم**) التوبة/٩٧ .

وقد ظن العرب أن المسلمين ضعفوا ، وانتكس امرهم بعد وفاة محمد عليه الصلاة والسلام . فشرعوا يشقون عصا الطاعة ويتمردون فى مظاهر شتى ، فمنهم من منع الزكاة وقال هى ضريبة لاتطيب اليها النفوس ، ومنهم من راح يشايع مسيلمة الكذاب فى ادعاء النبوة ، ثم تتابع الخارجون ، واندلعت السنة الشر ، فرای ابو بکر الصديق أن الامر جد وما هو بالهزل ، وجمع أبو بكر الصحابة واستشارهم فى أن يوجه الجيوش ، ويبعث البعوث فى غير هوادة ولاتريث . وطلب منه بعض الصحابة الصبر والتريث وتالف الناس ، فقال كلمته الخالدة : « والله لو منعونى عقال بعير كانوا يؤدونه لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه مااستمسك السيف بيدى ، ولو سرت الى القتال وحدى » .

وقد توفى النبى صلى الله عليه وسلم وجيش أسامة بن زيد خارج المدينة يستعد للجهاد فأشار بعض الناس على الخليفة أن يؤخر مسيرة الجيش وأن يستبقيه بالمدينة لحراستها فقال ابو بكر : « والله لا احل عقدة عقدها رسول الله ، ولو أن الطير تخطفتنا لأجهزن جيش اسامة » .

ثم جهز الجيش وأرسله فذهب وعاد منتصرا بعد أربعين يوما . وتجمعت

بعض الأعراب بالقرب من المدينة استعدادا للهجوم عليها ، فخرج اليهـــا أبو بكر الصديق فى ظلام الليل على تعبئة كاملة وهبط عليهم عند طلوع الفجر فانهزم المرتدون ولم تقم لهم قائمة .

وكان الصديق يرسل رسله وجنوده لتاديب المرتدين وقتالهم ويوصى المجاهدين بالصدق والاخلاص لله ، فيأتيهم النصر المبين .

ومن أشـــهر القواد فى حـــروب الردة خالد بن الوليد ، فقـــد كان مثالا لصدق العزيمة وسداد الراى والجراة فى القتال واستهانة بالموت والرغبـــة فى الشهادة . وقد وصاه ابو بكر الصديق عند سفره لحرب المرتدين بقوله : « عليك بتقوى الله ، وايثاره على سواه ، والجهاد فى سبيله والرفق بمن معك من رعيتك فان معك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واهل السابقـــة من المهاجرين والانصار فشاورهم فيما نزل بك ثم لاتخالفهم » .

وسار خالد الى طليحة بن خويلد الذى ادعى النبوة فقاتله خالد حتى هزمه وركب طليحة فرسه وفر هاربا الى الشام وتعقب خالد فلول المنهزمين فعاقبهم وانتقم منهم جزاء ماغدروا ومافعلوا بالمسلمين .

وتقدم خالد الى مسيلمة الكذاب وكان رجلا ذكيا ماهرا قد جمع قومه من بنى حنيفة وفيهم آلاف المقاتلين الشجعان فعول خالد على الموت فوهبت له الحياة ، ونادى خالد مع المسلمين يامحمداه ياأصـــحاب ســـورة البقـــرة ياأنصار الله فتجمع المسلمون وحمـــلوا على مســـيلمة الكذاب فقتلوه وتفرق أتباعه واستسلم الباقون ودخلوا فى الاسلام الحنيف .

بطولات اسلامية

الجهـــاد فى ســـبيل الله باب من أبواب الجنة وطريق من طرق الخـــير والسداد . وقد حث القرآن على الجهاد وذكر فضله وثوابه ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم مثالا يحتذى فى سلوكه وهديه وجهاده وجلاده .

وقد حفل شهر رمضان بأروع الامثلة فى الجهاد والنضال .

ففيه وقعت غزوة بدر الكبرى سنة ٢ هجرية ، وفيه فتحت مكة ودخل الناس فى دين الله أفواجا سنة ٨ هجرية ، وفيه وقعت غـــزوة تبـــوك بين المسلمين والروم سنة ٩ هجرية .

وفى رمضان خاض المسلمون العديد من المعارك واحرزوا الانتصارات الباهرة ومن اشهر هذه المعارك معركة عين جالوت التى هـــزم فيهـــا التتار وانتصر فيها المسلمون .

وفى العاشر من رمضان سنة ١٣٩٣ هـ قامت مصر ، تؤازرها الامة العربية بمعركة مجيدة اقتحمت فيها خط بارليف ودكت حصون الاعداء وتقدمت فى سيناء وكبرالجنود وهللوا ، وصاموا وصلوا ، واستشهد الشهداء الاوفياء ، فى أيام مجيدة ، وفى ليلة القدر ، والعبادة فيها خير من الف شهر .

وكلما جاء رمضان تذكر المسلمون امجاد الجهاد ، وآيات البطولة . لان الصوم والجهاد متحدان فى الصورة متطابقان فى الاصل ، فالصوم جهاد النفس وهو الجهاد الاكبر ، والجهاد قتال للاعداء ورفع لراية الحق وبناء لصرح العدالة والايمان .

ولقد قام الاسلام بما يشبه المعجزة حيث امتد نوره فى بلاد العرب وتقدم المسلمون يحملون راية الاسلام الى بلاد الفرس والروم . وظهرت بطولات رائعة لمعت فيها أسماء الفاتحين المسلمين مثل سعد بن أبى وقاص فاتح القادسية وقاهر الفرس الذين تجمعوا بقيادة رستم وكان الفرس يقرنون الجنود فى السلاسل والاصفاد حتى لايفروا .

أما المسلمون فكان معهم الى جوار أسلحتهم سلاحان من عقيدة وخلق هواقاهم النصر ، وثلوا عروش الاكاسرة ومزق الله ملكهم شر ممزق .

ومن ابطال المسلمين خالد بن الوليد الذى قاد الجيوش وحارب المرتدين وتقدم الى بلاد الفرس والروم يفاجىء الاعداء ويحرص على الموت ويزرع الرعب فى قلوب المشركين ، وعندما توفى خالد قال على سرير الموت : « لقد شهدت مائة معركة فى سبيل الله وليس فى جسمى قيد شبر الا وفيه ضربة بسيف او طعنة برمح أو رمية بسهم وهاأنذا اموت على فراشى كما يموت البعير فلا نامت أعين الجبناء » .

ومن ابطال الاسلام أبو عبيدة بن الجراح امين الامة الاسلامية الذى اطلق سهما من سهام الاسلام ، وسيفا من سيوفه المسلولة ، يدوخ الجيوش ويحاصر المدن ويلقى الرعب فى قلوب الروم ، ففتح دمشق والاردن وحمص وبعلبك ثم سار الى حماه والى حلب ثم سار الى انطاكيه ، ثم جعلت جيوشه تضرب فى الشمال والشرق حتى اتمت فتح سورية وبلغت الفرات شرقا .

وكان أبو عبيدة يوزع العدالة بين الامم المغلوبة ويبشر بالاسلام ويدعو الى الاخلاق والقيم . وظل أبو عبيدة يغالب الابطال ويتوسط القتال ويلقى بنفسه وسط المعامع حتى حضرته الوفاة اثر وباء منتشر فقال عند وفاته : « اقرئوا أمير المؤمنين السلام واعلموه انه لم يبق من امانتى شىء الا وقد قمت به وأديته » .

ثم التفت الى من حوله وقال : « أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وصوموا .

رمضان وتصدقوا وحجوا واعتمروا وانصحوا لامرائكم ولاتغشوهم ، ولاتلهكم الدنيا فان امرأ لو عمر الف سنة ماكان له بد من ان يصير الى مصرعي هـذا الذي ترون فان الله قد كتب الموت على بني آدم » .

هؤلاء نماذج اسلامية خضعت لقانون الاسلام ، فزادهم الله به عـزا ومجدا .

الحرب النفسية

ارسل الله محمدا صلى الله عليه وسلم هاديا ومبشرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ، وقد جمع الله به العرب بعد تفرق ووحد به المسلمين بعد شتات وامتن الله على المسلمين بهذه الوحدة وتلك الألفة . فقال سبحانه **(واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا)** آل عمران /١٠٣ . وقـد حاول اليهود من الأزل وضع أصابع الفتنة بين المسلمين محاولين بذلك تفريق صفوف المسلمين وتوهين وحدتهم وحتى يضرب العرب بعضهم بعضا ، وبذلك تضعف دولتهم ويتمكن أعداؤهم منهم . وقد حذرنا الله من دسائس اليهود وكيدهم فقال سبحانه : **(ياايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتـاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين)** آل عمران /١٠٠ .

فالله جعل الوحدة والالفة دلالة على عمق الايمان وفهم الاسلام وجعل الفرقة والخلاف والاستماع الى دسائس الاعداء مما يؤدي الى الهزيمة والردة والكفر بآيات الله واحكامه .

ثم نهى سبحانه عن الخلاف وبين ان القرآن يأمر بجمع الصف ووحدة الكلمة وهو حبل الله المتين من تمسك به فقد هدى الى الطريق القويم . قال تعالى : **(وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم)** آل عمران /١٠١ .

وقد احكم عليه الصلاه والسلام بنيان المسلمين واحسن تربيتهم فأمرهم بالتواصل والتراحم ونهاهم عن التدابر والتقاطع ، ففي الحديث الصحيح : «مثل المسلمين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى منـه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى » .

وكان عليه الصلاة والسلاة ينهى المسلمين عن الفرقة والخصام والتنابز لانها معاول هادمة تهدم قوة الصف ووحدة الامة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لاتحاسدوا ولاتناجشـوا ولاتباغضـوا ولا تدابروا ، ولايبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله اخوانا ، المسلم اخـو المسـلم لايظلمه

ولا يحقره ولا يخذله . التقوى ها هنا » ويشير الى صدره ثلاث مرات . بحسب امرىء من الشر ان يحقر اخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه) . رواه مسلم .

وقد حاول اعداء الاسلام توهين صفوف المسلمين اثر غزوة احـــد ، واستاجر ابو سفيان ركباً من عبد قيس كانوا فى طريقهم الى المدينة ، وقال لهم ابو سفيان هل انتم مبلغون عنى محمدا رسالة ارسلكم بها اليه واحمل لكم زبيبا بعكاظ اذا وفيتموها . قالوا نعم . قال فاذا وافيتموه فاخبروه انا قد اجمعنا السير اليه والى أصحابه لنستأصل بقيتهم . فمر الركب برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بحمراء الأســد واخبروه بالذى قال أبو سـفيان واصحابه . فقال عليه الصلاة والسلام (حسبنا الله ونعم الوكيل) أى كافينا الله هو ولينا ونصيرنا ، لقد خرجنا لنصرة دينه معتمدين عليه لانخاف غيره ولانرهب سواه . وازداد المؤمنون ايمانا وتماسكا وتقدموا الى عدوهم ففر اعداؤهم طلبا للنجاة ، قال تعالى : **(الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم ، الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم ، انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين)** آل عمران/١٧٢ ــ ١٧٥ .

قائد منتصر

كان عبادة بن الصامت سفيرا لجيوش المسلمين عنـد المقوقس حـاكم مصر .

وكان عبادة قد اوتى بسطة فى الجسم ولكنه كان حالك السواد
وكان جلال الاسلام قد خلع عليه هيبة ورهبة
فكان الناظر اليه يرتعد من صورته .

ولما رآه المقوقس اشتد خوفه وقال : نحوا عنى هذا الاسود وقدموا غيره فقال رفاقه المسلمون :

انه أفضلنا رأيا وعلما وهو سيدنا وخيرنا
فقال له المقوقس : تقدم وكلمنى برفق .
فقال عباده :

لقد سمعت مقـالتك ، وان فيمن خلفت من اصحابى الف رجـل كلهم مثلى ، وأشد سوادا منى وافظع منظرا ولو رأيتهم لكنت أهيب لهم منى وانا

قد وليت وادبر شبابي واني مع ذلك بحمد الله مااهاب مائة رجل من عدوى لو استقبلوني جميعا وكذلك اصحابي ذلك بان رغبتنا وهمتنا الجهاد في سبيل الله وابتغاء رضوانه ، وليس غزونا عدونا ممن نحارب لرغبة في الدنيا ولا لحاجة الى الاستزادة منها ولكن الله عز وجل قد احل لنا ذلك ، وان كان لاحدنا قناطير الذهب انفقناها في طاعة الله .

فلما سمع المقوقس ذلك قال لمن حوله : هل سمعتم مثل هذا الكلام قط ؟! لقد هبت منظره وان قوله لأهيب عندي من منظره مااحسب الا انهم سيملكون الارض كلها .

ثم اقبل على عبادة فقال أيها الرجل الصالح قد سمعت مقالتك وماذكرت عنك وعن اصحابك ، ولعمري مابلغتم ذلك الا بما ذكرتم وماظهرتم على اعدائكم الا لحبهم الدنيا ورغبتهم فيها ، ولكني أخشى عليكم ، من توجه لقتالكم من جمع الروم فهم لايحصون عددا وهم معروفون بالنجدة والشدة وانا لنعلم انكم لن تقووا عليهم ، ولن تطيقوهم لضعفكم وقلتكم ، ونحن تطيب أنفسنا أن نصالحكم على أن نفرض لكل رجل دينارين ، ولخليفتكم ألف دينار !! فتقبضوها قبل أن يغشاكم مالاقوة لكم به .

فقال عبادة للمقوقس : ياهذا لاتغرن نفسك ولا أصحابك ان الله عز وجل قال لنا في كتابه :

(كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ، والله مع الصابرين)

وما منا رجل الا وهو يدعو ربه ــ صباحا ــ ومساء ــ أن يرزقه الشهادة والا يرده الى بلده ولا الى أرضه ولا الى أهله وولده .

واما ظنك انا في ضيق وشدة من معاشنا فنحن في أوسع السعة لو كانت الدنيا كلها لنا ماأردنا منها لأنفسنا أكثر مما نحن فيه فلاتطمع نفسك في الباطل .

وأخيرا تم لعبادة بن الصامت ما اراد ، وفتحت مصر على يد العرب ، ودخلها الاسلام فكان نورا وسلاما ، وبركة وامانا .

تجارة الجهاد

يقول الله تعالى في كتابه الكريم : ((**ياأيها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم ، تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون ، يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم ، وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين**)) (الصف ١٠ ــ ١٣) .

هذه صفقة رابحة يعرضها الله للمومنين وقد حدد الله فيها رأس مال الصفقة وربح هذه الصفقة ، ثم الزيادة التي تجنيها بعد الربح .

أما رأس مال هذه التجارة فهو مايأتى :

١ ـ الايمان بالله ورسوله .

٢ ـ الجهاد فى سبيل الله بالمال والنفس .

أما ربح هذه التجارة فهو مايأتى :

١ ـ مغفرة الذنوب .

٢ ـ دخول جنات تجرى من تحتها الانهار والتمتع بمساكن طيبة فى جنات خالدة .

أما الزيادة التى تجنيها بعد الربح فهى نصر من الله وفتح قريب على المجاهدين فى هذه الدنيا وبشرى للمؤمنين بالنصر فى العاجلة ، والثواب العظيم فى الدار الآخرة .

ايها المؤمن

تلك طريقة القرآن فى الحث على الجهاد والدعوة اليه ، فهو يوضح ان هناك بيعا وشراء وربحا وزيادة على الربح . البائع هو المجاهد يبيع نفسه وينفق ماله فى سبيل الله . والمشترى هو الله جل جلاله ، اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بأن لهم الجنة وفى ذلك يقول ابن عباس « انفس هو خالقها وأموال هو رازقها ياخذها ثم يعطينا عليها الجنة ، ان هذا لربح عظيم» واما ربح هذه التجارة فهو : مغفرة من الله ورضوان منه فى جنة عرضها السموات والارض .

وأما مافوق الربح فهو البشارة بالنصر للمجاهدين ، قال تعالى « **والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين** » (العنكبوت ٦٩ : .

ايها المؤمنون

الجهاد فى سبيل الله باب من ابواب الجنة ينجى الله تبارك وتعالى به من الهم والغم وهو طريق المؤمنين الصادقين سلكه المسلمون الاولون فرفعوا شعار الاسلام وفتحوا البلاد وسادوا العباد ، وهو واجب المسلمين فى هذه الايام ، فعليهم أن يتكاتفوا وأن يتعاونوا وأن يجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وانفسهم حتى يستردوا أرضهم ويستعيدوا ماسلب منهم فما اخذ بالقوة لايسترد بغير القوة .

وقد حفلت نصوص القرآن ببيان اجر المجاهدين وما اعـده الله من الثواب لمن انفق ماله فى سبيل الله ، فمن جهز غازيا فى سبيل الله فقد غزا ، ومن خلف غازيا فى اهله بخير فقد غزا ، وصـدق الله العظيم ((**مثـل الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم**)) (البقرة ٢٦١) .

وفى تاريخ الاسلام نماذج رفيعة لهذا التعاون والتساند ، انفق المسلمون فيها من سخاء وسعة كما حدث فى جيش العسرة حيث قـدم عمر نصف ماله وقدم ابو بكر جميع ماله وقدم عثمان مائة حلة ومائة فرس ومائة سيف ولم يفتخر عثمان بشىء من ذلك بل افتخر بدعاء النبى له :

اللهم ارض عن عثمان فانى عنه راض ، وقد بارك القرآن هذا التنافس فى الخير فقال سبحانه : ((**الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم اجرهم عند ربهم ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون**)) (البقرة ٢٧٤) :

درس من غزوة احد

وقعت غزوة احد فى شهر شوال فى العام الثالث من الهجرة النبوية .

وقد وقعت غزوة بدر فى رمضان سنة ٢ هـ ، وفيها انتصر المؤمنـون انتصارا عزيزا واندحر المشركون وقتل منهم سبعون قتيلا واسر سبعون . وحرصت قريش على الثار لقتلاها فسارت بعد عام الى جبل احـد وكانوا ثلاثة آلاف مقاتل .

وخرج المسلمون فى سبعمائة مقاتل وساروا الى جبل احد ، وصف النبى الجيش وجعل الرماة على ظهر الجبل وأمرهم الا يبرحوا أماكنهم سواء انتصر المسلمون او انهزموا .

وبدا القتال ، وقتـل المسـلمون حملة لواء المشركين فولى المشركون الأدبار ، وولولت النسـوة وتبعهم المسـلمون يقتلون ويأسرون ويجمعـون الغنائم .

وراى ذلك الرماة من على ظهـر الجبل فترك اكثرهم مكانه رغبـة فى الغنيمة ، وظنوا أن الانتصار فى المعركة قد اقبل .

وراى خالد بن الوليد ذلك وكان على خيل المشركين فاقبل وقتل بقية الرماة واعمل السيف فى ظهور المسلمين فاختلت صـفوفهم وصـار يضرب بعضهم بعضا .

وانتهت غزوة احد بانتصار المشركين وهـزيمة المؤمنين . وقـد نزل

القرآن الكريم يأسو الجراح ، ويبين للمؤمنين ان الأيام دول يوم لك ويوم عليك .

وقد استفاد المسلمون من هذه المعركة دروسا عملية اصيله .

ومن هذه الدروس مايأتي :

١ ــ طاعة القائد والتزام اوامره .

٢ ــ الحرص على الوصول الى الهدف وعدم الانشغال بالاغراض الجانبية .

٣ ــ الاخلاص لله فى الجهاد وانتظار مثوبة الآخرة وعـدم الانشـغال بامور الدنيا .

٤ ــ الحرب سجال يوم لك ويوم عليك فينبغى الا يسكرك النصر ، كما ينبغى أن تتجلد للهزيمة .

٥ ــ الايمان بالله والثقة بما عنده والاعتماد عليه وتذكر نعمه ، كل ذلك من أسباب النصر .

وقد نزلت آيات كثيرة من سورة آل عمران تصف خروج المسلمين الى الغزوة وتأسوا جراحهم ، وتلومهم على انشغالهم بالغنيمة ومخالفة أمر الرسول الكريم .

قال تعالى (ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم فى الأمر وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين) آل عمران/١٥٢ .

ويقول سبحانه : (ولاتهنوا ولاتحزنوا وانتم الأعلون ان كنتم مؤمنين ، ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لايحب الظالمين ، وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين) آل عمران ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ .

(٥)

الأخـــلاق

اثر العقائد فى اصلاح الفرد والمجتمع

للايمان الصادق والعقيدة السليمة حلاوة وسعادة يهون معهما البذل والتضحية ويرخص فى سبيلهما كل غال وثمين .

وقد حفل تاريخ الاديان بسلسلة ذهبية ، من البذل والتضحية فى مرضاة الله رب العالمين فالقى فى النار ابراهيم ، واضجع للذبح اسماعيل ، وناح نوح على قومه مئات السنين ، وتحمل يوسف السجن حفاظا على الشرف والفضيلة ، وهاجر موسى من مصر خائفا يترقب قال رب نجنى من القوم الظالمين وحاول اليهود قتل عيسى وصلبه فرفعه الله اليه والقى صورته على الخائن الذى دل عليه ... وهو الذى شبه لهم (وماقتلوه يقينا بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما) .

ولما أرسل الله محمدا صلى الله عليه وسلم وآمن به من آمن تعرض المسلمون لأشد الوان العنت والايذاء فضحوا بكل شىء فى سبيل عقيدتهم ودينهم .

ولما جاء دور التبشير بالدعوة والجهاد فى سبيلها حمل المسلمون أموالهم الى رسول الله ، وجندوا انفسهم تحقيقا لقول الله (ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة)

ومن أشرف السخاء ماكان من استجابة المسلمين ، يوم عز المال واشتد القحط وكان زمن عسرة ودعا رسول الله المسلمين الى الجهاد فى (غزوة تبوك التى أريد بها القاء الرعب فى قلوب (الروم فماذا حملت الدعوة الاسلامية معها الى تلك الاطراف ؟ حملت آيات السخاء واحاديث البذل ، ترويها وتتفيأ ظلالها ، وتستعين بها فى سبيل الله .

فلقد تقدم (عثمان بن عفان) طيبة نفسه ، وأخرج من حر ماله عشره آلاف دينار وثلثمائة بعير بأحمالها ، وخمسين فرسا بعدتها ، ثم لم ير فى كل ذلك مايستحق ان يفاخر به ، اللهم الا شيئا واحدا ، هو (دعوة) دعا له بهـا رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال (اللهم ارض عن عثمان فانى راض عنه ..) فكانت تلك الدعوة لعثمان مناط فخره فخره الا يفخر الا برضاء الله ، ورضاء رسول الله ولقد أرسلت النساء يومها كل مايقدرن عليه من حليهن ، وهذا هو البذل بأعز المدخور ...

أيها المؤمنون

على اكف هؤلاء كانت تتمجد الدعوة الاسلامية وانظروا كيف كان تدافع الصحابة (رضوان الله عليهم) الى ساحات الجهـاد وكيف كان يبلغ منهم الحزن ، اذا قعد بهم الفقر عن نفقات الجهاد ، لقد جاء رسول الله (صـلى الله عليه وسلم) فى تلك الساعة الرهيبة ساعة العسرة وهـو يجهز الجيش وجاءه سبعة رجال من فقهاء الصحابة الفقراء ، يطلبون ان يحملوا الى مواطن الجهاد ، فقال لهم محمد عليه السلام (لا اجد لكم ما أحملكم عليه) وكان حسبهم مافعلوا وفاء لعقيدتهم ، لكنها نفوس لاتسكن الى هـذا القعود ، وهناك اليوم المشهود فماذا فعلوا بعد ما رأوا وسمعوا ؟ لقد (تولوا واعينهم تفيض من الدمع حزنا الا يجدوا ماينفقون) .

ووالله ، ان النفس لتهتز هنا اهتزازا ، وتنفعل اكبارا واعظاما لذلك الخلق الاسلامى القويم ، فواها لنفس لا يطيب لها القعود فى ظل السلم قدر مايسعدها الجهد والجهاد فى سبيل الله .

ولقد شاء الله الا يطول حزن هؤلاء الابطال فقد كان السخاء الاسلامى لايزال يهز نفس (عثمان بن عفان ، والعباس بن عبد المطلب) فجهز الاول بعضهم وأذهب حزنهم وجهز الثانى بعضهم ورقأ دمعهم ..

بتلك الاخلاق ، وهاتيك الفضائل اتم الله نعمته على رسـوله ، وعلى المؤمنين واظفرهم بأعدائهم وأدال دينا هو الشرك ، ومكن لدين التوحيد فلما تكامل نصر لله ، ورجع المسلمون الى ديارهم سادة حاكمين بعد أن غادروها خائفين متسللين ، لم يزهوا بالظفر ، ولا اختالوا بالفتح ولا أعملوا سـيوف الانتقام فى أعدائهم لأن الانتقام سليل الحقـد وحاشا لصـدور المسلمين أن تنطوى على الاحقاد فما كاد المسلمون يستقرون بعد الفتح الاعظم ، حتى كان أعداؤهم يرتعدون من الخوف والوجل ، عيون شاخصة وأفئدة هواء تنتظر ماعسى أن يحل بها من التنكيل ، بعد العداء الطـويل ، هنا كانت الدعـوة الاسلامية تحمل معها : (العفو عند المقدرة) والصفح ساعة النصر ، وكانت تجعل الرضا والغضب (للحق والفضيلة) فاذا ماسطع الحق وسادت الفضيلة فما وراء ذلك غير السلام والامن والمغفرة والسماحة ، ولقد قالها عليه السلام

كلمة خالدة على الاجيال قال لأعدائه ماتظنون انى فاعل بكم ؟ فوقفوا فى رجاء الخائف وأمل المعتذر وقالوا :

خيرا ، اخ كريم ، وابن اخ كريم ، قال لهم (اذهبوا فانتم الطلقاء)

ولله مايقول البوصيرى

واذا القطع والوصـــل كان لله تساوى التقريب والاقصاء
ولو ان انتقامه لهـوى النفس لدامت قطيعـة وجفـاء
فعله كله جميـل وهـل ينضـح الا بمـا حواه الانـاء

ايها المؤمن

تلك فضائلهم واخلاقهم ، ومعها أيامهم ـ أيام الله ، وهانحن ، وهاهو حاضرنا فنرجو أن نكون خير خلف لخير سلف ...

من اخـلاق الاسلام

يقول الله تعالى فى كتابه الكريم : **(واذكر فى الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا)** مريم/٥٤ .

ارسل الله الرسل وانزل عليهم الكتب لهداية الناس وارشادهم الى معالم الفضيلة ومسالك الحق والصدق . وقد مدح القرآن الصدق باعتباره رأس الفضائل ودليل الامانة . وجعل الصادقين فى منزلة عليا ترعاهم عناية الله وفضله . قال تعالى : **(ليجزى الله الصادقين بصدقهم)** الاحزاب/٢٤ .

وقال سبحانه : **(ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصـادقات والصـابرين والصـابرات والخـاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصـائمين والصـائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات اعد الله لهم مغفرة واجرا عظيما)** الاحزاب/٣٥ .

ايها المؤمن :

لقد حث الاسلام على مكارم الاخلاق ودعا الناس الى الفضيلة والخير ، بل ان الأديان السماوية كلها كانت دعوة هادفة الى تحرير الانسان من العقائد وارشاده الى الفضائل . قال صلى الله عليه وسلم : «انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

فالخلق الكريم والاستقامة والفضيلة اساس من اسس السعادة ، وهدف من أهداف الرسالات السماوية .

قال صلى الله عليه وسلم : «ان احبكم الى واقربكم منى منـازل يـوم القيامة أحاسنكم اخلاقا الموطأون اكنافا الذين يالفون ويؤلفون ، وان ابغضكم الى وابعدكم منى منازل يوم القيامة الثرثارون المتشدقون المتفيهقون» . قيل يارسـول الله هـؤلاء الثرثارون المتشـدقون فمن هم المتفيهقون ؟ قال : المتكبرون .

لقد تربى المؤمنون الأولون على أخـلاق الاسـلام فكانت قلوبهم نظيفة وايديهم طاهرة ووجوههم مشرقة بنور الايمان فلما فتحت لهم البلاد وخضعت لهم العباد لم يأخذهم الغرور ولم تلههم الدنيا عن الآخرة ولم يخرجوا عن الله بل حفظوا الأمانة وأحسنوا القيادة وسهروا لمصلحة الرعية وكانوا نجوما ساطعة فى تاريخ البشرية .

دخلت فاطمة بنت عبد الملك بن مروان على زوجها أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز فوجدته يبكي ، فقالت مايبكيك ياأمير المؤمنين . قال عمر : تذكرت الفقير الجائع والمريض الضائع والعارى المجزون وذا العيال الـكثير والمـال القليل واشباههم فى بقاع الارض واقطار البـلاد ، وعلمت أن خصيمى دونهم محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة فخشيت الا تثبت لى حجتى فرحمت نفسى فبكيت .

سلاما وتحية لهذه النفوس الكريمة وهؤلاء الرجال الابرار الذين تحملوا مسئولية القيادة والسيادة فحملوا الأمانة وتركوا الخيانة وانطلقوا الى ربهم ومن ورائهم سيرة عطرة ومآثر جمة تنادى الاجيال الحاضرة أن يقتدوا بأسلافهم السابقين ، بالخلفاء الراشدين ، بالأمراء المهتدين ، الذين أعزهم الله بالاسلام فاعتزوا بطاعة الرحمن .

(أولئك الذين هداهم الله فبهداهم اقتده) الانعام /٩٠

وفى الحديث الشريف : «انه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ» .

حقيقة الايمان

المؤمن حقا صادق الحديث لايكذب ولا يخدع ولا يخون الامانه ، قال صلى الله عليه وسلم (يامعشر الناس اضمنوا لى ستا أضمن لكم الجنة ،اصدقوا اذا أحدثتم واوفوا اذا عاهدتم وأدوا الامانة اذا أؤتمنتم وغضـوا أبصـاركم واحفظوا فروجكم وكفوا أيدكم)

تلك صفات المؤمن وهى صفات تحمل معنى الاستقامة والنزاهة وسلامة

الضمير قال تعالى (**ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التى كنتم توعدون**)

وفى الحديث الشريف ان رجلا قال يارسول الله قل لى فى الاسلام قولا واقلل فيه لعلى اعيه ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم (قل آمنت بالله ثم استقم) . المؤمن حقا يراقب الله فى السر والعلن ويخلص له فى العمل ويخشع قلبه لذكر الله قال تعالى (**الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله**) .

المؤمن حقا محافظ على الصلاة مؤد للزكاة يغض بصره عن المحرمات ويحفظ فرجه عن الاثم والفواحش وهو ابر الناس بأهله واسرته واحق الناس برضى الله واسع رحمته قال تعالى (**قد افلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون ، والذين هم على صلواتهم يحافظون اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون**)

المؤمن حقا صادق اليقين قد آمن بالله ربا ، وبالاسلام دينا ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا ، قال تعالى (**ياايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله**)

المؤمن حقا عادل فى رضاه وغضبه ، معتدل فى نفقته ليس من البخلاء الاشحاء ، ولا من المسرفين المبذرين قال تعالى (**والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما**)

المؤمن حقا يصدق برسالات الله وبملائكته وكتبه واليوم الآخر قال تعالى (**امن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير**)

حسن الخلق

جاء الاسلام رسالة سمحة تدعوا الى مكارم الأخلاق وتحث على الفضيلة والخير وتنهى عن الاثم والشر قال تعالى (**ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون**)

لقد اتم الاسلام رسالات السماء ودعم القيم وحث على التحلى بمكارم الاخلاق قال صلى الله عليه وسلم (ان احبكم الى واقربكم منى يوم القيامة احاسنكم اخلاقا الموطاون اكنافا الذين يألفون ويؤلفون وان ابغضكم الى

وأبعدكم منى منازل يوم القيامة الثرثارون المتشدقون المتفيهقون قلنا يارسول الله هؤلاء الثرثارون المتشدقون فما المتفيهقون ؟ قال المتكبرون) .

وتميز القرآن بانه روح وحياه احيا العرب من موات الجاهلية واخرجهم من الظلمات الى النور وجمع شملهم ووحد كلمتهم فصاروا خير امة اخرجت للناس قال تعالى (ياأيها الناس قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم) .

وكان النبى صلى الله عليه وسلم القدوة الحسنة والمصلح الربانى الذى بلغ الرسالة وأدى الامانة وربى المؤمنين تربية ربانية فكانوا نماذج انسانية مضيئة قال تعالى : (محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من اثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل كزرع اخرج شطاه فآزرة فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما) .

وكان الصحابة رضوان الله عليهم نجوما هادية واقمارا مضيئة ، لقد حققوا معجزة الهداية حتى قالت مارية القبطية فى رسالتها الى المقوقس (ان هؤلاء المسلمين هم العقل الجديد وهم النور الجديد ونبيهم اطهر من السحابة البيضاء فى اليوم الصائف واذا رفعوا السيف رفعوه بقانون واذا وضعوا السيف وضعوه بقانون يفتحون البلاد بأخلاقهم قبل أن يفتحوها بسيوفهم واذا جاء وقت الصلاة غسلوا اطرافهم واصطفوا فى محرابهم يناجون الها سميعا بصيرا مجيبا) .

النبى العظيم

ارسل الله محمدا صلى الله عليه وسلم هاديا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وقد اتم الله به الرسالات وجعله المثل الاعلى فى هذه الحياة ومدحه الله قائلا (وانك لعلى خلق عظيم) وقد تادب النبى بادب الله حتى سأله أبو بكر الصديق قائلا يارسول الله لقد خالطت العرب والعجم فلم ار احدا اكثر ادبا منك فمن ادبك ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم ادبنى ربى فأحسن تأديبى وكان عليه الصلاة والسلام وعاء النور ومهبط الوحى يتلقى عن ربه تعاليم السماء ودستور الهدى ثم يبلغ للناس ماانزل اليهم وقد صاغ عليه السلام هذه الهداية سلوكا وعملا وقولا قال عليه الصلاة والسلام (أوصانى ربى بتسع ، الاخلاص لله فى السر والعلن والعدل فى الرضا والغضب والقصد فى الغنى والفقر ، وان اعفو عمن ظلمنى واصل من قطعنى واعطى من

حرمتي ، وأن تكون صمتي فكرا ونطقي ذكرا ونظري عبرة) اى ادب أسمى من هذا الادب ؟ واى قيم أعلى من هذه القيم ؟ حقا لو لم يكن ماجاء بهالاسلام دينا لكان فى دنيا الاخلاق شيئا عظيما لقد تحدث بعض الاجانب عن النبى محمد صلى الله عليه وسلم فذكر ان الانسان لايستطيع أن ينكر فضل هذا النبى على الانسانية فقد جاء بدين يحث على مكارم الاخلاق وقد آمن به ملايين الناس وهذا النبى من اكثر الانبياء اتباعا ، وله فضل لاينكر فى اخراج العرب من ظلمات الجاهلية وشقاق الفرقة الى نور الاسلام ووحدة الكلمة .

صلوات الله وسلامه عليك يارسول الله فى الأولين ، وصلوات الله وسلامه عليك فى الآخرين ، وصلوات الله وسلامه عليك فى الملأ الأعلى الى يوم الدين .

روى البخارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (اعطيت خمسا لم يعطهن نبى قبلى نصرت بالرعب مسيرة شهر واحلت لى الغنائم وجعلت لى الارض مسجدا وترابها طهورا واعطيت الشفاعة وارسل كل نبى الى قومه خاصة وبعثت للناس عامة) .

دعائم الايمان

قرن الله الايمان بالعمل الصالح فى آيات القرآن وفى ذلك توجيه الهى الى ان الايمان عقيدة وعمل ويقين وسلوك وفى الحديث الشريف (ليس الايمان بالتمنى ولكن ماوقر فى القلب وصدقه العمل الا وان أقواما غرتهم الامانى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا نحسن الظن بالله وكذبوا على الله ولو احسنوا الظن لأحسنوا العمل) .

واحيانا يطلق الايمان على اليقين الباطنى ويطلق الاسلام على السلوك الظاهرى وفى القرآن الكريم يقول سبحانه (**قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم**) .

وقد ورد فى البخارى حديث شريف يضع أصول العقيدة ويشرح معنى الاسلام والايمان والاحسان فيبين ان الاسلام سلوك واقامة لأركان الاسلام الخمسة وأن الايمان عقيدة ويقين بوجود الله وايمان به وأن الاحسان اتقان العمل والاخلاص فيه لله .

روى البخارى ومسلم ان رجلا جاء الى النبى صلى الله علية وسلم فقال يامحمد انى اسالك عن الاسلام فقال الرسول الاسلام أن تشهد الا اله الا الله وأن محمد رسول الله وتقيم الصلاة وتؤدى الزكاه وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا ثم ساله عن الايمان فقال الرسول الايمان ان تؤمن بالله وملائكته وكتبة ورسله واليوم الاخر وتؤمن بالقضاء والقدر خيره وشره حلوه ومره .

ثم ساله عن الاحسان فقال الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك ثم قال الرجل انى اسالك عن الساعة متى الساعة ؟

فقال النبى صلى الله عليه وسلم ما المسئول عنها بأعلم من السائل وسأنبئك عن علاماتها ان تلد الامة ربتها وان يتطاول رعاة الابل اليهم فى البنيان وان يصبح الحفاة العراة سادة الامم ثم انصرف السائل . فقال النبى صلى الله عليه وسلم ردوا الرجل فخرجوا وراءه فلم يجدوا شيئا فقال النبى صلى الله عليه وسلم هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم ، ويقول الله تعالى (**ان الذين امنوا وعملوا الصالحات انا لانضيع اجر من احسن عملا**) .

(٦)
الذكريات الإسلامية

عيد الهجرة

يستقبل المسلمون عام الف وثلاثمائة وخمسة وثمانين (١) للهجرة واننا اذ نتحدث عن الهجرة النبوية ونمجد ذكراها ، ونحفل بها انما نقدس فى اثناء ذلك عظمة الثبات على المبدأ ــ نقدس الاباء والمجالدة والمرابطة فى سبيله ــ نشيد بفوز الحق على عسف الجبروت .

الحق المثل فى محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم **(اذ اخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار ، اذ يقول لصاحبه لاتحزن ان الله معنا . فانزل الله سكينته عليه ، وايده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم)**

منذ أربعة عشر قرنا ، كانت المعركة بين الحق والباطل حامية الوطيس متشعبة الميادين ، فقد ضل الناس سبيل الحكمة ، وتمكنت فيما بينهم عوامل الفساد ، وهضم الاقوياء منهم حقوق الضعفاء واعتسف أرباب الحكم والسلطان ، وكان السادة وكان العبيد .

فى هذا الضلال ، فسد على الانسان تصوره لخالقه ، فعبد مالاينفع ولايضر عبد مالايسمع ولايبصر ، وتحكم رؤساء الاديان فى العقائد والاخلاق ، وفسد تصور الانسان للحياة ، يظن انها ليست الا المادة عليها يتهالك وبها يتكاثر .

فى هذا الضلال الذى اظلم الجو فيه على الانسان ، بعث الله رسوله

---

(١) اذيعت من اذاعة الجمهورية العراقية فى بغداد سنة ١٣٨٥ هجرية .

محمدا صلى الله عليه وسلم الى الناس ، يدعوهم الى التوحيد ، والى الايمان بالبعث والجزاء والى العدل والاحسان وسائر العمل الصالح ، بعثه لتطهير العالم وتحرير القلوب من هذه العبادة الشركية الضالة التى كانت تحمل فى حقيقتها ومعناها ، أقبح نظام اجتماعى عرفه البشر الى يومنا هذا ، وحسب الشرك ومايحمل من نظام قول الله تعالى (**ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق**) الحج — ٣١ .

ارسل الله محمدا هاديا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ورسم له طريق دعوته .

(يا ايها المدثر قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر ولاتمنن تستكثر ولربك فاصبر)

حرر قلبك من تعظيم غير الله ليضعف أمامك الجبارون ، حرر خلقك فتملك على الناس قلوبهم ، حرر جوارحك لتكون مثالا واقعيا وحرر نفسك من الملل والجزع واليأس واصبر وما صبرك الا بالله .

بهذه العدة القوية ارسل محمد كلمته فى قوم عرفوا بشدة البأس والايذاء ، والتعصب لما ورثوه عن الآباء والاجداد ، وكبر عليهم ان يدعوهم هذه الدعوة رجل ليس بالعظيم فيهم ، فقابلوه بالسخرية والاستهزاء .

(وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) الزخرف — ٣١

(وقالوا مالهذا الرسول ياكل الطعام ويمشى فى الاسواق لولا انزل عليه ملك فيكون معه نذيرا او يلقى اليه كنز او تكون له جنة ياكل منها) الفرقان ٧ — ٨ .

١ — ساوموه على ترك الدعوة بكل مايطيب له من ملك وجاه وسلطان فكانت كلمته المأثورة (والله ياعم لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن اترك هذا الامر مافعلت حتى يظهره الله أو اهلك دونه)

٢ — اشتدوا فى ايذائه صلى الله عليه وسلم واسرفوا ، حتى اجمعوا امرهم على منابذة بنى هاشم وبنى عبد المطلب ، واخراجهم من مكة والتضييق عليهم ومقاطعتهم وكتبوا بذلك صحيفة تعاقدوا عليها فاحتمل فيها النبى ومن معه الجهد البالغ والبلاء الذى لا حد له .

٣ — ونشروا الاكاذيب والاراجيف عن النبى وصحبه ، بقصد تشويهه عند غير المكيين فقالوا ساحر ، كذاب ، معلم مجنون واخيرا استقر رأيهم على ان يقتلوه قتلة تفرق دمه فى القبائل ، وكانت الليلة التى اتم الله فيها لرسوله وسائل الهجرة فضرب القوم حول بيته نطاقا من الحديد والنار .

وهنا ندع ارباب الايمان يفكرون فى مبلغ التضحية التى بذلتها تلك الثلة الفدائية التى لايتجاوز عددها أصابع اليد الواحدة .

ابو بكر ، معد الرحلة وصاحبه فى الغار ، وباذل ماله ونفسه .

وعلى الفدائى الأول الذى تسجى ببردة الرسول مفترشا سريره .

وعبد الله بن ابى بكر صاحب المخابرات المكية واخته ذات النطاقين صاحبة التموين ، وعامر بن فهيرة ، مطعم اللحم واللبن فى الغار ومخفى الاثر بالغنم التى كان يرعاها لابى بكر .

هذه التضحية التى قامت بها ثلة فيها الرجل والصبى ، وفيها الرجل والمرأة وفيها قريب النسب وبعيده ، لنعلم أن الجهاد والتضحية شأن المسلمين عامة يسقط فى حسابها القرب والبعد .

تمت الهجرة ولم تكن هجرة الفارين الهاربين ، بل كانت هجرة الابطال المجاهدين .

تمت الهجرة وكانت نصرا من الله لرسوله ونعمة امتن بها عليه فقال سبحانه (**وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين**)

تمت الهجرة واستقر محمد فى المدينة وآخى بين المهاجرين والانصار حتى جرت بينهم انهار السخاء والايثار وسمت بينهم معانى الاخوة والمودة ووضع الاساس للامة العربية الاسلامية على العدل الذى لايعرف الظلم على الايمان الذى لايعرف التردد على الشجاعة التى لاتعرف الجبن ، على الوحدة التى لاتعرف التفرق ، على الشورى التى لاتعرف الاستبداد ، على الرحمة التى لاتعرف الغلظة ، على التضامن الذى لايعرف الاثرة ، وصدق الله العظيم .

(والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولايجدون فى صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون)

الهجرة النبوية

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ثم أمر بالهجرة وانزل عليه قوله تعالى : (**وقل رب ادخلنى مدخل صدق واخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا**) .

ارسل الله محمدا صلى الله عليه وسلم هاديا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا .

وقد دعا قومه الى دين الله سرا ثلاث سنين ثم أمره الله أن يجهر بدعوته فقال تعالى : (ياأيها الرسول بلغ ماأنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته) .

وقد تعرض المسلمون لصنوف الاذى والوان الاضطهاد من أهل مكة فصبروا وصابروا وهاجروا الى الحبشة مرتين .

وجاءت بوادر الخير من أهل يثرب ، فقد كانوا يختلطون باليهود ويسمعون منهم أن نبيا سيظهر فى هذا الزمن ، فلما قدمت وفود من أهل المدينة الى الحج عرض عليهم النبى الاسلام وقرأوا القرآن فقالوا هذا هو النبى الذى كانت تستفتح به اليهود عليكم تبشركم بقدومه . فبايعوا النبى على الاسلام وكانوا ١٢ رجلا ، وهذه هى بيعة العقبة الاولى .

وفى العام التالى أقبل جمع من أهل المدينة راغبين فى الاسلام ومبايعة النبى فواعدهم النبى على اللقاء سرا بعد ثلث الليل ، وقال لهم لاتوقظوا نائما ولاتنتظروا غائبا . وفى الميعاد المحدد تسلل الى العقبة ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان يتسترون فى ظلام الليل لمبايعة النبى ومعاهدته على الاسلام .

وهناك قرأ الرسول صلى الله عليه وسلم القرآن ودعاهم الى الله ورغبهم فى الاسلام ثم قال : « أبايعكم على أن تمنعونى مما تمنعون منه انفسكم ، ونساءكم ، وأبناءكم ، وأموالكم » .

فأخذ «البراء» بيده ثم قال : نعم والذى بعثك بالحق لنمنعنك فنحن والله أبناء الحروب ورثناها كابرا عن كابر .

بهذه البيعة القوية ظهرت حماسة الانصار وتجلى اخلاصهم للدعوة ، ووجد المسلمون طريق الهجرة الى المدينة مفتوحا أمامهم وذهب مصعب بن عمير الى المدينة يقرأ القرآن ويدعو الى الايمان . فلم يبق بيت من بيوت المدينة الا بدأ يتحدث عن القرآن والاسلام .

اجتمع كفار مكة وتشاوروا فيما بينهم للقضاء على محمد ودعوته ، فقال أحدهم ننفيه من بلادنا ثم لانبالى أين ذهب ولا حيث سار . وقال آخر نحبسه حتى تموت دعوته . ثم استقر رأيهم على أن يختاروا من كل قبيلة شابا جلدا وسطا قويا متينا ، ويعطى كل شاب سيفا صارما بتارا ، ثم يقف الجميع على باب محمد ينتظرون خروجه لصلاة الفجر ، ثم يضربونه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه فى القبائل فلاتستطيع بنو عبد مناف على حرب جميعهم فيقبلون الدية ويذهب دمه هدرا .

وقد أخبر الله نبيه بأمرهم وتدبيرهم ، وأمره بالهجرة الى المدينة ، قال تعالى (واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) .

خرج عليه الصلاة والسلام من مكه يرتل قول الحق سبحانه (**وقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا**) الاسراء/ ٨٠ .

اى ادخلنى المدينة (مدخل صدق) يعنى آمنا على رغم انف اليهود (واخرجنى) من المدينة الى مكة (مخرج صدق) يعنى آمنا على رغم انف كفار مكة ظاهرا عليهم (واجعل لى من لدنك) يعنى من عندك (سلطانا نصيرا) يعنى النصر على أهل مكة . ففعل الله تعالى ذلك به فافتتحها فلما افتتحها رأى ثلاثمائة وستين صنما حول الكعبة ورأى اساف ونائلة احدهما عند الركن والآخر عند الحجر الاسود ، وفى يدى النبى صلى الله عليه وسلم قضيب ، فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يطعن الأصنام ويقول : (جاء الحق) يعنى الاسلام (وزهق الباطل) يعنى وذهبت عبادة الشيطان والأوثان (ان الباطل) يعنى أن عبادة الشيطان والاصنام (كان زهوقا) يعنى ذاهبا .

سار صلى الله عليه وسلم) ظلام الليل مع الصديق أبى بكر الى غار ثور فدخلاه وقد احاطهما الله بعنايته ورعايته وأيدهما بنصره وتوفيقه .

قال تعالى (**الا تنصروه فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لاتحزن ان الله معنا فانزل الله سكينته عليه وايده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم**) .

مكث النبى والصديق فى الغار ثلاثة أيام ، وكانت الفتاة الصغيرة اسماء بنت ابى بكر ، تروح عليهما كل مساء فى خفاء وتقطع فى جوف الليل الطريق الوعر المضنى ، تحمل اليهما الزاد والماء .

ولما سكن الطلب عن الرسول الأمين وصاحبه ، جاءهما الدليل ، فسارا فى وهج القيظ وتلظى الهجير ، سارا يطويان الظلام ويصلان الصبح بالمساء حتى وصلا الى المدينة المنورة فخرج أهلها لاستقبالهما فى عيد بهيج ينشدون الأهازيج .

طلع البدر علينا ... من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ... مادعا لله داع
أيها المبعوث فينا ... جئت بالأمر المطاع
جئت شرفت المدينة ... مرحبا ياخير داع

الاسراء بين القرآن والعلم

يقول الله تعالى فى كتابه الكريم :

(سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير) .

١ ـ ضوء على الآية :

(سبحان) اسم علم لتسبيح الله وتنزيهه ، فمعنى سبحان الله : أسبح الله سبحانه والمقصود التقديس والتنزيه عن السوء فى الذات والصفات والافعال والاسماء والاحكام اى ماابعد الذى له هذه الصفات عن جميع النقائص . (اسرى) سار فى الليل ، ومعنى اسرى به صيره ساريا (ليلا) اى فى جزء من الليل أو فى ساعات منه . (من المسجد الحرام) اى ابتداء الاسراء المسجد الحرام وسمى حراما لتحريم القتل والعدوان فيه حتى لو وجد فيه قاتل ابيه حرام عليه قتله داخل المسجد لقوله تعالى **(ومن دخله كان آمنا)** .

(الى المسجد الاقصى) هو بيت المقدس وسمى الاقصى لبعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام .

(الذى باركنا حوله) بارك الله حوله بركات مادية ومعنوية واحاطه ببركات الدنيا والدين ، فجعل حوله الاشجار والثمار وجعله متعبد الانبياء من وقت موسى ومهبط الوحى ومسرى محمد صلى الله عليه وسلم .

(لنريه من آياتنا) فيها بيان لحكمة الاسراء ، وقد راى النبى من آيات الله ودلائل قدرته الكثير ، وراى صورا واشكالا جسمت فيها المعانى بصورة ملموسة محسوسة .

كما رأى الملائكة تعبد الله على اشكال شتى منها القائم والراكع والساجد والعابد ، وراى الانبياء والمرسلين وراى الجنة والنار .

وكان لدى النبى من الصفاء والنقاء والطهر ماجعله اهلا لأن يرى آيات الله فى هذا الكون وأن يتفتح قلبه الشريف ليحيط بأسرار الكون ونظمه وليرى العالم العلوى وملائكة السماء ، وهناك فرض الله عليه الصلاة تحية خالدة لهذا اللقاء الكريم .

(انه هو السميع البصير) السميع بدعاء محمد البصير بما اصابه من

أذى المشركين وهو يسمع ويرى مالطف ودق وخفى عن الاسماع والابصار من اللطائف والاسرار .

وهكذا تحدثت الآية عن الاسراء فى اعجاز وبيان يملكهما مالك القدرة الخارقة التى شملت هذا الكون بما فيه ، فاشتملت الآية على تنزيه الله أن يكون له صاحبة أو ولد وبينت ان الاسراء بعبد من عبيد الله اختاره واصطفاه، وان العبودية كلما تحقق مضمونها من الخضوع والخشوع والاخلاص لله كلما سما صاحبها وزاد قدره وكان الاسراء من أول بيت وضع للناس ، من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى حيث كانت الرسل تتعبد وحيث اعترفت له الانبياء بالرسالة وحيث صعد من هذا المكان الطاهر الى السموات العلا الى سدرة المنتهى الى جنة المأوى ، ولم يتحول بصره يمينا ولا شمالا ولاتجاوز الطريق المرسوم بل كان فى سمت النبيين وأمانة الصديقين وسمو المرسلين .

٢ ـ المعراج :

المعراج والمصعد والمرقى كلها بمعنى واحد تدل على الصعود والارتقاء ومعراج الرسول هو صعوده الى السموات العلا حيث لقى من فضل الله الكثير ورأى من آيات ربه الكبرى .

وكان الاسراء والمعراج فى ليلة واحدة ، الاسراء رحلة من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ، والمعراج رحلة سماوية الى الملأ الاعلى . وقد تحدثت سورة النجم عن المعراج فى قوله تعالى : **«والنجم اذا هوى ماضل صاحبكم ومافوى . وماينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى ، علمه شديد القوى ، ذو مرة فاستوى . وهو بالافق الاعلى ، ثم دنا فتدلى ، فكان قاب قوسين او ادنى ، فاوحى الى عبده مااوحى ، ماكذب الفؤاد مارأى ، افتمارونه على مايرى ، ولقد رآه نزلة اخرى ، عند سدرة المنتهى ، عندها جنة المأوى ، اذ يغشى السدرة مايغشى ، مازاغ البصر وماطغى ، لقد راى من آيات ربه الكبرى»** النجم ١ ـ ١٨ .

٣ ـ تاريخ الاسراء :

وقع الاسراء فى السنة الحادية عشرة للبعثة ، قبل الهجرة بسنة ، أو قبلها بسنة وشهرين .

وكان المشركون قد امعنوا فى ايذاء النبى وبالغوا فى تعذيب المسلمين حتى اضطروهم للهجرة الى الحبشة مرتين ، ولما يئس النبى من أهل مكة ذهب الى الطائف وبها قبائل ثقيف فدعاهم للاسلام ورغبهم فى الايمان ، وكان يأمل ان يجيبوه الى دعوته ، ولكنهم ردوه أسوأ رد وارصدوا له الغلمان يرجمونه بالحجارة حتى دميت قدماه الشريفتان ، وقد أغمى على النبى من شدة الايذاء . فلما افاق وجد نفسه مكذبا فى قومه مضطهدا فى مكة معذبا فى الطائف وحيدا غريبا ، فمد يده الى الله سبحانه قائلا :

« اللهم أشكو اليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يارب العالمين انت رب المستضعفين وانت ربي الى من تكلني ، الى عدو يتجهمني أو بعيد ملكته امرى ، أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن ينزل بي سخطك أو يحل على غضبك ، لك العتبى حتى ترضى . عافيتك هي أوسع لى ان لم يكن بك غضب على فلا أبالى » .

وقد جاءه جبريل وقال يامحمد هذا ملك الجبال وان الله امره ان يطيعك فى قومك بسبب مافعلوه بك فان شئت ان يطبق عليهم الاخشبين (جبلان بمكة) فعل . فقال له النبى لاتفعل انى لأرجو أن يخرج من ظهورهم من يعبد الله . اللهم اهد قومى فهم لايعلمون .

فقال جبريل للنبى صدق من سماك الرؤوف الرحيم .

وعاد النبى الى مكة حزينا كئيبا ولم يستطع دخولها الا فى جوار المطعم ابن عدى .

٤ ـ ماقبل الاسراء :

كانت الفترة التى سبقت الاسراء من اقسى الفترات على النبى والمؤمنين وكان الامتحان قاسيا ، يواجه المؤمنين كل يوم بفتنة ومحنة ، ويستنصر المؤمنون الله قائلين : الا تدع الله لنا ، الا تتنزل غضبه على عدونا ، فيجيبهم بأن طريق الدعوة طريق وعر وصعب ، وأن على المؤمن أن يتحمل البلاء فى ذات الله . ويصيح فيهم : « والله لقد كان يؤتى بالرجل فيمن قبلكم فيشق بالمنشار من مفرق رأسه الى قدميه فما يصده ذلك عن دينه ، والذى نفس محمد بيده ليتمن الله ذلك الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لايخاف الا الله أو الذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون .

كان من فضل الله على المؤمنين فى هذه الفترة المؤلمة أن أعطى نبيه معجزة الهية كبرى ليرى عوالم أخرى وليصعد الى السماء وليرى من فضل الله ونعمه الكثير ثم يعود بالصلاة صلة بين المؤمنين وربهم ، فهى العون للمؤمن فى رحلة الحياة وهى الملجأ والملاذ الى الله وهى فترة المناجاة والمناداة فيها تسمو الروح وتطهر النفس ويناجى العبد الها سميعا بصيرا مجيبا .

٥ ـ الاسراء فى ضوء العلم :

وردت قصة الاسراء والمعراج فى كتب السنة الصحاح وسرت بين الامة سريانا مستفيضا ووعتها بطون الكتب وتحدث بها الرواة حتى نقلها من أعاظم الرجال خمسة وأربعون صحابيا بطرق شتى واخذها جيل عن جيل فى تواتر واجماع .

والأمر فى جملته خاضع لقدرة الله التى لاتقف امامها حدود ، وهو معجزة لرسول الله . والمعجزة أمر خارق للعادة يظهره الله على يد مدعى الرسالة

تصديقا له في دعواه ، وليس فيما كشفه العلم من قوانين الجذب العام ونظام الافلاك ومسابح النجوم وعناصر الكواكب ونواميس الحركة وطبقات الهواء وتحديد الحركات ومعايير السرعة ــ ليس فى ذلك كله ومايتصل به ــ مايقف أمام الاسراء والمعراج .

فقد ثبت ان نجم المشترى يجرى بسرعة ثلاثين الف ميل فى الساعة فيجرى تسعة أميال كلما تنفس الانسان . والمشترى اكبر من أرضنا بالف واربعمائة مرة . وان الله الذى جعل هذا الجسم الكثيف الهائل يقطع الابعاد الشاسعة فى لحظات لايبعد عليه أن يسرى بنبيه من مكة الى بيت المقدس على مقتضى ناموس لانعرفه . وان كان الوجود يشتمل عليه ، مادام العلم قد اثبت سرعة عجيبة لأجرام كثيفة .

واننا نشهد كل يوم كشفا عن ناموس ، وابطالا لناموس حتى لقد صرح بعض علماء الغرب ، بأن أخوف مانخافه ان مانفاخر به اليوم من العلوم يصبح بعد مائة سنة باطلا منسوخا .

ويؤثر لرئيس مجمع ترقى العلوم بجامعة كمبردج سنة ١٨٥٤ م أن كنه المادة غير معروف وان منتهى علمها مبتدأ جهلها .

ونحن اذا طوينا القرون القهقرى فرجعنا الى ماقبل اليوم منذ قرنين اثنين ، افكنا نحسب ان موجات الاثير وعدسات التليفزيون والتلستار تنقل صوت الانسان وصورته الى الابعاد الشاسعة والاقطار النائية .

ان الانسان قد أخذه العجب العجاب عند اختراع الطائرة العادية ثم الطائرة النفاثة والاطباق الطائرة ، والاقمار الصناعية .

وكان وصول الانسان الى القمر اخيرا خبرا مذهلا اخذ على الناس فى كل أصقاع الدنيا لبهم واستولى على اهتمامهم ، وذلك كله مما يقرب فى ذهن الانسان سهولة الاسراء والمعراج خاصة وانهما يقعان فى دائرة القدرة الالهية التى يخضع لها كل شىء فى عالم السموات والارض والهواء والفضاء . قال تعالى : (**وماقدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ، سبحانه وتعالى عما يشركون**) . الزمر ٦٧ .

٦ ـ الشعر والاسراء :

قال شوقى :

تتساءلون وانت اطهر هيكل ... بالروح أم بالهيكل الاسراء
بهما سموت مطهرا وكلاهما ... نور وروحانية وبهاء
فضل عليك لذى الجلال ومنة ... والله يفعل مايرى ويشاء
تغشى الغيوب من العوالم كلما ... طويت سماء قلدتك سماء

في كل منطقة حواشي نورها ... نون وانت النقطة الزهراء
أنت الجمال بها وانت المجتلى ... والكف والمرآة والحسناء
الله هيأ من حظيرة قدسه ... نزلا لذاتك لم يجزه علاء
العرش تحتك سدة وقوائم ... ومناكب الروح الأمين وطاء
والرسل دون العرش لم يؤذن لهم ... حاشا لغيرك موعد ولقاء

٧ ـ آراء العلماء في الاسراء :

لعله اصبح واضحا ان الاسراء هو الانتقال بالنبى من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى .

وان المعراج هو العروج به الى السموات العلا .

ولعل سائلا يسال ، هل كان الاسراء بالروح والجسد ام بالروح وحدها ويمكن ان نوضح الجواب بما يأتى :

(أ) اكثر العلماء على ان الاسراء كان بالروح والبدن يقظة لا مناما ، ولهم على ذلك ادلة :

١ ـ انه لو كان مناما ماكانت قريش تبادر الى تكذيبه ولما قالت ام هانىء لاتحدث الناس فيكذبوك ، ولما فضل ابو بكر بالتصديق ، وجاء فى الحديث عن ابى هريرة انه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد رايتنى فى الحجر وقريش تسالنى عن مسراى ، فسالنى عن اشياء من بيت المقدس لم اثبتها (لم اعرفها حق المعرفة) . فكربت كربا ماكربت مثله قط ، فرفعه الله لى انظر اليه ، فما سالونى عن شىء الا انبأتهم به (الحديث) .

٢ ـ أن التسبيح والتعجب فى قوله : سبحان الذى أسرى بعبده ـ انما يكون فى الأمور العظام ـ ولو كان مناما لم يكن فيه كبير شأن ولم يكن مستعظما .

٣ ـ ان قوله **(بعبده)** يدل على مجموع الروح والجسد .

٤ ـ ان ابن عباس قال فى قوله : « **وما جعلنا الرؤيا التى اريناك الا فتنة للناس** » هى رؤيا اريها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة اسرى به ويؤيده أن العرب تستعمل الرؤيا فى المشاهدة الحسية ، الا ترى الى قول الراعى يصف صائدا :

وكبر للرؤيا وهش فؤاده ... وبشر قلبا كان جما بلابله

٥ ـ ان الحركة بهذه السرعة ممكنة فى نفسها ، فقد جاء فى القرآن ان الرياح كانت تسير بسليمان عليه السلام الى المواضع البعيدة فى الاوقات القليلة ، قال تعالى : (**غدوها شهر ورواحها شهر**) وجاء فيه أن الذى

عنده علم من الكتاب احضر عرش بلقيس من اقصى الارض فى مقدار لمح البصر كما قال تعالى : **(قال الذى عنده علم من الكتاب انا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك)** واذا جاز هذا لدى طائفة من الناس جاز لدى النبى بالاولى .

(ب) ويرى آخرون أن الاسراء كان بالروح فحسب ، ولهم على ذلك حجج :

١ ــ أن معاوية بن ابى سفيان كان اذا سئل عن سرى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول :.كان رؤيا من الله صادقة . وقد ضعف هذا بأن معاوية يومئذ كان من المشركين فلا يقبل خبره فى مثل هذا .

٢ ــ ان بعض آل ابى بكر قال : كانت عائشة تقول مافقد جسد رسول الله صلى الله عيه وسلم ، ولكن اسرى بروحه ، ونقدوا هذا بأن عائشة يومئذ كانت صغيرة ولم تكن زوجا لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

٣ ــ أن الحسن قال فى قوله **(وما جعلنا الرؤيا)** الآيه . انها رؤيا منام رآها والرؤيا تختص بالنوم .

قال ابو جعفر الطبرى : الصواب من القول فى ذلك عندنا ان يقال : ان الله اسرى بعبده محمد صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى كما اخبر الله عباده وكما تظاهرت به الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله حمله على البراق حتى أتاه به وصلى هناك بمن صلى من الانبياء والرسل فاراه ما أراه من الآيات ، ولا معنى لقول من قال أسرى بروحه دون جسده لأن ذلك لو كان كذلك لم يكن فى ذلك ما يوجب أن يكون دليلا على نبوته ولا حجة له على رسالته ، ولا كان الذى انكروا حقيقة ذلك من اهل الشرك كانوا يدفعون به عن صدقه فيه ، اذ لم يكن منكرا عندهم ولا عند أحد من ذوى الفطرة الصحيحة من بنى آدم أن يرى الرائى منهم فى المنام ماعلى مسيرة سنة ، فكيف ما هو مسيرة شهر أو اقل ــ وبعد فان الله انما أخبر فى كتابه أنه اسرى بعبده ولم يخبرنا بانه اسرى بروح عبده ، وليس جائزا لأحد أن يتعدى ما قال الله الى غيره ، الى أن الادلة الواضحة والاخبار المتتابعة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله اسرى به على دابة يقال لها البراق ، ولو كان الاسراء بروحه لم تكن الروح محمولة على البراق ، اذ كانت الدواب لاتحمل الا الاجساد . أ هـ .

والخلاصة :

ان الذى عليه المعول عند جمهرة المسلمين انه اسرى به عليه السلام يقظة لا مناما من مكة الى بيت المقدس راكبا البراق ، فلما انتهى الى باب المسجد ربط الدابة عند الباب ودخله يصلى فى قبلته تحية المسجد ركعتين وعرج به الى السماء وعاد منها ثم ركب البراق وعاد الى مكة قبل الفجر .

شهر شعبان

فضل الله بعض الاماكن على بعض ، وفضل الله بعض الازمنة على بعض ، وفضل الله بعض الرسل على بعض . قال تعالى (**تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات**) .

وفى الحديث الشريف (ان لربكم فى ايام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها). ومن نفحات الله ما خص به بعض الايام والليالى بمضاعفة الثواب وقبول المتاب واغداق الرحمات على عباده المؤمنين .

ونحن نعيش فى وسط ثلاثة اشـهر بيض باركها الله بجلائل الاعمـال : فرجب شهر الله الحرام ، فيه وقع الاسراء والمعراج وهما الحادثتان الالهيتان ، وقد تم فيهما تكريم النبى صلى الله عليه وسلم ، والانتقال به ليلا من المسجد الحرام الى المسـجد الاقصى ، وهناك صـلى اماما بالانبياء وصـعد به الى السموات العلا حيث استقبله من كل سماء مقربوها . وفى اشرف مكان واسمى بقعة حفته الأنوار وغشيته الاسرار ،وصـار فى ضـيافة الجبار ، ورأى من عجائب الكون ماراى ، (**ولقد رآه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى اذ يغشى السدرة ما يغشى مازاغ البصر وما طغى لقد راى من آيات ربه الكبرى**) .

وفى شهر شعبان وقعت غزوة بدر الآخرة وغزوة بنى المصطلق وفيهما ظهرت حكمة الرسـول وبعد نظره وقدرته على تسـيير دفة الأمور بإحكام ونجاح فى أحلك الأوقات . قال تعالى (**ومن يؤمن بالله يهد قلبـه**) ويقـول سبحانه (**يهدى الله لنوره من يشاء**) .

وفى شهر شعبان تم تحويل القبلة فى الصلاة الى جهة الكعبة ، وذلك ان المسلمين هاجروا الى المدينة فمكثوا بها سبعة عشر شهرا يصلون جهة بيت المقدس بالشام ، وكان النبى صـلى الله عليه وسلم يرنو ببصره الى السـماء داعيا راجيا ان تتحول قبلة الصلاة الى الكعبة ، فانزل الله عز وجل قوله (**قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ماكنتم فولوا وجوهكم شطره**) فتحولت قبلة الصلاة الى الكعبة.

واتجاه القبلة الى بيت الله الحرام فيه تعظيم للبيت الحرام ، وهو اول بيت وضع للناس ، وفيه رمز الى وحدة الأمة الاسلامية حول البيت الحرام

فهدفهم واحد واتجاههم واحد وربهم واحد وقبلتهم واحده وامتهم واحدة قال تعالى (**ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون**) . الأنبياء ٩٢

وفى تحويل القبلة بيان عملى ان لله المشرق والمغرب وانه المقصود بجميع العبادات (**فاينما تولوا فثم وجه الله**) . ونحن المسلمين نعظم المساجد لأنها بيوت العبادة ونخص بالتعظيم المسجد الحرام والمسجد النبوى والمسجد الأقصى ، ونعلم ان افضل المساجد هو المسجد الحرام ثم المسجد النبوى ثم المسجد الأقصى . والمسلمون يرحلون الى هذه المساجد لاقامة الصلاة واداء المناسك وطلبا لمضاعفة الثواب ورؤية الاماكن المقدسة التى أنزل الله عليها بركاته وضاعف فيها الثواب وتجلى على عباده فيها بالفضل والمغفرة . قال تعالى (**ان اول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا . ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غنى عن العالمين**) .

وفى الحديث الصحيح (لاتشد الرحال الا لثلاثة مساجد، مسجدى هذا والمسجد الحرام والمسجد الاقصى) . اى ان المسلم لايسافر قاصدا السفر الى مسجد معين لان المساجد كلها لله فاى مسجد صالح للصلاة ، لكن يباح السفر الى ثلاثة مساجد تعظيما لقدرها وطلبا لمضاعفة الثواب بالصلاة فيها ، وهى المسجد الحرام بمكة وهو اول بيت وضع لله فى الارض ، ويليه المسجد النبوى بالمدينة وفيه مثوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمسجد الأقصى بالشام وفيه مثوى الأنبياء وحوله البركات ومضاعفة الحسنات ، والى ذلك المسجد مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال تعالى (**سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير**) .

فيا امة الاسلام اين المسجد الاقصى ؟ ، انه فى يد عصابة اليهود يستغيث بالمسلمين ان هبوا من سباتكم واجمعوا امركم واعلنوا جهادكم فى سبيل الله وفى سبيل تخليص المستضعفين. وما احرانا فى ليلة النصف من شعبان المكرم وفيها يفتح الباب ويضاعف الثواب ويقرب الأحباب ان نلجأ الى الله داعين متبتلين فى هذه الليلة المباركة ، فهى موسم للتوبة النصوح والالتجاء الى الله والاستقامة على طريقه . قال تعالى (**وان لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا**) .

وروى البيهقى عن عائشة رضى الله عنها قالت « قام رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل فصلى فأطال السجود حتى ظننت انه قد قبض ، فلما رأيت ذلك قمت حتى حركت ابهامه فتحرك فرجعت فسمعته يقول فى سجوده اعوذ بعفوك من عقابك واعوذ برضاك من سخطك واعوذ بك منك،الهى لا احصى ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك . فلما رفع راسه من السجود وفرغ من صلاته قال ياعائشة أتدرين اى ليلة هذه قلت الله ورسوله اعلم . قال هذه

ليلة النصف من شعبان ان الله عز وجل يطلع على عباده) ليلة النصف من شعبان فيغفر للمستغفرين ويرحم المسترحمين ويؤخر أهل الحقد كما هم ».

فهذه ايام الطاعة والانابة والجهاد والجلاد وجهاد النفس والهوى ، قال تعالى (**وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى**).

ليلة مباركة

بسم الله الرحمن الرحيم :

(حم والكتاب المبين ، انا أنزلناه فى ليلة مباركة انا كنا منذرين ، فيها يفرق كل أمر حكيم ، أمرا من عندنا انا كنا مرسلين ، رحمة من ربك انه هو السميع العليم . رب السموات والأرض وما بينهما ان كنتم موقنين ، لا اله الا هو يحيى ويميت ربكم ورب آبائكم الأولين) الدخان ١ — ٨ .

بدأ الله بعض السور بحروف مقطعة مثل الم الر حم .

وللعلماء فيها رايان :

الراى الاول : انها مما استأثر الله تعالى بعلمه ،

والراى الثانى : أن لها معان معروفة ولكنهم اختلفوا فى تحديد هذه المعانى فقيل هى اسماء للسورة ، وقيل هى اشارة الى اسماء الله تعالى أو صفاته ، وقيل هى أدوات للتنبيه ، وقيل هى حروف للتحدى والاعجاز .

واختار ابن جرير الطبرى انوجه الاعجاز فى هذه الحروف هو اشتمالها على جميع المعانى التى ذكرها العلماء فى تفسيرها .

فهى مما استأثر الله تعالى بعلمه ، وهى أسماء للسورة ، وهى حروف للتنبيه وهى اشارة الى أسماء الله تعالى وصفاته وهى لبيان التحدى والاعجاز .

وقد اقسم الله بالكتاب المبين الواضح ، الذى انزل بلسان عربى بين يفهمه العامة والخاصة ويتجاوب معه الكبير والصغير والامى والمتعلم .

روى الترمذى عن الحارث الاعور عن على بن ابى طالب قال :

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (**الا انها ستكون فتنة** ، فقلت ما المخرج منها يارسول الله ؟ قال : كتاب الله فيه نبأ ماكان قبلكم ، وخبر مابعدكم وحكم مابينكم ، هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى فى غيره اضله الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم هو الذى لاتزيغ به الاهواء ، ولاتلتبس

به الألسنة ، ولايشبع منه العلماء ، ولايخلق على كثرة الرد ، ولاتنقضى عجائبه ، هو الذى لم تنته الجن اذ سمعته حتى قالوا : **(انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد)** ، من قال به صدق ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم) .

(انا انزلناه فى ليلة مباركة) اى انزلنا القرآن فى ليلة كثيرة البركات — واكثر المفسرين انها ليلة القدر وهى احدى ليالى شهر رمضان قال تعالى **(شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن)** وقال سبحانه **(انا انزلناه فى ليلة القدر)**

وقال عكرمة وجماعة : الليلة المباركة هى ليلة النصف من شعبان وتسمى ليلة الرحمة والليلة المباركة وليلة الصك وليلة البراءة .

(فيها يفرق كل امر حكيم) اى يفصل ويبين كل امر صادر منا على مقتضى حكمتنا . فان من عادتنا ارسال الرسل للعباد رحمة منا .

وقد ذكروا فى ليلة النصف من شعبان اخبارا كثيرة منها ما اخرجه ابن ماجه عن على كرم الله وجهه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اذا كان ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها فان الله تعالى ينزل فيها لغروب الشمس الى السماء الدنيا فيقول الا مستغفر فاغفر له الا مسترزق فارزقه ، الا مبتلى فأعافيه الا كذا الا كذا حتى يطلع الفجر) .

وأخرج الامام احمد أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال : (يطلع الله الى خلقه ليلة النصف من شعبان فيغفر لعباده الا اثنين مشاحن وقاتل نفس) .

وفى الدر المختار وحاشيته : (ومن المندوب احياء ليلتى العيدين والنصف من شعبان والعشر الأخيرة من رمضان وليالى العشر الأول من ذى الحجة)

واحياء هذه الليالى يكون بذكر الله وقراءة القرآن فى جزء من الليل . او بصلاة العشاء فى جماعة والفجر فى جماعة . روى مسلم فى صحيحه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من صلى العشاء فى جماعة فكانما قام نصف الليل ومن صلى الصبح فى جماعة فكانما قام الليل كله) .

وفى الصحيحين عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : (ماكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم من شهر اكثر من صيامه من شعبان ، كان يصومه كله) .

امجاد الاسلام فى شهر رمضان

ايها المسلمون ــ جدير بنا ونحن نستقبل شهر رمضان ان نتذكر الاحداث الخالده التى وقعت فيه وماكان لها من الآثار الباقية التى غيرت وجه التاريخ الانسانى وانتقلت بالبشرية من عهود الظلم والاستبداد الى عهد العدل والحرية والاخاء .

لقد كان رمضان الوعاء الزمنى لقيام دين الاسلام وتكوين المجتمع الاسلامى .

فقيام دين الاسلام كان بنزول القرآن الكريم فى هذا الشهر العظيم والقرآن الكريم هو أساس هذا الدين وكتابه الخالد .

يقول الله تعالى (**ان هذا القرآن يهدى للتى هى اقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا**) ويقول فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان هذا القرآن حبل الله المتين والنور المبين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه) .

ومن أجل ذلك كان رمضان شهر القرآن وكان شهر الاسلام فيه انطلقت أول صيحة تبشر بهذا الدين وفى ليلة مباركة من لياليه نزلت اول آية على الرسول الكريم ، (**انا انزلناه فى ليلة القدر وما ادراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من الف شهر تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر**)

هذه صلة رمضان بالاسلام وهذا هو ارتباطه بالقرآن وهى صلة باقية على مدى الازمان (**انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون**) .

أما علاقة رمضان بتكوين المجتمع الاسلامى فذلك يتمثل فى حادثتين عظيمتين وقعتا فيه لو لم يحدث فيهما ماحدث فعلا لتغير وجه التاريخ ولتوقفت خطاه قليلا أو كثيرا قبل أن يدخل بالبشرية فى دور جديد ، هاتان الحادثتان هما غزوة بدر الكبرى وفتح مكة .

فغزوة بدر وقد وقعت فى السابع عشر من رمضان فى السنة الثانية من الهجرة ، كانت أول لقاء مسلح بين الحق والباطل ، بين قوى الشر والضلال وبين قوى الخير والرشاد ، وبالرغم من تفوق المشركين فى العدد والعدد فقد صدق الله وعده ونصر جنده واعز الحق واهله (**انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد**) ، (**بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق**) .

وهكذا كان انتصار المسلمين فى يوم بدر اول لبنة فى قيام المجتمع الاسلامى وظهور خصائصه الفاضلة وملامحه التى رسمها الاسلام واعتزت بها جماعة

المسلمين ، ومانزل فى شأن هذه الغزوة من آيات بين ان نصر الله دائما مع المؤمنين وان تأييده للعاملين المخلصين وعد الله لايخلف الله الميعاد قال تعالى :

(فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ، ومارميت اذ رميت ولكن الله رمى وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا ان الله سميع عليم) (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين) البقرة ٢٤٩ .

واما فتح مكة فقد كان فى السنة الثامنة للهجرة فى عشرين من رمضان تقدم النبى صلى الله عليه وسلم اليها وقال ؛ اللهم خذ العيون والابصار عن قريش حتى نبغتها فى بلادها .

ثم دخل مكة متواضعا لله منحنيا على راحلته حتى أوشك أن يسجد عليها شكرا لله وهو يقول تائبون آيبون حامدون لربنا شاكرون ، ثم دخل البيت الحرام فصلى ركعتين ثم حطم الاصنام بقضيب فى يده وهو يقول **(وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا)**

ثم وقف على باب الكعبة وأعلن سماحة الاسلام وعفا عن اعدائه وقال كلمته الخالدة :

اذهبوا فانتم الطلقاء لاتثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين ، فدخل الناس فى دين الله أفواجا وجماعات وصدق الله العظيم **(اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله افواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا)** .

ليلة القدر

فضل الله بعض الأمكنة على بعض ففضل البيت الحرام والمسجد النبوى والمسجد الاقصى وفضل الله بعض الأزمنة على بعض ففضل يوم الجمعة وليلة الاسراء والمعراج وليلة النصف من شعبان وشهر رمضان وليلة القدر .

وليلة القدر ليلة مباركة يضاعف فيها الثواب ويفتح الباب ويقبل المتاب وينال العاملون فيها عظيم الاجر قال تعالى : **(انا انزلناه فى ليلة القدر ، وما ادراك ما ليلة القدر ، ليلة القدر خير من ألف شهر ، تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر ، سلام هى حتى مطلع الفجر)** .

هى ليلة نزل فيها القرآن من اللوح المحفوظ الى بيت العزة فى سماء الدنيا ثم نزل بعد ذلك منجما مجزءا حسب الوقائع والحوادث .

قال تعالى : **(شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على**

سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ماهداكم ولعلكم تشكرون) (البقرة ١٨٥) .

وفى ليلة القدر يفتح الباب ويقبل المتاب، ولأمر ماقال الله عز وجل عقب آيات الصيام : **(واذا سألك عبادى عنى فانى قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون)** البقرة ١٨٦ .

وفى ليلة القدر يضاعف الله ثواب العمل الصالح ، والعمل الصالح هو كل قربى أو عمل يقصد به وجه الله كتلاوة القرآن والتسبيح والذكر والصدقة والاعمال النافعة للأمة كبناء مدرسة أو مسجد أو معمل او مصنع او ملجأ .

قال تعالى : **(ليلة القدر خير من الف شهر)** اى العبادة والعمل الصالح فيها افضل من العمل الصالح فى الف شهر ليس بينها ليلة القدر .

وقال سبحانه : **(ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لانضيع أجر من احسن عملا)** وقد بارك الله العمل وحث عليه وقرنه بالايمان فى كثير من الآيات، قال تعالى : **(ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا)** وقال سبحانه : **((وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبؤكم بما كنتم تعملون))** .

وفى ليلة القدر تنزل الملائكة من السماء بالسلام والامان فتنتشر فى الارض ومعها جبريل الامين وهذا باذن الله وامره بركة لهذه الأمة وتكريما لذكرى نزول القرآن وهى سلام وامان من اذان المغرب الى طلوع الفجر .

وينبغى أن يكثر المسلم فيها الدعاء النافع لدينه ودنياه وآخرته .

قالت عائشة رضى الله عنها يارسول الله ان رايت ليلة القدر ماذا اقول ؟ قال قولى : اللهم انك عفو كريم تحب العفو فاعف عنى .

اللهم انى أسالك العفو والعافية فى الدين والدنيا والآخرة وفى صحيح البخارى ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الاخير فيقول ياعبادى هل من داع فأستجيب له هل من مستغفر فاغفر له هل من مسترزق فأرزقه هل من تائب فأتوب عليه هل من طالب حاجة فأقضيها له حتى يطلع الفجر .

وليست ليلة القدر عبارة عن نور فى السماء أو طاقة من النور مستديرة او مستطيلة ليس لهذه الليلة نور خاص او مشهد حسى معين .

ولكنها ليلة تتميز بكثرة نزول الملائكة الى الارض وانتشار الرحمة والمغفرة والامان وفتح الباب أمام الداعين فيحس الانسان احساسا روحيا بصفاء نفسه وسمو روحه ورغبته فى الابتهال الى الله ، والثناء عليه والدعاء وقراءة القرآن والصلاة والسلام على النبى محمد عليه الصلاة والسلام .

وليلة القدر هى ليلة القرآن وسميت ليلة القدر بمعنى الشرف والذكر اى القدر الرفيع والشرف العظيم ، لأنه نزل فيها قرآن ذو قدر على نبى ذى قدر لأمة ذات قدر .

واحرى بأمتنا ان تدرك شأن القرآن فى حفظ اللســان وتقويم الخلق وتماسك الأمة وترابط المؤمنين فتقبل على القرآن قراءه وفهما ودراسة وحفظا وان تلتزم بهديه وتتمسك بأحكامه وتعود الى منهجه وروحه فالقــرآن روح وحياة ومنهج وطريقة قال تعالى : (**وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ماكنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشــاء من عبادنا وانك لتهدى الى صراط مستقيم صراط الله الذى ما فى الســموات وما فى الأرض الا الله تصير الأمور**) .

لقد بدأ نزول القرآن فى غار حراء واستمر نزوله فى مكة والمدينة فكان روحا وهديا ونموذجا وسلوكا واجتمع المؤمنون حول القرآن يقرءونه ويعملون بأوامره ويجتنبون نواهيه فصاغهم القرآن صياغة اسلامية ربانية وصار العرب بالقرآن خير أمة اخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله . لقد عز المسلمون يوم أن اعزوا القرآن وذل المسلموا يوم أن هجــروا القرآن : «وقال الرسول يارب ان قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا» وطريق العزة والنصر هو طريق القرآن وامتثال امر الرحمن ، قال تعالى : « **وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم** » .

عيــد الاضحى

قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فوجد اهلها يلعبون فسالهم عن سبب ذلك فقالوا هذان يومان كنا نلعب فيهما فى الجاهلية فقال (ان الله قد ابدلكم بهما خيرا منهما يوم الاضحى ويوم الفطر) .

تمر بالمسلمين ايام العيد الاكبر وهو عيد التضحية والفداء عيد امتحن الله فيه الخليل ابراهيم بذبح ولده اسماعيل فقام الخليل من نومه واقبل على ابنه وقال :

(**يابنى انى ارى فى المنام انى اذبحك فانظر ماذا ترى**)

ووقف الشاب موقفا مجيدا ضحى فيه بنفسه وحيــاته واجــاب قائلا (**يا ابت افعل ماتؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين**) .

ولما صحت عزيمة الخليل وامتثل الذبيح اســماعيل ، ســمع ابراهيم النداء (**يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزى المحسنين ، ان هذا لهو البلاء المبين ، وفديناه بذبح عظيم وتركنا عليه فى الآخرين سلام على ابراهيم**)

ايها المؤمنون

تمر بالأمم كما تمر بالأفراد، مواقف حاسمة ومحن وازمات فاذا صبرت الامة فى محنتها ولم تركع على قدميها ، وضحت بالترف والمتعة العاجلة فى سبيل الغاية والمبدأ انتصرت فى رسالتها ونجحت فى مهمتها ، واستوت على عرش مجدها وعزها ، وكان لها ثواب المجاهدين ، واجر الصابرين ، وصدق الله العظيم **(كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين)** .

ولقد كان حادث الفداء درسا عمليا تلقاه الخليل ، حين امر بذبح ولده الوحيد واحب الناس اليه ، اختبارا لايمانه ، وامتحانا لارادته فكان ابراهيم صادق الايمان وفيا للرحمن وضحى بولده فى سبيل ربه ودينه وخالقه ، فجزاه الله الجزاء الأوفى ، وسجل وفاءه فى القرآن الكريم .

ثم كلل نجاحه بالفداء تمجيدا لانتصار الارادة البشرية والنفس القوية واليقين الصادق .

وامر المسلمون بذبح الضحايا فى هذا العيد الاكبر لأن الله يحب اراقة الدماء فى ذلك اليوم وليذكر المسلمون امجادهم الماضية وتاريخهم الحافل واباهم الاكبر ابا الملة الحنيفية ، وليتخذوا العظة والعبرة من اخبار السابقين وسيرة الاولين .

(ملة ابيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس ، فاقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير) .

ان للأعياد فى الاسلام معان سامية وحكم بالغة فهى ايام النصر وذكريات تشعر فيها النفس بالراحة والاطمئنان والفرح والامتنان .

فى عيد الفطر يشعر المؤمن بالفرح والارتياح لصيام شهر رمضان ثم يخرج زكاة الفطر مشاركة للاخرين فى صيامهم وفطرهم .

وفى عيد الاضحى يغمر المؤمن سرور الفرح بأيام الله ايام الحج الاكبر وتوافد المسلمين افرادا وجماعات الى بيت الله

(يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى ايام معدودات)

يتلاقى المسلمون فى الحج لتبادل المعرفة والراى فهو انجح مؤتمر عالمى للشعوب والافراد يتدارس فيه المسلمون حالهم ووضعهم وآلامهم وآمالهم — ويعملون سويا عملا منظما لخير الاسلام والمسلمين .

فى هذا العيد الاكبر يذكر المسلمون نعمة الله عليهم ومنته الكبرى فى يوم عرفات فعند اصيل يوم الجمعة التاسع من ذى الحجة سنة عشر من الهجرة

وقف عليه الصلاة والسـلام وقفته الخالدة وخطب خطبته الجامعة فى حجة الوداع وضع فيها المبادىء الأساسية لرقى المجتمع وحفظ الحقـوق واداء الواجبات فقرر حرمة الدماء وحرمة الأموال ونهى عن طاعة الشيطان وارتكاب المخالفات ووصى بالمراه لأنها شطر المجتمع وشريكة الرجل فحدد حقوقهـا وواجباتها وامر برعايتها وكفالتها وصى بتحمل ضعفها والقيام بحقها فى عدل ورحمة ، وقرر مبدأ المساواة بين النـاس جميعا على اختـلاف اجناسـهم والوانهم وجمع فى خطبته أسمى المبـادىء فى تاريخ الاجتماع البشرى فقال صلى الله عليه وسلم :

(أيها الناس ان دماءكم واموالكم عليكم حرام الى ان تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا الاهل بلغت ؟ اللهم فاشهد .

أيها الناس ان الشيطان قد يئس ان يعبد فى ارضكم هذه ولكنه رضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم ..

ايها الناس ان ربكم واحد وان اباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب ، اكرمكم عند الله اتقاكم ليس لعربى على عجمى فضل الا بالتقوى ، الاهل بلغت اللهم فاشهد)

تلك هى مبادىء الفطرة وقوانين العدالة السامية والتكافل والتواصل والتراحم والتآلف ، وترك الشحناء والبغضـاء وعوامل الفرقة والاختلاف ، قال تعالى

(شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) .

وقفة بين عامين

الايمان بالله وملائكته ورسـله واليوم الآخر هدف سـام من أهـداف الرسالات السماوية وله اثره فى حياة الفرد والجماعة .

فالايمـان عنصر من عناصر الثقة بالنفس ، والاطمئنـان فى الحياة لأن المؤمن بقدرة الله ، معتمد على خالقة ، له يقين بأن الأجل بيد الله ، وأن الرزق بيد الله ، وأن الله لايضيع عبدا اخلص له ، واطاع أوامره ، واجتنب نواهيه قال تعالى : **(ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسـبه ان الله بالغ أمره قـد جعل لكل شىء قـدرا)** الطلاق ٢ ، ٣

الايمان بالله مصدر للسعادة النفسـية ودليل عملى لهدوء الأعصـاب وراحة النفس ، لأن المؤمن يشكر على النعماء ، ويصبر على الباساء ، ويرضى بأسباب القضاء .

فالمؤمن يرى ان النعم كلها من عند الله ، وان فضل الله على العباد كبير، المؤمن يرى نعم الله فى الشمس الساطعة ، والقمر الباهر والكوكب الزاهر ، وفى انفلاق الصبح ، وقدوم الظلام ، وحفيف الاشجار ، وجريان البحار ، وصدق الله العظيم **(وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بامره وسخر لكم الانهار ، وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار، وآتاكم من كل ما سالتموه وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها ان الانسان لظلوم كفار) ابراهيم ٣٢ ، ٣٤ .**

الايمان بالله يعصم صاحبه من التردى فى الرذيلة ، والانغماس فى الشهوات ، ويحمله على الاستقامة والتقوى ، ويبعده عن الفحشاء والمنكر ، فلو لم يكن ما جاء به الاسلام دينا لكان فى دنيا الناس شيئا عظيما، لان الايمان يحمل صاحبه على الطهارة ، الطهارة الحسية والمعنوية ، ويبعده عن الغش والسرقة والمال الحرام ، ويجعله يراقب مولاه ، ويجد سعادة فى طاعته .

عن عبد الله بن عباس رضى الله عنه قال : كنت رديف النبى صلى الله عليه وسلم على بغلته فقال لى ياغلام : (هل اعلمك كلمات ينفعك الله بهن فى الدنيا والآخرة) قلت بلى يارسول الله علمنى فقال لى : (ياغلام احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، اذا سالت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم ان الأمة لو اجتمعت على ان ينفعوك بشىء ، ما نفعوك الا بشىء قد كتبه الله لك ، واعلم ان الأمة لو اجتمعت على ان يضروك بشىء ماضروك الا بشىء قد كتبه الله عليك ، جفت الأقلام وطويت الصحف) .

لقد كان الايمان الصادق دليلا ناجحا للمؤمنين فى حياتهم ، فاستعلوا على رغبات الدنيا وشهواتها ، واخلصوا لله فى هدفهم فأمدتهم السماء بمددها، فعادوا يفتحون الأرض ، وينشرون العدل ، ويقيمون الحق ، ويحاربون البغى والظلم ، وصدق الله العظيم : **(كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله)** آل عمران ١١٠ .

ان القرآن هو النور والهدى ، ودليل الخير والفلاح ، وفيه رصيد وافر من التشريع والهداية والارشاد وبيان الأخلاق والصفات التى ترفع شأن الأمم والجماعات اذا تمسكت بها وسارت على هداها . واحرى بنا ان نجد فى القرآن دواء لأدوائنا وعلاجا لأمراضنا الأجتماعية لأن التمسك بهدى القرآن هو الذى يخلق الضمير الحسن ، والقلب النظيف ، والنفس الطاهرة ، قال تعالى : **(قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم)** المائدة ١٥ ، ١٦ .

وفى نهاية كل عام يقف المؤمن وقفة يحاسب فيها نفسه على ما قدم خلال العام فان وجد خيرا فليحمد الله ، وان وجد غير ذلك فليستغفر وليتب الى

الله توبة نصوحا ، وليسأل الله ان يلهمه الرشد والتوفيق وأن يضىء له طريق حياته بنور الله وفضله .

فالتوبة النصوح طهارة من المعاصى ، وسعادة للنفس ، ونجاة من عذاب الضمير ، وهى الباب الوحيد الذى نلج منه لمغفرة الذنوب والانابة الى علام الغيوب ، ومهما عظم الذنب أو كبرت المعصية ، فلا ينبغى أن ييأس المؤمن من فضل الله ورحمته ، لان الله هو الذى خلق الانسان ، وأودع فيه خصال الخير والشر ، وامره بالجهاد والصبر والكفاح ، حتى ينتصر داعى الايمان على وسوسة الشيطان قال تعالى **(قل ياعبادى الذين اسرفوا على انفسهم لاتقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم ، وانيبوا الى ربكم واسلموا له من قبل أن ياتيكم العذاب ثم لاتنصرون ، واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم من قبل أن ياتيكم العذاب بغتة وانتم لاتشعرون)** الزمر ٥٣ ـ ٥٥ .

وفى الحديث القدسى يقول الله عز وجل (ياعبادى انى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا ، ياعبادى كلكم جائع الا من اطعمته فاستطعمونى اطعمكم ، ياعبادى كلكم عار الا من كسوته فاستكسونى أكسكم ، ياعبادى انكم تضلون بالليل والنهار وانا اغفر الذنوب جميعا فاستغفرونى اغفر لكم ...)

وفى الحديث الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ، يقول الله عز وجل (ماتقرب عبدى الى بشىء احب الى من اداءماافترضته عليه ولايزال عبدى يتقرب بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى عليها ولئن دعانى لأجيبنه ، ولئن سألنى لأعطينه) .

من تاريخ مصر

امتى العزيزة بلادى الغالية

فداك المهج والأرواح ، فداك النفس والمال

مصر يابلادى ، حباك الله جمال الموقع والتاريخ والحضارة

مصر حضر اليك ابراهيم الخليل أبو الانبياء ، وتزوج مصرية صارت أما لبعض الأنبياء والمرسلين .

حضر اليك يا مصر يوسف الصديق ، ثم تبوأ الوزارة وجمع فى يديه بين وزارة المالية والتموين ، واحس بقدوم المجاعة فامر بتخزين الغلال ، وانقذ مصر والبلاد المحاورة حولها من مجاعة استمرت سبع سنين ، ثم زاد ماء

النيل وانتشر الخير والبركة ، وقدم قوم يوسف من بلاد كنعان وقال لهم يوسف : (ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين) .

مصر العزيزة جاء اليك موسى ، وجهر بدعوته ورسالته وايده الله بالمعجزات الباهرات ، وكان جواب فرعون على موسى : (أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى) .

مصر العزيزة : قدم اليك المسيح عليه السلام ، مع مريم البتول ، آواهم الله اليك وانتشرت المسيحية فيك وكنت منارا للهدى والمعرفة والايمان ، وعند شجرة مريم بالمطرية استراح المسيح مع امه على ربوة عالية بجوارها ماء يسيل قال تعالى (**وجعلنا ابن مريم وامه آية وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين**) .

مصر العزيزة : ارسل اليك محمد صلى الله عليه وسلم كتابا ، وبشر اتباعه بوصول الاسلام اليك ، ووصاهم بأهلك خيرا ، لان لهم ذمة ورحما فلهم ذمة الدين ، ولهم رحم القرابة ، فان المقوقس عظيم القبط بمصر عندما وصله كتاب النبى الامين ، رد عليه ردا جميلا ، وبعث الى النبى هدايا منها بغلة وجاريتان وشيء من عسل بنها ، وتقول المصادر العربية ان النبى دعا لهذا العسل بالبركة ، وتسرى بمارية القبطية ، وهي فتاة من حمص احدى قرى الصعيد ، وأنجب منها ولده ابراهيم ، فهناك قرابة ورحم بين المصريين ورسول الاسلام ، قال عليه الصلاة والسلام (ستفتح عليكم بعدى مصر فاستوصوا بقبطها خيرا فان لهم ذمة ورحما) .

وقد ذكرت السنة النبوية رجال مصر ووصفتهم بالشدة والقوة والاحتمال ، وانهم يكونون عونا وبلاغا للدعوة الى غيرهم ، وانهم خير الأجناد وافضلهم فى قتال الاعداء .

اخرج ابن عبد الحكم عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (اذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا فيها جندا كثيفا ، فذلك خير اجناد الأرض ، فقال ولم يارسول الله قال لأنهم وأزواجهم فى رباط الى يوم القيامة) .

ايه يا مصر :

ظلت قوة الايمان ، وقوة الدفاع والكفاح فى رجالك وجنودك، فكانوا هم الصخرة التى تحطمت عليها أمواج التتر ، وجحافل المغول ، فى عين جالوت . حين تدافع المغول كالسيل العرم على العراق يدمرون ويخربون حتى «احمرت الارض من دم العباد واسود ماء دجله من المداد» فكان المصريون هم القوة التى انقذت حضارة الاسلام من جند هولاكو ثم جند غازان .

وكذلك خاضت مصر معاركها ضد جحافل الصليبيين ، فذهب اليهم صلاح الدين واراهم كيف تكون الهزيمة فى حطين .

ولمصر أيام مشهورة فى ارسوف وفى المنصورة وفارسكور ثم فى عكا واروادا وللمصريين صفات طبعوا عليها منها الثبات فى الحرب والقوة فى البأس ، فهم خير أجناد الارض منذ عصور الفراعين حتى هذا الجيل من ابنائها المحدثين .

ولقد اثبتوا للبطالة فى موقعة رفح بعد طول حرمان من الجندية انهم جنود محاربون ، واثبتوا تحت حكم محمد على كيف يغلبون الترك ويبهرون الاوربيين ويروعون .

ومع ذلك فقد لاتبدو شجاعة الشجاع ولاصلابته فى معارك الظفر والانتصار ، بقدر ظهورها فى محن الهزيمة والانكسار ، ولسوف يعلن التاريخ كيف قاتل القلة من ابنائنا فى بعض بقاع سيناء عام ١٩٥٦ ، وكيف قاتلوا بصبر وعناد فى نكسة ١٩٦٧ ، فالمصريون قوة بما جبلوا عليه من الصمود والصبر والاحتمال . لقد أقبل عليهم الهكسوس فاقاموا فيهم نيفا وقرنا من الزمان متسلطين فاتحين ، واقام المصريون ينتهزون الفرصة ايقاظا ساهرين فلما آن الأوان خرجوا عليهم خروج العازم المنتقم الذى لايرضى بغير الحربة او الحمام ، ووقف الشعب من وراء حماته واجناده يبذل عن طواعية وسخاء ، ولا يبالى بغير غايته ومبتغاه ، ولم يخدعهم البطالمة عن انفسهم ولا دينهم فاقاموا على المقاومة والثورات ولم يطمئنوا الى دين خرجوا به وابتدعوه ، بل ظلو بتراثهم متمسكين وعلى عادتهم عاكفين ، واقبلوا على انشاء المعابد ورعاية الهياكل والمحاريب ، بل لقد شكا هيرودوت من المصرى اشمئزازه من الاغريقى أن يقبله أو يصطنع ادواته او يشرب من انائه ، وفى ذلك مظهر من أشد مظاهر المقاطعة للطارىء والترفع على الدخيل ، ومع ذلك فقد اخذت حضارة الغالب عن المغلوب ، واعترف فلاسفة الاغريق بحكمة المصريين ، وغزا دين المصريين قلوب اليونان والرومان أجمعين .

ولقد شاء نابليون ان يوطىء لأحلامه فى مصر بما شاء أن يزعم ويدعى من المزاعم والدعايات ، فما كان جواب قومها الا ثورة القاهرة الاولى ، وثورتها الثانيه ، ثم مقتل كليبر خليفته فيها وضابطه الكبير ،

ولقد احتل الانجليز مصر كما احتلوا غيرها من امصار العرب سنين ، ثم انحسر حكم الأجنبى وارغم الاستعمار على أن يحمل عصاه ويرحل ، واذا بمصر على ديدنها وعهدها تحمل لواء الثقافة العربية والنهضة العربية فى أرض العرب من الخليج الى المحيط ، واذا بها من قوة الروح تتعقب آثار التسلط الأجنبى فلا تبقى عليها ولاتذر ، وتعود اللغة العربية والنفس العربية فيها خالصه صافية .

وجاءت نكسة ١٩٦٧ وظن الناس أن الهزيمة قد أصابت نفوس المصريين، وأن الحرارة قد ساخت لحلوقهم ولكن المصرى هو المصرى معدن نفيس وقوة ورباط، وشدة فى البأساء ونكاية فى الأعداء ، وبطولة وتضحية وفدائية رائعة فما ان صدرت الأوامر بعبور القناة فى السادس من أكتوبر سنة ١٩٧٣ حتى عبر الرجال فى سرعة البرق وتحطمت أسطورة الطغاه البغاه ، وتقدم المصريون يرفعون أعلام النصر ويقاتلون فى سبيل الحق ويضربون أروع الأمثال فى الجهاد والنضال حتى يحق لهم النصر المبين بعون الله رب العالمين .

(٧)

هذا هو الإسلام

الاسلام دين الحق والعدل والسلام

يقول الله تعالى فى كتابه الكريم :

(يا ايها الناس قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم) .

انتشر الاسلام بين اتباعه فقضى على معالم الفوضى والاضطراب واخرج الناس من الظلمات الى النور ومن الكفر الى الايمان .

وقد اشتمل الاسلام على مبادىء عادلة واهداف سامية كانت سر قوته وانتصاره فدعى الناس الى الترابط والاخاء والمساواة بين البشر كافة **(فلا فضل لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى ولا لأبيض على أسود ولا لاسود على ابيض الا بالتقوى كلكم لآدم وآدم من تراب) .**

ولقد كان سلمان الفارسى عبدا اخلص للمسلمين فى التضحية والجهاد واشار عليهم بحفر الخندق فى غزوة الاحزاب فاصبح ينادى سلمان القرشى بدل سلمان الفارسى وقال عنه الشاعر

لعمرك ما الانسان الا ابن دينه فلا نترك التقوى اتكالا على النسب
لقد رفع الاسلام سلمان فارس وقد وضع الشرك الحسيب ابا لهب

لم يعرف الاسلام عصبية الجنس ولا عصبية اللون ولا عصبية الدم قال صلى الله عليه وسلم (ليس منا من مات على عصبية وليس منا من قاتل على عصبية) .

وأمر الاسلام بالعطف والاحسان على الفقير والضعيف والخادم والأجير قال صلى الله عليه وسلم (اخوانكم خولكم اطعموهم مما تأكلون والبسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم مالا يطيقون) .

وقد دخلت فاطمة بنت عبد الملك بن مروان على زوجها أمير المؤمنين عمر ابن عبد العزيز فوجدته يبكي حتى اخضلت لحيته ، فقالت مايبكيك ياأمير المؤمنين فقال عمر بن عبد العزيز :

تذكرت الفقير الجائع والمريض الضائع والعارى المحزون وذوى العيال الكثير والمال القليل واشباههم فى بقاع الارض واقطار البلاد وعلمت ان خصيمى دونهم محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة فخشيت الا تثبت لى حجتى فرحمت نفسى فبكيت .

دعا الاسلام اتباعه الى القوة العاقلة الحكيمة التى تجند نفسها دفاعا عن دين الله وتثبيتا لمبادىء الحق والعدل والانسانية **(اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير)** .

ودعا الاسلام الى السلام حين يكف المعتدون عن العدوان فقال سبحانه **(وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم)**

أيها المسلمون !

هذه مبادىء دينكم واهداف اسلامكم ، قوة لاعدوان فيها وسلام لاضعف فيه وهداية ورحمة للبشرية لاعصبية فيها ولا عنصرية قال تعالى

(ياايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير) .

وتاريخ الاسلام ناصع مشرق فقد حمى جميع الحقوق الانسانية حتى لمن لايدينون به فقال صلى الله عليه وسلم (من ظلم معاهدا كان الله خصيمه دونى) .

ورأى امير المؤمنين عمر بن الخطاب رجلا مسنا من اهل الكتاب يسال الناس فاخذه الى بيت المال وقال لكاتب الخراج انظر هذا وامثاله فاجعل لهم راتبا شهريا يكفيهم فانا نكون ظلمناه اذا اخذنا منه الجزية قويا وتركناه ضعيفا .

وقال صلى الله عليه وسلم (من يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والاخرة ومن أطعم جائعا اطعمه الله من ثمار الجنة والله فى عون العبد مادام العبد فى عون اخيه)

اخوة الاسلام

يقول الله تعالى فى كتابه الكريم

(انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون) .

الاخوة الاسلامية بين المسلمين بنيان ثابت الأساس وطيد الدعائم واركان الاسلام كلها تؤكد وحدة المسلمين وتبارك اخوتهم .

فشهادة أن لا اله الا الله التقاء على الايمان باله واحد خالق رازق .

والصلاة ايضا رباط وثيق تتلاقى عليه مشاعر المسلمين وقلوبهم اذ يتجهون نحو قبلة واحدة ورب واحد وغاية واحدة ، وحسب شعور المسلم. انه لبنة فى هذا البناء العظيم المكون من ملايين المسلمين الذين يبدأون الصلاة بالتكبير ويختمونها بالتسليم .

والصيام ايضا اتفاق روحى فى شهر كامل يصوم فيه المسلمون سويا ويفطرون سويا تأكيدا لوحدتهم ودليلا على اخوتهم .

والزكاة فى الاسلام تؤكد وحدة المسلمين فى عطف غنيهم على فقيرهم وكاسبهم على عاجزهم ورحمة قويهم لضعيفهم .

وقد وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم دعائم الوحدة بين المسلمين حين آخى بين المهاجرين والانصار وبارك الله هذا الاخاء فقال سبحانه **(والف بين قلوبهم لو انفقت مافى الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم انه عزيز حكيم) .**

وكان الاسلام هو النسب الجديد والمثل الأعلى الذى يلتف المسلمون حوله ويهتفون باسمه ويفدونه بحياتهم ويفاخرون بانتسابهم اليه .

روى أن قوما جلسوا يتفاخرون بأنسابهم وسلمان الفارسى بينهم فقال احدهم لسلمان ابن من انت ؟ فقال سلمان فى صدق واعتزاز أنا ابن الاسلام وبلغت الكلمة عمر بن الخطاب فبكى وجعل يرددها والدمع يتساقط على لحيته ويقول وأنا ابن الاسلام وأنا ابن الاسلام .

هذا الاسلام هو الذى حول العرب الى قوة متماسكة وعزة فاتحة ونور يبدد الظلام وصدق الله العظيم **(قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين) .**

هذا الاسلام كان بلسم الشفاء وسعادة الاشقياء وانقاذا للمعوزين ورحمة بالحيارى والضالين ، قال تعالى **(وما ارسلناك الا رحمة للعالمين)**

لقد عز المسلمون يوم اتبعوا دينهم واطاعوا ربهم فكان لهم النصر المبين والفتح العظيم .

ويوم ان فرط المسلمون فى دينهم وكلهم الله الى انفسهم (ان الله لايغير مابقوم حتى يغيروا ما بانفسهم) .

وقد سجل التاريخ صحائف من نور تؤيد خلود هذا الدين ، وصلاحيته للبقاء وقوته أمام الاعداء حتى فى أحلك الظلمات واقسى الآونات .

حدث التاريخ ان الروم اغاروا على عمورية فى عهد الخليفة المعتصم ووقعت أمراة مسلمة اسيرة فى أيدى الروم فكانت المرأة تهتف بالليل وتقول ـ وا معتصماه ـ وبلغ ذلك الخليفة المعتصم فسار بجيشه واستولى على عمورية وانتقم من الروم وخلص المرأة وحينما اغار الصليبيون على بيت المقدس واقاموا به سبعين عاما ذهب اليهم صلاح الدين واراهم كيف تكون الهزيمة فى حطين .

وحين تجمع الاستعمار بعدته وعدده واراد القضاء على بور سعيد وقف المسلمون جميعا يؤيدون مصر حتى تم لها النصر على المعتدين .

(كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين)

ان القرآن كتاب الله نزل بلسان عربى مبين وليست العربية عصبية جنسية ولكنها لغة كل من دخل فى الاسلام .

قال عليه الصلاة والسلام (الا ان العربية اللسان الا ان العربية اللسان. اذا عز العرب عز الاسلام واذا ذل العرب ذل الاسلام) .

وفى الحديث الشريف يقول النبى صلى الله عليه وسلم :

(المسلم اخو المسلم لايظلمه ولايخذله ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته والله فى عون العبد مادام العبد فى عون أخيه) .

عجائب المخلوقات
وقدرة الخالق

يقول الله تعالى فى كتابه الكريم

(افلم ينظروا الى السماء ، فوقهم كيف بنيناها ، وزيناها وما لها من فروج ، والأرض مددناها والقينا فيها رواسى وانبتنا فيها من كل زوج بهيج ، تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ، ونزلنا من السماء ماء مباركا ، فانبتنا به جنات وحب الحصيد ، والنخل باسقات لها طلع نضيد رزقا للعباد ، واحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج) ق ٦ ــ ١١ .

ايها المؤمنون :

هذه الآيات ترشدنا الى قدرة الله بديع السموات والارض فهو سبحانه يلفت انظارنا الى خلق السموات ليعتبر الانسان ويتعظ ويتأمل كيف رفع الله السماء بغير عمد وكيف زينها بالنجوم وكيف اتم خلقها وابدع تكوينها ، وأكمل تركيبها ، وقد مرت عليها آلاف السنين والاجيال ، ولم يحدث فيها خلل ولا اضطراب ، ولا تصدع ولا انشقاق ، **(فتبارك الله احسن الخالقين ، الذى خلق سبع سماوات طباقا ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير)** .

فلن يجد الباحث فى السماء عيبا ، ولن يجد بها خللا ولا اضطرابا انها خلقة الله وهو على كل شىء قدير ، قال تعالى **(ثم استوى الى السماء وهى دخان ، فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين . فقضاهن سبع سموات فى يومين ، واوحى فى كل سماء امرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ، ذلك تقدير العزيز العليم)** . فصلت ١١ ــ ١٢ .

وفى السماء ملائكة مقربون لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون مايؤمرون ، قال صلى الله عليه وسلم (اطت السماء وحق لها أن تئط مافيها موضع قدم الا وفيه ملك راكع او ساجد يسبح الله تعالى) ثم استوى سبحانه الى الارض فسطها وقدر فيها اقواتها وأرزاقها ، وارسى فيها الجبال ، وانبت فيها النبات واجرى فيها الانهار ، قال تعالى **(قل ائنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين وتجعلون له اندادا ، ذلك رب العالمين ، وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها فى اربعة ايام سواء للسائلين)** . فصلت ٩ ، ١٠

وبركات الله فى الارض لا تحصى ، ونعماؤه فيها لا تستقصى ، فقد انبت الله فيها الكروم والاعتـاب والثمار ، والحب والحنطة ، لنأكل من رزق الله ونشكره على نعمائه ، ونتذكر فضله ونتأمل بديع صنعه .

ومن بركات الله أن سخر السحاب وأرسل الرياح ، وانزل المطر لينبت النبات وينضج الثمار والنخيل والاعناب ، وهو سبحانه يخرج الحى من الميت فيخرج الدجاجة من البيضة ويخرج النهار من الليل ، ويخـرج المؤمن من الكافر ، ويخرج الوليد من بطن أمه حيا ، وربما ماتت امه بعد ولادته ، وكذلك يخرج الميت من الحى والليل من النهار والكافر من المؤمن والسقط ميتا من أمه حال حياتها .

(قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء ، وتعز من تشاء وتذل من تشاء ، بيدك الخير انك على كل شىء قدير ، تولج الليل فى النهار ، وتولج النهار فى الليل ، وتخـرج الحى من الميت وتخـرج الميت من الحى ، وترزق من تشاء بغير حساب) . آل عمران ٢٦ ، ٢٧ .

هذا خلق الله وتلك بعض آيات قدرته ، فهل يليق بالعقل البشرى أن يجحد خالقه وموجده ، وهل يصح فى الاذهان أن توجد الدنيا عبثا ؟ أو يخلق الكون بدون اله مبدع ؟ .

فهذه السماء من خلقها ؟ وهذه الارض من بسطها ؟ وهذه الجبال من أرساها ؟ وهذه البحار من اجراها وهذا الليل من اظلمه ؟ وهذا النهار من اضاءه ؟ وهذه الشمس من سخرها ؟ وهذا القمر من اناره ؟ وهذه المخلوقات من خلقها ؟

من جعل الارض قرارا وجعل خلالها انهارا وجعل لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزا ؟ .

هذا الماء العذب ينساب فى دجلة والفرات وغيرهما من الانهار من الذى أنزله رحمة للعالمين وحياة للارض بعد موتها .

(افرايتم الماء الذى تشربون ، اانتم انزلتموه من المزن ام نحن المنزلون لو نشاء جعلناه اجاجا فلولا تشكرون) الواقعة ٦٨ ٧٠ .

ثم أنت أيها الانسان من خلقك ؟ من صورك فى أحسن تقـويم ؟ وابدع تركيب من شق لك للتظر عينين ؟ وللسمع اذنين ؟ وللبطش يـدين ؟ وللمشى رجلين ؟ ولسانا وشفتين ؟ من هداك النجدين ؟ وبين لك الطريقين ؟ من يعطيك اذا سألت ؟ من يشفيك اذا مرضت ؟ من يجيبك اذا دعوت ؟ .

(ام من يجيب المضطر اذا دعاه ؟ ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض أاله مع الله قليلا ماتذكرون)

يقول الله تعالى فى الحديث القدسي (انا والجن والانس فى نبأ عظيم أخلق ويعبد غيرى وارزق ويشكر سواى خيرى الى العباد نازل وشرهم الى صاعد) .

وعن ابى ذر رضى الله عنه قال ، قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم (يا ابا ذر احسن العمل فان الناقد بصير وخفف ظهرك فان العقبة كؤود واستكثر الزاد فان السفر بعيد ، يا أبا ذر والذى نفس محمد بيده لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون ، ولتحاسبن على ماتعملون ، ولتجزون بالاحسان احسانا وبالسوء سوءا وانها لجنة أبدا أو لنار أبدا .

هدانا الله واياكم الى الصراط المستقيم ووفقنا لمرضاة رب العالمين .

السلام فى الاسلام

يقول الله تعالى فى كتابه الكريم

(يا ايها الناس قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم)

ارسل الله نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم على حين فترة من الرسل ليدعو الناس الى دين الله ويخرجهم من الضلالة الى الهدى ومن الظلمات الى النور وقد جمع المسلمين على معانى الخير والفضيلة والبر ، والرحمة والاخاء، والمودة والاحسان ، وصلة الرحم واصلاح ذات البين قال تعالى : **(انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون)** وحرم الخلاف والشقاق والعداوة والبغضاء ، لانها تفسد القلوب وتفرق الصفوف ، وتوهن الجماعة .

قال تعالى :

(ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين).

وقال صلى الله عليه وسلم : لاتباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا .

الا وان الامة العربية اليوم فى امس الحاجة الى توفير الوقت والجهد كى تصلح شانها وتدعم قواها ، والحق أن المسلمين فى سباق مع الزمن كى يدركوا مافاتهم من تقدم فى شئون العمران ومظاهر الحضارة المادية والمعنوية ، واذا كان السلام نافلة بالنسبة لغيرهم فهو بالنسبة اليهم ضرورة واجبة ، حتى يستطيعوا أن يثمروا أموالهم ويحيوا موات أرضهم ويشيدوا المصانع الضخمة

التى ترفع مستواهم وتقضى على البطالة والتخلف وتتيح الفرص للعمل والانتاج .

ايها المسلمون

ان السلام روح دينكم ودعوة الله لكم وهو آية فى قرآنكم وسنة من هدى نبيكم فاحرصوا عليه فانه سبيل وحدتكم وآية عزكم وطريق مجدكم فيد الله مع الجماعة والله فى عون العبد مادام العبد فى عون أخيه .

عودوا الى الاسلام وادخلوا فى السلم كافة واتركوا الشحناء والبغضاء فالاسلام دين السلام والوئام ، والله عز وجل اسمه السلام (**هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس السلام**) والايمان بالله هو اخلاص القلب واسلام الوجه للخالق سبحانه والانقياد لله رب العالمين قال تعالى (**فالاهكم اله واحد فله اسلموا وبشر المخبتين**) .

واسم الاسلام نفسه مشتق من صميم مادة السلام ، والمؤمنون بهذا الدين لم يجدوا لأنفسهم اسما افضل من أن يكونوا المسلمين (**ملة ابيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس**) .

وتحية أهل الاسلام فيما بينهم السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وختام الصلاة عندهم سلام على اليمين وسلام على اليسار كانهم يبداون أهل الدنيا من كل نواحيها بالسلام بعد أن فارقوها بخواطرهم لحظات انصرفوا فيها لمناجاة الله الملك القدوس السلام ولقد نزل القرآن فى ليلة كلها سلام تحف به ملائكة السلام قال تعالى (**انا انزلناه فى ليلة القدر وما ادراك ماليلة القدر ليلة القدر خير من الف شهر تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر سلام هى حتى مطلع الفجر**)

وأول مايلقى الله به عباده تحية السلام (**تحيتهم يوم يلقونه سلام**) والجنة نفسها اسمها دار السلام (**لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون**) .

ولن يتاخر المسلم عن دعوة السلام ولن يردها ابدا (**وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم**) ، (**ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة**) .

وقد سلك الاسلام سبيل التدريب العملى فى ترويض النفس على السلام عند الاحرام بالحج فمتى اهل المسلم به فقد حرم عليه منذ تلك اللحظة الا يقص ظفرا أو يحلق شعرا أو يقطع نباتا أو يقتل حيوانا ، أو يرمى صيدا أو يؤذى أحدا بيد أو لسان حتى لو وجد قاتل ابيه وجها لوجه لما استطاع أن يمسه بسوء ، قال تعالى (**فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج**)

ان الدين يدعونا الى الصفح والعفو والمغفرة والتسامح قال تعالى

(وجـزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا واصلح فاجـره على الله) وفى الحديث

(اذا كان يوم القيامة ينادى مناد من قبل الله تعالى من كان أجره على الله فليقم فلا يقوم الا من عفا) فذاك قوله تعالى **(فمن عفا واصلح فاجره على الله)** اى ثوابه عند الله يأخذه احوج مايكون اليه .

ان العفو عند المقدرة والتجاوز عن الهفوات والتسامى عن الزلات من شأن المؤمن الواثق بالله المتوكل عليه **(ومن يتوكل على الله فهو حسبه)** ويقول النبى صلى الله عليه وسلم (ثلاث أقسم عليهن مانقص مال عبد من صدقة ومازاد الله عبدا يعفو الا عزا وما تواضع احد لله الا رفعه) .

وهذه صفات عباد الرحمن وهى السلام لمن أساء والغفران لمن اخطأ قال تعالى **(وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما)** .

الايمـان بالله

اهم اصل من اصول الاسلام ، الاعتقاد بالله ، والاعتقاد بالله يكاد يكون عاما بين الشعوب ، ولكن الإسلام وضح حقيقة الالوهية . فليس الله اله قبيلة ولا اله امة العرب وحدهم ، ولا اله الناس وحدهم ، بل هو اله كل شيء ، ورب العالمين ، وكل شيء فى الوجود مخلوق له وخاضع لأمره .

(لله مافى السـموات ومافى الأرض) (هـو الذى خلق لكم مافى الأرض جميعا) ، **(له مافى السموات وما فى الأرض وما بينهما وما تحت الثرى وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى ، الله لا اله الا هو له الأسماء الحسنى)** وهو اله واحد فليس هناك اله للخير واله للشر ، وليس هناك اله للجمال ، واله للرياح ، وليس هناك من يشاركه فى الوهيته ، **(فاعلم انه لا اله الا الله)**، **(وما من اله الا اله واحد) (وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين أنما هو اله واحد)** .

والايمان بالله يستتبع الايمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والبعث والحشر والحساب والجنة والنار والثواب والعقاب ويستتبع القيام بأركان الاسلام وهى الصلاة والزكاة وصيام رمضان وحج البيت لمن استطاع اليـه سبيلا . وهى عقائد تؤدى فى مجموعها الى تهذيب النفس والتمسـك بمكارم الأخلاق واخلاص القلب لله ودوام مراقبته والاعتماد عليه .

وعلى لسـان ابراهيم الخليل ، يقول القرآن **(الذى خلقنى فهو يهـدين والذى هو يطعمنى ويسقين واذا مرضـت فهو يشـفين ، والذى يميتنى ثم**

يحيين والذى اطمع ان يغفر لى خطيئتى يوم الدين رب هب لى حكما والحقنى بالصالحين) الشعراء ٧٨ ـ ٨٣

ايها الانسان الضعيف من يشفيك اذا مرضت ؟ ومن يجيبك اذا دعوت ؟ ومن يعطيك اذا سالت ؟ **(ام من جعل الارض قرارا وجعل خلالها انهارا وجعل لهـا رواسى وجعـل بين البحرين حاجزا االه مع الله بل اكثرهم لا يعلمـون ام من يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض االله مع الله قليلا ما تذكرون)** ٦١ ـ ٦٢ ـ النمل .

هذه السماء من رفعها ؟ وهـذه الارض من بسـطها وهذه البحار من اجراها وهذه الشمس من سخرها وهذه الافـلاك من سـيرها وهذا الليل من اظلمه وهذا النهار من اضاءه وهذا النبات من انبته وهذا الانسان من كونه؟.. من جعل له عينين ولسانا وشفتين وهداه النجدين وبين له الطريقين .

(ياايها الانسان ماغرك بربك الكريم الذى خلقك فسواك فعدلك فى اى صورة ماشاء ركبك ، كلا بل تكذبون بالدين وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون) الانفطار ٦ ـ ١٣

يسال الملحدون عن الـدليل على وجود الله ، وهل خفى وجـوده حتى يحتاج الى دليل ؟ دليل وجود الله هذه المخلوقات فانها حادثه وكل حادث لابد له من محدث موجود وذلك المحدث الموجود هو الله سبحانه وتعالى .

دليل وجود الله هو الفطرة والالهام والوحى والشرائع ، والكتب المنزلة والانبياء والرسـل ، بل كل الموجودات وجميع المخلوقات تدل على وحدانيته وكمال قدرته ،

وفى كل شيء له آية   تدل على انه الواحد

سئل الامام الشافعى بم عرفت الله قال بالنحلة نصفها يلسع ونصـفها يعسل .

وسئلت رابعة العدوية بم عرفت الله ؟ قالت عرفت ربى بربي ولولا ربى ماعرفت ربى ، اى هدانى الله الى معرفته ومحبته ولولا فضله وتوفيقه ماهديت اليه ، وكان دعاء رابعة

الاهى غارت النجـوم ونامت العيون وبقيت انت ياحى ياقيوم ، الاهى اغلقت الملوك ابوابها وسـكن كـل حبيب الى حبيبه الاهى فانت حبيبى ، ولو طردتنى عن بابك ما طردت لعلمى بعظيم فضلك وعميم جودك .

وسئل الحلاج بم عرفت الله قال بجمعه بين الضدين فهو أول بلا ابتداء وهو آخر بلا انتهاء وهو ظاهر فى كل ماتراه العيون وهو باطن غير مرئى، فليس كما ولا كيفا ، ولا يحده مكان ولا يحويه زمان **(لاتدركه الابصـار وهو يدرك**

الابصار) ليس جوهرا وليس عرضا وليس جسما ولا حالا فى جسم وليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

هو اول هو آخر هو ظاهر هو باطن
ليس العيون تراه

وفى اول سورة الحديد يقول سبحانه **(سبح لله مافى السموات والارض وهو العزيز الحكيم ، له ملك السموات والارض يحيي ويميت وهو على كل قدير هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم)** .

هدانا الله واياكم سواء السبيل فانه نعم المولى ونعم النصير ،

الاسلام عقيدة وعمل

اشتملت تعاليم الاسلام على عقائد واعمال

(رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا)

والايمان بالله يمد الفرد بثقة وطمانينة بأن وراء هذا الكون الاها سميعا بصيرا مجيبا بيده الخلق والأمر وهو على كل شيء قدير .

(كل يوم هو فى شان) وهى شئون يبديها ولا يبتديها يشفى مريضا ويمرض سليما ويعافى مبتلى ويبتلى معافى ويذل عزيزا ويعز ذليلا ويغنى فقيرا ويفقر غنيا . لا معقب لأمره ولا راد لقضائه يسخر الشمس والقمر ويولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون .

(قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير) ٢٦ آل عمران

ضل الجاحدون وخسر المنكرون ، كيف ينكرون وجوده وبيده خلقهم وبقدرته رزقهم وهو العليم بسرهم وعلانيتهم قال تعالى

(الم تر ان الله يعلم مافى السموات ومافى الارض ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم اينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شيء عليم) ٧ ـ المجادلة

ان هذا الكون البديع المنسق لا يمكن أن يوجد عبثا أو يترك سدى قال تعالى :

(افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لاترجعون فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم)

بل ان تقدم العلم ووضوح نظرياته كان سبيلا الى تاكيد الايمان بالله العلى القدير يقول (رسل تشارلزارنست) استاذ الاحياء والنبات بجامعة فرنكفورت بالمانيا :

(لقد وضعت نظريات عديدة لكى تفسر نشاة الحياة من عالم الجمادات فذهب بعض الباحثين لى ان الحياة قد نشات من البروتوجين ، او من الفيروس ، او من تجمع بعض الجزئيات البروتينية الكبيرة وقد يخيل الى بعض الناس ان هذه النظريات قد سدت المعجزة التى تفصل بين عالم الأحياء وعالم الجمادات، ولكن الواقع الذى ينبغى ان نسلم به ، هو ان جميع الجهود التى بذلت للحصول على المادة الحية من غير الحية قد باءت بفشل وخذلان ذريعين . ومع ذلك فان من ينكر وجود الله لا يستطيع ان يقيم الدليل المباشر للعالم المتطلع على ان مجرد تجمع الذرات والجزئيات من طريق المصادفة يمكن ان يؤدى الى ظهور الحياة وصيانتها وتوجيهها بالصورة التى شاهدناها فى الخلايا الحية وللشخص مطلق الحرية فى ان يقبل هذا التفسير لنشاة الحياة، فهذا شانه وحده ولكنه اذ يفعل ذلك، فانما يسلم بامر اشداعجازا او صعوبة على العقل من الاعتقاد بوجود الله الذى خلق الاشياء ودبرها الى ان يقول : اننى اعتقد ان كل خلية من الخلايا الحية قد بلغت من التعقد درجة يصعب علينا فهمها وان ملايين الملايين من الخلايا الحية الموجودة على سطح الارض تشهد بقدرة الله شهادة تقوم على الفكر والمنطق فاننى اؤمن بوجود الله ايمانا راسخا) .

ايها المؤمن :

ان الاعتقاد بوجود الله يرشد اليه العقل السليم والنظر والنطق والبحث والفكر والتامل .

وقديما وقف قس بن ساعدة الايادى يخطب فى سوق عكاظ فقال

يامعشر اياد اين الآباء والاجداد اين الفراعنة الشداد من بنى وشيد وزخرف ونجد طحنهم الثرى بكلكله وفناهم بتطاوله مالى ارى الناس يذهبون فلا يرجعون ارضوا بالمقام هناك فاقاموا ام تركوا هناك فناموا .

يامعشر اياد ان فى السماء لخبرا وان فى الارض لعبرا سماء ذات ابراج وبحار ذات امواج وارض ذات فجاج الا يدل ذلك كله على اللطيف الخبير .

والاديان جميعا تكاد تتفق على الايمان بوجود الله . حتى عبدة الاصنام كانوا يقولون (**مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى**) .

فبين الله انه غنى عن الواسـطة والزلفى قريب لمن ناداه مجيب لمن دعاه قال تعالى

(واذا سـالك عبادى عنى فانى قـريب اجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون) ١٨٦ ـ البقرة

ايها المؤمنون

آمنوا بالله ورسله واصدقوا فى ايمانكم ويقينكم بربكم يرزقكم الله الهدى والسداد والتوفيق والرشاد والمحبة بين العباد .

اخرج مسلم والترمذى ان رسول الله (ص) قال (اذا أحب الله عبـدا نادى جبريل ان الله أحب فلانا فاحبوه فيوضع له الحب فى السماء والارض) فذلك قوله تعالى :

(ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا) اى مودة ومحبة فى قلوب العباد .

هدانا الله واياكم سواء السبيل انه نعم المولى ونعم النصير .

الايمان

الايمان بالله قوة دافعة ، ويقين صـــادق ، ونعمة فى الرخاء ، وامــل فى البأساء ، ونور فى الظلمات ، ورجاء فى الملمات ، ودليل الى النجاة ، وعاصـم من الردى قال تعالى **(ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم)**. يونس ٩

والايمان بالله سبحانه وتعالى حافز على الصدق والاخلاص ودافع الى العدل ــ والاحسان لأن المؤمن يمتثل امر الله ويرضى بحكمه ، والله تعالى يقول **(ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون)** النحل ٩٠

امرنا الله بالخير وصلة الرحم وحثنـــا على مكارم الأخلاق ونهـــانا عن الرذيلة والمنكر وحذرنا من الظلم والبغى وكان صلى الله عليه وسلم قدوة حسنه ومثلا اعلى فى سلوكه وهديه وعمله ، وما ترك شيئا يقربنا من الله الا امرنا به ولا ترك شيئا يبعدنا عن الله الا نهانا عنه .

وفى الحديث الشريف يقول النبى صلى الله عليه وسلم .

(امرنى ربى بتسع الاخـــلاص لله فى السر والعلن ، والقصـــد فى الغنى والفقر والعدل فى الرضا والغضب ، وان اعفوا عمن ظلمنى واصل من قطعنى واعطى من حرمنى وان يكون صمتى فكرا ونطقى ذكرا ونظرى عبرة) .

وبهذه المعانى الجليلة تطهرت نفوس المسلمين ، وكملت مكارم اخلاقهم فكانوا روحا جديدا ، ونورا جديدا ، يشرق بالاسلام ويعمل بآداب القرآن ، فوهبهم الله العز والنصر وصاروا خير امة اخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله وتلك حقيقة الايمان ، المؤمن حقـــا صـــادق الحديث لا نكذب ولا يخدع ولا يخون الامانة .

قال صلى الله عليه وسلم (يامعشر الناس اضمنوا لى ستا اضمن لكم الجنة اصدقوا اذا حدثتم واوفوا اذا عاهدتم وادوا الامانة اذا اؤتمنتم وغضوا ابصاركم واحفظوا فروجكم وكفوا أيديكم) .

تلك صفات المؤمن وهى صفات تحمل معنى الاستقامة والنزاهة وسلامة الضمير قال تعالى **(ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التى كنتم توعدون)** فصلت ٣٠ .

وفى الحديث الشريف أن رجلا قال يارسول الله قل لى فى الاسلام قولا واقلل فيه لعلى أعيه .

فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : (قل آمنت بالله ثم استقم) .

المؤمن حقا : يراقب الله فى السر والعلن ويخلص له العمل ويخشع قلبه للذكر الله تعالى (**الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله**) الزمر ٢٣

المؤمن حقا : محافظ على الصلاة مؤد للزكاة يغض بصره عن المحرمات ويحفظ فرجه عن الاثم والفواحش، هو أبر الناس بأهله وأسرته وأحق الناس برضى الله وواسع رحمته قال تعالى : (**قد افلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون الا ازواجهم او ماملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون ، والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون اولئك هـم الوارثون الذين يرثون الفـردوس هم فيها خالدون**) المؤمنون ١ ــ ١١

المؤمن حقا صادق اليقين قد آمن بالله ربا ، وبالاسـلام دينا ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا ، قال تعالى (**ياايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله**) .

المؤمن حقا : عادل فى رضاه وغضبه ، معتدل فى نفقته ليس من البخلاء الأشحاء ، ولا من المسرفين المبذرين ، قال تعالى (**والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما**) الفرقان ٦٧

المؤمن حقا : يصدق برسالات الله ، وبملائكته وكتبه واليوم الآخر قال تعالى (**آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنـون كل آمن بالله وملائكتـه وكتبه ورسله لانفرق بين احد من رسلة وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنـا واليك المصير**) البقرة ٢٨٥ .

شهادة انصاف للدعوة المحمدية

كانت رسالات الانبياء جميعا دعوات هادفة استهدفت شرف الانسـان وسعادته ، وكانت آخر الرسالات السماوية رسالة الاسلام ، فاتمت مكارم الاخلاق ، وارست دعائم الفضيلة والعدالة وحذرت من الرذيلة والاثم . قال صلى الله عليه وسلم : «انما بعثت لاتمم مكارم الأخلاق » .

وقد عبر العلامة «هيل» فى كتابه «حضارة العرب» عن اثـر الدعـوة المحمدية بهذه الكلمة القوية فقال :

ان جميع الدعوات الدينية قد تركت اثرا فى تاريخ البشر ، وكل رجال الدعوة والانبياء قد اثروا تاثيرا عميقا فى حضارة عصرهم واقوامهم ، ولكنـا

لانعرف فى تاريخ البشر أن دينا انتشر بهذه السرعة وغير العالم بأثره المباشر كما فعل الاسلام ، ولانعرف فى التاريخ دعوة كان صاحبها سيدا مالكا لزمانه ولقومه كما كان محمد .

لقد أخرج أمة الى الوجود ومكن لعبادة الله فى الارض ، وفتحها لرسالة الطهر والفضيلة ، ووضع اسس العدالة والمساواة الاجتماعية بين المؤمنين ، واحل النظام والتناسق والطاعة والعزة فى أقوام لاتعرف غير الفوضى .

وليتبين لنا واضحا أثر الدعوة المحمدية فى التهذيب والاصلاح نذكر موقف جعفر ابن أبى طالب أمام النجاشى ، فهو موقف يدل على امتلاك الدعوة المحمدية لنفوس المؤمنين كما يبين لنا موضوع الدعوة نفسها كما فهمها المهاجرون والمهاجرات .

خرج جعفر بن أبى طالب مع جمع من المسلمين الأولين مهاجرين من مكة الى الحبشة فرارا بدينهم ورغبة فى عبادة الله بعيدا عن قومهم ، فارسلت مكة أثرهم رجلين من دهاتها : هما عمرو بن العاص ، وعبد الله بن أبى ربيعة ، ومعهما هدايا قيمة للنجاشى ولكبار حاشيته ، ولما قدما الهدايا ، طلبا من النجاشى أن يسلم المهاجرين لهم ، ولكنه ابى أن يسلم المهاجرين لكفار مكة حتى يسمع قولهم . ثم دعا النجاشى المهاجرين وسألهم قائلا : ماهذا الدين الذى فارقتم فيه قومكم ، ولم تدخلوا فى دينى ، ولا دين احد من هذه الملل ؟

فقام جعفر ، وكان اللاجئون قد اختاروه ، واتفقوا على أن يقول ماعلموا ، وما أمر به النبى ، كائنا فى ذلك ماهو كائن . فقال : أيها الملك ، كنا قوما أهل جاهلية ، نعبد الاصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتى الفواحش ، ونقطع الرحم ، ونسىء الجوار ، ويأكل القوى منا الضعيف ، فكنا على ذلك حتى بعث الله الينا رسولا منا ، نعرف نسبه ، وصدقه ، وأمانته ، وعفافه ، فدعانا الى الله لنوحده ونعبده ، ونخلع ماكنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والاوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ، واداء الامانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش وقول الزور ، واكل مال اليتيم ، وقذف المحصنة ، وأمرنا أن نعبد الله وحده لانشرك به شيئا ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام ، فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ماجاء به ، وحرمنا ماحرم علينا واحللنا ما احل لنا ، فعدا علينا قومنا ، فعذبونا ، وفتنونا ، وضيقوا علينا الخناق ، فخرجنا الى بلادك ، ورغبنا فى جوارك ، ورجونا الا نظلم عندك أيها الملك .

فقال النجاشى : هل معك مما جاء به عن الله من شىء ؟ فقال جعفر : نعم ، قال النجاشى : فاقرأه ، فقرأ صدرا من «كهيعص» فبكى النجاشى ، ثم قال ان هذا والله والذى جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة .

هذه هي دعوة الاسلام ، وهذا هو اثرها في هداية النفوس واصلاح القلوب ، قال تعالى (**وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين**) الاسراء/٨٢ .

نعمة الاسلام

ارسل الله الرسل وانزل عليهم الكتب ليكونوا معالم هادية ، وأمارات مضيئة ودعاة للهدى والرشاد . قال تعالى : (**رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما** .

وقد ارسل الله محمدا صلى الله عليه وسلم على حين فترة من الرسل فهدى به الناس من الضلالة الى الهدى واخرجهم من الظلمات الى النور . قال تعالى : (**ياأيها الناس قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم**) .

لقد كان الاسلام دينا عاما للعرب والعجم والانس والجن ، قال تعالى: (**وما ارسلناك الا رحمة للعالمين**) .

وكان القرآن روحا وحياة وبعثا ، ونداء الهيا جمع المسلمين على الوفاء والصفاء والاخاء والمحبة والرقي والتقدم ، ونادى القرآن جميع الناس ان ربكم وان اباكم واحد .

قال تعالى : « **ياايها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها** » .

دعا القرآن الى مكارم الاخلاق وأمر الناس بالصدق والوفاء وأداء الامانة ، ونهاهم عن الكذب والرذيلة وذميم الصفات . قال تعالى : « **ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى**».

قضى الاسلام على معالم الجاهلية البالية ونهى عن ترفع الكبراء وتعظمهم على الضعفاء وبين أن الناس جميعا أمام الله سواء يتفاضلون عنده بالتقوى ويدركون ثوابه بالعمل الصالح ، فلا فضل لعربى على عجمى ولا لابيض على أسود ، ولا فخر لجنس أو دم أو عنصر على آخر ، فالانسان هو الانسان ، خلقه الله بيده وأسجد له ملائكته ونفخ فيه من روحه وميزه على جميع الموجودات وسخر له كل ماخلق الله فى السماء والارض .

قال تعالى : « **ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا** » .

وقد لفت القرآن انظار الناس الى الكون وما فيه وامرهم أن يتفكروا فى ملكوت السموات والارض وان ينظروا الى السماء ومن رفعها ؟ والارض

من بسطها ؟ والجبال من أرساها ؟ والبحار من اجراها ـ والنهار من اضاءه ؟ والليل من اظلمه ؟ والانسان من خلقه فى أحسن تقويم ؟ قال تعالى : ((**ام من جعل الارض قرارا وجعل خلالها انهارا وجعل لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزا االه مع الله ؟ بل اكثرهم لا يعلمون**)) . (سورة النمل الآية ٦١) .

بين الدين الاسلامى أن المؤمن قوى لايضعف ، عزيز لا يذل ، شجاع لا يجبن ، وان الاجل بيد الله ، وان الرزق بيد الله ، وان المؤمن يتحمل المصائب فى صبر ويقين ، وثقة بأن بعد العسر يسرا ، وان بعد الشدة فرجا . وامر المؤمن الا يضعف عند المحنة ، ولا يتزعزع عند البلاء فالأيام دول يوم لك ويوم عليك ، وبعد شدة الظلام يأتى نور النهار .

قال تعالى : (**ولاتهنوا ولاتحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين**) .

وضح القرآن أن الله قريب من المؤمن يسمع النداء ويجيب الدعاء ويقبل التوبة ويجود بالمغفرة ، وهو اله رحيم عادل فينبغى أن تكون عبادتنا له عن حب وولاء ، لا عن خوف ورهبة .

قال تعالى : (**واذا سالك عبادى عنى فانى قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون**) .

ومن رحمة الله بالانسان أنه لم يكلفه بما لايطيق ، وانه يسر عليه كثيرا من الفرائض وامر المريض والمسافر أن يؤجل صيام رمضان الى وقت آخر فقال تعالى : (**ومن كان مريضا او على سفر فعدة من أيام اخر**) . وجعل العبادات والفرائض متناسبة مع طبيعة الانسان فالوضوء والاغتسال والطهارة كلها تجعل المسلم نظيفا سليما قويا والمؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف .

والصلاة رياضة روحية ومناجاة من المخلوق للخالق ، ودعاء من العبد للاله سبحانه ، والزكاة ترابط وتماسك بين طبقات المجتمع ووسيلة من من وسائل المشاركة والتقارب بين الاغنياء والفقراء ، والصوم صفاء للنفس وراحة للمعدة المتعبة ، وتعود على امتثال أمر الله وطاعة الخالق سبحانه ، والحج مؤتمر اسلامى عام يجتمع فيه المسلمون من كل بقاع الارض للتعارف والتآلف والتشاور فيما ينفعهم ويعود عليهم بالخير . وشهادة أن لا اله الا الله معناها أن الله هو الخالق الرازق الذى يستحق العبادة ، وتنحنى له الجباه . وشهادة أن محمدا رسول الله اعتراف بانه بلغ الرسالة وادى الامانة وكان رسول الانسانية وخاتم الانبياء والمرسلين ، جمع الله به المسلمين فكانوا أمة واحدة مترابطة متماسكة ، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وترفع راية الحق والعدل ، وتواكب ركب الحضارة وتساهم فى تقدم البشرية وترسى دعائم الاخلاق والقدوة الحسنة .

قال تعالى : (كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله)) .

حلاوة الايمان

تعددت نعم الله على الانسان ، فهو سبحانه فاطر السموات والارض يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل ، هو رافع السماء بلا عمد وهو الذى لم يتخذ صاحبة ولا ولدا ، وهو الذى يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد ، بيده الخلق والامر ، امره بين الكاف والنون اذا أراد شيئا قال له كن فيكون . هو الذى بسط الارض ، وارسى الجبال ، واجرى البحار ، واظلم الليل واضاء النهار ، هو الذى سخر الشمس ، وسير القمر ونجم النجوم ، وأبدع الافلاك وسخر البحار والانهار ، قال تعالى (**وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها ان الانسان لظلوم كفار**) ابراهيم : ٣٤ .

سئل الامام الشافعى : بم عرفت الله ؟ قال : بالنحلة : نصفها يلسع ونصفها يعسل .

وسئل الحلاج : بم عرفت الله ؟ قال بجمعه بين الضدين فهو أول وآخر وظاهر وباطن .

وسئلت رابعة العدوية : بم عرفت الله ؟ قالت : عرفت ربى بربى ، ولولا ربى ماعرفت ربى .

وكثر حنين العارفين والمؤمنين فى مناجاة ربهم ودعائهم له وتبتلهم بذكره وتغنيهم بحبه آناء الليل وأطراف النهار .

كان من دعاء رابعة العدوية : **الهى ان كنت اعبدك شوقا الى الجنة** فاحرمنى منها . وان كنت اعبدك خوفا من النار فاحرقنى بها ، وان كنت اعبدك لذاتك لأنك تستحق العبادة فلا تحرمنى من نور وجهك الكريم يارب العالمين .

ويروى أن الحجاج كان فى الصحراء ، وجاء وقت الغداء ، فقال لاتباعه التمسوا لنا رجلا من اهل هذه البادية ليأكل معنا .

فبحث اتباع الحجاج عن رجل ، وبعد مشقة كبيرة عثروا عليه وأحضروه فقال الحجاج للرجل : أتدرى لماذا دعوتك الى هذا المكان ؟

قال الرجل لا .

قال الحجاج : دعوتك لتتناول معى طعام الغداء .

فقال الاعرابى : دعانى من هو خير منك فاجبت .

فعلم الحجاج أن الاعرابى صائم وقال له : اتصوم فى هذا اليوم الشديد الحر ؟

فقال الاعرابى : صمت ليوم اشد منه حرارة .

فقال الحجاج لاتباعه : قدموا الطعام حتى يراه فتشتاق اليه نفسه فيأكل معنا .

فلما راى الاعرابى الطعام قال : ان فى الجنـة ما لا عين رات ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

واخيرا قال الحجاج للاعرابى : كل معى هذا اليوم وصم غدا .

فقال الاعرابى للحجاج : ان ضمنت لى أن أعيش الى غد ضمنت لك صيام غد .

وانصرف الاعـرابى صـائما صـوم تطوع من غير أن ياكل على مائدة الحجاج .

رسالات السماء ثورة على الباطل

أرسل الله الرسل وانزل عليهم الكتب لهداية الناس واخـراجهم من الظلمات الى النور (**رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما**) .

وكانت رسالات السماء دعوات هادفة ، وثورات اصلاحية ، استهدفت شرف الانسان وتحطيم الظلم ومقاومة الباطل ، وتربية الاجيال حتى تدافع عن نفسها ، وتسترد كرامتها وحقها (**ونريد ان نمن على الذين استضعفوا فى الارض ؛ ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين**) .

ومع ابراهيم يصاول النمرود ويشرح له قدرة الله العالية ، فهو الذى رفع السماء وبسط الارض وأرسى الجبل وسخر الشمس والقمر والليـل والنهار ووضع نظاما سليما يدور الفلك بمقتضاه (**لا الشمس ينبغى لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون**) .

وقد جادل النمرود ابراهيم ، وحاول اثبات وجوده وقدرته على العفو عن محكوم عليه بالاعدام وقتل انسان من عامة الناس . وهى مغالطة مكشوفة لان خالق الروح وواهب الحياة هو الله وحده . ولكن ابراهيم رد عليه ردا محسوسا ملموسا مفحما فى نفس الوقت (**الم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه أن آتاه الله الملك اذ قال ابراهيم ربى الذى يحيى ويميت قال انا احيى واميت قال ابراهيم فان الله ياتى بالشمس من المشرق فات بها من المغـرب فبهت الذى كفر والله لايهدى القوم الظالمين**) .

وتكررت قصة الجهاد والكفاح مع كل أنبياء الله ورسله وكان كل نبى يدعو الى توحيد الله والى الكف عن الفساد والافساد ويحارب ماشاع بين قومه من رذائل ، ويقوم العوج ويصوب الخطأ ويرشد الى العمل النافع والسلوك السوى ويحث على مكارم الاخلاق وحميد الصفات ، وبذلك اشتركت الانبياء والرسل فى تطور البشرية وارساء معالم الفضيلة ووضع دعائم القيم النافعة .

قال صلى الله عليه وسلم : (**انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق**) .

أى أن كل نبى كان يضع سلما ويبنى دعامة ويرسى اساسا لتكامل الفضيلة ، ونشر الاخلاق وكانت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم تتويجا لمبادىء الرسل وختاما لاهداف الرسالات واغراض النبوات .

روى البخارى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « انما مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى دارا فاتمها واكملها الا موضع لبنة فجعل الناس يقولون لووضعت هذه اللبنة فأنا هذه اللبنة وأنا خاتم الرسل » .

ومن هذا الحديث يتضح أن بين الانبياء اخوة فى الهدف والغاية فكلهم دعاة للحق والعدل وكلهم هداة الى النور والايمان وكلهم مصابيح مضيئة وانوار ، تكشف زيف الباطل وتظهر قوة الحق .

« فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ماينفع الناس فيمكث فى الارض كذلك يضرب الله الامثال » .

لقد كان الاسلام فى حقيقته ثورة على ظلمات الجاهلية وائمها وكان دعوة الى العدل والاخاء والتسامح والترابط . وكان فكرة جديدة تستهدف شرف الانسان وسعادته وقد حمل القرآن على الشرك والالحاد وحارب الكفر والوثنية ونزلت آيات القرآن تلفت نظر الانسان الى أنه لم يخلق عبثا ولن يترك سدى وأن للحياة هدفا ساميا ورسالة مقدسة هى نصرة المظلوم ومعاونة المحتاج ومساعدة الضعيف ومؤازرة الحق ومكافحة الباطل .

(ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون) .

الايمان سبيلنا الى النصر

ارسل الله الرسل وانزل عليهم الكتب ليكونوا معالم هادية . ومنارات مضيئة وسبلا للهدى والرشاد **(رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما) .**

وقد كان ايمان المؤمنين وجهادهم فى سبيل العقيدة والمبدأ سجلا حافلا بالتضحية والفداء ، وحفل تاريخ البشرية بجهاد المصلحين وبطولات المؤمنين، وكفاح الانبياء والمرسلين لقد وضع فى النار ابراهيم ، واضجع للذبح اسماعيل .

وذهب فتية مؤمنون الى الكهف فرارا بدينهم واخلاصا لربهم فأرسل الله عليهم النوم فى كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا .

ثم بعثهم الله من نومهم وايقظهم من رقادهم ليلمس الناس قدرة الله على البعث بعد الموت قال تعالى (ماخلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة) وفى الحديث الشريف (والذى نفس محمد بيده لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون) .

ايها المؤمنون : لقد ورد فى السنة أن من قرا سورة الكهف كانت له نورا من الجمعة الى الجمعة ، لانها حوت من القصص الهادف ثلاث قصص قصة اصحاب الكهف وقصة موسى والخضر وقصة ذى القرنين ، والقصص الثلاث تدور حول اهمية الايمان وجزاء المؤمنين .

فقصة اصحاب الكهف تصور بطولة رجال آمنوا بالله واعرضوا عن عبادة الاصنام وبلغ امرهم الى الملك فتوعدهم بالعذاب وامهلهم ثلاثة أيام حتى يعودوا الى دينهم او يقتلوا وقبيل انتهاء المهلة تسللوا فى ظلام الليل الى الكهف وتبعهم كلب يحرسهم ويرعاهم واكلوا وشربوا وناموا وقد امتد نومهم مئات السنين ثم بعثهم الله من نومهم وقد طال شعرهم وامتدت اظافرهم واحسوا بالجوع فأرسلوا واحدا منهم يدعى يمليخا ليحضر لهم طعاما وأمروه ان يستخدم اللطف والكياسة حتى لايطاردهم الملك الظالم ، واشترى يمليخا طعامهم واعطى ثمن الطعام للبائع ففوجىء البائع بأن النقود قد طبعت من مئات السنين وظن ان يمليخا قد عثر على كنز فسأل عن مكان النقود التى معه وسار وراءه الى الكهف وعثر الناس على الفتية السبعة وخرجوا من الكهف ذاهبين الى الملك واندهش اصحاب الكهف حين راوا ان الجالس على عرش البلاد ملك مؤمن وأن الملك الكافر قد مات منذ زمن بعيد .

وقد اكرم الملك المؤمن وفادتهم وأنزلهم فى قصره والبسهم احسن الثياب واظهر سروره البالغ بعودتهم للحياة فى زمنه .

ولكن الفتية سالوا عن اهلهم واقاربهم فوجدوا انهم قد ماتوا من زمن بعيد فتألموا لوفاة اقاربهم وانداهم وتمنوا من الله ان يقبض ارواحهم وأن يأخذهم الى جواره فقبل الله دعاءهم وعادوا الى كهفهم ثم قبض الله ارواحهم وبالغ الملك الصالح فى اكرامهم فبنى عليهم مسجدا يزوره الناس جيلا بعد جيل تقديرا للصالحين المجاهدين واقتداء بالشباب المؤمن الذى يرفض الهوان ويستجيب للايمان ويجاهد فى سبيل العقيدة والمبدأ . وصدق الله

العظيم **نحن نقص عليك نباهم بالحق انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا)** .

ايها المؤمنون : تلك قصة اصحاب الكهف وهى رمز للتضحية والفداء فقد آمن الشباب بالله واعتصموا به ثم قاموا يدافعون عن الايمان وينتقلون من بيوتهم وقصورهم الى كهف مظلم يمارسون فيه عبادتهم وصلاتهم ويتعرضون فيه لرضوان الله ورحمته وقد سجل القرآن املهم فى رحمة الله بقوله على لسانهم **(واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيء لكم من امركم مرفقا)** .

والقصة برهان ملموس على ان الله يحفظ المؤمنين ويسدد خطاهم ويربط على قلوبهم بالشجاعة والقوة وقد سجل القرآن نصر الله للمؤمنين الصادقين فى كل وقت وحين ، قال تعالى **(ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لانضيع اجر من احسن عملا)** .

ايها المؤمنون : ان الايمان بالله والاخلاص له والعمل لمرضاته سبيل الى الفلاح والسداد قال تعالى **(وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولاتتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله)** .

والترابط والتعاون والتساند قوة للصف وسبيل الى النصر .

(ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص)

وليس لنا بديل عن الالتفاف حول ديننا وعقيدتنا والاهتداء بهدى الدين الحنيف والسنة المطهرة واعمال السلف الصالح **(اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده)** .

حقيقة المؤمن

يقول الله تعالى فى كتابه الكريم :

(يا ايها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم) محمد/٧.

ايها المؤمنون ، المؤمن حقا من آمن بالله ربا وخالقا ورازقا وبالاسلام دينا ومنهجا ، وبسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا وقدوة واسوة **(لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الاخر وذكر الله كثيرا)** الأحزاب/٢١ .

المؤمن حقا : يتبع تعاليم الدين ويحل الحلال ويحرم الحرام ويسير على الصراط المستقيم صراط الاسلام والقرآن وهدى محمد عليه الصلاة والسلام **(انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا واولئك هم المفلحون ، ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك هم الفائزون)** النور/٥١ ، ٥٢ .

المؤمن حقا صادق اليقين يراقب الله تعالى فى سره وعلانيته ويطيع الله ولا يعصاه ، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويجاهد فى سبيل الله بنفسه وماله مخلصا فى هدفه مضحيا بالعاجلة من اجل الآجلة ، مؤثرا طاعة الله ورضوانه على كل عرض من أعراض الدنيا .

روى البخارى فى صحيحه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان ، أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه الا لله ، وأن يكره أن يعود فى الكفر كما يكره ان يقذف فى النار » .

المؤمن حقا لايعرف الرياء ولا النفاق فهو طاهر السريرة نظيف القلب سليم الضمير يقيم الصلاة ويؤدى الزكاة ويدافع عن الحق ويحارب البغى والعدوان، وليس الايمان دعوى باللسان بل هو تصديق بالجنان وعمل بالجوارح وسلوك فاضل وجهاد فى سبيل الله وصدق ووفاء . قال تعالى : (**قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم وان تطيعوا الله ورسوله لايلتكم من اعمالكم شيئا ان الله غفور رحيم ، انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم فى سبيل الله اولئك هم الصادقون**) الحجرات /١٤ ، ١٥

المؤمن حقا اذا ذكر الله وجل قلبه وذرف دمعه وخشعت جوارحه وملىء يقينه هدى وايمانا . قال تعالى (**انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون ، الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ، اولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم**) الأنفال/٢ ــ ٤ .

المؤمن حقا خاشع فى محرابه منيب الى ربه بعيد عن الفحشاء والمنكر واللهو واللغو محافظ على الحرمات ساتر للعورات فاعل للخيرات مؤد للزكوات قال تعالى (**قد افلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون**) المؤمنون / ١ ــ ١١ .

أيها المؤمنون :

لقد تمسك أسلافكم باهداف هذا الدين فكانوا يدا واحدة كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ، وكانوا العقل الجديد والفجر الجديد والثور الجديد ، وقد فتحوا البلاد باخلاقهم قبل ان يفتحوها بسيوفهم .

الم يؤن الأوان للأمةالاسلامية أن توحد صفوفها وتعرف طريقها وتجمع قال تعالى (**الم يان للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نـزل من الحق**) الحديد/١٦ .

الم يان للقلوب المؤمنة أن تتطهر ، وتبايع الله بيعا رابحا ، وتقدم لله انفسا هو خالقها ، واموالا هو رازقها ، لتشترى بذلك جنة عرضها السموات والارض ومغفرة من الله اكبر (**ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم ، التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود اللهوبشر المؤمنين**) التوبة/١١١ ، ١١٢ .

الم يؤن الأوان للقلوب الشاردة وللشباب الفارغ أن يملأ قلبه بنور الايمان كلمتها فان يد الله مع الجماعة وانما ياكل الذئب من الغنم القاصية ونحن أمام عدو شرس عنيد يضرب فى كل مكان ويأخذ هذا ثم يأخذ ذاك فلو صرنا يدا واحدة وقلبا واحدا لأخذنا على يد العدو العنيد ولرددنا له الصاع صاعين . وقد امرنا الله بالتعاون والوحدة ونهانا عن الخلاف والفرقة ، قال تعالى : (**واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا**) آل عمران/١٠٣ . وقال سـبحانه **وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان**) .

الم يؤن الأوان للقلوب الشاردة وللشباب الفارغ أن يملأ قلبه بنور الايمان وأن يرفع راية الجهاد والكفاح ، وأن نسير الكتائب وأن نجهز الجيوش لنثأر للمظلومين ونقتص للمستضعفين ، لقد حثنا الله على الجهاد وحرضـنا عليه ووعدنا عليه الجزاء الأوفى فقال سـبحانه : (**الا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدءوكم اول مرة اتخشونهم فالله احق ان تخشوه ان كنتم مؤمنين قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم**) التوبة / ١٣ ــ ١٥ .

أيها الشهداء الأبرار ، ايها المعتدى عليهم ظلما وعدوانا ، ايها المضروبون فى الجو زورا وبهتانا ، أيها الضحايا الأبرياء ، أيتها الدماء الجارية أيتها الهوام الظامئة اصرخى الى الله باللعنات على بنى صهيون ، اصرخى فى قومك صادية حتى يثأروا لك .

كيف السكوت على لهيب النار أم كيف ينسى ثاره ذو ثار

ياضمير الأمة الاسلامية ، يارجال العروبة والاسلام ، ياشـباب مصر ويارجالها بلادكم فى خطر ، وطنكم يستصرخ بكم ان دافعوا عنه وحققوا له النصر ، فاذا أطعتم ربكم والترمتم بحـدوده ونفذتم أحكامه صرتم خير أمة

اخرجت للناس ووافاكم نصر الله والفتح **(وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم)** آل عمران / ١٢٦ .

دعائم الايمان

قال تعالى **(آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير)** (البقرة ٢٨٥)

أيها المستمع الكريم :

تعتمد عقيدة الايمان على دعائم ثلاث :

الدعامة الاولى :

الايمان بالله ربا وخالقا ورازقا وبانه واحد لا شريك له ولا رب سواه **(قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن كفوا احد)** .

الدعامة الثانية :

التصديق برسالة محمد صلى الله عليه وسلم فقد ارسله ربه هاديا ومبشرا ونذيرا وأنزل عليه القرآن هدى ورحمة وجعله خاتم المرسلين وأمرنا ان نؤمن به وأن نصدق بان الله ارسل رسلا وانبياء كثيرين لهداية الناس **(رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما)** (النساء ١٦٥).

الدعامة الثالثة :

الايمان بالبعث والحساب والجزاء حتى يثاب الطائع ويعاقب العاصي وهذا الايمان يتولد عنه اليقين بأن الدنيا ليست الا مزرعة للحياة الاخرة فمن أحسن فى الاولى كان له الفوز فى الثانية . قال تعالى : **(تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير ، الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم ايكم احسن عملا وهو العزيز الغفور)** (الملك ١ ، ٢)

أيها المؤمن

ان ايمان المؤمن ليس قاصرا محدودا ولكنه اصيل عريق انه يمتد الى التصديق بجميع الرسالات والنبوات ويشمل الكتب التى انزلها الله على انبيائه ورسله فالاسلام يوصى المؤمنين بأن يؤمنوا بالله وان يكون ايمانهم قائما على التصديق القلبى واليقين العقلى ، والحب الوجدانى لله الخالق الرازق الذى أبدع الكون ورفع السماء وبسط الارض وأرسى الجبال واظلم الليل

واضاء النهار وسخر السحاب واجرى البحار وامسك بقدرته نظام الكون على نسق بديع وترتيب دقيق . قال تعالى : **(ام من جعل الارض قرارا وجعل خلالها انهارا وجعل لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزا اله مع الله بل اكثرهم لا يعلمون)** (النمل ٦١) .

وليس الايمان كلاما يقال او الفاظا تردد ولكنه يقين صادق وعقيدة راسخة ينبعث عنها عمل سليم وسلوك فاضل . قال (ص) « ليس الايمان بالتمنى ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل الا وان اقواما غرتهم الامانى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا نحسن الظن بالله ، وكذبوا على الله لو احسنوا الظن لا حسنوا العمل » ،

ايها المؤمن :

ان الاسلام حلقة فى سلسلة الرسالات الالهية وختام للدعوات الربانية والمسلم مأمور ان يصدق بأنبياء الله ورسله جميعا فهم هداة للبشرية ودعاة للاصلاح ومصابيح تضىء للحيارى وتهدى الناس الى طريق الرشاد .

قال تعالى : **(قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتى موسى وعيسى وما اوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون)** . (البقرة ١٣٦).

فكل الرسالات كانت من اجل تحرير الانسان وتصحيح العقيدة وارساء معالم الفضيلة والدعوة الى مكارم الاخلاق . قال (ص) : « انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق » .

وروى البخارى فى صحيحه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « انما مثلى ومثل الانبياء من قبلى كمثل رجل بنى دارا فاتمها واكملها الا موضع لبنة فجعل الناس يقولون ما احسن هذه الدار لو وضعت هذه اللبنة فانا هذه اللبنة وانا خاتم الرسل » .

تكريم الله للانسان

يقول الله تعالى فى كتابه الكريم :

(ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) .

خلق الله آدم بقدرته ، ونفخ فيه من روحه ، واسجد له ملائكته ، وميز الانسان وفضله على سائر الموجودات فاعطاه العقل والارادة وجعله كائنا مختارا فى سلوكه وافعاله . قال تعالى **(انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا)** .

فان اختار الانسان طريق الهداية وآثر الاستقامة فهو السعيد حقا ، وان اختار الغواية وآثر الهوى فهو المحروم حقا . قال تعالى (**ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها ، قد افلح من زكاها . وقد خاب من دساها**) .

أخى المؤمن :

لقد ميز الله الانسان وفضله على كثير من خلقه ، ولم يميزه بالاكل والشرب ، ولا بالجماع والنسل ولا بالصورة والشكل . وانما ميزه بالعقل والفكر ، وفضله بالارادة والعلم والمعرفة .

وفى الحديث الشريف : لما خلق الله النفس قال لها من انا ، قالت ومن انا ؟ فعذبها باشد انواع العذاب ثم قال لها من انا ؟ قالت ومن انا ؟ فارسل عليها الجوع فجاعت ثم قال لها من انا ؟ قالت انت الله رب العالمين .

ولما خلق الله العقل قال له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فادبر ثم قال له من انا ؟ قال انت الله رب العالمين . فقال الله تعالى وعزتى وجلالى ماخلقت خلقا اعز على منك .

وقد مدح القرآن أولى الالباب وهم أصحاب العقول السليمة والضمائر الحية الذين يتأملون فى خلق الله ويتفكرون فى ملكوت السموات والارض ثم يقولون سبحانك ماخلقت هذا باطلا .

أيها الأخ المؤمن :

لله تعالى كتابان : احدهما كتاب مفتوح ظاهر يقرؤه العالم والامى ويشاهده الاعمى والبصير ، وهو هذا الكون العجيب بما فيه من أفلاك سائرة ، وسماء مرفوعة ، وارض مبسوطة ، وبحار جارية ، وليل داج . قال تعالى : (**أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والارض وماخلق الله من شىء وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم فباى حديث بعده يؤمنون**) الاعراف/١٨٥ .

ولله عز وجل كتاب منزل وهو القرآن الكريم ذكر فيه قصص الاولين واخبار السابقين ، ولفت الانظار الى آثار خلق الله وبديع صنعه كما مدح القرآن المؤمنين العارفين الذين يتأملون فى خلق الله ويتفكرون فى ملكوت السموات والارض ويرون فى كل آية دليلا على وجود الله وبرهانا على وحدانيته .

وفى آخر سورة آل عمران يمتدح الله هؤلاء العارفين بقوله سبحانه : **(ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب ، الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والارض ربنا ماخلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار . ربنا انك من**

تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من انصار . ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان ان آمنوا بربكم فآمنا ، ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار . ربنا وآتنا ماوعدتنا على رسلك ولاتخزنا يوم القيامة انك لاتخلف الميعاد) .

أيها المؤمن :

ذلك منهج القرآن الكريم فى تحريك القلوب الى الايمان ، ودعوة العقول الى الدليل والبرهان بتوجيهها الى المشاهد المحسوس والآيات الظاهرة ، وايضا مناجاتها بالوحى والقرآن . قال تعالى : **(وكذلك أوحينا اليك روحا من امرنا ماكنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى الى صراط مستقيم ، صراط الله الذى له مافى السموات ومافى الارض الا الى الله تصير الامور) .**

وفقنا الله واياكم ، لما يحب ويرضى وهدانا واياكم سواء السبيل .

عظمة الخالق

يقول الله سبحانه فى كتابه الكريم : **(الله نور السموات والارض) .**

أيها المؤمن :

اذا رأيت نور الصباح يغمر الاكوان وينشر الضوء فى كل مكان ويمد الحياة بالنور والبهاء ، والسعي والعمل ، فثق أن ذلك بنور الله وهو نور السموات والارض . واذا رأيت الوليد الصغير ينزل الى الحياة ضعيفا بريئا فيشق الله له للنظر عينين وللسمع اذنين وللبطش يدين وللمشى رجلين ويعطيه لسانا وشفتين ، ويجرى له فى ثدى أمه لبنا حاراً فى الشتاء باردا فى الصيف ، ويودع محبته فى قلب والديه ، ويرعاه برعايته ويتولاه بعنايته حتى يقف على قدميه ويشتد ساعده ويبلغ أشده ، فثق أن ذلك بفضل الله ، نور السموات والارض .

واذا رأيت الشمس تدور فى فلكها ، والقمر يسبر فى مداره والنجوم تزهر فى مواقعها ، والليل الحالك يأتى راحة للناس ونوما فى الاجفان والنهار المضىء يأتى سعيا ومعاشا ، والكون كله يخضع لقدرة قادرة وارادة كريمة مدبرة . اذا رأيت ذلك التدبير ، فثق أنه بقدرة الله العلى القدير ، نور السموات والارض .

أيها الانسان :

ما اقرب مولاك منك وانت لاتشعر قربه ، وما أحبك اليه وأنت لاتشعر حبه . ان الله يمد يده بالليل ليتوب مسىء النهار ، ويمد يده بالنهار ليتوب مسىء الليل .

ما اسعد الطائعين وما اربح المتقين ، لقد سعدوا بربهم وآنسوا انفسهم بتقواه قال تعالى (**ومن يتق الله يجعل له مخرجا ، ويرزقه من حيث لايحتسب ، ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ امره قد جعل الله لكل شيء قدرا**) الطلاق ٢ ، ٣ .

ايها المؤمن :

بادر بالتوبة النصوح واقبل على مولاك وخالقك ، فالسعيد من طرق باب مولاه ولجأ اليه فى الغداة والعشى . وفى الاثر يقول الله عز وجل : ياداود لو يعلم المعرضون عنى كيف انتظارى لهم ولطفى بهم وشوقى الى ترك معاصيهم ، لماتوا شوقا الى وتقطعت أوصالهم من حبى . ياداود هذه ارادتى فى المدبرين عنى فكيف بحبى فى المقبلين على . باداود احب مايكون الى عبدى اذا رجع الى ، واجل مايكون عندى عبدى اذا تاب الى . وارحم ماأكون بعبدى اذا أعرض عنى .

وصدق الله العظيم اذ يقول فى كتابه الكريم : (**والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على مافعلوا وهم يعلمون . اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم اجر العاملين**) آل عمران/١٣٥ ، ١٣٦ .

أيها المؤمن :

ان التوبة فى حقيقتها طهارة النفس من دنس المعصية ويقظة الضمير ، ونظافة القلب واستقامة الجوارح .

واذا حلت الهداية قلبا نشطت فى العبادة الأعضاء

سئل الامام على رضى الله عنه عن التقوى فقال : هى ذوبان الحشا لما سبق من الخطا . وسئل أحد العباد عن التقوى فقال : « الا يراك الله حيث نهاك ، والا يفقدك حيث امرك » .

والتائب حقا يعزف عن أماكن المعصية ، ويسمو بنفسه عن الشهوات والنزوات ، ويعلم أن طريق الجد والحق هو طريق السلامة فى الدنيا ، والنجاة فى الآخرة .

قال تعالى : (**فاما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هى الماوى . واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى الماوى**) .

صدق اليقين

يقول الله تعالى فى كتابه الكـريم **(ومن الناس من يعبـد الله على حرف فان اصابه خير اطمان به وان اصـابته فتنة انقلب على وجهه خسر الـدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين)** . الحج ١١

والحرف معناه الطرف اى يعبد الله على طرف من الدين بعيد عن وسطه وهذا مثل لكونه مضطربا فى امر الدين غير ثابت القدم .

قال ابن عباس وسعيد بن جبير والحسـن ومجاهد وقتادة نزلت هذه الآية فى قوم من الأعراب قدموا المدينة المنورة فكان أحدهم اذا صـح بدنه واخصبت أرضه ونتجت فرسه وولدت امرأته غلاما وكثر ماله وماشيته قال ماأصبت منذ دخلت فى دينى هذا الا خيرا ، واطمان بالاسلام وثبت عليه فذلك قوله تعالى **(فان اصابه خير اطمان به)**

اما اذا قدم الأعرابى المدينة ، فساءت صحته أو قل ماله واجدبت أرضه ولم يصبب خيرا ، قال ما اصابنى من دينى هذا الا شر وانقلب عن دينه الذى اظهره بلسانه فذاك قوله تعالى **(وان اصابته فتنة)** اى بلاء وامتحان **(انقلب على وجهه)** اى رجع من دينه **(خسر الدنيا والآخرة)** ، اما خسران الدنيا فقد خسر العزة والكرامة التى أعدها الله للمؤمنين ، وأما خسران الآخرة فقد حرم الثواب واسـتحق العقاب والجزاء ولاخسران أوضـح من ذلك **(ذلك هو الخسران المبين)** .

ايها المؤمن :

الايمان الصادق زاد للمؤمن وحياة لروحـه بل هـو نور عينيه وقـوة ساعديه ونبضات قلبه فالايمان للمؤمن كالهواء الطلق لايستغنى عنه لحظة ولو فقد المؤمن كل مايملك لتشبث بدينه وعقيدته .

ان العقيدة الصادقة هى الركيزة الثابتة فى حيـاة المؤمن ، تضـطرب الدنيا من حوله فيثبت هو على هذه الركيزة ، وتتجاذبه الاحداث والدوافع فيتشبث هو بايمانه الثابت الاصيل وليست العقيدة صفقة تجارية ينتظر الانسان من ورائها ربحا ماديا بل العقيدة هى الحمى الذى يلجأ اليه الانسان ، والسند الذى يستند عليه .

اجل هىَ فى ذاتها جزاء على تفتح القلب للنور وطلبه للهدى ، هى جزاء يدرك المؤمن قيمته حين يرى الحيارى الشاردين من حـوله تتجاذبهم الرياح وتتقاذفهم الزوابع ويستبد بهم القلق هو بعقيدته مطمئن القلب ثابت القدم هادىء البال موصول بالله مطمئن بهذا الاتصال .

وفى تاريخ البشرية الطويل نماذج حافلة بالثبات على الايمان ، وتحمل البلاء فى سبيل العقيدة والمبدأ .

لقد وضع فى النار ابراهيم ، واضجع للذبح اسماعيل واشتد البلاء على ايوب والتقم الحوت يونس ودخل السجن يوسف وخرج موسى من مصر خائفا يترقب وحاول الاعداء قتل المسيح وصلبه فرفعه الله اليه ، واشتد أذى الكفار بمحمد صلى الله عليه وسلم وصحبه حتى هاجر من مكة الى المدينة ، ولكن العاقبة للمتقين ، ودولة الباطل ساعة ودولة الحق الى قيام الساعة ، وصدق الله العظيم **«فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل»** . الاحقاف ٣٥

فهذا هو طريق الانبياء الثبات على المبدأ والتضحية والفداء من أجل الهدف والغاية **«والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين»** . العنكبوت ٦٩ .

من هدى الاسلام

يقول الله تعالى فى كتابه الكريم : **(واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا)** آل عمران/١٠٣ .

جمع الاسلام العرب ووحد كلمتهم وآخى بينهم وعقد أواصر المحبة والمودة بينهم ، فتحول القوم من بداوة الجاهلية الى حضارة الاسلام ، ودراسة القرآن وطاعة الرحمن ، وعلمهم النبى صلى الله عليه وسلم أصول الدين وتعاليم الشريعة . وبين لهم أن محبة المسلم لأخيه المسلم اساس من اسس الايمان وباب من أبواب الرضا والقبول .

قال صلى الله عليه وسلم : « سبعة يظلهم الله تعالى فى ظله يوم لا ظل الا ظله امام عادل وشاب نشأ فى طاعة الله عز وجل ورجل قلبه معلق بالمساجد ورجل ذكر الله تعالى خاليا ففاضت عيناه ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وافترقا عليه ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال انى أخاف الله رب العالمين» .

أيها المؤمن :

الحب فى الله معناه ان تحب المؤمن الصادق محبة خالصة لله ، لأنه مطيع لربه ومخلص لدينه . وهذه المحبة لله سر من أسرار النصر وباب من أبواب العزة فى الدنيا والسعادة فى الآخرة . قال تعالى : **(والف بين قلوبهم لو انفقت مافى الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم انه عزيز حكيم)** الانفال /٦٣ .

وقد بين الله صفة أهل الجنة ، فذكر أن بينهم الاخاء والصفاء ، وقد نزع من قلوبهم الغل والحقد . قال تعالى : **(ونزعنا مافى صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين)** الحجر / ٤٧ .

ايها المستمع الكريم

ان روح الاسلام تدعوك الى المحبة والألفة ، الى الصفاء والوفاء ، الى التعاون والتراحم ، الى التكافل والتآخي حتى يكون المسلم للمسلم قوة ومودة ، وعونا وسندا ، قال تعالى : (**وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان**) المائدة / ٢ .

وقال صلى الله عليه وسلم : « مثل المسلمين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى » .

ايها المؤمنون :

لقد بدأ الدين غريبا وسيعود غريبا كما بدأ ، وغرابة الدين فى بدايته ، ان الله هيأ له النصر والغلبة ، فكانت اغرب ظاهرة اجتماعية فى التاريخ انتصار الاسلام فى اقل من قرن من الزمان على أوسع رقعة فى المعمورة ، وكأن القرآن قد اعطى المسلمين مفاتيح الأرض فأداروها فى اقفالها ففتحت لهم البلاد ودانت لهم العباد .

ومرت بالمسلمين فترات القوة وفترات الضعف ، ونلمح الآن بوادر النصر وسحائب الغوث فتهيب بالمسلمين أن التفوا حول دينكم واستجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم ، فقد رضيتم بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا . وصدق الله العظيم : (**ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا ، ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما**) النساء / ٦٩ ، ٧٠

الاسلام والعلم

العلم نور القلب وثقافة الفكر ، وتوجيه للنفس ويقظة للضمير ، بالعلم تسعد الأمم وترقى الأفراد والجماعات . وقد مدح القرآن العلم والعلماء . قال تعالى : (**انما يخشى الله من عباده العلماء**) فاطر / ٢٨ . وقال سبحانه : (**شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم**) آل عمران / ١٨ .

وقال صلى الله عليه وسلم : « اذا طلعت على شمس يوم لم أزدد فيه علما فلا بورك لى فى ذلك اليوم » .

كيف لا ، والقرآن يدعونا الى المزيد من العلم والتعلم ، فأول آية من القرآن كانت دعوة الى القراءة والتعليم وهى قوله تعالى : (**اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم**) العلق / ١ — ٥

ويعلمنا القــرآن آداب الدعاء حين يقول : (**وقــل رب زدنى علما**) طه / ١١٤ .

ومن وصايا لقمان لابنه : يابنى اطلب العلم فان افتقرت كان لك مالا ، وان استغنيت كان لك جمالا ، يابنى العلم خير من المال ، العلم حاكم .والمال محكوم عليه ، والعلم يزكو بالانفاق والمال ينقص بالانفاق .

ومما ينسب الى الامام على رضى الله عنه :

الناس من جهة التمثـال اكفــاء ... ابــوهم آدم والأم حـــواء
فان كان لهــم فى أصــلهم شرف ... يفــاخرون بــه فالطــين والمــاء
ما الفخر الا لأهــل العلم انهمــو ... على الهــدى لمن اســتهدى ادلاء
ففز بعــلم تعش حيــا به ابــدا ... الناس موتى واهــل العلم احيــاء

ايها الأخ المؤمن :

ان العلم مصدر قوة ، ومصدر عزة ومصدر سعادة وليس العلم مقصورا على تعلم الامور الدينية بل العلم تتسع ابوابه لكل ضروب المعرفة فالواجب على المسلم ان يكون بصيرأ بزمانه خبيرا بتقدم العلوم والفنون والآداب ، ومن الواجب أن تتخصــص طائفة من العلماء فى كل فرع من فروع المعــرفة حتى تشيع فى الأمة جنبات الخير والازدهار . قال تعالى : (**هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر اولوا الألباب**) الزمر / ٩

ولقد قام الاسلام على نهضة علمية اساسها دراســة القرآن والســنة المطهرة . وكانت روح الاسلام حافزا للمسلمين أن يتزودوا من العلوم النافعة، وفى عصور الاسلام الزاهرة كانت بغداد وقرطبة والقاهرة وغيرها من المدن عواصم للثقافة والعلم والطب والكيمياء والصــيدلة والرياضــة والبصريات والفلك . وكانت جامعات قرطبة وطليطلة مصدرا من مصادر الثقافة لشباب أوربا ، الذين كانوا يحضرون الى الجامعات العربية لينهلوا من علمها ، وعن طريق جامعات الاندلس عبرت الثقافة الاسلامية الى فرنسا وكانت عاملا من عوامل النهضة والحضــارة الاوروبية بشــهادة المنصــفين من علماء الغرب انفسهم .

قال الاستاذ بريفولت الانجليزى فى كتابه (تكوين الانســانية) : (فى القرن التاسع عشر تعلم كثيرون من المسيحيين عند علماء الاسلام) . وقال : (ان رئيس دير كلوتى تأسف على أن رأى اثناء اقامته بالاندلس الطلبة من فرنسا والمانيا وانكلترا يردون افواجا الى المراكز العلمية العربية) .

وقال : (فالعلم هبة عظيمة الشأن جادت بها الحضــارة العربيــة على العالم الحاضر).

ان الاسلام كان مصدرا من مصادر النور والقوة والهداية والاخلاق الكريمة . ولقد عز المسلمون يوم أن تمسكوا باهداب الاسلام ، وحين تركوا العمل بل وانحرفوا عن تعاليمه (**نسوا الله فنسيهم**) التوبة/٦٧ .

ولن يصلح آخر هذه الامة الا بما صلح به أولها ، ايمان صادق ، وعمل نافع ، واستقامة على طريق الرحمن : (**ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم**) آل عمران/١٠١ .

هذا هو الاسلام

يقول الله تعالى فى كتابه الكريم : ((**وما ارسلناك الا رحمة للعالمين**)) .

ارسل الله محمدا صلى الله عليه وسلم هاديا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ، وقد استجاب لدعوته المؤمنون ، ووقف فى سبيله الكافرون ، بيد ان الله نصر الحق وأهله وخذل الباطل واهله ، وقد هاجر المؤمنون فرارا بدينهم وحفاظا على عقيدتهم .

« وقاتلوا المشركين فى غزوات متلاحقة كان النصر فى معظمها حليفا للمؤمنين ، وامتدت فتوحات الاسلام فطوت ممالك ودولا متعددة ودخل الناس فى دين الله افواجا وجماعات .

استولى المسلمون على شاطىء الفرات فى سنة ٦٣٣ م ، وانتصروا على الروم فى اجنادين سنة ٦٣٤ م ودخلوا دمشق سنة ٦٣٥ م وحققوا نصر اليرموك الرائع سنة ٦٣٦ . وانتصروا على الفرس والقادسية سنة ٦٣٧ ، وخضعت لهم جميع سوريا سنة ٦٣٨ وجميع فارس سنة ٦٤٢ ومصر فى سنة ٦٣٩ الى ٦٤٢ . واذربيجان فى ٦٤٢ ، وافغانستان فى ٦٦١ وتونس فى ٦٧٤ وبخارى فى ٦٧٤ ايضا .

وفتحوا السند سنة ٧٠٨ ميلادية ومراكش فى ٧٠٨ ايضا واسبانيا سنة ٧١١ الى ٧١٢ وسمرقند فى سنة ٧١٢ م ، واستولوا فى خلال القرنين الثامن والتاسع على معظم جزر البحر المتوسط واصبحوا سادة الدنيا بلا منازع .

ايها المؤمن :

من حق الانسان أن يتساءل عن السر الكامن وراء انتصارات الاسلام المتلاحقة وفتوحاته الرائعة ، والجواب يكمن فى طبيعة الاسلام الذاتية ، فهو دين عام للبشرية كلها لا فرق بين عربى وعجمى ولا بين أبيض واسود ولا بين سادة وعبيد ، فالناس كلهم امام الله سواء يتفاضلون عنده بالتقوى ويدركون ثوابه بالعمل الصالح . قال تعالى :

« ياايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير » (الحجرات ١٣)

ومن أسباب انتصار الاسلام ، يسره وسماحته ، فهو دين وسط لا تشدد فيه ولا تفريط وهو صالح لكل زمان ومكان مناسب للانسان فى جميع العصور بما حوى من الاصول العامة وما اشتمل عليه من التيسير ودفع المشقة والحرج .

فمن قواعد الاسلام الاصولية انه : لا ضرر ولا ضرار وان المشقة تجلب التيسير وان الامر اذا ضاق اتسع وانه لا ينكر تغير الاحكام بتغير الازمان ، وانه اينما توجد المصلحة فثم شرع الله .

قال تعالى : **« يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر »** (البقرة ١٨٥) .

وقال سبحانه : **« ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج »** (المائدة ٦) .

وقال صلى الله عليه وسلم : **«يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا »** .

ايها الأخ المؤمن :

ان الاسلام حوى مزايا متعددة ففيه الديمقراطية الحقة والمساواة بين الناس على اختلاف اجناسهم والوانهم وفيه حرية العقيدة والدعوة الى استخدام العقل والفكر والحث على البحث والاستنباط وهو دين العلم والمعرفة ، فأول آية نزلت من كتاب الله كانت دعوة الى القراءة باسم الله .

قال تعالى : **« اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم »** . (العلق ١ ــ ٥)

المساواة فى الاسلام

يقول الله تعالى فى كتابه الكريم : **(يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير)** .

سبب نزول هذه الآية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم امر بلالا بن ابى رباح أن يؤذن على ظهر الكعبة بعد فتح مكة ، فاستنكر ذلك سادة قريش وقالوا : اعبد حبش على ظهر الكعبة بحضورنا ؟

فأنزل الله هذه الآية لتوضح الموازين العادلة للاشخاص والقيم ، ولتهدم قواعد الكبرياء وتحطم فوارق الطبقات ، ولتصرح بأن الله تعالى خلق الناس كل الناس ليتعارفوا ويتعايشوا بالسلم والامان ، وعلى هذا الأساس

جعل النبي صلى الله عليه وسلم الخادم اخا لسيده أو ابنا وجعل الخادمة أو الجارية أختا لسيدها او ابنة واوصى النبي وصيته المشهورة :

« اخوانكم خدمكم جعلهم الله تحت ايديكم فمن كان اخوه تحت يده فليطعمه مما يطعم وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم من الاعمال ما لا يطيقون فان كلفتوهم فاعينوهم ولا يقولن احدكم عبدى او امتى ولكن ليقل فتاى وفتاتى » .

وقد جادل عبد اسود اللون الصحابى الجليل ابا ذر ، فقال له ابو ذر: يا ابن السوداء ، فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال **« طف الصاع»** اى طفح الكيل ، يا اباذر **« ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل الا بالتقوى او بعمل صالح »** ، فوضع ابو ذر خده على الأرض وقال للعبد الأسود قم فضع رجلك على خدى ، وقد طبق المسلمون المساواة الحقيقية بين اشرافهم ومواليهم بمجرد قدوم النبى المدينة فى أول الهجرة ، اذ كان حمزة عم النبى هو وزيد بن حارثة أخوين ، وكان خالد بن رويحة الخثعمى هو وبلال ابن رباح أخوين وكان ابو بكر الصديق وخارجة بن زيد اخوين .

وكان الحسن البصرى مولى من الموالى وقد ضرب الناس اليه اكباد الابل ، وجلس الأشراف بين يديه يغترفون من علمه ويستفيدون من معرفته وفقهه ، ومما لا ريب فيه ان المسلمين بلغوا من تكريم العبيد والموالى ذروة شامخة لا تسامى لانهم تعلموا من النبى الكريم ان الناس سواسية كاسنان المشط لا فضل لعربى على عجمى ولا لأحمر على اسود الا بالتقوى .

ايها المؤمنون :

لقد كان اضطهاد الطبقات الغنية للفقيرة سائدا فى العالم كله قبل بعثة النبى صلى الله عليه وسلم ، فارسل الله نبيه رحمة للعالمين فهدى الناس من الضلالة الى الهدى ، واخرجهم من الظلمات الى النور ، وحث الاغنياء على البر والصدقة والعطف والرحمة ، ثم أوجب الزكاة وحرم الربا وقضى على عوامل الحقد والتفرقة والف بين المسلمين على اختلاف اجناسهم والوانهم وطبقاتهم وكون الاسلام خير امة اخرجت للناس وحطم الفوارق بين الطبقات وقضى على التمييز العنصرى ووضع الموازين القسط لأسس المساواة الحقيقية بين الناس اجمعين ، فالخلق كلهم عيال الله يتفاضلون عنده بالتقوى ويدركون ثوابه بالعمل الصالح .

وانسجاما مع هذه التعاليم التى تكرم الانسان ولا تفرق بين اجناسه وعناصره اقر الاسلام للمراة باهليتها فى الحقوق المدنية والمالية ، وجعلها مساوية للرجل فى المجال الدينى والانسانى والاجتماعى ، وبلغ من تكريمها مالم يبلغه تشريع اجتماعى فى القديم ولا فى الحديث .

ذلك بأن المرأة فى نظر الاسلام شريكة الرجل فى حياته ، وجزء متمم له اذ يرتبط به ارتباطا مقدســـا يقوم على المودة والرحمة والحنان كما قال تعالى : (**ومن آياته ان خلق لكم من انفســكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون**) الروم/٢١ .

وأوضح الرسول الكريم ذلك بقوله : ((**ما اكرم النساء الا كريم ، ولا اهانهن الا لئيم**)) .

وقال ايضا : ((**انما النساء شقائق الرجال**)) .

أيها المؤمن ،

ان التدرج فى التنظيم الاجتماعى هو الاســلوب الحكيم الذى اتبعه النبى صلى الله عليه وسلم فى كل اصلاح اتمه او امره الله باتمامه ، وبهذه الطريقة استطاع ان يبدل عادات الجاهلية رغم اســتحكامها وتمكنها من أصحابها . فقد تدرج الاســلام فى تحريم الخمر لأنه دين الحكمة والموعظة الحسنة ، بين القرآن أن فى الخمر بعض المنافع وان ضررها اكثر من نفعها فقال سبحانه : (**يســألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما اكبر من نفعهما**) .

ثم حرم على المسلمين الصـــلاة وهم سكارى ليضـــع حدا لمعاركهم القولية والفعلية فقال : (**يا ايها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون**) .

وبعد أن ضـيق عليهم فرص الســكر ، وحرك منطقهم التشريعى الفطرى وبصرهم بمضار شرب الخمر حرم الخمر تحريما حاســما فقال تعالى : (**يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ، انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون**) .

وهكذا تدرج الاسلام فى التنظيم الاجتماعى والاصلاح الخلقى والتربية النفســية بما كفل لمجتمعه الاستقرار ودفعه فى طريق المجد والازدهار ، قال تعالى : (**وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون**) الاعراف / ١٥٣ .

المسئولية فى الاسلام

خلق الله الانسان بيده ، ونفخ فيه من روحه ، واسـجد له الملائكة ، وكرمه وفضله على كثير من خلقه . وقد قرن الله المســئولية بالنعمة على صـــاحبها فقال سبحانه : (**لا يكلف الله نفســا الا ما آتاها**) . ومن ذلك

فان العاقل مسئول عن تصرفاته ، والغنى مسئول عن زكاة أمواله ، والحاكم مسئول عن حسن اختيار الولاة وعن تحقيق العدالة والمساواة والشورى ، والأمن والعمل والحماية للوطن والمواطنين .

قال صلى الله عليه وسلم : **« كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، الامير فى امارته راع وهو مسئول عن رعيته ، والمراة فى بيت زوجها راع وهى مسئولة عن رعيتها ، والخادم فى مال سيده راع وهو مسئول عن رعيته ، وكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) .**

ان الانسان مسئول عن عمره ، وعن وقته ، وعن ماله ، وعن شبابه ، وعن علمه ، فواجب الانسان استغلال طاقاته فى العمل النافع والخير العميم وواجب الحاكم حماية الوطن والدفاع عنه وحماية العقيدة وتوضيح الشبهات وتوفير الحياة الكريمة لافراد الامة ، وواجب الافراد القيام بواجباتهم نحو الوطن كل فيما يخصه ، وبذلك تتكاتف الامة وتتعاون وتصبح بحق أمة رائدة تدعو الى الخير ، وتأمر بالبر وتنهى عن الفساد والافساد ، قال تعالى : **(كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) .**

ان المسئولية فى الاسلام ، اساسها انك مسئول عما اعطاك الله من نعمة وما خولك من فضل ، وما من به عليك من خير فى علمك او خلقك أو معرفتك ، فيجب ان تشكر الله على هذه النعمة ، وشكر النعمة الحقيقى هو استعمالها فيما خلقت له .

فشكر البصر النظر به للحق والخير والجمال ، وغض البصر عن العورات ،

وشكر القوة استخدامها فى الطاعة والبعد بها عن المعصية ،

وشكر العلم تسخيره للنفع والبعد به عن المراء والرياء ،

قال صلى الله عليه وسلم : **« لا تزل قدم ابن آدم يوم القيامة حتى يسال عن خمس : عن عمره فيم افناه ، وعن شبابه فيم ابلاه ، وعن وقته فيم ضيعه ، وعن علمه ماذا عمل به ، وعن ماله من اين اكتسبه وفيم انفقه » .**

والمسئولية حق يقابله واجب ، فحق الحاكم السمع والطاعة على الامة حتى يتفرغ لواجباته ، ويقوم بما أمر الله به ، وواجبات الحاكم هى : العدل والمساواة والشورى وعمل الصالح للامة ورعاية مصالح افرادها وجماعاتها .

دخلت فاطمة بنت عبد الملك على زوجها امير المؤمنين عمر بن عبد العزيز فوجدته يبكى .. قالت ما يبكيك يا أمير المؤمنين ؟

قال : تذكرت الفقير الجائع ، والمريض الضائع ، والعارى المحزون ، وذا العيال الكثير والمال القليل ، واشباههم فى بقاع الأرض واقطار البلاد ، وعلمت ان خصيمى دونهم محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة فخشيت الا تثبت لى حجتى فرحمت نفسى فبكيت .

الجن

قرر الاسلام حقيقة الجن ، وصحح التصورات العامة عنهم ، وحرر القلوب من خوفها وخضوعها لسلطانهم الموهوم ، فالجن لهم حقيقة موجودة فعلا ، ومنهم الصالحون ومنهم الضالون المضلون ، ومنهم السذج الابرياء الذين ينخدعون ، وهم قابلون للهداية من الضلال ، مستعدون لادراك القرآن سماعا وفهما وتأثرا .

وهم لا يعلمون الغيب ، ولم تعد لهم صلة بالسماء ، ولا صهر بينهم وبين الله سبحانه ولا نسب .

وقد سخر الله طائفة من الجن لنبى الله سليمان ، فكان منهم من يغوص فى البحر ليستخرج له اللؤلؤ والحلى ، ومنهم من يقوم ببناء المساكن والمحاريب وسائر الابنية . ومن خرج عن طاعة سليمان من الجن كان يقيده فى السلاسل والحديد ، ويعرضه لأشد أنواع العقاب ، فلما مات سليمان استمرت الجن فى خدمته ، ودل هذا على انهم لا يعلمون الغيب ، بل هم خلق من خلق الله ، خلقهم الله من النار ، كما خلق الانسان من الطين وقد تعلقت بالجن خرافات شتى ، واساطير كثيرة ، فقد كان العرب يعتقدون ان للجن سلطانا فى الأرض ، فكان الواحد منهم اذا امسى بواد أو بات فى صحراء لجأ الى الاستعاذة بعظيم الجن الحاكم لما نزل فيه من الأرض فقال : اعوذ بسيد هذا الوادى من سفهاء قومه ، ثم بات آمنا .

كذلك كانوا يعتقدون أن الجن تعلم الغيب ، وتخبر به الكهان فيتنبأون بما يتنبأون به ، ومن العرب من عبد الجن وجعل بينهم وبين الله نسبا ، وادعى ان الله سبحانه وتعالى له زوجة منهم تلد له الملائكة — تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

والاعتقاد فى الجن على هذا النحو او شبهه كان فاشيا فى كل جاهلية ، ولا تزال الاوهام والأساطير من هذا النوع تسود بيئات كثيرة الى يومنا هذا .

وبينما كانت الأوهام والأساطير تغمر قلوب الناس ومشاعرهم وتصوراتهم عن الجن فى القديم وما تزال ، نجد فى الصف الآخر اليوم منكرين لوجود الجن اصلا ، يصفون اى حديث من هذا الخلق المغيب بأنه حديث خرافة .

وقد رد الاسلام على الاغراق فى الوهم ، أو الاغراق فى الانكار ، وفى مقالة الجن ما يشهد بوحدانية الله ، ونفى الصاحبة والولد ، واثبات الجزاء فى الاخرة ، وان احدا من خلق الله لا يعجزه فى الأرض ، ولا يفلت من بين يديه ، فهو سبحانه قد احاط بكل شىء علما ، واحصى كل شىء عددا . وفى سورة الجن حكى القرآن قولهم حين قالوا **(وانا ظننـــا أن لن نعجز الله فى الأرض ولن نعجزه هربا ، وانا لما سمعنا الهدى آمنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا ، وانا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فاولئك تحروا رشدا) الجن ١٢ ـ ١٤**

(٨)
من هدى القرآن

القرآن معجزة خالدة

ـيقول الله تعالى فى كتابه الكريم :

لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرايته خاشعا متصـدعا من خشية الله وتلك الإمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون)

القرآن الكريم معجزة البشرية الخالدة ، وكلام الله الحق انزله على النبى الكريم فى ثلاثة وعشرين عاما ، منجما حسـب الوقائع والحوادث ، مشـتملا على توحيد الخالق ، وذكر آلائه وبيان نعمائه ، حاكيا قصص الاولين ، وتاريخ الغابرين ، وما أصـاب المكذبين بالانبياء والجاحدين بالحق من عذاب ماحق وجزاء عسير ، كما تضمن القرآن الكريم تشريعات سامية واوامر الهية ونواه ربانية ، ووصايا انسانية ، هى مكارم الأخلاق وفضائل الآداب من تحلى بها سما خلقه وزاد يقينه ، واطمأنت نفسـه ، ومن حاد عنها عميت بصيرته وقسا قلبه ، قال تعالى **(ومن اعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة اعمى . قال رب لم حشرتنى اعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى)**

ولقد كان للقرآن الكريم فضل هداية المسلمين واستمالة افئدتهم بما حواه من اسـلوب رائع ومعان سـامية وحكم بالغة وبيان الهى وقبس ربانى .

كما ورد فى الأثر : **(فيه نبا من قبلكم وخبر من بعدكم ، وحكم مابينكم وهو الجد ليس بالهزل لم تسمعه الجن حتى قالت انا سـمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا احدا)**

وقد استمل القرآن على انواع الاعجاز فأخذ طريقه الى القلوب واستولى على النفوس فهدهد كبرياءها ، وازال جماحها ، ففتحت له قلوب العرب طوعا وكرها واذعن له اهل الفصاحة والبيان عرفانا وخضوعا ومدحه أحد كفار العرب وجبابرتهم بقوله :

(لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ، ما هو بالسحر ولا بالشعر ولا بالكهانة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وان فرعة لجناه وما يقول هذا بشر)

لقد حاول العرب معارضة القرآن ، فأتوا بشيء من الوان الكلام ، ولكن شتان بين كلام المخلوق وكلام الخالق شتان بين ثوب مهلهل غير متماسك ونسيج محكم الصنعة بديع الهيئة رائع الجمال .

توجه الكفار بالنقد والسباق التهم بمحمد وما انزل عليه فقالوا ان محمدا ساحر وان محمدا شاعر وان محمدا مجنون وانه كاهن يتنبأ بالغيب فأجابهم القرآن الكريم **(فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ماتؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين)** وتمادى الكافرون فى الصاق التهم بالنبى الكريم وتهافتت اقوالهم كالمحموم لا يلبث ان ينطق بغير رؤية فقالوا إضغاث احلام بل افتراه بل هو شاعر .

(وقالوا اساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة واصيلا) .
فاجابهم الحق سبحانه :

(قل انزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض انه كان غفورا رحيما)
ـ الفرقان ٦ .

كان الحق سبحانه يتدرج مع المعارضين المنكرين ، فطلب منهم أن يأتوا بمثل القرآن فى مبناه ومعناه ولفظه واسلوبه وقوته وبيانه فعجز العرب عن الاتيان بمثله .

فطلب منهم ان يأتوا بعشر سور مثل سور القرآن الكريم وان يستعينوا بمن ساؤوا

قال تعالى فى سورة هود **(أم يقولون افتراه قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما انزل بعلم الله وان لا اله الا هو فهل انتم مسلمون)**

ثم تحداهم ان يأتوا بسورة واحدة مثل سور القرآن فقال تعالى فى سورة البقرة **(وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين)**

وفى هذا التحدى دليل واضح على ان القرآن ليس من صنع بشر وليس من عند محمد بل هو بيان حكيم من عالم الغيب الذى يعلم انهم لن ياتوا بمثل القرآن ولا بمثل عشر سور منه بل ولا بمثل سوره واحده من سوره الكريمة .

(قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لاياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا)

وبهذا التحدى الخالد ، ظل القرآن الكريم سابقا غير مسبوق وحصنا عاليا لايدرك ولايسامى وذروة سامقةلايدرك مداهاولايشق غبارها **(قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا) . (ولو ان ما فى الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله . ان الله عزيز حكيم)**

منهج القرآن
فى توحيد الصف

فى مبدا ظهور الاسلام تعرض المسلمون لألوان متعددة من الدس والوقيعة كما تعرضوا لعدد من المؤامرات المغرضة ، وعرض المشركون عروضا مغرية على رسول الاسلام منها الملك والرئاسة والمال والجاه فقال كلمته الخالدة **(والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على ان اترك هذا الامر ما تركته حتى يظهره الله او تنفرد منى هذه السالفة)**

وبعد ان ضيق الخناق على المسلمين فى مكة هاجروا الى المدينة ووضع النبى (ص) الأساس السليم للقاعدة الاسلامية العريضة واحكم الترابط والتلاحم بين المهاجرين والأنصار وبارك القرآن هذه الأخوة فقال سبحانه **(واللذين تبواوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون)**

وبدا الصف الاسلامى قويا متماسكا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ورسم القرآن المثل الأعلى للتعاون والتنظيم والاعداد بقوله سبحانه **(ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص)**

وسار ركب الدعوة يدعم وجوده فى ميدان السلم والحرب فنزلت آيات القرآن تحمل التشريعات الجديدة فى نظام الحياة والأسرة والعادات والمعاملات والآداب والأخلاق وكل شئون الحياة . وتابع القرآن موكب الدعوة الى ميدان القتال فنزلت سور وآيات تحث على الجهاد وتبشر المجاهدين وتشرح نظم القتال ، واحكام الحرب ومرت غزوات متعددة بالمسلمين فى بدر واحد والخندق والحديبية وفتح مكة وغيرها وكللت جهود المسلمين بالنصر فى

اكثر هذه الغزوات ، وتعرضوا للهزيمة فى بعضها ، ولكن الهزيمة لم تكسر شوكتهم ولم تقتل حماسهم ونزلت آيات القرآن تأسو جراح المؤمنين وتوضح ان الحرب سجال وان الأيام دول يوم لك ويوم عليك ، قال تعالى : **(ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين)** .

دسائس الأعداء :

انتهز أعداء الاسلام هزيمة المسلمين فى غزوة احد وذهبوا ينشرون الأراجيف والاشاعات ومن هذه الأراجيف قولهم لضعفاء المؤمنين : لو كان محمد رسول الله حقا ما وقعت له هذه الواقعة ، وانما هو رجل كسائر الناس **يوم له ويوم عليه فارجعوا الى دينكم الذى كنتم فيه ، فانزل الله عز وجل** قوله **(يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين ، بل الله مولاكم وهو خير الناصرين ، سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب بما اشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين)** .

والمتأمل لهذه الآيات يستوضح فيها امورا ثلاثة :

الأمر الأول : الحذر من طاعة الكافرين .

فقد بين القرآن أن طاعة المسلمين للكافرين تجرهم الى الخسران فى الدنيا والآخرة .

فان الكفر عدو الايمان ولا يزال العدو يحارب عدوه ويتربص به الدوائر حتى يوقعه ويهزمه لو استطاع واهل الكفر لا يفتأون يحاربون المسلمين ليردوهم عن دينهم ويعيدوهم فى ملتهم ولهم فى ذلك أساليب ليست الحروب أشدها ولا أفظعها ، منها غزو افكارهم بمبادئهم الفاسدة التى يصورونها لهم فى صورة الصلاح والتقدم والمدنية ، ومنها اغراء العداوة بينهم ، وتقطيع الأواصر بين شعوبهم وطوائفهم ، فهم يخيلون لكل فريق من المسلمين انه هو المحق وهو الجدير بالزعامة ، ولا يزالون يشعلون نيران الخلاف بما استطاعوا حتى تأتى على كل شيء .

وقد حفظ التاريخ صورا كريهة احترب فيها المسلمون بعضهم مع بعض فى الشعب الواحد فكان منهم قاتلون ومقتولون تحت راية العدو المشترك ، وأى شيء أفظع من أن يقتل الأخ أخاه باغراء عدوهما وتحريضه ودسيسته وخداعه .

الأمر الثانى : ولاية الله للمؤمنين وكفالته لهم بالنصر

ولكن نصر الله لاينزل الا على قلوب مخلصة وايد نظيفه رامة جادة قد نصرت ربها واحترمت تعاليمه واطاعت أوامره . قال تعالى **(ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم) .**

الأمر الثالث : القاء الرعب فى قلوب المشركين

وهذا الأمر مترتب على سابقه فاذا أخلص المؤمنون وعملوا بهدى السماء شملهم بعنايته والقى عليهم المهابة والجلال وقذف فى قلوب أعدائهم الخوف والرعب .

ونحن احوج ما نكون الى معرفة انفسنا وعلاج ضعفنا فان الاستعمار لايقوم على قوة الأقوياء وانما يقوم على ضعف الضعفاء . وصدق الله العظيم **(ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم) .**

من أدب القرآن فى بناء المجتمع

يقول الله تعالى فى كتابه الكريم **(واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت ايمانكم ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا) .**

هذه الآية الكريمة تجمع خلال البر ، وتحض المسلمين على التحلى بمكارم الاخلاق وجميع الخلال ، حتى يكون المسلم انسانا مثاليا معينا للضعيف نافعا للفقير ، رحيما بالمساكين ، بارا بالشيخ الكبير مستجمعا لأخلاق الدين ، مقتديا بسيد المرسلين المبعوث رحمة العالمين .

اول ادب فى هذه الآية ، هو عبادة الله وحده وعدم الاشراك به شيئا ان الله وحده هو الخالق ، وهو الرازق وهو الضار وهو النافع ، **(قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شىء قدير . تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى وترزق من تشاء بغير حساب)** . آل عمران ٢٦ ، ٢٧

فيجب ان يفرد الله بالوحدانية ويخص بالعبادة فلا خوف الا منه ولاذل الا له ولا تقرب الا اليه ، وبهذا حرر الاسلام الفرد من الذل لغير الله أو الركون الى سواه ، وفتح باب السماء امام كل راغب فيه فالله أقرب اليه من حبل الوريد ، هو مجيب الدعاء وهو اللطيف الخبير ، والسميع البصير ، **(وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله)** ــ ٢٥ ــ ٢٦ الشورى .

والأدب الثانى الاحسان الى الوالدين وقد كرر القرآن وصيته بالوالدين

وقرنها بتوحيد الله نبيينا لمنزلتهما وحثنا على اكرامهما خصوصا فى سن الشيخوخة والضعف وهو السن التى يعجزان فيها ويحتاجان الى معونة اولادهم قال تعالى (**وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما ، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا**) . الاسراء ٢٣ ، ٢٤ .

ان بر الوالدين عرفان بالجميل وتضامن اجتماعى وتكافل بين الاجيال وقيام الابناء بحق الآباء وكنز سيرد اليك من اولادك واحفادك قال صلى الله عليه وسلم (عفوا تعف نساؤكم وبروا آباءكم تبركم ابناؤكم) .

وقد حرم الله عقوق الوالدين وجعل ذلك من الكبائر لأنه جحود لأصل الانسان وكنود لأولى الناس بعنايتك ورعايتك قال (ص) (ان الجنة ليوجد ريحها من مسيرة خمسمائة عام ولا يجد ريحها عاق لوالديه ولا قاطع رحم).

وقد اكد الاسلام الوصية بالام ونوه بما تحملته فى سبيل الانسان من حمل ورضاع وتنشئة ، والزم ان تكافأ الام على الاحسان بالاحسان وعلى التربية بالشكران .

قال تعالى (**ووصينا الانسان بوالديه احسانا حملته امه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا**) ويقول سبحانه (**حملته امه وهنا على وهن وفصاله فى عامين**) وقال صلى الله عليه وسلم (بر امك واباك واختك واخاك ثم ادناك فادناك) اى ـ الاقرب فالاقرب .

الادب الثالث صلة الرحم ، وبر الاقارب ، فانهم اصلك الذى تعتمد عليه وفروع شجرتك وامتداد لحياتك ورحم امر الله ان توصل ، يقول الله تعالى فى الحديث القدسى (انا الرحمن وهذه الرحم شققت لها من اسمى فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته) .

وصلة الرحم سبب فى بركة الرزق وزيادة الخير ونماء العدد فلايوفق لصلة الرحم واكرام القرابة الا من وضع فى قلبه الرحمة واشربت روحه حب الدين .

سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اى الناس افضل ؟ قال : (اتقاهم لله واوصلهم لرحمه وآمرهم بالمعروف وانهاهم من المنكر) وقال صلى الله عليه وسلم :

(من سره ان يمد له فى عمره وان يوسع عليه فى رزقه فليتق الله وليصل رحمه) وقد يكون بين الاقارب بعض المنازعات فحث الدين على صلة الرحم وان ادبرت والاحسان الى الاقارب وان اساؤا قال صلى الله عليه وسلم (ان الرحم معلقة بالعرش وليس الواصل بالمكافىء ولكن الواصل الذى اذا انقطع رحمه وصله) .

والادب الرابع في الآية الاحسان الى اليتيم والمسكين وذلك شامل لانشاء الجمعيات الخيرية والمساجد والملاجيء والمستشفيات وكل ما من شانه أن ينهض بالمجتمع فاذا قام الانسان بحق بيته وامتد نفعه الى ولده وقرابته وما زاد عم به على الفقراء والمساكين عمت المودة والالفة وزادت اواصر الاخوة والوحدة واصبح المسلمون صفا واحدا كالبنيان المرصوص قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (مثل المسلمين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى) .

الادب الخامس والأخير ، رعاية حقوق الجار قال عليه الصلاة والسلام مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت انه سيورثه .

لقد سبق الاسلام حضارات الدنيا فى التوصية بالجار واحسان معاملته والمحافظة على شعوره ومجاملته فى المناسبات والصفح عن زلاته وغض البصر عن حرماته .

قال رجل ماحق الجار على أخيه الجار يارسول الله ؟

قال : (ان مرض عدته وان اصابه خير هنأته وان أصابه شر عزيته واذا مات اتبعت جنازته ولاتستعل عليه بالبناء فتسد عليه الريح الا باذنه ولاتؤذه بقتار قدرك الا ان تغرف له منها ، واذا اتيت بفاكهة فاعط ولده منها أو ادخلها سرا ولا تخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده) ..

(فمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت) .

رسالات السماء

يقول الله تعالى فى كتابه الكريم

(الم الله لا اله الا هو الحى القيوم ، نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وانزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس وانزل الفرقان ، ان الذين كفروا بايات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام) ١ — ٤ آل عمران .

ارسال الرسل شأن الاهى وحكمة ربانية لهداية الناس ودعوتهم الى الفضيلة والخير .

وقد توالت الرسالات وتعددت النبوات وربط بينها جميعها هدف مشترك هو الدعوة الى توحيد الله ، واصلاح المجتمع .

قال تعالى **(شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى اوحينا اليك**

وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيمــوا الدين ولا تتفــرقوا فيه) ١٣ـ الشورى .

لقد استهدف الرسالات هداية الناس وتصحيح القيم وتعليم الفضائل ومحاربة الرذائل والدعوة الى الخير والحق والعقيــدة الصحيحة والصراط المستقيم .

(رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون الناس على الله حجة بعد الرسل) النساء ١٦٥ فالمصدر واحد والسبيل واحد والغاية واحدة .

اخرج البخارى فى صحيحه ان رســول الله صلى الله عليه وسلم قــال الانبياء اخوات لعلات امهاتهم شــتى ودينهم واحد .

وابناء العلات هم ابناء الضرائر امهاتهم متعددة وابوهم واحد .

ومن عقائد المسلم التصديق بأن الله ارسل رسلا وأنبياء كثيرين لهداية الناس والايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، قال تعالى :

(قولوا آمنا بالله وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واســحق ويعقوب والأسباط وما اوتى موسى وعيسى ومــا اوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون) ١٣٦ ـ البقرة .

اخرج البخارى فى صحيحه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما مثلى ومثل الانبياء من قبلى كمثل رجل بنى دارا فأتمها واكملها الا موضــع لبنة فجعل الناس يقولون ما اكمل هذه الدار لو وضعت هذه اللبنة ، فأنا هذه اللبنة وانا خاتم الرسل) .

وقد جاهدت الرســل فى سبيل الدعوة الى الله وارشاد الناس وتميز الاخطاء الشائعة بينهم على نحو ما فعــل شعيب فى محاربته لتطفيف الكيل بعضهم بصدق البلاء والصبر فى الباساء وطول الجهاد حتى لقبوا بأولى العزم وكانوا قدوة حسنة فى الصدق والصبر وتبليغ الدعوة وهــداية الناس قــال تعالى .

(فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل) .

وقد ارسل كل نبى الى قومه خاصة يدعوهم الى توحيد الله ويحارب الأخطاء الشائعة بينهم على نحو ما فعل شــعيب فى محاربته لتطفيف الكيل والميزان وما فعله أبراهيم فى محاربة عبادة الاصنام ، وما فعله موسى فى محاربة الظلم والطغيان ، وما فعله عيسى فى محاربة حب اليهود للمال والمادة واهمالهم القيم الروحية والمعنوية .

حتى اذا تكامــل للبشرية نموها وعظم اســتعدادها وافاها الاســلام دينا عاما خالدا بكتاب عربى مبين ورسول عربى كريم وأفرغ بآياته وشرائعه البينة الواضحة على اتباعه المؤمنين به المستظلين بظله صبغة الوحدة والجماعة

منحيا عنها عصبيات الجنسية والاقليمية التى درج العرف البشرى على اتخاذها أساسا للجماعات ، وسما بالانسانيه عن هذه الاعتبارات الى المبدأ الأسمى ، الذى تفنى به الشخصيات والعصبيات ويوجه الناس الى الاخذ بيد الانسانية الفاضلة ، وكان شعاره الموحد لأبنائه الوحدة فى التوجه الى الله والاخلاص له وتلقى دعوته فافرغ عليهم وحدة العقيده ووحده العبادة ووحدة السلوك ووحدة الاهداف ووحدة الرحم ، واخذ يناديهم فى ذلك كله بنداءات الهية كريمة

(يا ايها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة)

(يابنى آدم اما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) .

(يابنى آدم لايفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة)

(يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون)

وبذلك يكشف لهم الغطاء عن المعتصم الذى يتمسكون به ولا يحيدون عنه وهو تقوى الله والاتجاه اليه والاستعانة به فى تنفيذ أوامره والعمل بما وضعه من سنن فى سبيل اسعاد البشرية ورقيها .

ايها المؤمنون :

ان اخوة المسلمين ليست كلاما يقال وليست عواطف واماني ولكنها نظام ثابت ومبدأ ملزم بتكافل المسلمين وتعاونهم فى العسر واليسر وقد آخى عليه الصلاة والسلام بين المهاجرين والانصار فقدم الانصار المعونة للمهاجرين وآثروهم بالنفس والنفيس وكانت هذه الاخوة الصادقة حجر الاساس فى نصر الاسلام وعز المسلمين .

قال تعالى : **(والذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما اوتوا او يؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون) .**

وقد مرت بالمسلمين مواقف حاسمة وكانت وحدتهم فى لحظات الحرج وتعاونهم فى الشدة والضيق من أهم عوامل النصر .

فى حروب الردة ، فى فتح عمورية فى معركة حطين فى كفاح الجزائر فى العدوان على بور سعيد فى هذه الازمات ترابط المؤمنون وتعاون المسلمون فجاءهم النصر المبين **(وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم) .**

ان دعوة الاسلام دعوة انسانية عالمية لا تفرق بين لون ولون ، أو جنس وجنس ، قال صلى الله عليه وسلم فى خطبة الوداع (ايها الناس ان ربكم واحد وان اباكم واحد **ليس لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى ولا لأبيض على احمر ولا لأحمر على أبيض فضل الا بالتقوى**) .

وقد فتح الاسلام أبوابه لأهل الأرض قاطبة واكد مساواتهم فى الحقوق والواجبات فهم جميعا أمام الله سواء يتفاضلون عنده بالتقوى ويدركون

ثوابه بالعمل الصالح ، قال تعالى (**يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير**) .

موالاة الاعدا

يقول الله تعالى فى كتابه الكريم .

(**يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالمودة**) حرص الاسلام على تقوية روابط المودة والمحبة بين المسلمين ووثق اواصر الاخوة ـ والتعاون بين بنى الاسلام بعضهم بعضا وكانت اركان الاسلام الخمسة ، تأكيدا لمعانى الترابط والتآزر والتعاون .

فالشهادتان التقاء على اله واحد لا شريك له وايمان برسول واحد هو خاتم الانبياء والمرسلين .

والصلاة فريضة يصطف فيها المسلمون خمس مرات فى كل يوم وليلة ويتجهون الى قبلة واحدة ويناجون الاها واحدا سميعا بصيرا مجيبا .

والزكاة ـ فريضة تحقق التكافل الاجتماعى والمشاركة بين الغنى والفقير .

قال تعالى (**وفى اموالهم حق للسائل والمحروم**) الذاريات ١٩ .

والصوم ـ عبادة روحية وبدنية يحس فيها الغنى بجوع الفقير وتزكو بها النفس وتشعر بآلام الآخرين .

والحج ـ رحلة وسياحة ومؤتمر عام لأبناء الأمة الاسلامية يتدارسون فيه أمورهم ويقفون على اخبار اخوانهم ويرسمون خطة سيرهم ويؤدون المناسك ويعظمون ـ الشعائر ويشهدون المنافع العامة لخير الاسلام والمسلمين .

وهكذا ارشدت هداية السماء الى الاساس العملى لترابط المسلمين ووحدتهم فكتابهم واحد ونبيهم واحد وقبلتهم واحدة وذمتهم واحدة .

قال صلى الله عليه وسلم « المسلمون عدول يسعى بذمتهم ادناهم وهم يد على من سواهم » .

وفى سبيل ذلك طلب القرآن التضحية بالنفس والمال والولد (**قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بامره والله لا يهدى القوم الفاسقين**) ٢٤ التوبة .

وجعل الاخوة عنوانا لهذا الترابط وحذر من الاختلاف والتفرق وبذلك تتحقق للمسلمين شخصية بارزة لها هيبتها ومكانتها ، ولها سلطانها وآثارها.

وصونا لهذه الشخصية ان تخدش ، او تتعرض للضعف والانحلال ، حرص القرآن الكريم فى هدايته على التحذير الشديد مما يضعفها أو يفسدها وكان ابرز ما حذره فى هذا الشان موالاة الاعداء الذين لا يؤمنون بتلك الشخصية وقد جاء ذلك التحذير فى جملة من السور بأساليب مختلفة ومعان متعددة .

ففى سورة آل عمران **(يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لايالونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من افواههم وماتخفى صدورهم اكبر قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون)** ١١٨ .

وفى سورة المائدة **(ومن يتولهم منكم فانه منهم ان الله لا يهدى القوم الظالمين)** ٥١ .

وفى سورة التوبة : **(يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم اولياء ان استحبوا الكفر على الايمان)** ٢٣ .

وفى سورة الممتحنة **(يا ايها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوى وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق)** ١ .

(ان يثقفوكم يكونوا لكم اعداء ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون) ٢ .

وتشير هذه الآيات الى ان ممن ينتسبون الى الاسلام ويلبسون ثوبه ، فريقا تغلب على ايمانه مصالحه الشخصية فيلقى نفسه بين احضانهم ويسارع الى موالاتهم والاندماج معهم والدخول فى دائرتهم ، وان هذا الفريق بعيد عن دائرة الاسلام خارج على وحدة المسلمين .

ولموالاة الاعداء صور والوان .

المعونة الفكرية بالراى والتدبير موالاة للاعداء

والمعونة المادية بالبذل والانفاق موالاة للاعداء

وترويج سلعهم بالبيع والشراء ، تنمية لأموالهم وتثبيتا لأقدامهم فى بلاد المؤمنين فى نفسه موالاة للاعداء .

والاغترار بزخرف ثقافاتهم ، وان فيها ماء الحياة ، وتوجيه النشىء اليها وغرس عظمتها فى نفسه موالاة للاعداء .

والعمل معهم فى المصانع والمعسكرات التى يهيئونها للنيل من المؤمنين موالاة للاعداء .

والتثاقل عن رد عدوانهم ومد يد المعونة الفعلية فى كبح جماحهم موالاة للاعداء .

(ياأيها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الأرض ـ ارضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة الا قليل) التوبة ٣٨ .

أيها المؤمنون

قد تبين الرشد من الغى ، فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم .

القرآن والدعوة

تهبط على المسلمين نسمات القبول فى شهر رمضان فهو شهر أنزل الله فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان .

كان النبى صلى الله عليه وسلم يتعبد فى غار حراء يتأمل فىالكون وخالقه ويتفكر فى الوجود وخالق الوجود متحيرا مما عليه قومه من عبادة الاوثان وقطيعة الارحام فاذا جاء شهر رمضان اخذ الزاد وذهب الى غار حراء يتعبد فيه الليالى ذوات العدد ثم يعود الى زوجه خديجة فيتزود لمثلها ، وبينما هو فى خشوعه وتأمله نزل عليه الملاك جبريل فضمه الملاك ضما شديدا حتى بلغ منه الجهد والمشقة وقال جبريل اقرأ ، قال النبى ما أنا بقارىء (أى انا أمى لا يعرف القراءة) فضمه جبريل مرة ثانية حتى بلغ منه الجهد والمشقة ليخلصه من شوائبالدنيا وأعراضها الزائلة وضمه مرة ثالثة ، وقال جبريل.

(اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم) .

كان هذا اول ما نزل من القرآن يدعو الى الايمان بالله الخالق الرازق بيده المشيئة والهداية وبيده الخلق والامر واستمر نزول القرآن ثلاثة وعشرين عاما يجيب على اسئلة الكافرين ويثبت قلوب المؤمنين ويشرح عقائد الاسلام واحكامه ويحارب عبادة الاوثان والاصنام ويدعو الى الخير والعدل والاحسان بيد أن قلوب أهل مكة كانت أقسى من الجبال الراسيات قال سبحانه **(لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون)** .

قص القرآن الكريم قصص الانبياء والمرسلين ليكون موعظة وعبرة وليستلفت به انظار اهل مكة .

فهذا ابراهيم خليل الله يتأمل فى الكون ويجد النجم بارزا فيتخذه الاها ويرى القمر ظاهرا فيتخذه الاها ثم يرى الشمس اكبر نورا فيتخذها الاها .

ثم يقول ابراهيم النجم يغيب ، والقمر يغيب ، والشمس تغيب والاله لا يغيب ، ومن ثم يتجه الى الاله الواحد الأبدى السرمدى قائلا :

(انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين) ٧٩ الانعام .

ويناقش ابراهيم قومه ويدعوهم الى الله ، وينفرهم من الاصنام التى لاتسمع ولا تجيب ولا تضر ولا تنفع .

حتى اذا يئس منهم اخذ فأسا وحطم الاصنام وترك الصنم الكبير فاذا سأله قومه : **(أانت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم ، قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون ، فرجعوا الى انفسهم فقالوا انكم انتم الظالمون ثم نكسوا على رؤسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون ، قال افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم اف لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون ، قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين ، قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم)** ٦٢ ــ ٦٩ الانبياء .

وهكذا ناقش القرآن اهل مكة مناقشة هادئة ووعظهم عن طريق قصص الانبياء واخبار السابقين فان ذلك اوقع فى النفس وادعى الى التأمل والاستجابة .

(لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شىء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) ١١١ ــ يوسف .

نزل القرآن منجما على حسب الوقائع والحوادث تثبيتا للمؤمنين وشرحا للمشركين واجابة على اسئلتهم : **(وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ، ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق واحسن تفسيرا)** ٣٢ ، ٣٣ الفرقان .

كان ابو جهل قبحه الله ــ عدوا لنفسه وعدوا لمحمد ــ عليه السلام ــ وكان فيه جبروت ولكنه جبروت ذليل، لايتماسك امام رهبة الحق ، فكان كلما لقى النبى يتعبد بجوار الكعبة نهاه عن عبادته وعن صلاته فشاهده مرة يصلى فقال له الم انهك عن صلاتك ها هنا ؟ فأغلظ له النبى الرد وحذره وتهدده فقال ابو جهل (يامحمد اتهددنى وانا اعز اهل الوادى ناديا ، فنزل الوحى بقوله تعالى **(ارايت الذى ينهى عبدا اذا صلى ؟ ــ ارايت ان كان على الهدى أو أمر بالتقوى ، ارايت ان كذب وتولى ، الم يعلم بأن الله يرى ، كلا**

لئن لم ينته لنسفعن بالناصية ناصية كاذبة خاطئة فليدع ناديه سندع الزبانية كلا لا تطعه واسجد واقترب) .

وبهذا سار القرآن مع المؤمنين ثلاثة عشر عاما فى مكة وعشر سنوات فى المدينة يؤازر جهادهم ويشرح عقيدتهم ويؤيد عملهم ويقوى يقينهم واقبل المسلمون على القرآن قراءة وفهما يمتثلون اوامره ، ويجتنبون نواهيه ، ويحلون حلاله ، ويحرمون حرامه ، وبذلك قويت روحهم بحياة القرآن وعظم يقينهم بطاعة الرحمن قال تعالى .

(وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى الى صراط مستقيم، صراط الله الذى له مافى السموات وما فى الأرض الا الى الله تصير الامور) . ٥٢ ، ٥٣ الشورى .

القرآن والتعليم

حث القرآن على طلب العلم ودعا اليه اذ هو راس الفضائل ودليل المعرفة وسبيل الى الخير ، قال تعالى :

(وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون) ، وقال سبحانه **(يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات) .**

يكفى ان نعلم ان اول آية نزلت من كتاب الله تعالى كانت دعوة الى القراءة والتعليم فقال سبحانه :

(اقرا باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرا وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم) .

وروى الامام أحمد وابن حبان والحاكم وصححه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع) وفى صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا الى الجنة) .

وفى الصحيحين أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ حين بعثه الى اليمن : (لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من الدنيا وما فيها) .

وفى صحيح مسلم (اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له) .

وقد جعل الاسلام طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ففرض تعلم العلم والعمل به على الرجال والنساء وكان عليه الصلاة والسلام يجعل

يوما للنساء يعظهن ويعلمهن امور الدين ومعرفة الله واحكام العبادات والمعاملات حتى كان عمر بن الخطاب يخطب فردت عليه امراة فقال عمر أصابت امراة واخطأ رجل .

ان اقبال الطلاب على العلم واجتهادهم وتفوقهم فى تحصيله يعد عبادة عملية وقربى دينية ومرضاة لله ورغبة فى بناء صرح الوطن .

ومن أراد الدنيا فعليه بالعلم ومن اراد الآخرة فعليه بالعلم ومن ارادهما معا فعليه بالعلم .

فالعلم خير من المال العالم حاكم والمال محكوم عليه والعلم يزكو بالانفاق والمال ينقص بالانفاق .

قال الامام على رضى الله عنه :

ما الفخر الا لأهل العلم انهم على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقدر كل امرىء ماكان يحسنه والجاهلون لأهل العلم أعداء
ففز بعلم تعش حيا به ابدا الناس موتى وأهل العلم احياء

ان تعلم جميع العلوم والفنون يؤدى الى تماسك الأمة وترابطها وعلو شأنها ومن الطبيعى أن تتخصص فئة فى معرفة علوم الدين وفئة اخرى فى معرفة العلوم الانسانية وفئة ثالثة فى معرفة العلوم العملية وبذلك يتكامل العلماء ويصبح العلم مصدر قوة وعزة ، وسلامة للدنيا والآخرة ومن دعاء المؤمنين : (ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) .

حفظ النفس

قال تعالى (ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف فى القتل انه كان منصورا). الاسراء ٣٣

خلق الله الانسان بيده ، وصوره فأحسن صورته ، ونفخ فيه من روحه وجعله جميل القوام ، بديع التركيب قال تعالى : (ياأيها الانسان ما غرك بربك الكريم ، الذى خلقك فسواك فعدلك ، فى اى صورة ما شاء ركبك) الانفطار ٦ ــ ٨ .

لقد خلق الله الانسان سوى الأطراف قائما على قدميه ومنحه العقل والتفكير والادراك والاختيار ، وجعل له للسمع اذنين ، وللنظر عينين ، وللبطش يدين ، ولسانا وشفتين ، وهداه النجدين وبين له الطريقين .

تقول مجلة العلوم الانجليزية : ان يد الانسان فى مقدمة العجائب الطبيعية الفذة ، وانه من الصعب ، بل من المستحيل أن يبتكر آلة تضارع اليد البشرية من حيث البساطة والقدرة وسرعة التكييف .

وان جزءا من اذن الانسان (وهو الأذن الوسطى) هو سلسلة من نحو اربعة آلاف قوس دقيقة معقدة متدرجة بنظام بالغ فى الحجم والشكل تشبه آلة موسيقية .

ومركز حاسة الابصار فى العين التى تحتوى على مائة وثلاثين مليونا من مستقبلات الضوء وهى اطراف الأعصاب وبفوم الجفن ذو الأهداب بحمايتها اما السائل المحيط بالعين الذى يعرف باسم الدموع فهو أقوى مطهر (١) .

هذا الانسان الذى خلقه الله فى أحسن تقويم . هو بنيان الله وصنعته البديعة وفى الحديث الشريف (الانسان بنيان الله ملعون من هدم بنيان الله).

وقد حرم الله قتل النفس الا بالحق ، والقتل بالحق يكون فى ثلاثة مواضع ، قال صلى الله عليه وسلم : (لا يحل دم إمرىء مسلم الا فى احدى ثلاث :

(الثيب الزانى والنفس بالنفس ومن بدل دينه فاقتلوه)

وجعل الله لولى المقتول الحق فى القصاص أو اخذ الدية او العفو لأن ولى المقتول اذا احس أن هناك عدالة تقتص له هدأت نفسه وامتنع عن الاخذ بالثأر ولأن القاتل اذا تأكد من القصاص فكر كثيرا قبل ان يقدم على فعلته ، قال تعالى (**ولكم فى القصاص حياة**) .

الصراط المستقيم

يقول الله تعالى فى كتابه الكريم : (**ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون**) .

أيها المؤمن ، الاستقامة على الطريق المستقيم دليل النجاة ، وآية السعادة ، وباب الفوز فى الدنيا والآخرة .

جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله قل لى فى الاسلام قولا واقلل فيه لعلى اعيه .

فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : قل آمنت بالله ثم استقم .

فهذه بلاغة النبوة وجوامع الكلم ترشد الى أن للسعادة الحقة ركنين اساسيين الايمان بالله ، والاستقامة فى الحياة .

والايمان بالله سبحانه يستتبع الايمان بشرعه وهديه وأنبيائه ورسله وكتبه واليوم الآخر .

---

(١) الله والعلم الحديث . للاستاذ عبد الرازق نوفل .

قال تعالى : (**آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير**) البقرة / ٢٨٥ .

والاستقامة فى الحياة تشمل اداء الواجبات وترك المنهيات واتباع الدين والاقتداء بسيد المرسلين والمؤمن يقرأ الفاتحة فى صلاته كل يوم سبع عشرة مرة ، وفيها يردد قوله تعالى : (**اهدنا الصراط المستقيم**) .

فما هو الصراط المستقيم ؟

الصراط المستقيم : هو الطريق الواضح الذى لا اعوجاج فيه ولا انحراف . وقد كثر كلام المفسرين فى المراد بالصراط المستقيم :

قال ابن عباس : الصراط المستقيم هو الاسلام .
وقال الامام على : الصراط المستقيم هو كتاب الله تعالى .

وقال أبو العالية : الصراط المستقيم هو الطريق القويم، والمعنى وفقنا الى طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه من بعده أبو بكر وعمر.

وكل هذه الاقوال تلتقى على ان معنى الصراط المستفيم هو جملة ما يوصل الناس الى سعادة الدنيا والآخرة من عقائد وآداب واحكام . وهو سبيل الاسلام الذى ختم الله به الرسالات السماوية وجعل القرآن دستوره الشامل ، ووكل الى محمد صلى الله عليه وسلم تبليغه وبيانه .

فالاسلام والقرآن والنبى محمد يطلق عليها الصراط المستقيم ، لأن الاسلام دعوة هادية ، والقرآن كتاب حق وهداية ، والنبى محمد مبين للقرآن وشارح لاعماله ، وهو التطبيق الحي والأسوة العملية ، سئلت عائشة عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : كان خلقه القرآن .

ايها المؤمن ،

ان لنا فى رسول الله اسوة حسنة ، وان علينا أن نتبع هديه وأن نقتدى بسنته وأن نعترف من رحيق تعاليمه ، فقد ختم الله به الرسالات وارسله كافة للناس بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وانزل عليه القرآن هدى ورحمة فيه قصص السابقين وخبر اللاحقين ، وحكم ما بين المؤمنين :

(**ان هذا القرآن يهدى للتى هى اقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا ، وان الذين لايؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم عذابا اليما**) الاسراء / ٩ ، ١٠ .

هدانا الله واياكم الى الصراط المستقيم ، ووفقنا الى مرضاة الله رب العالمين .

الثبات فى المحنة

يقول الله تعالى فى كتابه الكريم : (**يا ايها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات او انفروا جميعا**) النساء / ٧١ .

كتب الله علينا الجهاد ، وجعله بابا من ابواب الجنة وطريقا من طرق السيادة والعزة وسبيلا الى حماية العقيدة والدفاع عن المقدسات والذود عن الحمى (**والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين**) العنكبوت / ٦٩ .

وقد جعل الله الحياة ميدانا للخير والشر ، والنور والظلام والليل والنهار والشدة والرخاء ، والعسر واليسر (**ونبلوكم بالشر والخير فتنة ، والينا ترجعون**) الانبياء/ ٣٥ .

وكما يوضع الذهب الابريز فى النار ، فيبرز معدنه وتظهر ميزته ، فان الشدائد والمحن تظهر رجولة الرجال وعزم الأباة وصدق المؤمنين ، قال تعالى (**من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ، ليجزى الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء او يتوب عليهم ان الله كان غفورا رحيما**) الاحزاب / ٢٣ ، ٢٤ .

وفى تاريخ البشرية الطويل وقف المؤمنون المخلصون وقفات خالدة ، أشد رسوخا من الجبال الراسيات دفاعا عن العقيدة والمثل ، ولم يكن الأنبياء والمرسلون الا نماذج عالية ، ومعالم هادية فى الثبات على العقيدة ، وقوة الصبر والاحتمال. قال تعالى (**فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم ، كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك الا القوم الفاسقون**) الاحقاف / ٣٥

وحفظ تاريخ الاسلام امجادا سطرت بحروف من نور ، وكان صمود الرجال فيها من أسباب صيانة الحق والخير واندحار الباطل والشر ، قال تعالى (**بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق**) الأنبياء / ١٨

وبعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم، ارتد كثير من الناس عن الاسلام ومنع بعضهم الزكاة ولم يثبت على دينه الا اهل المدينة وقريش بمكة وثقيف بالطائف وبعض المؤمنين وما هو الا أن شرح الله صدر ابى بكر فأرسل الجيوش لقتال المرتدين ومانعى الزكاة فدحرهم وهزمهم ونصر الله الحق وأهله وخذل الباطل وأهله (**قل ان ربى يقذف بالحق علام الغيوب قل جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد**) سبأ / ٤٨ ، ٤٩ .

وظل الزحف الاسلامى المقدس يغالب قوى الشر والظلم فيصرعها واحدا تلو الاخر . وتقدمت الجيوش الفاتحة تحمل كتاب الله ونور الاسلام

وهدى النبوة وقوة الحق وصدق العقيدة ، ويحدثنا التاريخ ان المسلمين عندما توجهوا لغزو الروم أرسل ملك الروم فى طلب مندوب من جيوش المسلمين ليحادثه . فدخل عليه عبادة بن الصامت ، وكان عبادة أسود الوجه عريض المنكبين طويل القامة وقد كساه جلال الاسلام هيبة ووقارا ، وارتاع ملك الروم من منظر عبادة ، وحاول ان يطلب مندوبا غيره فاصر الجيش الا يتكلم عنه إلا عبادة فقال ملك الروم لعبادة لقد كنتم معشر العرب أذل الناس نستاجركم لرعاية تجارتنا وحراسة قوافلنا الا انا جمعناكم وتركناكم تجراتم على حمانا وقدمتم بلادنا وان لدينا من الجيوش ما يفوقكم فى العدة والعدد ولا طاقة لكم بحربنا وانا نقبل ان ترجعوا عنا ونجعل لكل واحد منكم جعلا ولأميركم جعلا .

فقال عبادة ، ايها الملك لقد كنا كما تقول حفاة ضعافا حتى أرسل الله الينا رسولا منا يأمرنا بالحق والعدل والمعروف والصدق وينهانا عن الفحشاء والمنكر فآمنا به وصدقناه فآزرنا الله به ، وخرجنا نبشر بهذا الدين وندعوا الناس اليه . وأما ماتخوفنا به من كثرة جيوشكم فان ذلك والله أرغب لنا فى قتال أعدائنا فما خرج واحد منا وهو يود ان يرجع الى اهله أو بلده بل يتمنى أن يرزقه الله الشهادة فى سبيله . وانا ندعوكم الى الاسلام فان أبيتم فالجزية ، فان ابيتم كان السيف والقتال ، ثم قال ملك الروم هذا الذى راعنى منظره ، ثم روعنى حديثه ، وان صح مايقولون فسيملكون ماتحت قدمى هاتين .

وصح قول عبادة وهزم ملك الروم وفر الى سوريا ثم لاحقته جيوش المسلمين فاتحة منتصرة ، فقال ملك الروم سلام عليك ياسوريا سلاما لالقاء بعده .

أيها المؤمنون ، .

ظهرت رجولة الرجال وبرز ايمان المؤمنين فى أحلك ساعات الشدائد والمحن فى حروب الردة ، فى حصار القسطنطينية ، وفى فتوحات الاسلام الخالدة ، فى موقعة عمورية ، فى معركة حطين ، وفى كفاح الجزائر ، ألا وان رحى الحرب دائرة والأيام دول ، والنصر مع الصبر ، والحزم والعزم ، فاشحذوا هممكم وامضوا فى عزيمتكم **(واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير)** الحج / ٧٨ .

نعم الله

اذا تأمل الانسان فى نعم الله عليه وجدها أجل من أن تحصى وأكثر من ان تعد ، قال تعالى : **(وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها)** . ابراهيم /٣٤

لقد خلق الله الانسان فى أحسن تقويم وشق له للنظر عينين وللسمع

اذنين وللبطش يدين ، وللمشي رجلين وهداه النجدين وبين له الطريقين . قال تعالى : (**هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا . انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا ، انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا**) . الانسان / ١ ــ ٣

وواجب الانسان ازاء هذه النعم ان يشكر المنعم سبحانه وتعالى . فمن شكر النعمة زاده الله فضلا وعزا ومن جحد النعمة واستغلها في الفساد والافساد فانه يلقى جزاءه في الدنيا وله في الآخرة عذاب شديد . قال تعالى: (**واذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد**) ابراهيم / ٧ .

أيها المؤمن :

ان الحياة رسالة ينجح فيها المؤمنون ، ويفشل فيها الخاسرون . قال تعالى (**افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لاترجعون فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم**) المؤمنون / ١١٥ ــ ١١٦ .

خلق الله الحياة للامتحان والابتلاء . قال تعالى (**الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم ايكم احسن عملا**) الملك / ٢ .

وجميع ما على وجه الأرض من جاه ومال ومتاع انما هو مادة ذلك الابتلاء . قال تعالى : ((**انا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا**)) الكهف / ٧ .

والانسان هو المخلوق الوحيد الذى كرمه الله واسجد له الملائكة وسخر له الليل والنهار والشمس والقمر والسماء والارض والافلاك والبحار ، والفضاء والهواء . قال تعالى (**ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا**) الاسراء /٧٠ .

الانسان هو المخلوق الوحيد الذى تحمل الأمانة وميزه الله بالعقل والتفكير والارادة فاذا حفظ الانسان الامانة واستقام على الطريق القويم كان ممن اجتباهم الله وقربهم ، واذا خان الانسان الامانة وعاث في الارض فسادا، فحكمته شهواته واسلم قياده لنزواته طمس الله على بصرته ، فصار لايسمع دعاء الهدى ولا يبصر طريق النور ، قال تعالى : (**افرايت من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله افلا تذكرون**) . الجاثية / ٢٣ .

أيها المؤمن :

لقد بين الله طريق الهدى وطريق الضلال وجعل عونه وفضله للمهتدين وأعد عقابه للجاحدين لكنه أخر العقاب حتى يفيء الناس الى ربهم ويتوبوا

الى خالقهم فمن تاب اليه قبل توبته ومن رجع اليه فتح له بابه . وصدق الله العظيم : (**قل ياعبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم**) . الزمر / ٥٣

القرآن واليهود

يقول الله تعالى فى كتابه الكريم :

(شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) .

من رحمة الله بخلقه وتمام نعمته على عباده ، ان ارسل اليهم الرسل وانزل عليهم الكتب فى أجيال متعاقبة لهداية الناس الى الدين الحق وارشادهم بالبراهين الساطعة والادلة القاطعة الى العقيدة الصحيحة التى تقوم على الايمان بالله وملائكته ورسله وكتبه واليوم الآخر ، فجميع الرسل كانت دعوتهم الى الله وحده : **(اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا) .**

وجاء الاسلام خاتما للرسالات وكان محمد صلى الله عليه وسلم خاتما للرسل الكرام عليهم السلام ، ولا يتم ايمان المسلم الا اذا آمن بجميع الانبياء والمرسلين ، ولقد حفل القرآن الكريم فى كثير من سوره ، باحداث اليهود قديما فى عهد موسى وهارون كما قص علينا كثيرا من صفاتهم والوانا من اخلاقهم ، يندى لها جبين الانسانية فى كل زمان فلقد طلبوا من موسى بعد نجاته من فرعون وبطشه ، وبعد ظهور المعجزات على يديه ان يصنع لهم صنما يعبدونه ويخافونه ويرجونه ، قال تعالى .

(وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر فاتوا على قوم يعكفون على اصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة ، قال انكم قوم تجهلون ، ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون) .

نفسية وضيعة لا تريد أن ترتفع الى عالم الروح والحق انما تهبط بطبيعتها الى عالم المادة الحالك السواد ، وحين حاول موسى اقناعهم بوجود الله الذى انجاهم من فرعون وتفضل عليهم بضروب النعم المختلفة ، قالوا أرنا الله جهرة حتى اذا ذهب موسى الى ميقات ربه حنسوا الى طبيعتهم المادية المظلمة وعبدوا عجلا جسدا له خوار وبعد رجوع موسى بالتوراة التى فيها حكم الله ، لم يرعوا حقها ، ولم يؤدوا احكامها بل اعتدوا فى السبت **(فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين)** وظلموا انفسهم وغيرهم وصدوا عن سبيل الله واخذوا الربا واكلوا اموال الناس بالباطل ، فحرم الله عليهم بعض ما كان قد احل لهم من الطيبات فى الدنيا واعد لهم عذابا اليما فى الآخرة ، قال تعالى

(فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وبصدهم عن

سبيل الله كثيرا ، واخذهم الربا وقد نهوا عنه واكلهم اموال الناس بالباطل واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما) .

وهكذا يقص القرآن ويحكي التاريخ من جرائمهم ومنكر أخبارهم مالا يشرف امة تدعى كذبا وزورا انها شعب الله المختار وتقول نحن ابناء الله واحباؤه فنظرة واحدة الى تاريخهم الطويل تدلنا فى غير خفاء الى صفاتهم المرذولة المقوتة ، فهم الجبناء على مدى التاريخ **(لا يقاتلونكم جميعا الا فى قرى محصنة او من وراء جدر)** ومن قبل ذلك قالوا لموسى **(اذهب انت وربك فقاتلا انا ها هنا قاعدون)** ، وهم الجشعون المحبون لجمع المال من كل السبل وهم الموزعون فى الأرض الأذلاء فى كل دولة المبغضون الى كل أمة لا يعلو لهم شأن ولا تظهر لهم كرامة الا بمساندة غيرهم لتتم العبرة للمؤمنين،

او بقوة من الله ليفتنوا فيستحقوا غضب الله وعذابه ، ولم يذكر التاريخ لهم عزة ذاتية ولا كرامة نفسية ، وصدق الله العظيم **(ضربت عليهم الذلة اينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس وباءوا بغضب من الله ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون)**

هكذا كان اليهود ، جماعة ذليلة موزعة فى الارض ، وقد أقامت فى يثرب ، مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، جماعات منهم ، ولما هاجر المسلمون الى المدينة وصارت دار الاسلام الاولى أراد الرسول أن يتفرغ لتربية المؤمنين على فاضل الصفات وعظيم الخلال ولدعوة المشركين الى الايمان بالله حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله » .

فعقد مع هؤلاء اليهود معاهدة تنص على مبادىء الحرية الدينية والمسالمة وحسن الجوار والتعاون على دفع كل أذى يلحق بالمدينة ، التى صارت دارا للمسلمين واليهود على السواء .

وكعادة اليهود فى الغدر ونقض العهد نقض اليهود عهدهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن أمام المسلمين فى سبيل تثبيت دعوتهم وحماية دينهم وحياتهم ــ طريقا أفضل من جعل المدينة دارا خالصة للاسلام والمسلمين .

***

وفى ثلاث مواقع تطهرت مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم من رجسهم ونزلت سورة الحشر فى بنى النضير **(هو الذى اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم ان يخرجوا وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بايديهم وايدى المؤمنين فاعتبروا ياأولى الابصار) .**

وفى بنى قريظة وهم آخر من بقى من اليهود بالمدينة نزل قوله تعالى فى سورة الاحزاب **(وانزل الذين ظاهروهم من اهل الكتاب من صياصيهم وقذف فى قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا واورثكم ارضهم وديارهم وأموالهم وارضا لم تطؤوها وكان الله على كل شىء قديرا)** وهكذا انتهت حياة اليهود فى مدينة الاسلام الاولى .

***

وقد بليت الأمة العربية فى هذا العصر ، بدويلة العصابات فى اسرائيل وطباعهم كطباع أسلافهم فى الخيانة والغدر والنفاق والختل **(لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا)** .

***

وفى سياسة الرسول معهم لنا اسوة حسنة ، بل انه بشرنا بالنصر عليهم كما روى البخارى فى صحيحه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (لن تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود فيختبىء أحدهم وراء الحجر فيقول الحجر ياعبد الله هذا يهودى ورائى فاقتله) .

من ادب سورة الحجرات

سورة الحجرات سورة مدنية ورغم أن آياتها لا تتجاوز ثمانى عشرة آية الا ان السورة تضمنت آدابا سامية وحقائق كبيرة من حقائق العقيدة والشريعة ، ومن حقائق الوجود والانسانية حقائق تفتح للقلب وللعقل آفاقا عالية ، وآمادا بعيدة ، وتثير فى النفس والذهن خواطر عميقة ومعانى كبيرة ، وتشمل من مناهج التكوين والتنظيم ، وقواعد التربية والتهذيب ومبادىء التشريع والتوجيه ، ما يتجاوز حجمها ، وعدد آياتها مئات المرات .

وأول ما يبرز للمنظر عند مطالعة السورة ، هو أنها تكاد تستقل بوضع معالم كاملة ، لعالم رفيع كريم نظيف سليم، متضمنةالقواعد والأصول والمبادىء والمناهج التى يقوم عليها هذا العالم ، والتى تكفل قيامه أولا ، وصيانته أخيرا . عالم نقى القلب نظيف المشاعر ، عف اللسان ، وقبل ذلك نقى السريرة .

عالم له ادب مع الله ، وادب مع رسوله ، وأدب مع نفسه ، وأدب مع غيره ، وفى الوقت ذاته له شرائعه المنظمة لأوضاعه ، وله نظمه التى تكفل صيانته .

تبدأ سورة الحجرات بهذا النداء

(يايها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله واتقوا الله ان الله سميع عليم) .

فتنادى المؤمنين بصفة الايمان الذى حببه الله اليهم وزينه فى قلوبهم اختيارا لهم ومنه عليهم ، وتحثهم على تقديم أمر الله وأمر رسوله على رايهم ، وتنهاهم عن التعدى على احكام الله ، وقال الطبرى فى تفسير الآية : يا أيها الذين أقروا بوحدانية الله وبنبوة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم **(لا تقدموا بين يدى الله ورسوله)** اى لا تعجلوا بقضاء أمر فى حروبكم أو دينكم قبل أن يقضى الله لكم ورسوله فتقضوا بخلاف أمر الله وأمر رسوله .

وقال مجاهد : لاتفتاتوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء حتى يقضى الله تعالى على لسانه .

وقال ابن عباس : لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة

وفى الآية أدب نفسى مع الله ورسوله وفيها منهج فى التلقى والتنفيذ وهو أصل من أصول التشريع والعمل فى الوقت ذاته وهو منبثق من تقوى الله وراجع اليها هذه التقوى النابعة من الشعور بأن الله سميع عليم وكل ذلك فى آية واحدة قصيرة نلمس وتصور هذه الحقائق الأصيلة الكبيرة .

الطاعة

قال تعالى : **(آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون ، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير)** البقرة /٢٨٥ .

هذه الآية والتى بعدها ختام سورة البقرة وهى أطول سورة فى القرآن وتسمى الزهراء الاولى .

وقد رسمت للمسلمين حياتهم وبينت تشريعاتهم ، وفى ختام السورة تلخيص لاصول الايمان :

انه الايمان الذى ينبعث من قلب الرسول الكريم ويشترك معه المؤمنون فى هذا الايمان وهذا تشريف لهم . ومن أصول هذا الايمان : الايمان بالله ربا وخالقا ورازقا ومشرعا بيده الخلق والامر ، والايمان بالملائكة ، وهم عباد مقربون لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون مايؤمرون . والايمان بكتب الله ورسله : بالتوراة والانجيل والزبور والقرآن : وبرسل الله اجمعين ، وبانهم هداة البشرية ، وحملة الخير والنور للانسانية وبذلك تمتد جذور الايمان الى اصول عميقة تتلاقى على الايمان بالرسل والكتب ، ويكون الرسل جميعا ائمة هدى ودعاة اصلاح يشتركون فى بناء الايمان وارساء قواعده كما ورد فى الحديث الصحيح : **((انما مثلى ومثل الانبياء من قبلى كمثل رجل بنى دارا فاتمها واكملها الا موضع لبنة فجعل**

الناس يقولون ما احسن هذه الدار لو وضعت هذه اللبنة فانا هذه اللبنة وانا خاتم الرسـل » .

ومن سمات هذا الايمان السمع والطاعة لامر الله ورسوله فلا اسلام بلا طاعة لامر الله ، وانفاذ لمنهجه فى الحياة ، ولا ايمان حيث يعرض الناس عن أمر الله فى الكبيره والصغيرة من شـئون حياتهم ، أو حيث لا ينفذون شريعته ، او حيث يتلقون تصوراتهم عن الخلق والسلوك والاجتماع والاقتصاد والسياسة من مصدر غير مصدره ، فالايمان ما وقر فى القلب وصدقة العمل .

ومع السـمع والطاعة لأمر الله يكون الشعور بالتقصـير والطمع فى رحمة الله العلى القدير ، فيقولون : **غفرانك ربنا واليك المصير)** .

والايمان بالبعث والحشر والجزاء جزء من عقيدة المسلم الذى يؤمن بالله خالقا ورازقا ، خلق الانسان بيده ونفخ فيه من روحه وسخر له الكون كله ورسم له منهج السـلوك والعبادة وشرع له العبادات والمعاملات رحمة به فى الحياة والممات . ثم ان المصير والمرجع الى الله **(وان الى ربك الرجعى) (ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيامة تبعثون)** .

وبذلك يتلاقى البدء والمعاد فى تصـور المؤمن ويمتد ايمانه الى جميع الرسـل ، ثم يمتد اعتقاده بان المصـير الى الله والمـرجع اليه والجـزاء العادل منه . **(فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره)**.

التسامح

قال تعالى : (**فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين**) آل عمران / ١٥٩ .

***

كان صلى الله عليه وسلم سمحا سـهلا مؤالفا محببا حباه الله بالخلق الجميل وميزه بمكارم الأخلاق .

وكان النبى مع اصحابه كاحدهم لا يتميز عليهم ، وفى هذه الاية يذكره الله بنعمته عليه وعلى المسلمين ان جعل قلبه رحيما بهم لينا معهم ولو كان فظا غليظ القلب لنفروا منه وشردوا .. ذلك ليسـتجيش هذه الرحمة الـكامنة فى صـدره ــ عليـه الصـلاة والسـلام ــ فتغلب ما فى نفسـه منهم .. ثم يدعوه أن يعفو عنهم ويستغفرلهم ويشاورهم فى الامر كما كان يشاورهم ، حتى اذا اعتزم بعد المشـاورة لم يتردد ومضى متوكلا على الله لا يتلفت .

(فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من

حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر ، فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين) .

وهكذا يقرر الاسلام مبدأ الشورى فى الحكم حتى ومحمد الرسول هو الذى يتولاه وهو نص جازم قاطع ، لا يترك للامة الاسلامية شكا فى أن الشورى مبدأ أساسى من مبادىء الحكم فى الاسلام .

أما كيف تتم هذه الشورى ، فذلك متروك لمقتضيات الحياة ، واختيار الأمة المسلمة حسبما تراه .

السحر فى القرآن

قال تعالى : **(واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من احد الا باذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ماله فى الآخرة من خلاق ، ولبئس ما شروا به انفسهم لو كانوا يعلمون ، ولو انهم آمنو واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون ، يا أيها الذين آمنوا ، لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب اليم ، ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم) البقرة ١٠٢ ـ ١٠٥ .**

المفردات

(تتلو) أى تقرأ أو تتبع يقال تلاه يتلوه تلاوة أى قرأه ، وتلاه يتلوه تلوا أى تبعه . (ببابل) بابل مملكة قديمة كانت بالعراق . (هاروت وماروت) اسما ملكين هبطا من السماء الى الأرض لتعليم الناس السحر ابتلاء من الله للناس وتمييزا بينه وبين المعجزة ، وهذا بعيد عن العقل وأحسن منه ما قيل من أنه عنى بالملكين رجلين صالحين سماهما ملكين لصلاحهما (فتنة) أى اختبار وابتلاء ، والفتنة أيضا الضلال والاثم والكفر والفضيحة والعذاب والجنون واختلاف الناس فى الآراء وما يقع بينهم من الاضطراب ، فعله فتن يفتن فتنة ، وفتنه الشىء اعجبه ، وأفتن فلانا أوقعه فى الفتنة وفتن فى دينه وافتتن مال عنه ، (بضارين) بمضرين يقال ضاره مضارة وضرارا اضره وآذاه . (خلاق) اى نصيب . (شروا) هنا بمعنى باعوا . فان فعلى شرى وباع يؤدى أحدهما معنى الآخر (لمثوبة) اى لثواب ، والثواب مايرجع الى الانسان من جزاء عمله (راعنا) راقبنا .

معنى الآيات

تحدثت الآيات السابقة عن اليهود فوصفتهم بالغدر ونبذ العهود والمواثيق .

واضافت هذه الآيات الى اليهود انهم نبذوا كتاب الله ليجروا خلف أساطير غامضة لاتستند الى حقيقة ثابتة . لقد تركوا ما أنزل الله من القرآن مصدقا لما معهم ، وراحوا يتتبعون مايقصه الشياطين عن عهد سليمان وما يضللون به الناس دعاوى مكذوبة عن سليمان ، اذ يقولون : انه كان ساحرا، وانه سخر ما سخر عن طريق السحر الذى كان يعمله ويستخدمه .

والقرآن ينفى عن سليمان — عليه السلام — انه كان ساحرا فيقول — وما كفر سليمان — فكأنه يعد السحر واستخدامه كفرا ينفيه عن سليمان — عليه السلام — ويثبته للشياطين : (ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر) .

***

لقد انهمك اليهود فى اتباع ما كان يقرأه الشياطين على عهد ملك سليمان من السحر يعلمونه للناس افسادا لهم واتبعوا أيضا ما أنزل على الرجلين الصالحين ببابل من الامور السحرية مع أنهما كانا اذا علما أحدا حذراه من استخدامه فى الايذاء وقالا له انما هو امتحان للناس فلا تكفر بالله بسببه ، فكان الناس يتعلمون منهما ما يفرقون به بين الزوجين ، وما هم بمؤذين به من أحد الا باذن الله وقد علموا أن من تجرد لهذه الأمور المؤذية ماله فى الآخرة من نصيب .

ولو أن هؤلاء الذين يتعلمون السحر آمنوا وخافوا الله لأثابهم جزاء أعمالهم مثوبة أفضل مما شغلوا أنفسهم به .

***

يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا لرسول‌الله راعنا بل استعيضوا عنها بقولكم انظرنا ، واسمعوا ما يقال سماع قبول ، وللكافرين عذاب أليم ، وقد أبدل الله بقولهم (راعنا) قولهم (انظرنا) لأن اليهود لما سمعوا الصحابة يقولونها للنبى صلى الله عليه وسلم ورأوا أن هذه الكلمة توافق كلمة سب فى العبرية اخذوا يقولونها بتلك النية .

ثم أخبر الله المؤمنين بأن أعداءهم من المشركين والذين كفروا من أهل الكتاب لا يحبون ان يتتابع نزول وحى السماء عليهم حقدا على المسلمين أن يختارهم الله لهذا الخير وينزل عليهم القرآن ويحبوهم بهذه النعمة ويعهد اليهم بأمانة العقيدة فى الأرض وهى الأمانة الكبرى فى الوجود .

والله اعلم بمن يستحق الخير فهو يختص محمدا بالرسالة والمؤمنين به بالهداية لانهم أهل لهذا الاختصاص .

والله ذو الفضل العظيم وهو صاحب المنة والعطاء فهو يصطفى من الملائكه رسلا ومن الناس ، وليس أعظم من النبوة والرسالة ، وليس أعظم من نعمة الايمان والدعوه اليه .

وفى هذا رد على اليهود الذين حقدوا على العرب المسلمين أن يختار الله محمدا من بيبهم فيبين القرآن ان الرسالة فضل من الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

قال تعالى (**أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما ، فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيرا**) النساء /٥٤ ، ٥٥ .

ويقول صاحب الجوهرة :

ولم تكن نبوة مكتسبه ولو رقى فى الخير أعلى عقبه

بل ذاك فضل الله يؤتيه من يشاء جل الله واهب المنن

باب السعادة

قال تعالى : (**ولا تتمنوا مافضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسالوا الله من فضله ان الله كان بكل شيء عليما ، ولكل جعلنا موالى مما ترك الوالدان والأقربون والذين عقدت ايمانكم فآتوهم نصيبهم ان الله كان على كل شيء شهيدا**) . النساء ٣٢ ، ٣٣

شرح المفردات :

الموالى جمع مولى وهو بمعنى الولى ، اى الذى يتولى غيره او يتولاه غيره ، كقوله تعالى : (**الله مولى الذين آمنوا**) ، أى وليهم ، ويقال للعبد هذا مولى فلان ، ويقال لسيده مولى كذلك ، لان كليهما يتولى الآخر . ومعنى قوله تعالى ولكل جعلنا موالى اى لكل انسان جعلنا ورثة يرثونه . (**والذين عقدت ايمانكم**) اى والذين ربطت ايمانكم . والمراد بهم أحلاف الرجال ، فقد كان من عادة العرب ان يتحالف الرجل مع رجل آخر على تبادل النجدة والمعونة فى مهام الحياة ، وكان الحليف يرث سدس مال حليفه وفى هذه الآية حث على ايتاء الحليف حقه من الميراث ، ولكن نسخ هذا بقوله تعالى (**واولو الارحام بعضهم اولى ببعض**) .

التفسير :

(ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض . للرجال نصيب مما اكتسبوا ، وللنساء نصيب مما اكتسبن ، واسألوا الله من فضله ان الله كان بكل شيء عليما) .

وردت روايات كثيرة فى سبب نزول هذه الآية ..

فقد قال الرجال : نرجو ان يكون اجرنا على الضعف من اجر النساء كالميراث . وقالت النساء يكون وزرنا على نصف وزر الرجال كالميراث .

وعن مجاهد قال : قالت أم سلمة : يارسول الله تغزو الرجال ولا نغزو، وانما لنا النصف من الميراث فأنزل الله تعالى : **(ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض)** .

وعن عكرمة ان النساء سالن الجهاد فقلن وددنا ان الله جعل لنا الغزو فنصيب من الأجر ما يصيب الرجال ، فأنزل الله هذه الآية .

والآية توحى بان فريقا من الرجال والنساء تمنى بعضهم نصيب الآخر. والارجح ان يكون النساء هن اللواتى تمنين فضل الرجال عليهن فى الميراث وفى غنائم الحرب .. وليس لهن فيها نصيب ، لانه ليس عليهن جهاد .

ولكن العبرة بعموم النص لا بخصوص السبب ، والنص هنا عام بنهى عن تمنى مافى ايدى الاخرين من فضل ، ويامر بالتوجه الى فضل الله ، تكريما للنفس عن التطلع ، وتنقية للضمير من الحسد ، وتبرئة للقلب من الحقد ، وتوجيها للفرد الى الله الذى لا تغلق خزائنه ولا تنفد .

وليس فى هذا تحذير للفقراء ليتركوا الاغنياء وغناهم ، ويكتفوا بالتطلع الى رزق السماء ، انما المقصود هو صيانة ارواحهم من التهاوى والضعف ، ومن الحسد والحقد امام الثراء والاثرياء .. اما حقوق الفقراء فى اموال الاغنياء فيكفلها لهم التشريع عن طريق آخر ، غير طريق التطلع والتمنى : والتمنى هو التطلع العاجز السلبى ، الذى لايدفع الى جهد ولا محاولة .

واما الرغبة فى الثراء عن طريق العمل ، فهى رغبة حميدة مشروعة ، لانها تدفع الى الانتاج والنماء والصلاح ، وهى ابتغاء فضل الله الذى لايستحقه الا العاملون ، والله هو العليم بمداخل النفوس ومسارب الاحاسيس ، ومسالك الخير فى الحياة **(ان الله كان بكل شيء عليما)** .

واذا كانت المرأة لاترث الا نصف الرجل . فلانها اذا كانت بنتا فهى فى كفالة أبيها ، واذا كانت زوجة فنفقتها ونفقه الأولاد على زوجها . فمن حكمة التشريع ان أعطاها من الميراث على قدر حاجتها واعطى الرجل على قدر تبعاته .

[illegible] واما
[illegible] المؤمنين
[illegible] في
[illegible]

[illegible] **ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم**
[illegible]
[illegible]
[illegible] ان
[illegible]
[illegible]

***

[illegible] مما يكسب وينفق الباقي
[illegible] .. (**للرجال نصيب مما اكتسبوا**
ونصيب مما اكتسبن [illegible] يتمتعون به
[illegible] يتركون ما بقي منه
[illegible]

(**واسألوا الله من فضله**) [illegible] النعم [illegible] تنفده مطالب
[illegible] لا تصرفوا أنظاركم عن التطلع الى ما عند الآخرين .

(**ان الله كان بكل شيء عليما**) . [illegible] العليم بما فيه صلاح عباده ،
[illegible] .

[illegible] (**ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض ولكن ينزل بقدر ما يشاء انه بعباده خبير بصير**) .

[illegible] في تفسير الآية :

.. [illegible] السعادات اما نفسانية نظرية كالذكاء والحدس وحصول [illegible] الاخلاق الفاضلة ، واما بدنية كالصحة والجمال [illegible] وكثرة العشائر والاصدقاء [illegible] ونفاذ القول وكونه محبوبا للخلق حسن الذكر مطاع الامر ، [illegible] عطاء الله تعالى ، وبعضها مما يظن [illegible] كسبية وبالحقيقة كلها عطاء منه تعالى ، فانه لولا ترجيح الدواعي وازالة [illegible] وتوفيق الاسباب فلأى سبب يكون السعي ، [illegible] مشتركا فيه والفوز بالبغية والظفر بالمطلوب غير مشترك فيه . واذا [illegible] كذلك فما الفائدة في الحسد غير الاعتراض على مدبر الامور ، وكافل

[illegible] ١٧٣ .

مصالح الجمهور فعلى كل واحد أن يرضى بما قسم له علما بان ماقسم له هو خير له ، ولو كان خلافه لكان وبالا عليه ، كما قال : **(ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض)** .

وفى الكلمات القدسية : من استسلم لقضائى، وصبر على بلائى، وشكر نعمائى ، كتبته صديقا وبعثته يوم القيامة مع الصديقين ، ومن لم يرض بقضائى ، ولم يصبر على بلائى ، ولم يشكر على نعمائى ، فليخرج من أرضى وسمائى ، وليطلب ربا سواى .

قال المحققون لا يجوز للانسان أن يقول : اللهم أعطنى دارا مثل فلان ، وزوجة مثل زوجة فلان وان كان هذا غبطة لا حسدا ، بل ينبغى ان يقول : اللهم اعطنى ما يكون صلاحا لى فى دينى ودنياى ومعادى ومعاشى .

وعن الحسن لا يتمنى احد المال فلعل هلاكه فى ذلك المال .

***

وقيل فى سبب نزول الآية ، ان وافدة النساء اتت الى النبى صلى الله عليه وسلم وقالت : **رب الرجال والنساء واحد ، وانت الرسول الينا** واليهم ، وأبونا آدم وامنا حواء ، فما السبب فى ان الله يذكر الرجال ولا يذكرنا فنزلت الآية ، فقالت وقد سبقنا الرجال بالجهاد فمالنا ؟

فقال صلى الله عليه وسلم ان للحامل منكن اجر الصائم القائم ، واذا ضربها الطلق لم يدر احد مالها من الاجر ، فان ارضعت كان لها بكل مصة اجر احياء نفس .

(للرجال نصيب مما اكتسبوا ..) اى للرجال نصيب مما اكتسبوا بسبب قيامهم بالنفقة على النساء وللنساء نصيب مما اكتسبن بحفظ فروجهن وطاعة ازواجهن والقيام بمصالح البيت ، فينبغى أن يرضى كل فريق بما قسم له (١) .

(ولكل جعلنا موالى مما ترك الوالدان والاقربون) ، موالى يرثون هؤلاء وهؤلاء ويؤول اليهم منهم ومنهن نصيب ، فلكل من الرجال والنساء حق فى الكسب وحق فى الارث فلا يتمن احد ما فضل الله به بعضهم على بعض .

(والذين عقدت ايمانكم فآتوهم نصيبهم ان الله كان على كل شيء شهيدا) .

قيل ان هذا النص يشير الى ما كان فى الجاهلية : ان يتحالف الرجل مع الرجل على تبادل النجدة على أن يرث الحليف السدس من الميراث .

---

(١) تفسير النيسابورى بهامش تفسير الطبرى ج ٥ ص ٣٨

وقيل : انه يشـــير الى ما كان فى صـــدر الاسلام من المؤاخاة بين المهاجرين والانصـــار والتوارث فيما بنهم .. ودلك قبل ان يقصر الارث على ذوى القربى ..

ومعناه ان هؤلاء الذين قام بينكم وبينهم انعاق قبل قصر الميراث على الاهل ، عليكم ان توفوا لهم بنصيبهم وفاء بتلك الايمان **(ان الله كان على كل شيء شهيدا)** .

الاحسان فى القرآن

قال تعالى فى كتابه الكريم :

(قول معروف ومغفرة خير من صـدقة يتبعها أذى والله غنى حليم ، يا أيهـا الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صـفوان عليه تراب فاصابه وابل فتركه صـلدا لا يقدرون على شيء مما كسـبوا والله لا يهدى القوم الكافرين ، ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم كمثل جنة بربوة اصابها وابل فآتت اكلها ضعفين فان لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير) البقرة ٢٦٣ ـ ٢٦٥ .

قرر القرآن أن المال مال الله وان الـرزق الذى فى أيدى الواجدين هو رزق الله .

فحبة القمح الواحدة قد اشتركت فى ايجادها قوى وطاقات كونية من الشمس الى الأرض الى الماء والهواء ، وكلها ليست فى مقدور الانسان ، وقس على ذلك نقطة الماء وخيط الكســاء وســائر الاشــياء . فاذا أعطى المحسن للفقير شيئا فانما أعطاه من فضل الله فينبغى الا يبطل صدقته بالمن والتطاول على الفقير .

ويقرر القرآن أن الكلمة الطيبة والتسامح والمغفرة خير من صدقة يتبعها أذى وتطاول على الفقير والمسـكين ، **(والله غنى حليم)** غنى عن الصـدقة المؤذية ، حليم يعطى عباده الرزق فلا يشكرون .

ثم يرسم القرآن مشهدا عجيبا ، أو مشهدين عجيبين :

المشـــهد الاول مشهد القلب الجاحد الاصم الذى لا ينبض بقطرة من الرحمة ، فهو لايؤمن بالله واليوم الآخر، وانما ينفق ماله رئاء الناس وتظاهرا وطلبا للفخر والثناء بين الناس ، فهذا القلب أشبه بحجر صلد عليه تراب يغطيه ويحجب صلادته وقسوته وجدبه عن الناس . ثم أمطرت السـماء فتركت هذا الحجر عاريا مكشوفا ، لا ينبت ثمرا ولا يثمر خيرا .

أما المشهد الثانى فهو مشهد قلب المؤمن الذى يتحرك بذكر الله وينفق المال ابتغاء مرضات الله وطمعا فى الثبات على الايمان ، هذا القلب الخير تمثله جنة خصــبة عميقة التربة على ربوة مرتفعة من الأرض نزل عليها المطر من السماء فأحياها وضاعف انتاجها كما تحيى الصدقة قلب المؤمن فيزكو ويزداد صلة بالله ، (**فان لم يصبها وابل**) غزير من المطر (**فطل**) اى رذاذ قليــــل يكفيها وينميها لأن تربتها طيبة .

وكذلك قلب المؤمن يستفيد بالصدقة ، ويستشعر مرضاة الله ويرجو ثوابه بعمله .. انه يعطى لله ، ولا يرجو الا ثواب الله .

(**والله بما تعملون بصير**) انه مطلع ومشاهد لحركات الجسم والنفس .

وفى الحديث الصحيح : سبعة يظلهم الله تعالى فى ظله يوم لا ظل الا ظله من هؤلاء السبعة : « رجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه » .

(٩)

الحلال والحرام

التحليل والتحريم

يقول الله تعالى فى كتابه الكريم : **(هو الذى خلق لكم مافى الأرض جميعا)**
البقرة /٢٩

خلق الله الانسان وسخرله الليل والنهار والشمس والقمر ، والبحار والأنهار وأباح له الانتفاع بخيرات الأرض جميعها آكلا وشربا ولباسا وتداويا وركوبا وزينة ، وغير ذلك مما جعله الله رزقا حلالا لبنى آدم . وصدق سبحانه اذ يقول :

(ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) الاسراء /٧٠

ومن هذا يتضح لنا نص الدليل القطعى على القاعدة المعروفة عند الفقهاء « **أن الأصل فى الأشياء المخلوقة الاباحة** » .

اى ان الله أباح منافع العالم عامة للانسان . قال تعالى :

(وسخر لكم مافى السموات ومافى الأرض جميعا) الجاثية / ١٣

وقال سبحانه : **(وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها)** النحل / ١٤ .

وقال سبحانه : **(ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث)** الأعراف /١٥٧

والطيب من الأطعمة ما تستطيبه الأذواق وتستفيد منه فى التغذية النافعة ، والطيب من الأموال ما أخذ بحق وتراض فى المعاملة . والخبيث

من الأطعمة ما تمجه الطباع السليمة وتستقذره ذوقا كالميتة والدم المسفوح او تصد عنه العقول الراجحة لضرره فى البدن كلحم الخنزير الذى تتولد من أكله الدوده الوحيدة . والخبيث من الاموال ما يؤخذ بغير حق كالربا ، والرشوة والسرقة والخيانة والغصب والسحت قال تعالى (**يا أيها الذين آمنو كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله ، فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم**) البقرة /١٧٢ ، ١٧٣ .

قال الامام محمد عبده فى تفسير المنار : « لايفهم هذه الآية حق فهمها الا من كان عارفا بتاريخ الملل عند ظهور الاسلام وقبله ، فان المشركين واهل الكتاب كانوا فرقا وأصنافا منهم من حرم على نفسه أشياء معينة بأجناسها أو أصنافها كالبحيرة والسائبة عند العرب وكبعض الحيوانات عند غيرهم . وكان البعض يتقرب الى الله تعالى بتعذيب النفس واحتقارها وحرمانها من جميع الطيبات المستلذة ، واحتقار الجسد ولوازمه ، واعتقاد الا حياة للروح الا بذلك وأن الله تعالى لا يرضى منا الا احياء الروح » .

***

وقد تفضل الله تعالى على **الأمة الاسلامية بجعلها أمة وسطا تعطى** الجسد حقه والروح حقها . قال تعالى (**وكذلك جعلناكم امة وسطا** البقرة / ١٤٣ . فأحل الطيبات لتتسع دائرة نعمه الجسدية علينا ، وأمرنا بالشكر عليها ليكون لنا منها فوائد روحانية وعقلية ، فلم يجعل حياة الانسان لخدمة الجسم وحده كالأنعام ، ولا لخدمة الروح وحدها كالملائكة ، وانما جعلنا بشرا نأكل الطعام ونتمتع بالطيبات ونؤدى حق الله . وفى الحديث الشريف : « ان لبدنك عليك حقا ، وان لزوجك عليك حقا ، وان لربك عليك حقا فاعط كل ذى حق حقه » .

أيها المؤمن :

ماحرم الله شيئا الا لضرره فى الجسم أو العقل أو الدين او المال أو العرض والضرر يختلف باختلاف الاشخاص والأوقات والاحوال، وقد يتخلف احيانا اذ يكفى فى التحريم أن يكون ضارا فى الغالب ، فمن عمل عملا من شأنه الضرر فى الجسم فربما ينجو من ضرره بقوة مزاجه اذا هو لم يسرف فيه ، لكنه وشيك الوقوع فى الخطر ، بعيد عن الأمان والاطمئنان .

ومن حكمة الله سبحانه انه اذا حرم أمرا ، أمر بسد الطريق على بواعثه ودواعيه ، فما لايتم الواجب الا به فهو واجب .

لقد حرم الله الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، وأرشد المسلمين الى حرمة الخلوة بالأجنبية . وأمرهم بغض الابصار والبعد عن مواقف التهم ، طلبا للسلامة وابتعادا عن الشبهات .

روى البخارى فى صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «الحلال بين والحرام بين وبينهما امور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرا لدينه وعرضه ، ومن وقع فى الشبهات وقع فىالحرام ، كراع يرعى حول الحمى يوشك ان يقع فيه . الا وان لكل ملك حمى ، الا وان حمى الله محارمه ، الا وان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ، الا وهى القلب » .

الحلال والحرام

أحل الله الحلال وحرم الحرام لحفظ حياة الانسان وعقله وعرضه وماله، وما حرم الله شيئا الا وفيه مضرة حقيقية قد تظهر لبعض الناس ، وقد تغيب عن بعضهم ، ولكن الحقيقة الثابتة ان ماشرعه الله لعباده فيه نفعهم وصلاحهم لأن رب العباد أعلم بما يصلح حال العباد .

حرم الله الميتة ، والمراد بها ماماتت حتف انفه بدون ذبح ، اذ يغلب على الميتة ان تكون ماتت بسبب المرض او الضعف أو غير ذلك من انواع الاضرار ، كما حرم الله الدم المسفوح الذى يسيل ويراق من الحيوان ، وحكمة تحريمه ما فيه من عسر الهضم وشدة الضرر بالجسم . اما الدم المتجمد فى الطبيعة كالطحال والكبد فقد أحله الله ، وفى الحديث : « أحلت لنا ميتتان ودمان . السمك والجراد ، والكبد والطحال » .

وقد حرم الله اكل لحم الخنزير لما يترتب عليه من الضرر بالجسم ، وجل ضرره ناشىء من اكله للقاذورات ، والاسلام طيب يحب الطيبات ويحرم الخبائث ويبالغ فى امر النظافة . كما أن اكل لحم الخنزير يولد الديدان الشريطية كالدودة الوحيدة ، وسبب سريان ذلك اليه أكل العذرة . ومعروف ان لحم الخنزير اعسر اللحوم هضما لكثرة الشحم فى اليافه العضلية ، وقد تحول الأنسجة الدهنية فيه دون عصير المعدة فيعسر الهضم وتتعب معدة آكله ويشعر بثقل فى بطنه واضطراب فى قلبه .

ايها المؤمن :

حرم الله شرب الخمر ، وامر بالابتعاد عنها ، وجعل ذلك سببا فى الفلاح والنجاح وقد بين الله أن للخمر والميسر نفعا ولكن ضررهما أكبر من نفعهما وما كثر ضرره وجب تركه .

ولقد احتوت الخمر على العديد من الاضرار ، فمن أضرار الخمر الصحية افساد المعدة ، وفقد الشهية للطعام ، وتغيير الخلق ، فالسكارى يسرع اليهم التشوه فتجحظ أعينهم وتمتقع سحنتهم ، وتعظم بطونهم ، بل قال أحد الأطباء : ان السكير ابن الأربعين يكون نسيج جسمه كنسيج ابن الستين ويكون كالهرم جسما وعقلا .

اما ضرر الخمر فى العقل فهو مسلم عند الناس ، وليس ضرره فيه خاصا بما يكون من فساد التصور والادراك عند السكر ، بل أن السكر يضعف القوة العاقلة ، وكثيرا ماينتهى بالجنون ، ولأحد أطباء المانيا كلمة اشتهرت كالأمثال هى : « اقفلوا لى نصف الحانات أضمن لكم الاستغناء عن نصف المستشفيات والبيمارستانات والتكايا والسجون » .

ومن اضرار الخمر فى التعامل وقوع النزاع فى الخصام بين السكارى بعضهم مع بعض وبينهم وبين من يعاشرهم ويعاملهم ، تثير ذلك أدنى بادرة فيوغلون فيه حتى يكون عداوة وبغضاء ، وهذه العلة فى التحريم من أكبر العلل فى نظر الدين ولذلك ورد بها النص فى سورة المائدة : **(انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر)** .

ومن أضرار الخمر افشاء السر وهو ضرر يتولد منه مضرات كثيرة ، لاسيما اذا كان السر يتعلق بأمور الدولة ومنها الخسة والمهانة فى أعين الناس، فانالسكران يكون فى هيئته وكلامه وحركاته بحيث يضحك منه ويستخف به كل من يراه حتى الصبيان ، لأنه يكون أقل منهم عقلا وأبعد عن التوازن فى حركاته وأعماله ، والضبط فى أفكاره وأقواله .

وتنقل كتب الأدب عن السكارى من النوادر الغريبة ما يكفى فى ردع الانسان العاقل عن الاقتراب من الخمر .

أما منافع الخمر التى أشار اليها القرآن فاهمها التجارة ، فقد كانت ولا تزال موردا كبيرا للثروة ومادة عظيمة للتجارة ومنهـا انها تثير النخوة وتشجع الجبان ، وقد كان هذا أعظم منافعها عند العرب فى الجاهلية ، وهو من اكبر مضراتها فى أيامنا هذه ، لأن الحمية هى السبب فيما يكون بين السكارى من التنازع والتخاصم والاعتداء ، ولا حاجة اليها فى الحرب الآن بل هى ضارة فيها . لأن الحرب صارت صناعة دقيقة وفنا من العلم لابد فيها من حضور العقل وجودة النظر ، فرب غلطة من قائد تذهب بجيشه وتمكن منه عدوه ، فالضباط مديرون والجنود آلات عاقلة فى أيديهم لا نجاح لها الا بالسمع والطاعة مع الفهم ، والسكر قد يحول دون حسن التدبير من العقلاء وسرعة الامتثال من الجنود .

أيها المؤمن :

كلما تقدم الزمان ، كلما أثبت صدق القرآن الذى حذر من الخمر والميسر ، وبين أن ضررهما أكبر من نفعهما ، وقد وضحنا ذلك فى شأن الخمر، أما الميسر وهو القمار فضرره أظهر وأوضح ، لاسيما فى هذا العصر الذى كثرت فيه أنواع القمار وعم ضررها حتى ان الحكومات الحرة التى تبيح تجارة الخمر تمنع أكثر أنواع القمار وتعاقب عليها .

فمنفعة القمار وهمية ومضراته حقيقية ، فان المقامر يبذل ماله المملوك

له حقيقة على وجه اليقين لاجـل ربح موهـوم ، وقد انتهى الامـر بكثير من المقامرين الى قتل أنفسهم غما ، أو الرضى بعيشة الذل والمهانة .

قال الامام محمد عبده : انني اعرف رجلا كانت ثروته لا تقل عن ثلاثة ملايين جنيه ، فما زال شيطان القمـار يغريه باللعب حتى فقد ثـروته كلها وعاش بقية حياته فقيرا معدما .

وصدق الله العظيم : (**يسالونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما أكبر من نفعهما**) .

التدرج فى التشريع

يقول الله تعالى فى كتابه الكريم .

(يسالونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما اكبر من نفعهما ، ويسالونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون) .

حرم الله شرب الخمر تحريما تدريجيا ، فبين أن ضررها أكثر من نفعها ثم نهى عن شرب الخمر فى أوقات الصلاة ، ثم حـرمها تحريما قـاطعا ، وبين سبحانه أن الخمر والميسر رجس من عمل الشيطان يجب الابتعاد عنه .

وقد كان الحق سبحانه يأخذ بيد الجماعة الاسلامية الناشـئة خطوة خطوة فى الطريق الذى أراده لها ويصنعها على عينه للدور الذى قدره لها ، وهذا الدور العظيم لا تتلاءم معه تلك المضيعة فى الخمر والميسر ، ولا تناسبه بعثرة العمر ، وبعثرة الوعى ، وبعثرة الجهـد فى عبث الفـارغين ، الذين لا تشغلهم الا لذائذ انفسهم ، أو الذين يطاردهم الفراغ والخواء ، فيغرقونه فى السكر بالخمر والانشغال بالميسر ، أو الذين تطاردهم أنفسـهم فيهربون منها فى الخمار والقمار ، كما يفعل كل من يعيش فى الجاهلية والرذيلة ، الا ان الاسلام على منهجه فى تربية النفس البشرية كان يسير على هنيهة وفى يسر وتؤدة ، وهذا النص الذى بين ايدينا كان أول خطوة من خطوات التحريم ، فالأشياء والأعمال قد لا تكون شرا خالصا . فالخير يتلبس بالشر ، والشر يتلبس بالخير فى هذه الأرض ، ولكن مدار الحل والحرمة هو غلبة الخير أو غلبة الشر . فاذا كان الاثم فى الخمر والميسر أكبر من النفع فتلك علة تحريم ومنع ، وان لم يصرح هنا بالتحريم والمنع .

هنا يبدو لنا طرف من منهج التربية الاسلامى القرآنى الربانى الحكيم، وهو المنهج الذى يمكن استقراؤه فى الكثير من شرائعه وفرائضه وتوجيهاته ، ونحن نشير الى قاعدة من قواعد هذا المنهج بمناسـبة الحـديث عن الخمر والميسر .

عندما يتعلق الأمر او النهى بقاعدة من قواعد التصور الايمانى أى بمسألة اعتقادية فان الاسلام يقضى فيها قضاء حاسما منذ اللحظة الاولى .

ولكن عندما ما يتعلق الأمر أو النهى بعادة وتقليد أو بوضع اجتماعى معقد ، فان الاسلام يتريث به ويأخذ المسألة باليسر والرفق والتدرج ، ويهيىء الظروف الواقعية التى تيسر التنفيذ والطاعة فعندما كانت المسألة مسألة التوحيد أو الشرك : امضى أمره منذ اللحظة الاولى ، فى ضربة حازمة جازمة لا تردد فيها ولا تفلت ، ولا مجاملة فيها ولا مساومة ، ولا لقاء فى منتصف الطريق ، لأن المسألة هنا مسألة قاعدة اساسية للتصور لايصلح بدونها ايمان ولا يقام اسلام .

فأما فى الخمر والميسر فقد كان الامر امر عادة والف ، والعادة تحتاج الى علاج ، فبدأ بتحريك الوجدان الدينى ، والمنطق التشريعى فى نفوس المسلمين ، بأن الاثم فى الخمر والميسر أكبر من النفع ، وفى هذا ايحاء بأن تركهما هو الأولى ، ثم جاءت الخطوة الثانية بآية سورة النساء : **(يا ايها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ماتقولون)** . والصلاة فى خمسة أوقات معظمها متقارب ، لا يكفى ما بينها للسكر والافاقة ، وفى هذا تضييق لفرص المزاولة العملية لعادة الشرب ، وكسر لعادة الادمان التى تتعلق بمواعيد التعاطى ، اذ المعروف أن المدمن يشعر بالحاجة الى ما أدمن عليه من مسكر أو مخدر فى الموعد الذى اعتاد تناوله فاذا تجاوز هذا الوقت وتكرر هذا التجاوز فترت حدة العادة وأمكن التغلب عليها .. حتى اذا تمت هاتان الخطوتان جاء النهى الحازم الأخير بتحريم الخمر والميسر : **(انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون. انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون)** .

تحريم الخمر والميسر

بسم الله الرحمن الرحيم

(يا ايها الناس قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم) .

أيها المؤمنون :

أرسل الله محمدا صلى الله عليه وسلم هاديا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا .

أرسله ربه على حين فترة من الرسل ، فى وقت خفت فيه صوت الحق

وانمحت معالمه ، فقد كان أهل الجاهلية يئدون البنات وينهكون الحرمات ويقيمون الحروب لأتفه الاسباب ، ويعتدى القوى على الضعيف ، ويعيش بعضهم على السلب والغارة . فلما جاء الاسلام دعاهم الى الايمان الذى نقى قلوبهم وطهر افئدتهم وسما بأرواحهم الى معالم الخير والحق .

وكان القرآن ينزل فيهذب النفوس ويحث على الفضائل ويدعو الى مكارم الأخلاق ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث .

ومما حرمه القرآن شرب الخمر لما لها من اثر فى فساد العقل وانتشار الاثم والشر ، قال تعالى : **(يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون)** الآيتان ٩٠ ، ٩١ من سورة المائدة .

فقد وصفت الآية الخمر والقمار وعبادة الاصنام بأنها رجس اى ذنب كبير ووصفتها بانها من عمل الشيطان ، وهو كناية فى اللسان العربى وفى الاسلوب القرآنى عن غاية القبح ونهاية الشر ثم امرت الآية باجتناب هذه الاشياء الضارة ، فقال سبحانه (**فاجتنبوه**) ، ومعناه أن تكون الخمر فى جانب والمؤمن فى جانب منها بحيث لا يقربها ، فضلا عن أن يتصل بها فضلا عن أن يتناولها .

ثم سجلت الآية أن الخمر تصرف المؤمن عن الصلاة ، وتصده عن ذكر الله وعن تذكر جماله وجلاله .

واخيرا تختم الآية هذه الجهات كلها بهذا الاستفهام التقريعى الدال على غاية التهديد : (**فهل انتم منتهون**) . ؟

تلك اساليب التحريم التى تضمنتها آية الخمر وانه لفى الواحد منها مايملأ قلب المؤمن بربه رهبة من غضبه اذا ماحدثته نفسه أن يقترب من الخمر .

وقد جاءت الاحاديث الصحيحة عن رسول الله (ص) بروايات متعددة وأسانيد مختلفة تثبت حرمة الخمر وضررها فقال (ص) : « كل مسكر خمر وكل خمر حرام » . وقال (ص) : « لعن الله الخمر ، شاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه » .

والأحاديث فى تحريم الخمر اكثر من أن نحصى حتى قال العلماء ، ثبت عن النبى (ص) تحريم الخمر بأخبار تبلغ بمجموعها رتبة التواتر ، واجمعت الأمة من لدن الرسول صلى الله عليه وسلم الى يومنا هذا على تحريمها ، وبذلك استقرت الحرمة حكما للخمر فى الاسلام وصارت حرمتها من المعلوم

من الدين بالضروره ، ومن لوازم ذلك أن من استحلها ، وأنكر حرمتها، يكون خارجا عن الاسلام . وأن من يتناولها طائعا مختارا تكون فاسقا عن أمر الله خارجا على حدوده عاصيا لأحكامه .

***

أيها المؤمن :

هذه هى أحكام الاسلام فى الخمر : حرمة تناولها ، حرمة الانتفاع بذاتها ، حرمة اهدائها ، حرمة بيعها والانتفاع بثمنها ، اهدار قيمتها ، وجوب العقوبة عليها قد بيناها كما أمر الله سبحانه ، حتى يعرف المؤمن ضرر الخمر فيبتعد عنها ويسلك طريق النجاة باتباع ما أمر الله ، وبالتزام طريق التوبة والانابة والاستقامة . **(ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم)** .

أيها المؤمن :

قرن الله الخمر بالميسر وبين أن اثمهما كبير ، والميسر هو القمار ، واشتقاقه من اليسر بمعنى السهولة لأنه كسب بلا مشقة ولا كد ، وقد جاء فيه ما جاء فى الخمر من كونه يورث العداوة والبغضاء ويصد عن ذكر الله وعن الصلاة . وهذا ظاهر واضح . ثم انه طريق لأكل أموال الناس بالباطل أى بغير عوض حقيقى من عين أو منفعة . وهذا محرم بنص القرآن ، قال تعالى : **(يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل)** .

ومن مضرات الميسر افساد التربية بتعويد النفس على الكسل وانتظار الرزق من الطرق الوهمية ، واضعاف القوة العقلية بترك الاعمال المفيدة فى طرق الكسب الطبيعية ، واهمال المقامرين للزراعة والصناعة والتجارة التى هى أركان العمران .

ومن أشهر مضرات القمار تخريب البيوت فجاة بالانتقال من الغنى الى الفقر فى ساعة واحدة ، فكم من عشيرة كبيرة نشأت فى الغنى والعز وانحصرت ثروتها فى رجل أضاعها عليها فى ليلة واحدة فأصبحت غنية وأمست فقيرة لاقدرة لها على أن تعيش على ماتعودت عليه من السعة .

ويشترك الميسر مع الخمر فى أن متعاطيهما قلما يقدر على تركهما والسلامة من اثرهما ، فللخمر تأثير فى الاعصاب يدعو صاحبه الى العودة اليها ، واما الميسر فان صاحبه كلما ربح طمع فى تعويض الخسارة ، ويضعف الادراك حتى تعز مقاومة هذا الطمع الوهمى وهذا شر ما فى هاتين الجريمتين .

أيها المؤمن :

ذاك هو هدى القرآن ، فى حفظ العقول والأموال والأعراض ، ومن يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل الله فما له من هاد .

حكمة التشريع الاسلامى
فى القصاص (١)

جعلت الشريعة القصاص عقوبة للقتل العمد ، والجرح العمد ، ومعنى القصاص ان يعاقب المجرم بمثل فعله فيقتل كما قتل ويجرح كما جرح .

ومصدر عقوبة القصاص هو القرآن والسنه ، فالله عز وجل يقول **(يايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى ....)** الى آخر الآيتين ١٧٨ ، ١٧٩ من سورة البقرة .

ويقول جل شانه : **(وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون)** المائدة ٤٥ .

وفى السنة (من قتل له قتيل فاهله بين خيرتين ان احبوا فالقود وأن احبوا فالقتل) اى الدية .

وفى السنة (من اعتبط مؤمنا بقتل فهو قود بـه الا ان يرضى ولى المقتول) .

وليس فى العالم كله قديمه وحديثه عقوبة تفضل عقوبة القصاص فهى اعدل العقوبات اذ لايجازى المجرم الا بمثل فعله وهى افضل العقوبات للأمن والنظام ، لأن المجرم حينما يعلم انه سيجازى بمثل فعله لايرتكب الجريمة غالبا .

والذى يدفع المجرم بصفة عامة للقتل والجرح هو تنازع البقاء وحب التغلب والاستعلاء ، فاذا علم المجرم انه لن يبقى بعد فريسته ابقى على نفسه بابقائه على فريسته واذا علم انه اذا تغلب على المجنى عليه اليوم فهو متغلب عليه غدا لم يتطلع الى التغلب عليه عن طريق الجريمة ، وامامنا على ذلك الأمثلة العملية نراها كل يوم ، فالرجل العصبى المزاج السريع الى الشر تراه اهدا ما يكون وأبعد عن الشر وطلب الشجار واذا رأى خصمه اقوى منه او قدر انه سيرد على الاعتداء بمثله .

والرجل المسلح قد لا يثنيه شيء عن الاعتداء ولكنه يتراجع ويتردد اذا راى خصمه مسلحا مثله ويستطيع أن يرد على الاعتداء بالاعتداء والمصارع والملاكم لا يتحدى شخصا يعلم انه اكثر منه قوة او مرانا او جلدا ولكنه يتحدى بسهولة من يظنه اقل منه قوة واضعف جلدا .

---

(١) مقتبس من كتب التشريع الاسلامى ، والتفسير ، وخاصة تفسير المنار ١٣٥/٢ ـ ١٤٧ ، والتشريع الجنائى الاسلامى مقارنا بالقانون الوضعى ٦٦٣/١ ط ٢ .

تلك هي طبيعة البشر وضعت الشريعة على أساسها عقوبة القصاص فكل دافع نفسي يدعو الى الجريمة يواجه من عقوبة القصاص دافعا نفسيا مضادا يصرف عن الجريمة ، وذلك ما يتفق تمام الاتفاق مع علم النفس الحديث .

***

وللمجنى عليه ولوليه حق العفو عن عقوبة القصاص فاذا عفا سقطت العقوبة والعفو قد يكون مجانا وقد يكون مقابل الدية ولكن سقوط عقوبة القصاص بالعفو لا يمنع ولى الأمر من أن يعاقب المجرم بعقوبة تعزيرية مناسبة .

ولقد كانت الشريعة عملية ومنطقية فى منح حق العفو للمجنى عليه أو وليه لأن العقوبة فرضت أصلا لمحاربة الجريمة ولكنها لا تمنع وقوع الجريمة فى اغلب الأحوال :

أما العفو فيؤدى الى منع الجريمة فى اغلب الأحوال لأنه لا يكون الا بعد الصلح والتراضى وصفاء النفوس وخلوها من كل ما يدعو الى الجريمة والآجرام .

فالعفو هنا يؤدى وظيفة العقوبة وينتهى الى نهاية تعجز العقوبة عن الوصول اليها . وفى تفسير المنار :

« وقد تقع فى كل بلاد صور من جرائم القتل يكون فيها الحكم بقتل القاتل ضارا وتركه لا مفسدة فيه كأن يقتل الانسان اخاه أو احد اقاربه لعارض دفعه الى تلك ويكون هذا القاتل هو العائل لذلك البيت واذا قتل يفقدون بقتله المعين والظهير بل قد تكون فى قتل القاتل احيانا مفاسد ومضار وان كان اجنبيا من المقتول ويكون الخير لأولياء المقتول عدم قتله لدفع المفسدة أو لأن الدية انفع لهم ، فامثال هذه الصور توجب الا يكون الحكم بقتل القاتل حتما لازما فى كل حال بل يكون هو الأصل ويكون تركه جائزا برضاء أولياء المقتول وعفوهم فاذا ارتقت عاطفة الرحمة فى شعب أو قبيل أو بلد الى أن صار أولياء القاتل منهم يستنكرون القتل ويرون العفو افضل وانفع فذلك اليهم .

والشريعة لا تمنعهم منه بل ترغبهم فيه وهذا الاصلاح الكامل فى القصاص هو ما جاء به القرآن .

وما كان ليرتقى اليه بنفسه علم الانسان (١) .

---

(١) تفسير المنار ١٣٧/٢ ، ١٣٨ .

« الرضاع المحرم للزواج »

سألنى كثير من الناس عن حكم الشريعة فى حالات تتصل بالرضاع فمنهم من يسأل عن زواج فتى بفتاة رضع على أختها التى تكبر عنها ولم يرضع عليها نفسها ويظن ان الرضاع المحرم هو رضاع الفتى على الفتاة التى يريد التزوج بها خاصة .

والله تعالى يقول فى كتابه الكريم :

(حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وامهاتكم اللاتى ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة) .

فهذه الآية من سورة النساء وهى السورة التى تناولت تنظيم المجتمع الاسلامى فبدأت بالأسرة وهى الخلية الأولى فى المجتمع وأوصت باليتيم ثم تحدثت عن اقدس رابطة بين اثنين وهى الزواج وبينت المحرمات من النساء بسبب القرابة وهن سبعة أصناف .

الأم والبنت والأخت والعمة والخالة وبنت الأخ وبنت الأخت ثم ذكرت الآية المحرمات من الرضاع فقالت **(وامهاتكم اللاتى ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة)** فأجملت المحرمات من الرضاع فى صنفين (الأمهات والأخوات) ثم جاء الحديث الصحيح المشهور وهو قوله صلى الله عليه وسلم (يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب) فبين ان الصنفين اللذين ذكرا فى التحريم بالرضاع يتناولان الأصناف السبعة التى ذكرت فى التحريم بالنسب .

ومعنى هذا انه يحرم بالنسب سبعة أصناف أيضا هى الأمهات من الرضاعة والأخوات والعمات والخالات وبنات الأخ وبنات الأخت من الرضاعة .

***

وجدير بنا فى هذا المقام ان نجمل مذاهب العلماء فى مقدار الرضاع الذى يحرم الزواج بين الرضيعين وقد كثرت المذاهب فى هذه المسألة تبعا لاختلاف النظر فى الآية مع الأحاديث التى وردت فى قدر الرضاع .

***

فمن الائمة من رأى ان قليل الرضاع وكثيره سواء فى التحريم ولو كان الرضاع قطرة واحدة تصل الى الجوف فانه يثبت بها التحريم .

ومنهم من رأى ان المحرم خمس رضعات فأكثر .

ومنهم من رأى ان المحرم سبع رضعات وهكذا الى خمس عشرة رضعة .

ومنشأ هذا الخلاف هو كثرة الاحاديث الواردة فى هذا الشأن وتحكيم كل فريق فى الرضاع ما صح عنده من الاحاديث .

واذا لجأنا الى القرآن الكريم نجد ان معنى الأمومة من الرضاعة لايتحقق بالقطرة ولا بالقطرات فالله عز وجل يقول **(وامهاتكم اللاتى ارضعنكم)** ولا شك ان عنوان (الامهات) يعطى ان مدة الرضاعة امتدت وقتا شعرت فيه المرضعة بمعنى الامومة للرضيع ولا شك ان هذا الوقت الذى يتحقق به معنى العطف والحنو والشوق من المرضعة للرضيع لا يكون من رضعة ولا من ثلاث رضعات بل اقل مايتحقق به معنى الرضاع وما يثبت به أمومة المرضعة هو خمس رضعات مشبعات فيها يتحقق انبات اللحم وانشاز العظم كما ورد فى الحديث الشريف (الرضاع ما أنبت اللحم وانشز العظم) .

وهذه ناحية اعرضها للبحث الذى يستعان فيه برأى الأطباء الواقفين على المقدار ــ الذى ينبت فيه اللحم وينشز العظم ونرجو أن يصل العلماء الى ما يرفع اختلاف المعنيين فى هذه المسألة فكثيرا ما تحدث عقد نفسية بين الزوجين حينما يخبران بأن فلانة أرضعتهما .

***

واذا كان جمهور العلماء اليوم يتوسطون بين الآراء ويختارون منها ان المقدار المحرم (خمس رضعات فأكثر) .

فان كثيرا من المفتين الذين يسألون يزعجون الأسر الهادئة بأن قليل الرضاع وكثيره سواء فى التحريم وكان الأولى اختيار الأوفق والأيسر والأبعد عما يثير فى نفوس الأسر الزعزعة والاضطراب .

***

واذا رجحنا ان المقدار المحرم هو خمس رضعات فأكثر فيجب أن نعلم ان التحريم يثبت بين الرضيعين من المرضعة الواحدة سواء اتحد زمن رضاعتهما منها ام اختلف ومن المعروف ان كل اثنين اجتمعا على ثدى واحد لم يجز لهما ان يتزاوجا .

فالثدى يحرم من رضع منه من قبل ومن بعد .

***

(تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ، ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين) . النساء ١٣ ، ١٤

واليك تحديد للمبادىء العامة فى الرضاع

١ ــ لا يحرم من الرضاع الا خمس رضعات فأكثر .

٢ ــ اذا اجتمع اثنان على ثدى واحد بخمس رضعات فأكثر فى مدة الرضاع وهى حولان كاملان حرم التزاوج بينهما .

٣ ــ لا تتوقف حرمة الزواج بالرضـــاع على اختلاف الزمن ولا على اختلاف زوج المرضعة .

٤ ــ يجوز للانسان ان يتزوج اخت اخيه من الرضاع وللفتاة أن تتزوج اخا اخيها من الرضاع ــ لأنهما لم يجتمعا على ثدى واحد ولم يتدرجا تحت الاصناف السبع المحرمات بالرضاع .

(١٠)

سؤال وجواب

السؤال والجواب

هذه اسئلة متنوعة بعضها قدم لى من القاهرة ، واكثرها قدم لاذاعة البرامج الأجنبية ويظهر فيه اثر البساطة والسؤال عن أمور بديهية أو أمور لا يتعلق بمعرفتها كبير فائدة .

وقد اجبت على هذه الأسئلة فى حينها وتركت اثرا حسنا فى نفوس السائلين وقوبلت بالقبول والاستحسان والتأثر .

ورجوت فى اثباتها هنا ان يكون فيها بعض الفائدة وأن تكون نموذجا عمليا للسؤال والجواب .

وقد ورد السؤال والجواب فى القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة .

قال تعالى (**يسالونك عن الخمر والميسر ...**)

(**يسالونك عن الأهلة ...**)

(**يسالونك عن الشهر الحرام ...**)

(**يسالونك عن الأنفال ...**)

وفى صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه ذات يوم اسألونى فتهيبوا أن يسألوه

فدخل رجل شديد بياض الثياب شديد سواء الشعر ليس عليه سحناء السفر ولا يعرفه احد من الجالسين .

فسأل الرجل النبى صلى الله عليه وسلم عن الاسلام ثم عن الايمان ثم عن الاحسان ثم عن الساعة . واجابه الرسول صلى الله عليه وسلم .

ثم انصرف الرجل فقال صلى الله عليه وسلم ردوا السائل فذهبوا وراءه فلم يجدوا شيئا .

فقال صلى الله عليه وسلم هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم .

والتعليم عن طريق السؤال والجواب فيه رياضة للنفس ، وتنويع في طريق المعرفة ، وتبسيط لبعض امور الدين ، واجابة لبعض ما خفي منها ، وفي بعض ما ترى سذاجة تمثل الفطرة البشرية وهو عرض لبعض تصورات الانسان . وقد كان عمر رضي الله عنه يستشير النساء والأطفال لأن ذهنهم حاضر وفكرهم غير مشغول فربما قدموا مشورة حسنة أو فكرة جيدة .

سؤال : هل تبطل صلاة المصلي اذا تجشأ في صلاته ؟

الجواب :

التجشي لا يبطل الصلاة ولكن تركه من الآداب التي ينبغي مراعاتها . فاذا كان الانسان مضطرا وغلبه التجشي فيرفع بصره للسماء حتى لا يؤذي المصلين بجواره . قال الفقهاء « ويكره رفع البصر الى السماء الا في حال التجشي اذا كان يصلي مع الجماعة فيرفع وجهه حتى لا يؤذيهم برائحته ولا كراهة في رفع الوجه الى السماء في حال التجشي » .

ومبطلات الصلاة عند الشافعية ما يأتي :

الكلام بكلام اجنبي عن الصلاة ، والعمل الكثير الذي ليس من جنس الصلاة وهو ما يخيل للناظر اليه ان فاعله ليس في الصلاة . ومنها التحول عن القبلة ، ومنها الاكل والشرب وكل ما وصل جوف المصلي فانه يبطل الصلاة .

ومن مبطلات الصلاة طروء ناقض الوضوء أوالغسل أوالتيمم أوالمسح على الخفين ومنها البكاء والانين ، ومنها انكشاف العورة في الصلاة مع القدرة على سترها . واتصال نجاسة غير معفو عنها ببدنه أو بملابسه ، وسبق المأموم امامه بركنين فعليين أو تأخره عنه بهما . ويشترط أن يكون كل منهما من غير عذر .

وتبطل الصلاة بترك ركن من اركانها عمدا ، وبانقضاء مدة المسح على الخف اثناء الصلاة .

سؤال :

امراة نزل عليها الحيض ثم انقطع بعد ٢٤ ساعة ، فهل تجب عليها الصلاة حينئذ أم لا ؟ . وهل تعتبر في حالة الحيض ؟

الجواب :

ذهب الشافعية الى أن اقل مـدة الحيض يوم وليله بشرط ان يكون الدم نازلا على الاتصال المعتاد فى المحيض بحيث لو وضعت قطنة لتلوثت .

فهذه المرأة تعتبر فى حالة حيض لمدة ٢٤ ساعة ولا تجب عليها الصلاة فى هذه الفترة .

وذهب الحنفية الى أن أقل مدة الحيض ثلاثة ايام واوسـطه خمسـة واكثره عشرة . ويعتبر الدم الذى ينزل أقل من ثلاثة ايام دم استحاضة . والاستحاضة هى سيلان الدم فى غير وقت الحيض والنفاس . فكل مازاد على أكثر مدة الحيض أو النفاس أو نقص عن أقله فهو استحاضة . ولا تمنع الاستحاضـة شـيئا مما يمنعه الحيض والنفـاس من قراءة القرآن ومس مصحف ودخول مسجد واعتكاف وطواف وغير ذلك . وتتوضـأ المستحاضة لوقت كل صلاة .

ومما تقدم نرى أن هذه المرأة لا تعتبر فى حالة حيض عند الحنفية بل هى مستحاضة من اصحاب الأعذار فتجب عليها الصلاة وتقوم بكل شئونها كأنها طاهرة .

أما الشافعية والمالكية والحنابلة فيرون أن هـذه المراه فى حاله حيض ولا تجب عليها الصلاة فترة الأربع وعشرين ساعة التى نزل فيها الدم .

ومن أحكام الحيض والنفاس مايأتى :

يحرم على الحائض والنفساء مس كتابة المصحف ودخول المسجد ولا يقبل منهما الصوم والصلاة ايام الحيض والنفاس .

وتقضى الحائض والنفساء الصوم ولا تقضيان الصـلاة ويحرم جماع الحائض والنفساء لقوله تعالى (**ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء فى المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن**) .

ويباح للرجل ان يستمتع من زوجته الحائض بما شاء ماعدا الجماع . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شأن الحائض : « اصنعوا كل شيء الا النكاح » .

سؤال :

ما حكم زواج رجل من امراة حامل من زنا ؟ وهل يعاد عقد الزواج بعد الوضع ؟

الجواب :

حرم الله الزنا ونهى عنه وتوعد فاعله بالعذاب والنكال. فقال سبحانه : (**ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا**) .

والزنا يهدم كيان الأمة ويضعف شأن الاسرة ويشيع الامراض والفساد بين الناس .

اما حكم زواج المراة المزنى بها ، فاذا كان راغب الزواج هو الزانى فله ان يتزوجها ويدخل بها ولو ظهر بها الحبل عند ابى حنيفة والشافعى لعدم الدليل على تحريم هذا الزواج ، ولأن ماء الزنا لا حرمة له .

ورأى مالك رضي الله عنه انه ليس له أن يتزوجها حتى يستبرئها من مائه الفاسد لأن النكاح له حرمة ، ومن حرمته الا يصب ماؤه على ماء السفاح فيختلط الحلال بالحرام ، ويمتزج ماء المهانة بماء العزة .

واما غير الزانى بها ـ فقبل ظهور الحمل له أن يتزوجها ويدخل بها عند ابى حنيفة ، وقال محمد بن الحسن الشيبانى لا احب له أن يطأها مالم يستبرئها بحيضة لاحتمال أن تكون قد حملت من الزانى .

وبعد ظهور الحمل ، له ان يعقد عليها عند ابى حنيفة ومحمد والشافعى لعدم ذكرها فى المحرمات ، ودخولها بهذا فى قوله تعالى (واحل لكم ماوراء ذلكم) ولأن الزانى ليست له حرمة توجب المحافظة على ثمرة جرمه ، غير ان الزوج يجب عليه الامتناع عن قربانها حتى تضع حملها لما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال (لا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسقى ماءه زرع غيره) .

وذهب مالك واحمد وابو يوسف وزفر الى انه لا يصح العقد عليها لا احتراما للزانى ، بل احتراما للحمل الذى لم يرتكب جريمة يستحق العقوبة عليها ، ولهذا لا يجوز اسقاطه باتفاق .

***

ومما تقدم يمكن ان نقول :

ان زواج الرجل من امراة حامل من زنا زواج صحيح جائز ، ويعاد عقد الزواج بعد الوضع خروجا من خلاف الفقهاء واحتياطا للتأكد من صحة الزواج .

السؤال :

هل يجوز الشاب المسلم أن يترك شعره بدون تقصير ؟

الجواب :

خلق الله الانسان فى احسن تقويم وامر الاسلام بالنظافة وحث المسلم على أن يكون حسن المظهر حسن المخبر . قال صلى الله عليه وسلم : (تنظفوا وتزينوا حتى تكونوا كالشامة البيضاء بين الامم) .

ان الله خالق الكون وجعله آية فى الابداع وحسن التنظيم . وفى الحديث الشريف : (ان الله جميـل يحب الجمال نظيف يحب النظـافة طيب يحب الطيبين) .

كما امر الاسلام ان يكرم الرجل شعره ويغسله ويرجله . قال صلى الله عليه وسلم (اذا كان لاحدكم شعر فليكرمه) .

ودخل على النبى صلى الله عليه وسلم رجل طويل الشعر ثائر الرأس « غير منظم ولا مرجل » فقال صلى الله عليه وسلم : (يدخل أحدكم علينا ثائر الرأس كأنه شيطان اما كان فى بيتك متشط) .

فنظافة الشـعر وترجيله والعنـاية به أمر حسن وهـو من النظافة المطلوبة من المؤمن ، والنظافة من الايمان .

ومن ناحية اخرى ورد فى الحديث : (**لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال**) .

ونحن نعلم ان اصـابع اليهود وراء بعض الموضات . فالرجل الذى يطيل شعره طولا غير مناسب ويتشبه بالاناث فى طريقة تسريحته وقصه يخرج بذلك عن آداب الاسـلام . ويجب أن نعلم أن الأمر متروك فى ذلك الى ضمير المسلم وحسن اختياره ، فاطالة الشعر فى حد ذاتها لا بأس بها .

ولكن اذا أصبح تطويل الشـعر زيادة عن المعهود تشـبها بالاناث وتقليدا لليهود أو غيرهم فانه مستهجن من هذه الناحية . ونسـتطيع أن نلخص ما سبق فيما يأتى :

١ ـ الدين يحث على النظافة وعلى حسن المظهر .

٢ ـ الدين يامر باكرام الشعر وتنظيفه وترجيله حتى يظهر المسـلم أنيقا جميلا حسن الهيئة .

٣ ـ الدين ينهى عن تشـبه الرجال بالنساء ولذلك يجب أن يظل طول الشعر محدودا وان يكون مظهر الرجل مشـعرا بانه رجل . ويقول الشاعر الحكيم :

فتشبهوا ان لم تكونوا مثلهم ان التشـبه بالرجال فـلاح

السؤال :

هل يجوز للمسلم ان يستحم فى مكان غير مسـتور ، كأن يستحم فى النهر مثلا ؟

الجواب :

حدد الاسلام عورة الرجل وعورة المراة .

فعورة الرجل من السرة الى الركبة ، وعورة المراة جميع بدنها ماعدا وجهها وكفيها وقدميها .

وقد حث الاسلام على تعلم السباحة والرماية والرياضة . فاذا لبس المسلم ازارا يستر عورته فانه يجوز له ان يستحم فى النهر بشرط الا يكون فاتنا ولا مفتونا وان يضمن أنه لن يثير فتنة وان المكان ليس فيه نساء يتطلعن اليه .

وقد ذكر الفقهاء أن الرجل اذا كشف جسمه فلا يباح للمراة ان تنظر اليه والمراة اذا كشفت عن بعض عوراتها فلا يباح للرجل أن ينظر اليها .

ويجب أن نفرق بين حالتين :

فى الريف مثلا يستحم بعض الرجال فى النهر بدون أن يراهم احد وبدون اثارة فتنة . ولكن على شاطىء الكورنيش وشاطىء البحر الابيض المتوسط يجتمع جموع من الرجال والنساء ويلبس الناس ملابس قصيرة لا تستر الا العورة المغلظة . وينظر الرجال الى النساء وتنظر النساء الى الرجال . وهذه وسائل الشيطان لأن الله كرم الانسان وميزه بأن يلبس ملابس تستر عورته وتوارى سوءته قال تعالى : ((**يابنى آدم قد انزلنا عليكم لباسا يوارى سوءاتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون**)) .

والخلاصة أنه يباح للمسلم أن يستحم فى النهر اذا كان يلبس ازارا يستر عورته . واذا اطمأن الى عدم وجود نساء ينظرن اليه .

أما المصايف التى ينظر فيها الرجال الى النساء والنساء الى الرجال فهى وسيلة الشيطان الى الفتنة وينبغى للمسلم أن يبتعد عن أماكن التجمع، وأن يستحم فى مكان منعزل حتى ينال رضا الله سبحانه وتعالى . والله الموفق والهادى الى الطريق القويم .

السؤال :

هل يجوز قبول طالب كافر فى مدرسة اسلامية ؟

الجواب :

نعم يجوز قبول طالب كافر فى مدرسة اسلامية ، فقد جاء الاسلام دعوة عامة للناس جميعا يحمل الخير والبركة والمودة والرحمة للجميع ،

وأمرنا الاسلام ان نحسن جوار الآخرين وان نعلم من أراد ان يتعلم . قال تعالى (**وان أحد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بانهم قوم لا يفقهون**) سورة التوبه الآية ٦ .

ومعنى هذه الآية ان المشرك اذا طلب ان يقيم فى جوار الرسول صلى الله عليه وسلم فليقبل النبى جواره حتى يسمع القرآن ويعرف أحكام الاسلام . ويتعلم شئون الدين . وعلى المسلمين أن يحافظوا على هذا المشرك وأن يحرسوه فى طريق عودته الى قومه حتى يصل الى مكان الأمان ، لأن المشركين لا يفهمون الاسلام فهم فى حاجة الى من يفقههم ويعلمهم لعلهم يهتدون .

وينبغى ان نعلم ان بعض الكفار يريد أن يندس فى صفوف المسلمين ليتجسس عليهم وليبلغ أخبارهم لأعدائهم فمثل هذا يعامل بحذر واحتياط

وتفيد الآية السابقة أن المشرك يبقى فى جوار المسلمين حتى يتعلم ثم يعود الى أهله ولا يبقى طويلا بينهم حتى لا ينقل اسرارهم .

والخلاصة انه يجوز قبول طالب كافر فى مدرسة اسلامية بشرط أن نضمن ونتأكد أنه ليس جاسوسا على المسلمين .

فاذا كان المسلمون فى حالة حرب مع بعض الأعداء فلا يسمح بقبول غير مسلم فى المدرسة من الأعداء .

اما اذا لم يكونوا فى حالة حرب وتأكدوا ان الطالب الكافر يريد التعليم فقط فيجوز قبوله فى المدرسة الاسلامية . والله تعالى يوفقنا جميعا الى طريق الصواب والرشاد .

السؤال :

هل وجد فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم منظمة دينية أو جمعية من أى نوع ؟

الجواب :

ايها السائل العزيز . الاسلام نفسه كان جمعية دينية كبيرة تجمع جميع المسلمين تحت لواء التوحيد . ومع هذا فقد وجدت جماعات للقراء وجماعة أهل الصفة وهم قوم من الفقراء كان لهم مكان خاص فى المسجد يأكلون فيه وينامون فيه ، ووجدت جماعات للحرب وجماعات للتدريب وجماعات لكتابة الوحى . وهى جماعات تشبه التخصص العلمى فى العصر الحديث . فالمعروف انه كان بين المسلمين من شغل نفسه بالحروب والكفاح والجهاد مثل سيدنا خالد بن الوليد وابى عبيدة عامر بن الجراح وغيرهم . ومن

المسلمين من شغل نفسه برواية الحديث الشريف مثل سيدنا أبو هريرة وابى سعيد الخدرى وغيرهم ، ومن المسلمين من شغل نفسه بكتابة الوحى للرسول صلى الله عليه وسلم مثل سيدنا معاذ بن جبل وزيد بن ثابت وغيرهم .

فكانت هناك جماعات متخصصة على أن الحاجة الى هذه الجماعات لم تكن ماسة لأن كل مسلم كان يعرف قدراً مشتركا من الفرائض كالجهاد والسنة والقرآن ، ثم يتخصص فى نوع من أنواع التكاليف الاسلامية . وكان الاسلام هو الرباط المتين الذى يجمع بين المسلمين جميعا . قال تعالى **(والف بين قلوبهم لو انفقت مافى الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم انه عزيز حكيم)** الأنفال / آية ٦٣ .

السؤال :

ما تفسير لا اله الا الله ، فقد سمعت أن معناها لا حاكم ولا مشرع الا الله .

الجواب :

معنى لا اله الا الله = لا معبود بحق الا الله ، وما سمعته عن معناها هو من لوازم المعنى لان الاله الحق هو الذى يشرع لعباده . وهذه الجملة هى أساس التوحيد ، وهى الكلمة الطيبة التى قال الله عنها : **(الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى اكلها كل حين باذن ربها ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون)** سورة ابراهيم الاية ٢٤ ، ٢٥ .

فهذه الكلمة مدخل الى التوحيد وباب اليه لا يصير المسلم مسلما الا بها وقد كان كفار مكة يتخذون آلهة متعددة ، وسألوا النبى صلى الله عليه وسلم عن صفة ربه ولونه ونسبه ، فأنزل الله تعالى قوله :

(قل هو الله احد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا احد) .

فالله واحد فى ذاته ليس معه شريك آخر ، وواحد فى صفاته لأنه قادر مريد متصف بالكمال ، وواحد فى افعاله ، فهو الذى يحفظ الكون ويرفع السماء ويبسط الرزق ويحيى ويميت وهو على كل شىء قدير .

(الله الصمد) أى الغنى عن عباده الذى يحتاج اليه جميع الموجودات ، وهو لم يلد ولدا ولم يولد من أب ولم يكن له نظير ولا شبيه ولا مثيل ولا كفؤ له ، **(ليس كمثله شىء وهو السميع البصير)** . فمعنى **(لا اله الا الله)** لا معبود بحق الا الله فكل ماعداه عن الآلهة والشركاء لا دليل على الوهيتهم ولا

حجة ، أما الله سبحانه فهو الاله الحق وهو المعبود بحق وكل ماسواه باطل ، قال تعالى (**فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق الا الضلال فانى تصرفون**) سورة يونس الآية ٣٢ .

السؤال :

سمعت ان من توضأ أو اغتسل من الجنابه لابد أن يزيل جميع الدهون من جسمه ، فهل هذا صحيح ؟ .

الجواب

نعم هذا صحيح لأن الاغتسال : هو تعميم البدن بالماء يصل الى كل عضو يمكن ايصال الماء اليه من غير حرج . ويجب الغسل بنزول المنى فى يقظه أو نوم ، كما يجب الغسل على الحائض والنفساء بعد انقطاع الدم ويستحب الغسل فى يوم الجمعة والعيدين ، وللاحرام للحج ولدخول مكة وللوقوف بعرفات .

وفرائض الاغتسال ثلاثة :

١ ــ تعميم الماء جميع أجزاء البدن .

٢ ــ المضمضة : وهى غسل الفم بالماء .

٣ ــ الاستنشاق : وهو غسل داخل الانف بالاستنثار .

ومما تقدم نعرف أن ازالة الدهون من على الجسم واجب حتى يصل الماء الى جميع أجزاء الجسم ، فاذا كان هناك حرج أو مرض أو جراحة أو عذر يمنع من ايصال الماء الى بعض أجزاء الجسم فان الانسان يباح له التيمم .

والله الموفق والهادى الى سواء السبيل .

السؤال :

ماحكم الاحتفال بالمولد النبوى ومتى بدأ الاحتفال به وفى أى بلد ومن احتفل به لأول مرة ؟

الجواب

الاحتفال بالمولد النبوى فى هذه الايام مناسبة كريمة وشعيرة حسنة وعبادة مستحبة لتذكير المسلمين بفضل الرسول صلى الله عليه وسلم وعظمته وجهاده وكريم صفاته وآدابه العالية .

ولم يكن الاحتفال بمولد النبى صلى الله عليه وسلم معروفا فى صدر الاسلام ولا فى عصر الصحابه رضوان الله عليهم ولا فى عصر التابعين .

وقد عرف عن دولة الفاطميين بمصر عنايتهم بالاحتفالات الدينية وخصوصا مولد النبى صلى الله عليه وسلم . وسرى ذلك التقليد وانتشر فى سائر البلاد الاسلامية فأصبح العرب والمسلمون يحتفلون بذكرى مولد الرسول صلى الله عليه وسلم باقامة الحفلات والقاء العظات وقراءه القصة والسيرة النبوية وكلها آداب جميلة لا بأس بها .

ولكن المسلمين فى حاجة الى أن يتركوا الاحتفالات التقليدية التى توزع فيها الحلوى وعرائس المولد ،وهم فى حاجة الى احياء المعالم الاسلامية والاداب المحمدية والاقتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم قدوة حقيقية فى صدقه واخلاصه وشجاعته وعفته ونزاهته وتواضعه وبذلك تحيا فيهم أخلاق الاسلام ويعود الاسلام رباطا قويا وسياجا منيعا يحفظ المسلمين ويرد اليهم عزتهم وكرامتهم . قال تعالى **(ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين)** .

السؤال :

ماحكم العقيقة ، وهل يجوز تسمية المولود بدون العقيقة ؟

الجواب

العقيقه هى ذبح شاة عن المولود عند ولادته شكرا لله على هذه النعمة .

والعقيقة سنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويجوز تسمية المولود بدون العقيقة ، ويستحب أن تكون التسميه يوم السابع من ولادة المولود .

قال الشعرانى فى الميزان، العقيقة عند مالك والشافعى مستحبة وعند ابى حنيفة مباحة وعند أحمد فى اشهر روايتيه سنة والثانية أنها واجبة واختارها بعض أصحابه وهو مذهب الحسن البصرى وداود الظاهرى ، والسنة فى العقيقة عند الأئمة الثلاثة عن الغلام شاتان وعن الجارية واحدة . وقال الامام مالك عن الغلام شاة واحدة كما فى الجارية .

ويشترط أن ينوى عند ذبح العقيقة أنها عقيقة كما فى الأضحية ، ويستحب أن يقول عند ذبحها بعد التسمية اللهم لك واليك عقيقة فلان ، ويستحب أن لايتصدق بلحمها نيئا بل يطبخه بشىء حلو ويتصدق به على الفقراء ، ويستحب أن يأكل منها ويتصدق ويهدى . والسنة أن يكون ذبحها فى اليوم السابع ولاتفوت بتأخيرها عن السبعة لكن يستحب ان لايؤخرها عن البلوغ فان بلغ سقط حكمها عن الوالد والولد مخير ان شاء عق عن نفسه وان

شاء لم يعق ولو مات بعد اليوم السابع وبعد التمكن من الذبح يستحب أن يعق عنه ويستحب ان تذبح أول النهار وان يدفع للقابله رجل العقيقه .

وفعل العقيقه افضل من التصدق بثمنها ، وسن الشاه التى تذبح عقيقه كالاضحيه ، جذعه : وهى ماتم له سنه او اقل اذا كانت من الضأن ، فاذا كانت من المعز فتجزىء الثنيه وهى مادخلت فى السنه الثانيه او الثالثة. وقد ذهب الامام احمد بن حنبل فى احدى روايتيه الى انها واجبه وذهب الامام الأعظم أبو حنيفه انها ليست واجبه ولا سنه بل هى بدعة . وقد سبق أن ذكرنا أن الامام مالك والامام الشافعى ذهبا الى انها مستحبة واستدلا على استحبابها بما رواه الترمذى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : الغلام مرتهن بعقيقته تذبح عنه يوم السابع ويحلق راسه ويسمى . ومن هذا الحديث نعلم ان العقيقة سنة ، وان من السنة ان يحلق شعر الصبى يوم السابع ويوزن بالفضة ويتصدق بوزن شعره فضه ،ومن السنة أن تسمى الغلام يوم السابع، ويجوز تسمية المولود بدون العقيقة ، لأن التسمية سنة مستقلة ، والعقيقة سنة مستقلة عن التسمية ، والله تعالى الموفق والهادى الى سواء السبيل.

السؤال :

مسلم يعيش فى بلد يطول نهارها عن المعتاد ثلاث أو اربع ساعات مثلا فما حكم صومه ؟

الجواب :

الصيام فريضة محكمة فرضها الله بنص القرآن والسنة . قال تعالى **(يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون)** .

وقال صلى الله عليه وسلم : « بنى الاسلام على خمس : شهاده أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلا » .

فالصوم عبادة صحية وبدنية وروحية ولابد من ادائها لأنها شعيرة من شعائر الدين وركن من أركان الاسلام .

لكن كيف يصوم من يعيش فى بلد يطول نهاره عن المعتاد ؟

والجواب ان مثل هذا المسلم يصوم من الساعات بمقدار نهار معتاد فليتخير بلدا مثل مكة أو المدينة حيث نزل الوحى على الرسول صلى الله عليه وسلم ويعرف مقدار ساعات النهار التى يصومها المسلم فى هذا البلد ، ثم يصوم من الساعات بمقدارها .

وقد سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن صيام من يقيم فى بلد يطول ليله أو نهاره فقال : اقدروا له . أى صوموا بمقدار نهار متوسط معتاد . فالدين يسر لا عسر ، ولا ضرر ولا ضرار فى الاسلام . ومن قواعد الاسلام أن المشقة تجلب التيسير وان الأمر اذا اتسع وان الأصل فى العبادات رفع الحرج والله الموفق والهادى الى سواء السبيل .

السؤال :

ماهى الصفات التى يجب أن يتحلى بها الامام ؟

الجواب :

ذكر الفقهاء ان الأحق بالامامة هو امام المسجد ورب المنزل ثم الأعلم بأحكام الصلاة ثم الأجود قراءة ، ثم الأكثر ورعا وتقوى ثم الأكبر سنا ثم الأحسن خلقا ثم الأحسن وجها ثم الأشرف نسبا ثم الأنظف ثوبا .

ومما تقدم نعرف ان الامام هو شفيع المأمومين وقائدهم وأن الامام لسان الجميع والمتحدث باسمهم فيجب أن يتحلى بصفات الكمال والادب والمحافظة على قراءة القرآن ودراسة الفقه والتفسير والحديث والعلوم والمعارف ، والمعرفة بأحوال المسلمين وبأحكام الدين وبحجج الموحدين وأدلة العقائد وطرق الهداية وأساليب الارشاد .

والامام مع ذلك قدوة حسنة ، فينبغى أن يتحلى بالسلوك الحسن والأخلاق الفاضلة حتى يقتدى به الناس وهم مطمئنون الى قبول صلاتهم .

قال الفقهاء : وتكره امامة العبد والاعمى والاعرابى وولد الزنا والجاهل والفاسق والمبتدع ، ويكره للامام ان يطيل الصلاة اطالة شديدة تدعو للسآمة والملل لأن الصلاة لقاء ومودة ومحبة بين العبد وربه والطول الزائد مكروه لقوله صلى الله عليه وسلم (من أم بالناس فليخفف فان منهم الكبير والضعيف وذا الحاجة) رواه البخارى .

أما اذا كان المقصود من السؤال . ما هى الصفات التى يجب أن تتحلى بها الامام اى الحاكم .

فالصفات التى يجب أن تتوفر فى الامام هى :

١ ــ العدل فالعدل اساس الملك قال تعالى **(واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل)** .

٢ ــ المساواة بين الناس فى الحقوق والواجبات .

٣ ـ الشورى واختيار أهل الحل والعقد والرجوع الى رأيهم قال تعالى : (**وشاورهم فى الأمر**) وقال سبحانه (**وأمرهم شورى بينهم**)

٤ ـ حسن اختيار الولاة والمساعدين فى الحكم وأن يكون أساس اختيارهم الأمانة والقوة والقدرة على انجاز العمل بكفاءة ونشاط قال تعالى :

(**ان خير من استاجرت القوى الأمين**) ..

السؤال :

فى أى يوم يجب أن يعطى المولود اسما هل يوم ولادته ؟ أم بعد أسبوع من ولادته ؟

واذا مات المولود هل يعطى له اسما قبل دفنه أم بعد الدفن .

الجواب :

من حقوق الولد على أبيه أن يحسن اسمه قال صلى الله عليه وسلم (انكم تدعون يوم القيامة باسمائكم واسماء آبائكم فاحسنوا أسماءكم) .

وافضل الأسماء عبد الله وعبد الرحمن ، ويستحب أن تكون التسمية يوم السابع من ولادته ، ويستحب تسمية السقط الذى ولد ميتا لخبر ورد فيه ، فان تركه ولم يسمه طالبه السقط بذلك يوم القيامة ، حكى الغزالى ان السقط يوم القيامة يسعى الى أبيه فيقول أنت ضيعتنى وأنت تركتنى ولا اسم لى ، فان لم يعلم هل السقط ذكر أم أنثى سمى باسم يصلح لهما مثل : شمس ، وعصمت ، وحمزة ، وطلحة ، وعماره ، ونحو ذلك .

وقال الامام مالك لا يسمى مالم يستهل صارخا ، فاذا نزل السقط من بطن امه صارخا ثم مات فانه يسمى ثم يغسل ويكفن ويصلى عليه ويعطى له الاسم قبل الدفن .

ويستحب تغيير الاسم القبيح فقد ورد أن النبى صلى الله عليه وسلم غير اسم عاصيه الى جميلة ، وفى الصحيحين أن زينب كان اسمها برة فقيل تزكى نفسها بهذا الاسم ، فسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب ، وفى الصحيح ان شخصا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ما اسمك قال حزن ، قال انت سهل ، قال الرجل لا اغير اسما سمانيه ابى فمازالت الحزونة والشدة فيه وفى أولاده ، والحزونة غلظ الوجه وشىء من القساوة وبهذا يعلم الآتى :

١ ـ يستحب أن نتخير لاولادنا أسماء جميلة مناسبة مثل عصام ، عماد ، أيمن ، عبد الرحمن ، عبد القادر .. الخ .

٢ ـ يستحب ان يكون اطلاق الاسم على المولود يوم السابع من ولادته .

٣ ـ اذا نزل سقطا ميتـا فلا يعطى له اسم الا اذا نزل صـارخا حتى ندرك أنه كانت فيه حياة .

٤ ـ اذا مات المولود يعطى له اسم قبل دفنه .

٥ ـ الأب الذى لا يسمى السقط يخطىء خطأ كبيرا فى حق ولده فما دام السـقط قد نزل صـارخا وجب على اسرته أن تسـميه ، قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم : الغلام يعق عنه يوم السـابع ـ (أى يذبح عنه عقيقة كشاة أو عنزة) ويسمى ، ويماط عنه الأذى فاذا بلغ ست سنين ادب فاذا بلغ تسع سنين عزل من فراشه فاذا بلغ ثلاث عشرة سنة يضرب على الصـلاة فاذا بلغ أوان الزواج زوجه أبوه ثم أخذ بيده وقال قد أدبتك وعلمتك وزوجتك اعوذ بالله من فتنتك فى الدنيا وعذابك فى الآخرة .

السؤال : ما هى نواقض الوضوء

الجواب : ينتقض الوضوء بالأمور الآتية :

١ ـ خروج خارج معتاد من أحد السبيلين كالبول والغائط والمذى والودى والريح ، والمذى ماء رقيق يخرج عند الملاعبة ويقرب الى البياض وقد اتفق العلماء على نجاسـته لم يخالف فى ذلك الا بعض الامامية .

روى عن على رضى الله عنه قال : كنت رجلا مذاء فسألت النبى (صلى الله عليه وسلم) فقال (من المذى الوضوء ومن المنى الغسـل) .

٢ ـ غيبة العقل بسبب من أسباب المغيبات كتعاطى مسكر ، أو جنون ، أو صرع ، أو اغماء ، أو غيرها .

٣ ـ النوم الثقيل الا نوم الممكن مقعدته من الأرض .

٤ ـ وينقض الوضوء عند الشافعية لمس المراة الأجنبية وهذا اللمس ينقض ولو بدون لذة ولو كان الرجل هرما والمراة عجوزا شوهاء ، بشرط عدم الحائل بين بشرة اللامس والملموس ، ويكفى الحائل الرقيق .

ولا ينتقض الوضوء الا اذا كانت المراة قد بلغت سن الشهوة عند أرباب الطباع السليمة .

واستثنوا من بدن المراة شعرها وسـنها وظفرها فان لمسـها لا ينقض الوضوء ولو تلذذ به لأن من شأن لمسها عدم التلذذ .

وينتقض الوضوء بلمس الميت ، ولا ينتقض بلمس المحرم (وهى التى حرم نكاحها على التأبيد بسبب نسب أو رضاع أو مصاهرة) .

اما التى لا يحرم زواجها على التأبيد ، كأخت الزوجة وعمتها وخالتها فان لمس احداهن بنقض الوضوء .

السؤال : على من تجب زكاه الفطر وما هو وقت ادائها

الجواب : جعل الله شهر رمضان موسما للعمل الصالح ، كما جعله موسما للصدقة وصلة الرحم ، وقد أوجب الله زكاة الفطر على الصائمين ، مشاركة بين الغنى والفقير ويجوز اخراجها قبل آخر رمضان بمدة يتمكن فيها الفقير من الانتفاع بها فى يوم العيد ، وذلك تحقيق للمعنى المقصود منها ، وهو غناء الفقير عن مد يده فى يوم العيد . قال صلى الله عليه وسلم « أغنوهم عن ذل السؤال » .

والأصل فى الزكاة ـ بوجه عام أن تصرف فى بلد المزكى وجاز نقلها لقريب فى بلد آخر ، ويحسن أن يراعى بعد قرابة النسب ترتيب قرابة الجوار مع تفاوت الحاجة ، وهى على العموم لا يجوز اعطاؤها لمن يعود نفعه الى المزكى فلا يعطيها لوالده الفقير ولا لابنه الفقير لأن نفقة الأصل والفرع واجبة عليه ، وكل من تجب نفقته من الأقارب يمنع اعطاؤهم من الصدقة .

ونعطى صدقة الفطر الى الأصناف الذين تصرف لهم الزكاة المفروضة ، والفقراء والمساكين هم أولى الأصناف بها ، لما ورد فى الحديث ما معناه « فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر طهره للصائم من الذنوب والآثام واطعام للمساكين » .

ويجوز دفع زكاة جماعة الى مسكين واحد كما يجوز دفع زكاة الفرد الى مساكين

والمستحب اخراج زكاة الفطر فى المكان الذى فيه المتصدق لأنها تتعلق بذمة المؤدى لا بماله ، وهذا بخلاف زكاة المال فانها تؤدى حيث يكون المال .

وليعلم المسلم ان الله تعالى طيب لا يقبل الا طيبا ، فليبادر المسلم الى اخراج زكاة الفطر مخلصا لوجه الله مطهرا نفسه من الشح والبخل ، مطعما اخوانه المسلمين فى ختام رمضان وعلى أبواب العيد حتى يأتى العيد وقد فرح به المسلمون ، وصاروا فيه أسرة واحدة يتبادلون التهانى بيوم الفطر ويذكرون فضل الله وانعامه ، اعاده الله علينا وعلى المسلمين جميعا بالعز والاقبال .

السؤال : كيف يستطيع الرجل زواج الأمة اذا كانت ليست ملكا له .

الجواب : يستطيع الرجل زواج أمة غيره بأن يخطبها من مالكها ويتزوجها .

قال الفقهاء (ولو تزوج أمة غيره فجاءت بولد ثم ملكها صارت أم ولد له ومعنى ذلك :

انه يحق للانسان ان يتزوج جارية ملكا لرجل آخر .

وقد راعى الاسلام فى ذلك أن الجارية انسانة ولها حاجات بيولوجية ونفسية فمن حقها أن تتزوج اذا وافق مالكها على ذلك ويشترط موافقة المالك لأنه بمجرد أن تتزوج الجارية من رجل آخر يحرم على سيدها أن يطأها حتى لا تختلط الأنساب .

فاذا وافق السيد على زواج جاريته فانه يعتبر ضمنا انه أسقط حقه فى وطئها وصار محرما عليه هذا الوطء لأن المرأة لا تحل الا لرجل واحد حيث انها مكان الحرث وهى المحضن الذى يتم فيه الحمل .

وفى الحديث (ملعون من سقى ماءه زرع غيره) .

وقد اباح الاسلام الرق ، وأباح للسيد المالك الاستمتاع بجاريته .
لما يأتى :

جاء الاسلام والرق نظام عالمى لا يستغنى عنه المجتمع فكان الغاء الرق فجأة من شأنه ان يربك المجتمع ، مثل ان نلغى استخدام الكهرباء فى هذا الزمن ، لقد كان الرقيق كهرباء الحياة وبخارها .

ولكن الاسلام عمد الى تشبيه الرق بنهر له منابع ومصبات فضيق المنابع ووسع المصبات حتى يجف نهر الرق فى مستقبل الأيام وقد حث الاسلام على تحرير الارقاء وجعل عتق الرقاب كفارة لأحداث تتكرر فى المجتمع ، وأباح للرجل أن يتسرى بجاريته لأنها متى أنجبت ولدا فقد أعتقها ولدها ولا يصح لسيدها أن يبيعها ، وقد انكر عمر بيع أمهات الأولاد وقال (ابعد ان اختلطت لحومكم بلحومهن ودماؤكم بدمائهن تريدون بيعهن) (١) .

فالاسلام قد اباح لمالك الجارية ان ينكحها ليكون ذلك وسيلة الى تحرير العبيد وعتق الرقاب ، وقد استغل الاسلام فى ذلك ميول الغريزة للقضاء على روافد الرق واشاعة الحرية بين الناس ، حيث تعتق الجارية ويعتق أولادها من سيدها ، وفى الأثر (أعتقها ولدها) .

السؤال : هل الدين الاسلامى انتشر الى سائر البلدان العربية وغير العربية بحد السيف أم بالاقناع ؟

واذا كان قد انتشر بالاقناع فما هو السبب الرئيسى فى الفتوحات الاسلامية هل هو العامل الاقتصادى أم الدينى ؟

الجواب : الدين الاسلامى رسالة عالمية ودعوة انسانية صالحة لكل زمان ومكان .

وقد ادعى أعداء الاسلام انه انتشر بالسيف وهذه دعوى باطلة لما يأتى :

---

(١) بدائع الصنائع للكاسانى ص ١٢٤ .

١ ـ أساس الاسلام اخلاص الوجه لله واقتناع القلب وذلك يتنافى مع الاكراه فى الدين قال تعالى : ((**لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى**)) .

٢ ـ لا يقبل الاسلام ما لم يتبعه تصديق القلب ويقين الوجدان واطمئنان النفس قال تعالى : ((**قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم**)) .

السبب الرئيسى للفتوحات :

مكث المسلمون فى مكة ثلاثة عشر عاما بعد البعثة المحمدية يدعون الى دين الله بالحق ويتحملون فى سبيل هذه الدعوة كثيرا من الآلام ، وقد امرهم الله بالصبر والاحتمال . ثم هاجر المسلمون من مكة الى المدينة ، وتركوا اموالهم وارضهم ودورهم ، وحاول اهل مكة أن يحاربوهم وان يذلوهم عند ذلك أذن الله للمسلمين أن يقاتلوا وان يحاربوا فى سبيل الله ، فالقتال فى سبيل الله لم يكن لعامل اقتصادى وانما كان للاسباب الآتية :

اولا : الدفاع عن النفس قال تعالى : ((**اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله**)) الحج / ٣٩ ، ٤٠ .

ثانيا : تحطيم طواغيت الكفر واهل الظلم والعدوان من المشركين .

ثالثا : الدفاع عن المستضعفين من الصغار والنساء والشيوخ المسنين حتى لا يضغط عليهم الكفار وحتى لا يفتنوهم فى دينهم . قال تعالى : ((**وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا**)) النساء / ٧٥

رابعا : الدفاع عن الاسلام حتى ينتشر بين الناس ويدخل فيه من شاء حرا طليقا بدون خوف أو رهبة .

وقد حارب المسلمون فى غزوات معينة هى غزوة بدر وغزوة أحد والخندق والحديبية ، ثم غزوة فتح مكة ، وغزوة حنين والطائف ، وكلها فى بلاد العرب وكلها كانت دفاعا عن النفس ، أو ردا للعدوان أو حماية للضعفاء ، قال تعالى : ((**وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا**)) ثم فتح المسلمون بلاد الفرس وقد كانت تعبد النار وقد مزق ملك الفرس خطاب النبى صلى الله عليه وسلم اليه فقال النبى الكريم (مزق الله ملكهم شر ممزق) .

وكانت مصر تتعرض لظلم الرومان وابتزاز اليهود وتجبر الحكام فجاء

الاســـلام فخلص السوريين والمصريين من ظلم الرومان وكان اقباط مصر يرحبون بالفاتحين المسلمين ويقـــدمون لهم الزاد والمؤنة لأنهم علموا بعدلهم وسماحتهم مع اهل الأديان الأخرى .

ومن ذلك نعلم أن الاسلام دين رحمة وهداية عامة للناس وانه رسالة البشرية وأنه حارب مضطرا لأهداف دينية وانسانية لا لأسباب اقتصـادية كما يدعى المغرضون ، وقد بين القرآن ان رسالته عامة فقــال للنبى محمد صلى الله عليه وسلم ((**وما ارسلناك الا رحمة للعالمين**)) وقال القرآن ايضا : ((**وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا**)) .

السؤال : هل سيأتى نبى الله محمد عليه الصلاة والســلام هاديا فى آخر الزمان آم لا ؟

وهل سنراه فى ارضنا مرة اخرى ؟

الجواب :

الموت حق وقد مات رســـول الله صلى الله عليه وسلم قال تعالى : ((**انك ميت وانهم ميتون**)) .

وقال تعالى : ((**وما محمـــد الا رســول قد خلت من قبله الرســـل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم** » .

ومن هذه الآيات نتعلم الآتى :

١ ـ مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بعد أن بلغ الرسالة وادى الأمانة .

٢ ـ جاءه الوحى على سن الأربعين وقد مكث حيا بعد نزول الوحى ٢٣ عاما ومات وسنه ٦٣ عاما .

٣ ـ لن يأتى النبى صلى الله عليه وسلم فى الخر الزمان ، ولن نراه فى أرضنا مرة اخرى .

٤ ـ يأتى دعاة ومصلحون ومجددون ينصـــحون الناس بالتمســك بسنته ، قال صلى الله عليه وسلم (لا يزال الله يرسل لأمتى على رأس كل مائة عام من بجدد لها أمر دينها) .

٥ ـ عدم حضــوره فى آخر الزمان لا ينقص من قيمته ولا يغض من قدره .

٦ ـ يدعى بعض الجهلاء أن عيسى اذا كان ســيظهر فى آخر الزمان فالأولى أن يظهر محمد ايضا . ويجاب على هذا بأن الخصوصية لا تقتضى

الأفضلية ، فتلك خصوصية بسيدنا عيسى لا تقضى انه افضل من محمد بل أن الأحاديث الصحيحة أفادت ان عيسى عليه السلام ينزل فى آخر الزمان حكما عدلا يدعو الناس الى التمسك بالحق واحياء شريعة الاسلام ورسالة محمد عليه الصلاة والسلام .

٧ ــ ينبغى أن نشغل أنفسنا بامور العبادات والمعاملات وأن نترك الغيبيات . وقد نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن (قيل وقال واضاعة المال وكثرة السؤال) .

السؤال : كم يجب اخراج زكاة الف ريال سعودى ؟ وهل يجوز اعطاء الزكاة لأحد من أقاربه الفقراء ؟

الجواب :

أولا : زكاه المال مقدارها ربع العشر اى (٢ ½ ٪) اثنان ونصف فى المائة أو ٢٥ فى الألف ، ومعنى ذلك أن زكاة الألف ريال سعودى هو (٢٥) خمسة وعشرون ريالا سعوديا . وتجب كل سنة مرة بعد أن يحول الحول على المال . ويجوز اخراج الزكاة قبل موعدها اذا رأينا محتاجا أو مضطرا فندفع له من الزكاة بمقدار ما يزيل اضطراره وحاجته .

ثانيا : يجوز اعطاء الزكاة لأحد الأقرباء اذا كان فقيرا بل اخراج الزكاة الى القريب الفقير أولى من اخراجها الى الفقير غير القريب ، وفى الأثر . صدقتك على الغريب صدقة ، وصدقتك على القريب صدقة وصلة رحم .

لكن لا يجوز أن يخرج الانسان الزكاة الى شخص تجب نفقته عليه ، مثل الابن وابن الابن وان نزل والأب والجد وان علا .

لأن الانسان يجب عليه ان ينفق على أولاده الصغار وأولاده الكبار اذا كانوا عاجزين عن الكسب ، وأن ينفق على زوجته وآبائه واجداده اذا كانوا فى حاجة الى النفقة .

فاذا كان القريب لا تجب نفقته على المزكى مثل العم وابن العم والخال وابن الخال واشباه ذلك ممن يسمون بالحواشى فهم ليسوا من الأصول ولا من الفروع ولكنهم من الحواشى والأطراف ، فانه يجوز أن يدفع لهم الانسان الزكاة ، وينبغى أن نلاحظ أن الزكاة فرضها الله للفقراء والمساكين والمحتاجين فلا يصح أن نأخذ حق الفقراء والمساكين وندفعه للأقرباء الملاصقين .

مثل الأخ فان بعض الفقهاء يقول ان نفقة الأخ الفقير واجبة على أخيه الغنى .

فمن دفــع الزكاة الى اخيه ، كان منصرفا فى مال الفقراء فهو ينقــل حقوق الفقراء والمحتاجين الى اخيه ، ونقول له ادفع الزكاة الى الفقراء ، وادفع الى اخيك من الصدقة الواجبة عليك .

وحاول أن تكون فوق الشبهات ما استطعت الى ذلك سبيلا .

والخلاصة : انه يجوز دفع الزكاة الى القريب قرابة غير ملاصــقة ، ولا يجوز دفعها الى القريب قرابة قريبة كالابن والجـد لأن هؤلاء نفقتهم واجبة على الانســان أما الأخ فان بعض الفقهاء يعتبر النفقة عليه فرضا على اخيه الغنى .

والأحوط أن تدفع للأخ من الصدقة الواجبة ولاتدفع له من الزكاة .

السؤال : مسلم يصوم رمضان دون أن يصلى التراويح هل صومه مقبولا أم لا ؟

الجواب : صيام رمضان فريضة فرضها الله بنص الكتــاب والســنة والاجماع ، وصلاة التراويح سنة سنها رسول الله صلى الله عليه وســلم ، وفى الحديث الشريف (من قام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه) .

فمن صام رمضان دون أن يصلى التراويح فصومه صحيح مقبول .

ولكن من آداب الصيام ما ذكره الفقهاء فيما يأتى :

١ ـ تعجيل الفطر وتأخير السحور

٢ ـ أن يفطر على تمر أو على شيء حلو فان لم يجد فعلى المــاء فانه طهور

٣ ـ أن يتخير مطعمه من الحلال حتى يكون صومه مقبولا
قال تعالى : **(كلوا من الطيبات واعملوا صالحا)** .

٤ ـ الا يستكثر من الطعام عند الافطار فان فى ذلك أضرارا بالمعــدة
وفى الحديث **(لا ضرر ولا ضرار)** .

٥ ـ أن يحافظ على صلاة التراويح وهى قيام الليل فى رمضان وقد شرعت فيها الجماعة وهى عشرون ركعة تصلى مثنى مثنى يستريح القــوم فيهــا بين كل أربع ركعات بقدرها ، وان شاءوا ذكروا الله تعالى وان شاءوا صلوا على النبى صلى الله عليه وسلم وان شاءوا سكتوا .

ونلاحظ أن صيام رمضـــان فريضة لابد من ادائها ، قال تعالى :
(يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون)

البقرة : ١٨٣

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (بنى الاسلام على خمس : شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة وصيام رمضان ، وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلا) .

وفى حديث طلحة بن عبيد الله : (أن رجلا سأل النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله : أخبرنى عما فرضه الله على من الصيام . قال شهر رمضان . قال : هل على غيره ؟ قال : لا الا أن تطوع) .

ومن كل ما تقدم نلحظ أن ما فرضه الله من الصيام هو صيام شهر رمضان وأن صلاة التراويح كمال وأدب ولكن تركها لايبطل الصيام .

السؤال : هل ختان البنت سنة أم فرض أو مندوب فى مذهب الامام مالك ؟

الجواب : اختار الله للأنبياء عليهم السلام سننا وآدابا وامرنا بالاقتداء بهم فيها وجعلها من قبيل الشعائر التى يكثر وقوعها ليعرف بها اتباعهم ويتميزوا بها عن غيرهم وهذه الخصال تسمى سنن الفطرة ومن هذه الآداب والسنن : الختان وتقليم الاظافر واكرام الشعر بأن يدهن ويسرح ويغسل والعناية بالنظافة ، والتطيب بالمسك وغيره من الطيب الذى يسر النفس ويشرح الصدر وينبه الروح ويبعث فى البدن نشاطا وقوة .

الختان

الختان : هو قطع الجلدة التى تغطى الحشفة لئلا يجتمع فيهـا الوسـخ وليتمكن من الاستبراء من البول ، ولئلا تنقص لذة الجماع ، هـذا بالنسبة الى الرجل ، واما المراة فيقطع الجزء الاعلى من الفرج بالنسبة لها وهو سنة قديمة فعن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم « اختتن ابراهيم خليل الرحمن بعدما أتت عليه ثمانون سنة ، واختتن بالقدوم » رواه البخارى ، والقدوم آلة النجار أو موضع بالشام ومذهب الجمهور والمالكية ان الختان واجب ويرى الشافعية استحبابه يوم السابع وقال الشوكانى : لم يرد تحديد وقت له ولا ما يفيد وجوبه .

وعندما نستعرض الاحاديث الواردة عن النبى صلى الله عليه وسـلم التى وردت فى الأمر بختان المراة نجد أنها ضعيفة لم يصح منها شىء .

والرأى المختار من كلام الفقهاء : أن الختان واجب بالنسبة للرجال وأنه مكرمة بالنسبة للمراة وأن الأفضل الا يقطع قدر كبير من الجزء الاعلى من الفرج ، والا يقطع قدر صغير بل تقطع نسبة متوسـطة مالوفة معروفة عند الخبراء .

لأن قطع قـدر كبير من الجزء الاعلى من الفرج يجعل البنت عنـدما تتزوج لا تستجيب لزوجها بسرعة وربما كان عندها برود جنسى .

واذا قطعنـا جزءا صـغيرا أو تركنا الختان بالمرة فربما تصبح البنت عندها تهيج جنسى .

ويرى المجتهدون المحدثون ان ختان البنت امر طبى بحت يخضـع لخبرة الناس ومعرفتهم ، فلم يرد حديث صحيح يأمر بختان البنت . وبذلك اصبح الأمر متروكا لخبرة الأطبـاء وأهل الاختصـاص . فاذا كان الختـان يؤدى الى مضرة فلا بأس من تركه ، واذا كان للختان محـامد وفضـائل فالأولى عمله .

واذا كان للختان مضار فى البلاد الباردة يترك ، واذا كان له محامد فى البلاد الحارة يفعل ــ لان الختان للبنات امر من امور العادات خاضع لتحقق المصلحة العامة والاستحسان . فما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن ــ وعلى هذا فختان البنت أمر من أمور العادات لامن أمور العبادات فمن فعله فهو حسن ومن تركه فلا اثم عليه . لأن الاعتبار والمعول عليه هو مصلحة البنت والانفع لها بحسب كل بلد والله اعلم .

السؤال : ما هى السن التى اذا وصلت اليها المرأة لا يتزوج منها الرجل ؟

الجواب : سن اليأس عند المراة

نصف النساء يكون يأسهن بين ٤٥ ــ ٥٠ سنة

ربع النساء يكون يأسهن بين ٤٠ ــ ٤٥ سنة

ثمن النساء يكون يأسهن بين ٣٥ ــ ٤٠ سنة

ثمن النساء يكون يأسهن بين ٥٠ ــ ٥٥ سنة

ومن هذا الاستعراض السابق نعلم أن المرأة تظل صالحة للحمل والولادة الى سن اليأس وهى ٤٥ سنة أو ٥٠ سنة أو ٥٥ سنة ، ومن الممكن أن يتزوج الانسان المرأة فى اى سن مهما كانت كبيرة اذا كان القصد من الزواج المودة والرحمة والألفة أو لم يكن الرجل حريصا على انجاب الاولاد ، وقد كانت خديجة زوجة لرسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجها وكان عمرها ٤٠ سنة وعمره خمسة وعشرون سنة وظل وفيا لها لم يتزوج عليها حتى ماتت وكان عمرها ٦٢ سنة (اثنتين وستين سنة) وعمر النبى عند وفاتها (٤٧) سبعة واربعون سنة .

ومسألة السن امر اعتبارى يختلف باختلاف الظروف والاحوال ولكن الأفضل أن يكون هناك تقارب فى السن حتى ينشأ عن ذلك نوع من الالفة والمودة والرحمة والحب .

واذا كان فارق السن محتملا فلا بأس به فهذه أمور اعتبارية ترجع الى طبيعة الزوج والزوجة ومدى استعدادهما للتفاهم والتقارب والعمل فى اسرة موحدة يجمعهما سقف واحد وهدف واحد . والله أعلم .

السؤال : قيل ان محمدا صلى الله عليه وسلم هو خير خلق الله فهل جاء ذلك فى القرآن أو الحديث ؟ واذا كان فى القرآن ففى اى سورة واذا كان فى الحديث فما هو الحديث ؟

الجواب :

فضل الله سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم بعدد من الفضائل والمزايا . فقد أرسله الله للناس اجمعين قال تعالى (**وما أرسلناك الا رحمة للعالمين**) سورة الانبياء الآية ١٠٧ .

وقال تعالى (**وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا**) سورة سبا الآية ٢٨ . وروى البخارى فى صحيحه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أعطيت خمسا لم يعطهن نبى قبلى :

١ — نصرت بالرعب مسيرة شهر .

٢ — وجعلت لى الارض مسجدا وترابها طهورا فأيما رجل من أمتى ادركته الصلاة فليصل

٣ — واحلت لى الغنائم ولم تحل لنبى قبلى

٤ — واعطيت الشفاعة .

٥ — وارسل كل نبى الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة .

وخلاصة شرح هذا الحدث ما يأتى :

١ — عندما يذهب النبى صلى الله عليه وسلم الى حرب قوم فان الله عز وجل يلقى الرعب فى قلوبهم فينهزمون أمام رسول الله ، وتضعف روحهم المعنوية .

٢ — ان المسلم يستطيع التيمم والصلاة فى الصحراء والأراضى الزراعية وغير المسلم لا يصلى الا فى الكنيسة أو البيعة أو دار العبادة .

٣ — ان المسلم أحل الله له الغنائم عند الحرب أما موسى عليه السلام فكان يحرق الغنائم وأما عيسى فلم يؤمر بالحرب .

٤ — ان الأنبياء يوم القيامة لا نستطيع أن تشفع للناس حتى يستريحوا من هول الموقف ، ويعتذر المرسلون جميعا فيقول سيدنا ابراهيم انى كذبت على قومى حين كسرت الاصنام ، ويقول سيدنا موسى انى قتلت رجلا خطأ ويقول سيدنا عيسى نفسى نفسى ان الجبار غضب اليوم غضبا شديدا لم يغضب مثله اذهبوا الى غيرى اذهبوا الى محمد صلى الله عليه وسلم .

فيذهبون للنبى صلى الله عليه وسلم يطلبون منه الشفاعة عند الله فيقول النبى أنا لها أنا لها ثم يسجد تحت ساق العرش ، فيقول له الله ارفع واشفع تشفع وسل تعط فذلك المقام المحمود الذى قال له الله (**ويبعثك ربك مقاما محمودا**) .

والخلاصة أن محمدا صلى الله عليه وسلم افضل خلق الله وان علينا أن نهتم بالعمل الصالح والتمسك بسيرة النبى واعماله واخلاقه ولا نتمسك بامور الخلاف والجدال . فما منع قوم الجدل الا منعوا بركة العمل .

السؤال : قيل ان رسول الله وجد نبى الله موسى ذات يوم جالسا على جلد مفروش على الأرض . فجذبه بعيدا عن المكان الذى كان يجلس فيه فهل هذا صحيح واذا كان صحيحا فهل يعتبر شرا أم خيرا .

الجواب :

هذا الخبر ليس صحيحا ، لأن سيدنا موسى عليه السلام قد مات قبل ميلاد النبى محمد صلى الله عليه وسلم بآلاف السنين .

ومثل هذه الأخبار من الاسرائيليات المخالفة للمنقول وللمعقول .

فهذا الخبر لم يرد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديث صحيح ، والدين الاسلامى امرنا ان نتقبل امور الدين من القرآن والسنة المطهرة وما اثر عن الصحابة والتابعين .

اما الأخبار الواهية والأحاديث الموضوعة فاننا نرفضها ومن علامات الحديث الموضوع ما يأتى :

١ ــ ركاكة معناه وضعفه .

٢ ــ فساد معناه كأن يخالف البدهيات أو ما هو معروف مسلم به من القواعد العامة فى الحكم والأخلاق .

٣ ــ مخالفته للكتاب أو السنة المتواترة او الاجماع القطعى .

٤ ــ مخالفته الوقائع التاريخية المقطوع بصحتها .

٥ ــ اشتمال الحديث على افراط فى الثواب العظيم جزاء عمل صغير او اشتماله على مبالغة فى الوعيد الشديد على الأمر الحقير .

ومن كل ما تقدم يتأكد لدينا ان الكلام الوارد فى السؤال ليس صحيحا لأن سيدنا موسى قد مات قبل النبى محمد صلى الله عليه وسلم وهذا الكلام الوارد فى السؤال مخالف للوقائع التاريخية المقطوع بصحتها .

السؤال : ما رأى الدين فى المزاح بين الزوجين ؟

الجواب :

امر الاسلام الزوج بحسن المعاشرة والملاطفة واكرام الزوجة واعطائها حقوقها وهى المهر والنفقة والكسوة والعشرة بالمعروف والصبر عليها

واحتمال بعض الهفوات قال تعالى : ((**وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا**)) .

قال ابو حامد الغزالي — ومن أدب الزواج أن يزيد على احتمال الأذى بالمداعبة والمزاح والملاعبة فهي التي تطيب قلوب النساء ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح معهن وينزل الى درجات عقولهن في الاعمال والأخلاق حتى روى أبو داود والنسائي ، وابن ماجه بسند صحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسابق عائشة في العدو (الجرى) فسبقته يوما وسبقها في بعض الأيام فقال عليه الصلاة والسلام هذه بتلك ، وفي الخبر أنه كان صلى الله عليه وسلم من أفكه الناس مع نسائه .

وقال صلى الله عليه وسلم أكمل المؤمنين ايمانا احسنهم خلقا والطفهم بأهله ، وقال عليه السلام خيركم خيركم لنسائه وانا خيركم لنسائي ، وقال عمر رضي الله عنه ينبغي للرجل ان يكون في أهله مثل الصبي فاذا التمسوا ما عنده وجد رجلا ، وروى البخاري ومسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجابر حين تزوج ثيبا (هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك) أي هلا تزوجت بكرا حتى تلعب معها وتلعب معك ، فالمزاح والملاعبة بين الزوجين سنة مشروعة ولكن ينبغي الا يزيد الرجل في الدعابة وحسن الخلق والموافقة باتباع هوى الزوجة الى حد يفسد خلقها ويسقط هيبته عندها بل يراعى الاعتدال فيشتد ويغضب اذا رأى منكرا ، وينبسط ويفرح اذا رأى شيئا حسنا وخير الأمور الوسط وكان عليه الصلاة والسلام يحب الرفق في الأمر كله ، والخلاصة ان المزاح كالملح للطعام ينبغي أن يكون باعتدال وفي أوقات مناسبة ، فهناك ساعة للجد ووقت للمزاح والمجاملة ، وفي الحديث الصحيح (أن لربك عليك حقا وان لزوجك عليك حقا فاعط كل ذي حق حقه) .

ثلاثة أسئلة

السؤال الاول : كم كان عمر موسى عندما ذهب الى مدين وما هو الوقت الذي استغرقه سفره الى مدين وما هي المدة التي قضاها عند شعيب ؟

الجواب :

اقام موسى بمصر الى أن بلغ اشده وصار عمره ثلاثين عاما ثم قتل رجلا خطأ فهرب من مصر ماشيا على قدميه في شهور الصيف ، واشتد به الجهد والجوع وحفيت قدماه من السير فلما وصل الى ارض مدين ساعد بنتي نبي الله شعيب في سقي أغنامهما ، ثم استراح في ظل شجرة وقال (**رب اني**

لما انزلت الى من خير فقير) ، مجاءته ابنة شعيب ودعته لمقابله ابيها وهنـــاك تزوج من هذه الفتاة ومكث عند شعيب عشر سنوات ، وبدلك أتم أربعين سنة وبينما هو عائد الى مصر اعطاه الله الرسالة والنبوة وارسله الى فرعون وقومه .

وقد عاش موسى بعد أن اصبح رســولا ثمانين عاما منهــا ثلاثين ســنة قضــاها بمصر قبل اختراقه البحر ، وخمسين ســـنة قضاها بعد اختراق البحر ومات وعمره ١٢٠ عاما .

فعمر موسى كالاتى :

ثلاثين سنة فى مصر ، عشر سنوات فى مدين ، ثم جاءته الرسالة وعمره اربعون عاما وهو فى طريق عودته من مدين الى مصر .

ثم عاش ثمانين سنة بعد الرسالة ومات وعمره ١٢٠ سنة .

السؤال الثانى : عندما ذهب موسى الى مصر هل كانت معه صــــفوة ابنة شعيب ؟

الجواب :

جاء فى تفسير مقاتل بن سليمان ، المتوفى سنة ١٥٠ هـ ، « وهو تفسير مخطوط حققه الدكتور عبد الله شحاته » ، وعند تفسير الآية ٢٩ من سورة القصص ما يأتى :

« اتم موسى عشر سنين عند شعيب وتزوج من ابنته الكبرى صبورا بنت شــعيب بن نويب بن مدين بن ابراهيم . **(فلما قضى موسى الاجل)** اى السنين العشر وســـار بأهله ليلة الجمعة راى نارا ناحية الطور ، وكان قد تحير ليلا وضل الطريق فقال لاهله أمكثوا مكانكم لعلى آتيكم بجذوة من النار تستدفئون بها أو اجد عند النار من يرشدنى الى الطريق » . ومن تفســـير مقاتل يتضح أن اسمها صبورا **لا صفوة كما ذكر الســـائل . اما موسى عليــه** السلام فقد وجد عند النار نورا الهيا ونداء ربانيا هو نداء الحق سبحانه : **(ان يا موسى انى انا الله رب العالمين)** القصص / ٣٠

ثم اعطاه الله الرسالة فذهب بها الى فرعون وقومه بأرض مصر .

السؤال الثالث : اين حصل موسى على عصاه فى مدين أو فى مصر وماذا كان لون العصا ؟

الجواب : جاء فى تفسير مقاتل بن سليمان لقوله تعالى فى ســورة طه **(وما تلك بيمينك يا موسى قال هى عصاى اتوكا عليها واهش بها على غنمى ولى فيها مآرب اخرى)** طه /١٧ ، ١٨

كان موسى عليه السلام يحمل زاده وسقاءه على عصاه ، وكان اذا ركزها فى الأرض خرج الماء فاذا رفعها ذهب الماء وكانت تضىء بالليل فى غير قمر ليهتدى بها ، ويرد بها عنمه عليه وكانت تمنعه باذن الله من الآفات ويقتل بها الحيات والعقارب باذن الله عز وجل .

حدثنا عبيد الله قال وحدثنى ابى عن الهذيل عن مقاتل قال دفع جبريل عليه السلام العصى الى موسى وهو متوجه الى مدين بالليل واسم العصى نفعة .

اما السؤال عن لون العصا فهو من التكلف الذى لا فائدة منه وأولى بالمسلم ان يصرف همه الى فهم كتاب الله والاكتفاء بما جاء به .

قال الامام الحافظ بن كثير فى حديثه عن الاسرائيليات : « وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود الى امر دينى ولهذا يختلف علماء اهل الكتاب فى مثل هذا كثيرا ويختلف المفسرون عادة بسبب ذلك ، كما يذكرون فى مثل اسماء اصحاب اهل الكهف ولون كلبهم وعدتهم وعصا موسى من اى شجر كانت واسماء الطيور التى احياها ابراهيم ، وتعيين البعض الذى ضرب به القتيل من البقرة ، ونوع الشجرة التى كلم الله منها موسى الى غير ذلك مما ابهمه الله تعالى فى القرآن حيث لا فائدة منه تعود على المكلفين فى دينهم او دنياهم » .

ويقول ابن كثير ايضا : « وفى القرآن غنية عن كل ما عداه من الاخبار المتقدمة لأنها لا تكاد تخلو من تبديل وزيادة ونقصان وقد وضع فيها أشياء كثيرة .

ويقول المحقق الأستاذ احمد شاكر « ان فى اثبات مثل هذه التفسيرات بجوار كلام الله ما يوهم انها بيان لمعنى قول الله وتفصيل لما أجمل فيه . وحاشا لله ولكتابه أن نفسره باسرائيليات امرنا بالا نصدقها ولا نكذبها ، وبالتالى أمرنا الا نضعها موضع التفسير أو البيان لكتاب الله » .

سؤالان

س ١ ــ الكتب السماوية أربعة . القرآن الكريم باللغة العربية .

ما هى اللغات التى انزلت بها الكتب الأخرى ؟

ج ١ : أنزل الله صحفا على أنبيائه ورسله . قال تعالى **(ان هذا لفى الصحف الأولى . صحف ابراهيم وموسى)** .

كما أنزل القرآن والتوراة والانجيل والزبور .

نزل القرآن على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم باللغة العربية قال تعالى (**انا انزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون**) يوسف ، وقد انزل الله التوراة بالعبرانية وانزل الزبور بالعبرانية ، وانزل الانجيل بالآرامية ونلاحظ أن الكتب التى نزلت على بنى اسرائيل وهى التوراة والزبور كانت بلغتهم العبرانية قال تعالى :

(**وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم**)

وقد ذكر القرآن هده الكتب السماوية وبين انها منزلة من عند الله قال تعالى فى بداية سورة آل عمران (**ألم . الله لا اله الا هو الحى القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وانزل التوراة والانجيل**) وقال سبحانه (**وآتينا داود زبورا**)

والمؤمن مطالب أن يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وان يصدق بان الله ارسل رسلا وانزل عليهم كتبا وان هذه الكتب فيها أحكام الله ، وبعضها دخله التحريف والقرآن متمم لهذه الكتب ومهيمن عليها ولم يدخله تحريف فهو حاكم صادق على الكتب السابقة ، وقد نسخ الاسلام الشرائع السابقة وجمع القرآن اهم الأحكام السابقة فى الكتب المنزلة وزاد عليها قواعد أساسيه تمس حاجه الانسان فى جميع العصور فهو كتاب البشرية الخالد احكامه عامة وقواعده عادلة قال تعالى :

(**انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون**)

س ٢ : كيف يستطيع المسلم أن يعوض صلاته التى اقامها فى غير وقتها .

ج ٢ : الصلاة ركن من أركان الاسلام فرضها الله وبين أوقاتها وأمرنا ان نحافظ عليها وان نواظب على ادائها فى أوقاتها قال تعالى (**ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا**) اى فرضا مؤقتا يؤدى فى وقته واذا اضطر الانسان وادى صلاته فى غير وقتها ، فان كفارة ذلك هى الندم والاحساس بالتقصير والاستغفار والعزم على المحافظة على الصلاة فى المستقبل .

ولم يؤخر النبى صلى الله عليه وسلم صلاة عن وقتها ، وفى غزوة الأحزاب جمع الظهر والعصر والمغرب والعشاء فى وقت واحد ثم دعا على الكافرين وقال ملأ الله بيوتهم وديارهم نارا شغلونا عن الصلاة الوسطى ـ صلاة العصر .

***

ان المحافظة على الصلاة من صفات المؤمنين الخاشعين الذين اختاروا طريق الفلاح قال تعالى (**قد افلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون**) ثم قال سبحانه (**والذين هم على صلواتهم يحافظون أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون**)

ومن أدى الصـلاة متأخرة عن وقتها الشرعى ، وأراد أن يعوض هذا التأخير ، فان عليه الندم والاستغفار والاحساس بالتقصـير وليعزم على المحافظة على الصلاة ويمكن ان يتبع ذلك بصلاة ركعتين تطوعا واخراج صدقة وتقديم عمل نافع ، كمساعدة محتاج أو تفريج كربة مكروب أو تلاوه القرآن أو نحو هذا قال تعالى (**واقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين**)

اي أن الاعمال الصالحة والطاعات تخفف آثار السيئات وتمحو عقابها لأن الحسـنات اذا رجحت كفتها فى الميزان فقد فاز الانسـان قال تعالى (**فاما من ثقلت موازينه ، فهو فى عيشة راضـيه ، واما من خفت موازينه ، فامه هاوية ، وما ادراك ماهيه ، نار حامية**) القارعة ٦ ــ ١١

ثلاثة اسئلة

س ١ ــ هل يجوز التهرب من الغرامة التى يدفعها الزوج عقابا له على طلاق زوجته ؟

جـ ١ ــ الطلاق حلال وأبغض الحلال الى الله الطلاق .

ومعنى ذلك أن الله شرع الزواج وجعله وسيلة لاقامة الأسرة المسـتقرة الناجحة ، وقال عليه الصـلاة والسـلام (ان الله لا يحب الذواقين ولا الذواقات فاذا تزوجتم فلا تطلقوا)

والذواق هو الذى يتزوج المراة ليذوق طعمها ثم يتـركها الى امـراة أخرى . مع أنه لو فكر جديا لوجد ان أساس الهدى الاسلامى هو الاكتفاء بزوجة واحدة تكون أساس الاستقرار والسعادة وتكون أشبه بالنحلة التى يقدم لها الغذاء فتخرج عسلا شهيا مختلفا الوانه فيه شفاء للناس .

فاذا راى ولى الأمر أن بعض الناس يستغل حق الطلاق ويتعسف فى استخدام هذا الحق ويستعمله فى غير محله ، واذا أراد ولى الأمر أن يحافظ على سلامة المجتمع من أضرار الطلاق ثم فرض غرامة على كل زوج يطلق زوجته عقابا له فيجب على الانسـان أن يدفع هذه الغرامة عند الطلاق ولا يجوز له أن يتهرب منها . لأنها تاديب ووسيلة من وسائل تقليل الطلاق حتى يفكر الانسـان طويلا قبل أن يقدم على طلاق الزوجة وليعلم المؤمن أن الانسان خلق ضعيفا والمراة خلقت شديدة العاطفة والتأثر فينبغى للرجل أن يحسن عشرتها وان يصفح عن بعض هفواتها والا يبادر للطلاق لأسباب يسـيرة . وفى الحديث الشريف يقول النبى صلى الله عليه وسلم (لايفرك مؤمن مؤمنة ان كره منها خلقا رضى منها آخر)

أى لا يبغض زوج زوجته من أجل عيب معين وليبحث عن صـفاتها الحميدة الأخرى .. وربما ينقلب بغضه لزوجته الى حب وتعاون وربما رزق

منها ولدا او ساعدته الايام على التفاهم والســـعادة الــزوجية قال تعالى **(وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شــيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا)** النساء / ١٩

س ٢ ـ هل يجوز للمسلم ان يتزوج فتاه غير شرعية واذا كان يجوز فماذا يفعل .

ج ٢ ـ امرنا الاسلام ان نختار الزوجة وان نحسن الاختيار والعوامل التى يختار الانسان من اجلها الزوجة هى الجمال والمال والحسب والدين .

فلا بأس ان تكون جميله جمالا ســـــبيا وكره الفقهاء صاحبه الجمال الباهر لأنها تزهى بجمالها .

ولا بأس أن يكون لديها مال يعين على نوائب الحياه .

ولكن اذا كانت فقيرة حسنه السيرة والخلق فان الله قد وعــد زوجها بالغنى قال تعــالى **(وانكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم)** النور/٣٢ .

ولا بأس أن تكون الزوجة من عائلة كريمة معروفة بالاستقامه وحسن السلوك ولا يلزم أن تكون عائلة غنيه أو حاكمة بل يكفى أن تكون عائلة ذات مستوى اخلاقى كريم .

واخيرا يجب ان تكون الزوجة ذات دين وايمان يعصمها من التردى فى الرذيلة ويدعوها الى الأعمال الحسنة .

قال صلى الله عليه وسلم (تنكح المراة لأربع لمالها وجمالها وحســــبها ودينها فاظفر بذات الدين تربت يداك) اى احرص على زواج المراه المؤمنه التى تلتزم بأحكام الاسلام وتنفذ أوامر الله وتجتنب المحرمات وهنــاك ملاجيء ودور حضانة ، ومؤسسات ترعى اللقطاء وتساعدهن على التعليم واكتساب حرفة او مهارات معينه .

فاذا رأى الانسان فتاة لقيطه أو فتاة من غير زواج شرعى أو فتاة ضلت الطريق واعجبته ورأى انه قادر على رعايتها وحمايتها من الرذيلة فلا مانع من زواجهــا ، ويجوز له أن يتقدم لخطبتها من ولى أمرها فان لم يكن لهــا ولى خطبها من أقرب الناس اليها أو ممن يرعى أمورها .

وعليه ان يتم عقد الزواج تماما بالصورة الشرعية .

فيقدم لها الهدايا ويعقد القران ويقدم لها المهر وعند حضــور وقت الزواج يتم بصــورة طبيعية ولابد من حضور الشــهود واعــلان الزواج واشهاره أمام الناس .

س ٣ ـ ما هى اللغة التى كان يتكلم بها أبونا آدم وأمنا حواء ؟

ج ٣ ـ اولا : البحث عن هذه الأشياء تكلف لا داعى له ، وقد امرنا ان نسال عما فيه فائدة .

ثانيا : كان آدم قد علم اسماء الأشياء والمسميات قال تعالى **(وعلم آدم الأسماء كلها)**

ومن هذه الآية يمكن ان نسمى لغة آدم اللغة الآدمية نسبة الى آدم .

أو نسميها اللغة الالهية نسبه الى الاله سبحانه لأنه هو الذى علمها لآدم .

ثالثا : نحن نعلم انه كانت هناك وسيلة للتفاهم بين آدم وحواء والملائكة أما ما هى الوسيلة وما اسم اللغة التى كان يتكلمها آدم . فالبحث عنه تكلف غير مفيد وفى القرآن **(قال يا آدم انبئهم باسمائهم فلما انباهم باسمائهم قال الم اقل لكم انى اعلم غيب السموات والأرض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون)** البقرة / ٣٣

وخلاصة معنى هذه الآية ان الله علم آدم اسماء الأشياء وقواعد اعمار الكون واستخلاص النتائج من المقدمات ، ثم طلب من الملائكة أن تنطق باسماء الأشياء التى أمامها فعجزت لعدم علمها ولأنها مخلوقات مجبرة على الطاعة لا تملك أسباب الابتكار والاستنتاج . فطلب الله من آدم أن يخبرهم باسماء الأشياء التى أمامهم فلما اخبرهم آدم بأسماء الأشياء أعلمهم الله ان الأرض لا يعمرها الا انسان وان الله عليم بغيب السماء ولذلك جعل عمارة الارض بيد آدمى من أفراد الانسان لأن الانسان بصفاته الغريزية وطبيعة التنافس والتغالب فيه هو الذى يتناسب مع عمارة الأرض وتكاليف الحياة الدنيا ، أما الملائكة فأجسام من نور لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .

سبعة اسئلة

س ١ : هل الحب حرام ام حلال

ج ١ ـ مدح الله المؤمنين بقوله سبحانه **(يحبهم ويحبونه)**

وامتن الله على النبى صلى الله عليه وسلم بقوله : **(والف بين قلوبهم لو انفقت ما فى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم انه عزيز حكيم)** .

وقد الف الناس أن يطلق الحب على العلاقة العاطفية بين الفتى والفتاة أو بين الرجل والمرأة .

مع أن الحب يمكن أن يمتد الى حب الوطن وحب الأسرة وحب العمل وحب الحياة وحب الناس وحب العبادة ومحبة الله وهى الحب الاكبر .

قال صلى الله عليه وسلم : (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان أن يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه الا لله وأن يكره أن يعود فى الكفر كما يكره ان يقذف فى النار) .

والحب العاطفى بين الفتى والفتاة من الأمور التى نلمسها فى حياتنا وعادة ما يتعرض له الفتيان والفتيات بل الشباب والشابات وليس الحب عيبا فى ذاته انما العيب هو الاستسلام للهوى والشهوة والاسترخاء أمام جموح العاطفة وقد أمرنا ان نسامى بعواطفنا وان نفطم أنفسنا عما حرم الله، وأن نحفظ الجوارح من معصية الله قال تعالى **(وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله والله واسع عليم) .**

س ٢ : لى زميل يترك عمله الرسمى الى صلاة الظهر ويستمر فترة طويلة جدا فى الصلاة هل ذلك جائز أم غير جائز .

ج ٢ : فرض الله الصلاة وجعلها خمس صلوات فى اليوم والليلة وجعل لكل صلاة وقتا محددا . قال تعالى **(ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) .**

ولابد من الصلاة فى أوقاتها وذهب الامام احمد بن حنبل الى جواز جمع الظهر مع العصر جمع تقديم والمغرب مع العشاء جمع تأخير فى السفر والمرض والبرد والعذر الشديد ، كالشرطى الذى ان ترك عمله اعتدى اللصوص على أموال الناس التى يحرسها .

أما من ترك عمله وتغيب منه فترة طويلة جدا للصلاة . فانه يتشاغل عن عمله بدون حق . كما قال القائل .

اذا رام كيدا بالصلاة مقيما فتاركها عمدا الى الله اقرب

لقد قرن التجار بالمجاهدين فقال سبحانه :

(وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون فى سبيل الله) .

وقد وسع النبى صلى الله عليه وسلم أنواع العبادة وجعل أوجه النشاط المختلفة نوعا من العبادة اذا قصد بها وجه الله .

رأى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم شابا جلدا قويا قد بكر ليسعى فقالوا يارسول الله لو كان شبابه وجلده فى سبيل الله فقال صلى الله عليه وسلم : « دعوه فانه ان كان خرج يسعى على أبوين كبيرين فهو فى سبيل الله وان كان خرج يسعى على صبية له صغارا فهو فى سبيل الله وأن كان خرج يسعى على نفسه يعفها من المسألة فهو فى سبيل الله وان كان خرج يسعى استكثارا للمال وتفاخرا به فهو فى سبيل الشيطان »

فمن ذهب الى الصلاة فليؤدها فى وقتها وعليه الا يضيع وقتا طويلا جدا بعيدا عن عمله ، بل يؤدى الصلاة ويعود الى عمله ليسعى على رزقه من حلال . قال تعالى (**فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله**).

س ٣ : اشتريت فاكهة وعندما عدت الى المنزل وجدت فى الكيس الذى أحمله نوعا رديئا بسبب الغش . أرجو توجيه كلمة الى التجار .

حـ ٣ : حرم الله الغش وتوعد فاعله بالعذاب والنكال .

قال صلى الله عليه وسلم (من غشنا فليس منا) .

وروى الامام احمد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(المسلم اخو المسلم ولا يحل لمسلم اذا باع من أخيه بيعا فيه عيب ان لا يبينه)

وكما حرم الاسلام الغش فقد حرم تطفيف الكيل والميزان . قال تعالى **(ويل للمطففين • الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون • واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون • الا يظن أولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم)** .

فقد توعد الله من يبخس الناس حقهم فى الكيل والميزان بالويل وهو و . فى جهنم بعيد غوره شديد عذابه ، فله الويل والسعير لانه اذا اشترى استوفى حقه واذا باع بخس الناس حقها .

قال تعالى (**أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين وزنوا بالقسطاس المستقيم**)

وكذلك حرم الاسلام الاحتكار وهو جمع السلعة رجاء زيادة سعرها ، وفى الاثر (بئس التاجر المحتكر اذا أرخص الله الأسعار حزن واذا اغلاها فرح

س ٤ : هل يجوز اعتناق المذهب المادى

جـ : أرسل الله سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم هاديا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وقد انزل الله عليه القرآن داعيا الى الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر .

وساق القرآن العديد من الأدلة على وجود الله . ولفت نظر الانسان الى خلق السماء والارض والشمس والقمر والليل والنهار والبحار والانهار ، قال تعالى :

(هذا خلق الله فارونى ماذا خلق الذين من دونه)

وقال سبحانه (**ام من جعل الارض قرارا وجعل خلالها انهارا وجعل لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزا**)

فالانسان جسم وروح والاسلام دين وسط . قال تعالى (**وكذلك جعلناكم امة وسطا**) .

ان المذاهب المادية تنكر الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتدعى ان الدين خرافة وانه أفيون الشعوب وكل ذلك افتراء على الله .

لقد أدت الاديان دورا هائلا فى خدمة البشرية ، ولا غنى للانسان عن عقيدة سليمة تربطه بخالقه ورازقه . قال تعالى : (**قل أانتم اعلم أم الله**) .

وقال سبحانه (**وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله**) .

س ٥ : بعض الناس يهتمون بذكر صفات الرسول الجسدية فما حكم الدين فى ذلك

ج ٥ : الملح للطعام قليله مفيد ، وكثيره يفسد الطعام

وهذا الأمر ينطبق على موضوع السؤال

ذلك اننا اذا نظرنا الى سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وجدنا سفرا ضخما فى حياته ودعوته وجهاده وهجرته وخلقه . وصفاته النفسية والخلقية .

وفى كتب السيرة القديمة او الحديثة نجد مجلدات كبيرة فى وصف حياة النبى صلى الله عليه وسلم ونجد صفحة أو صفحات تصف النبى صلى الله عليه وسلم من ناحية شكله وصورته .

فمن ذلك . ان النبي صلى الله عليه وسلم مر فى طريق الهجرة من مكة الى المدينة بخيمة أم معبد ولم يكن عندها طعام وقد خرج زوجها يرعى الأغنام ، وترك شاة ضعيفة متخلفة لا لبن لها فقال النبى صلى الله عليه وسلم قريبا يا أم معبد ومسح على ضرعها فدر باللبن وشرب منه أبو بكر الصديق وشربت أم معبد وشرب رسول الله وملأت أم معبد أوانيها باللبن .

فلما حضر زوجها سألها عن مصدر اللبن فقالت حضر رجل مبارك ومر بيديه الكريمتين على ضرع الشاة فدر باللبن فقال لها زوجها صفيه يا أم معبد فقالت :

(ليس بالطويل ولا بالقصير . ضخم الراس مشربا وجهه حمرة أدعج العينين (الدعج شدة السواد وشدة البياض) سبطه الشعر (سهلا غير ملبد) سهل الخدين (غير مرتفع الوجنتين) كأن عنقه ابريق فضة ، واذا التفت التفت جميعا ، كأن العرق فى وجهه اللؤلؤ الرطب لطيب عرقه وريحه .

س ٦ : أحيانا أسرح أثناء تلاوة القرآن مما يسبب لى بعض المتاعب النفسية كيف اتغلب على ذلك .

ج ٦ : القرآن كلام الله وهو خطاب الله الى البشر ومن سبل الانصات احساس السامع أنه يتلقى كلام الله له . وفى الاثر اقرأ القرآن كأنما أنزل عليك .

ومن سبل الانصات معرفة الانسان بالأهداف العامة لسور القرآن الكريم فسورة البقرة تناولت موضوعين رئسيين : الأول : الحديث عن بنى اسرائيل وعدوانهم فى السبت وظلمهم أيام موسى وبعد موسى .

والثانى : تشريع الله للمسلمين أحكام تنظيم حياتهم . من ذلك تشريع الصيام والجهاد وشئون الاسرة .

وسورة آل عمران عنيت بالحديث عن غزوة احد

وسورة النساء عنيت بالحديث عن شئون النساء واليتامى والميراث ونظام المجتمع .

وسورة المائدة عنيت ببيان أحكام الحلال والحرام وذكرت قصة قابيل وهابيل .

وسورة الانعام عنيت بذكر أدلة الألوهية ونعم الله على الناس .

وسورة الاعراف عنيت بذكر قصة آدم وقصص الانبياء .

وسورة الأنفال عنيت بذكر أخبار غزوة بدر وبينت وسائل النصر .

وهكذا عندما يحس الانسان بالروح العامة للسورة ويهتم بالمعنى الاجمالى للآيات ، يجمع بين حضور الذهن وتدبر المعانى . قال تعالى **(واذا قرىء القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون)** ويساعد على ذلك اختيار القارىء فى المياتم والمحافل سورا سهلة الفهم مثل سورة مريم ، طه .

وفقنا الله لما يحب ويرضى وهدانا سواء السبيل .

س ٧ : ما حكم الاحتفال بالمولد النبوى ومتى بدأ الاحتفال به وفى أى بلد ومن احتفل به لأول مرة ؟

ج ٧ : الاحتفال بالمولد النبوى فى هذه الأيام مناسبة كريمة وشعيرة حسنة وعبادة مستحبة لتذكير المسلمين بفضل الرسول صلى الله عليه وسلم وعظمته وجهاده وكريم صفاته وآدابه العالية .

ولم يكن الاحتفال بمولد النبى صلى الله عليه وسلم معروفا فى صدر الاسلام ولا فى عصر الصحابة رضوان الله عليهم ولا فى عصر التابعين .

وقد عرف عن دولة الفاطميين بمصر عنايتهم بالاحتفالات الدينية وخصوصا مولد النبى صلى الله عليه وسلم . وسرى ذلك التقليد وانتشر فى سائر البلاد الاسلامية فاصبح العرب والمسلمون يحتفلون بذكرى مولد الرسول صلى الله عليه وسلم باقامة الحفلات والقاء العظات وقراءة القصة والسيرة النبوية وكلها آداب جميلة لا بأس بها .

ولكن المسلمين فى حاجة الى ان يتركوا الاحتفالات التقليدية التى توزع فيها الحلوى وعرائس المولد ، وهم فى حاجة الى احياء المعالم الاسلامية والاداب المحمدية والاقتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم قدوة حقيقية فى صدقه واخلاصه وشجاعته وعفته ونزاهته وتواضعه وبذلك تحيا فيهم اخلاق الاسلام ويعود الاسلام رباطا قويا وسياجا منيعا يحفظ المسلمين ويرد اليهم عزتهم وكرامتهم . قال تعالى (**ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين**) .

اسئلة من طلبة الجامعة

س أنا الطالب /ع/ع بجامعة القاهرة

أتلو اليك هذه المشكلة راجيا من الله ان تأتى لنا باجابة يرضاها هو عز وجل .

كان لى أخت هى أكبر اخواتى . كنت حين ذاك فتى صغيرا لم أتجاوز الثامنة من عمرى وقد زفت وبعد زفافها بأشهر طلقت منه ... فبعد عدة أيام من طلاقها ، وذات يوم وأنا نائم أفقت على أنينها وانها تعلونى وتمارس معى الجنس كأحد من الأشخاص التى لا تعرفهم كنت لا أعرف لماذا تفعل ذلك معى حتى انها استمرت فى هذا ، فكانت تنادينى وتبدأ بممارسة الجنس معى علانية فى صحوتى . كنت أطيعها لانها كانت تضربنى كثيرا لو رفضت لها طلبا استمرت هذه الطريقة لمدة عام كامل حتى بلغت التاسعة من عمرى وكنت فى الرابعة الابتدائية . وتزوجت شخصا آخر وبعدت بعيدا عنا . ولكنها تركت فى غريزة جنسية عنيفة الى الآن وكراهة فظيعة لأختى .. حتى اننى عندما بلغت واحسست بالمراهقة كدت أمارس الجنس مع أخت صغيرة لى كما كانت تفعل معى أختى الكبرى ، ولكن خشية من الله كنت أبعد كثيرا عن البيت كى لا اقع فى مثل هذا العمل ولكن عاشت هذه الغريزة عندى بطريقة لا معقولة حتى اول هذا العام .. اولا ماذا افعل ؟ ؟ ثانيا ما حكم الدين والشريعة الاسلامية فى مثل هذا العمل ؟ ؟ ثالثا : ما موقف الاسلام منى ؟ ؟ رابعا : هل يغفر لى الله مثل هذا الذنب الذى ارتكبته وانا الآن من الذين يعبدون الله حق عبادته ؟؟ أخبرنى بالله عليك .

المعذب

ع . ع .

ج : اما ما حدث وانت صغير فقد رفع عنه القلم لأنك كنت دون سن التكليف الشرعى . فانســـه وانس كل ما يتصــل به . وعقابه الكبير على من كانت تدفعك اليه .

اما وقد بلغت سن التكليف الشرعى فحذار مما قد يسول لك الشيطان به لأن الزنا بمحرم كالأخت والبنت حكمه الشرعى هو القتل . فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم (من وقع على ذات محرم فاقتلوه) .

فاكثر من استغفار الله والاعتصام به وبأوامره ونواهيه ، وهل يعالج الخطأ الشنيع من ناقصة عقل ودين بمعصية أشنع منها ، وانت من الذين يعبدون الله حق عبادته ؟

وفى علم النفس أن ما تعرف سببه لا يمثل عقدة مستعصية .

انت انســـان طبيعى ، وقد يكون الذنب من ابواب الوصـــول الى الله والله غافر الذنب وقابل التوب . للتائبين ، وهو شديد العقاب لمن أصر على المعصية .

قال تعالى (غافر الذنب وقابل التـوب شـديد العقـاب ، ذى الطول لا اله الا هو اليه المصير)

س : أنا طالب بالسنة الثالثة الجامعية نشأت فى أسرة محافظة عودتنى الخلق الكريم منذ الصغر ، لى جارة تصغرنى بأقل من عام تربينا معا منذ طفولتنا ، ودون قصد من أينا أصبحت طباعهـا مماثلة لمـا طبعت عليـه ، وأصبحت آمرها بالشىء تفعله دون جدال ايمانا بأن ما أقوله هو الصـــواب واستنادا الى سمعتى الطيبة فى الحى عامة وعند أسرتها خاصـة ، فأمرتها بالصلاة فصـــلت وامرتها بالاحتشام فالتزمت بالزى الاسلامى واربط كل منا بالآخر لدرجة لا يمكن ايضاحها ، فاتحت والدتى لآخذ منها كلمة لمستقبلى وصـدمت لما وجدته من اصرار لديها على رفض هذه الفتاة بالذات وبررت ذلك بأن أسرتها ليست من نفس المســتوى الاجتماعى وان لها شـــقيقان ليسا على خلق وان كانا قد حصلا على شهادات متوسطة ، وحقيقة ان أسرتها دون مستوانا الاجتماعى وأن شقيقيها سيئا الخلق ... ولكن مالى ومالها بكل هذا .. وأين أجد فتاة فى مثل خلقها فى آنسات هذه الحضارة الزائفة .

ارجو من سيادتك الرأى والمشورة

ولسيادتكم وافر الشكر والتحية

ج : بنى العزيز ، لست من أنصار الزواج لطالب فى الســنة الثـالثة الجامعية خصوصا وحولك هذه الظروف التى شرحتها نصيحتى ، انصرف لدراستك ، واصرف ذهنك كلية عن الموضوع واتمنى ان تكون رفيقة حياتك حائزة على شرطين الأول رضاك ، الثانى رضا أسرتك ، وستجد فى المستقبل

ان شاء الله من يتحقق فيها ذلك . والدنيا بخير (والخير فى وفى امتى الى يوم القيامة) كما ورد فى الحديث الشريف

س . ابلغ من العمر ٣٠ سنه متزوج ولى طفلين لى اخت كفيفه تسكن معى فى نفس الحجرة التى أسكن فيها انا واسرتى دخلى محدود للغايه ولى أخ ميسر الحال يعيش فى الصعيد ، وهل ارسل أختى لتعيش مع أخى هذا وهو بيته كبير وواسع واتولى انا الانفاق على تعليم اولادى او من واجبى أن أترك أختى تعيش معى رغم ان أخى هو الأكبر فى السن والمال فما رأى الدين فى هذا

وشكرا ، ،

ج : ارسل أختك الى اخيك ، والافضل أن تكتب له خطابا تشرح له فيها ظروفك وحاجتك الملحة اليه فى أن يرعى أختك لينفق عليها ويرعاها.

قال تعالى (**لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما اتاه الله لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا**) . الطلاق/٧

س : ما حكم شرب الحشيش والبيرة ؟

ج : دلت نصوص القرآن الكريم والسنة الصحيحة ــ فى مجموعهما ــ على حرمة كل ما خامر العقل اى اثر عليه بذهاب أو سكر أو تخدير أو نحوها .

فكل ما ادى الكثير منه الى شيء من ذلك فالقليل منه حرام . ولا يجادل فى حرمة ذلك مؤمن صحيح الايمان .

ويرى ابن تيمية وجمهور فقهاء المسلمين ــ ان من استحل شيئا من ذلك وزعم انه حلال فانه يستتاب ، فان تاب والا قتل مرتدا ، لا يصلى عليه ولا يدفن فى مقابر المسلمين .

والخمور والمخدرات وسائر المشروبات الكحولية ــ ومنها البيرة ــ سواء فى هذا الحكم .

س : انا طالبة جامعية بالفرقة الرابعة استفسر عن حكم الشرع فى المرأة التى تذهب لأداء فريضة الحج واثناء اداء مناسك الحج قد جاء ميعاد الدورة الشهرية فاتت فى اثناء اداء هذه المناسك فماذا تفعل حتى تحسب لها الحجة ارجو تفسير ذلك بايضاح ونشرها فى مجلة الوعى الدينى اذا سمحتم .

وشكرا .

ج : كل ما عليها ان تمتنع عن الطواف بالبيت الحرام حتى تطهر ، ثم تطوف .

روى مسلم عن عائشة رضى الله عنها ان رسـول الله صلى الله عليـه وسلم دخل عليها وهى تبكى .

فقال : انفست (حضت) ؟

قالت : نعم .

قال : ان هذا شيء كتبه الله على بنات آدم ، فاقضى ما يقضى الحـاج غير الا تطوفى بالبيت حتى تغتسلى . وهذا هو حكم من حاضت اثناء الحج .

فاذا انزل عليها الحيض بعد ان طافت طواف الافاضة ، فانهـا ترمى الجمار ، وتسافر عندما تشاء السفر ويسقط عنها طواف الوداع لأنه سنة ، ويسقط طواف الوداع عن الحائض والنفساء .

انا الطالب/ عطية ـ أ ٠ الثانية كلية الآداب

احببت فتاة من الكلية حين التحقت بها وزاد هـذا الحب بطريقة غير معقولة عبر هاتين السـنتين اللتين قضيتهما فى الكليـة ونجحت والحمد لله وبتوفيقه بتقدير جيد ، ولكن هذه الفتاة متذبذبة من الناحية الدينية كذلك ان معارفها من الشبان زادت بطريقة غير طبيعية وصادقت أحدهم غيرى وعندما كنت اكلمها فى هذا تقول انه صديق كأى صديق فى الكلية وانها تخرج مع اى شاب الى خارج المنزل وخارج الكلية وكانت تتاخر خارج البيت كثيرا اننى لا اثق فى حبها لى .

جعلك الله لنا عونا

١ ـ هل أتقدم لخطبة مثل هذه الفتاة .

٢ ـ هل أستمر فى علاقتى بها .

٣ ـ ما رأيك فى هذه الفتاة من جميع النواحى .

ابنك

عطية .. بالسنة الثانية

ج : اهرب بنفسك ودينك وعرضك ومستقبلك كله من هـذه الفتاة ، وحذار أن تخادعك نفسك بغير هذا .

ورأيى فيها تعرفه من السطرين السابقين .

أنا طالبة جامعيـة فى الخامسـة والعشرين متزوجة ولى بنتـان وكل ما اسأل عنه هو حقى لأننى أعرف واجبى جيدا تجاه بناتى وزوجى ووالدى واخواتى والحمد لله انى اؤدى واجبى على اكمل وجه بشهادتهم هم ولـكن ما هى حقوقى

ما هو حقى عند والدى ؟

ما هو حقى عند امى ؟

ما هو حقى عند زوجى ؟
ما هو حقى عند اخوتى ؟
هل من حقى أن اعرف دخل زوجى كاملا ؟
هل من واجب والدى الانفاق على وعلى دراستى لأنه متيسر الحال ؟
هل من واجب زوجى أن ينفق على اخوته وأمه رغم ان والده موجود ومن الأثرياء ؟

ان من حق الزوج ترك زوجته اذا مرضت فهل من حق الزوجة ان تترك زوجها اذا مرض ؟

ادخر لى والدى مبلغا منذ طفولتى لكى يؤثث لى به بيتى ولكن عند زواجى لم يمس هذا المبلغ وأثث البيت بأحسن جهاز ، والآن يعرض على كى آخذه فرفضت فهل اخطأت فى حق أولادى رغم أن أبى هو المتولى الانفاق على اذا مرضت وعلى كتب الكلية وملابسى . وشكرا .

ارجو الاجابة بلا تحيز لجنس الرجال
أو الشفقة على بل احكم بما أمر الله .

جـ ١ : أنت فى دوامة يا بنيتى ، الحياة ليست مسطرة توضح حقوق الناس بالسنتيمتر . الحياة أخذ وعطاء وأمور متداخلة فى بعضها .

الحياة سلوك سليم ورحمة بالآخرين وعمل نافع بالمجتمع وثقى من تعود العطاء سيجد الجزاء .

ولكن لا بأس من توضيح بعض المواقف
١ — ليس من واجب والدك الانفاق عليك

لكن اذا عاونك بالنفقة وشراء الكتب فهذا تفضل منه واقسم لك صادقا لو كانت لى ابنة متزوجة فى حاجة الى الانفاق لأنفقت عليها بل وعلى زوجها حتى يقفا على ارجلهما كما انفق على أولادى .

٢ — ليس من واجب زوجك أن ينفق على اخوته وامه مادام والده موجودا ومن الأثرياء بل عليه الرعاية الحسنة والهدية المتيسرة ، وفرض على زوجك أن ينفق عليك وعلى منزله .

٣ — من قال ان من حق الزوج ترك زوجته اذا مرضت ؟

هل هذا هو الوفاء والمودة والرحمة ، ان الانسان يجب أن يعتنى بالحيوان اذا مرض فما بال شريكة الحياة أو شريك الحياة . الانسانية ، المودة ، الألفة ، لا تظهر الا عند المرض والبلاء . والله جعل الزواج سكنا وآية من آيات الله .

اذيبى الجليد بينك وبين زوجك وان كان زوجك معرضا عن الحق فانقلى له هذا الكلام أو حكمى أحد العلماء الفضلاء ليلزمه بالحق ويحكم بالعدل بينكما .

٤ ـ اذا عرض عليك أبوك أن يعطيك المال المدخر مرة أخرى فاقبليه واتركيه باسمك فى البنك فهذا خير ساقه الله اليك ، ولا ترفضى الخير وابتسمى للحياة واشكرى أباك على حنانه وعطفه ومساعدته ولمحى لزوجك أن مساعدة والدك يجب أن تخفف ليتولى هو شئون الأسرة .

وعند تخرجك من الكلية ستدور عجلة الحياة وتحل الأمور نفسها .

ليس الأمر تحيز للرجال أو شفقة على النساء انما الأمر عدالة يجب أن تأخذ مجراها .

ودائما يجب أن نعلم أنه لابد من الزيت الذى يوضع مع الحديد حتى يدور .

الزيت هو الليونة أو المرونة فى التعامل مع الحياة ، الرفق ، التأقلم الأخذ والعطاء ، الدبلوماسية الكياسة ، حسن التأنى للامور . وفقك الله . ووفقنا جميعا لما يحب ويرضى .

س : يصلى بنا فى المسجد رجل كبير السن ولا يستر فروة رأسه ، فهل صلاة المأمومين صحيحة ؟

ج : نعم صحيحة .

س : هل يجوز لأى شخص لديه القدرة على الخطابة أن يخطب فى المسجد أم لابد من شروط معينة .

ج : يجوز لأى شخص لديه القدرة على الخطابة أن يخطب ، والأفضل أن يقدم أقدر الحاضرين على الخطابة وأكثرهم علما وفقها واقناعا .

س : هل يجوز أن تصلى المرأة صلاة الجمعة ركعتين كالرجل أم تصلى أربع ركعات ؟ وهل تقبل صلاتى ـ كفتاة يتعذر عليها الذهاب للصلاة فى المسجد يوم الجمعة على صوت المذياع ؟

ج : أولا : صلاة الجمعة ركعتان للرجل والمرأة ، واذا ذهبت المرأة الى المسجد وأدت صلاة الجمعة فهى صلاة مقبولة وتسقط الفريضة عنها .

ثانيا : لا يجوز الصلاة على صوت المذياع لأنه يشترط أن لا يفصل بين الامام والمأموم طريق تمر فيه العربة ولا نهر يمر فيه الزورق .

س : ما موقف الدين من العادة السرية بكل صراحة ؟

س . أ . م السنة الأولى ـ جامعة القاهرة

س : هل المنى اذا أصاب الملابس الداخلية ينجسها ؟ بماذا تنصحنى لأخفف من حدة العادة السرية ؟

م . ف . أولى ـ كلية دار العلوم

س : أنا أصلى وأمارس العادة السرية ، ولكنى متألم نفسيا جدا وقد تبت منها ثم رجعت لها مرة واحدة بعد التوبة وضميرى الى الآن لم يغفر لى ذنبى ، وحينما أدخل الصـــلاة أخجل خجلا شديدا وأخاف خوفا كبيرا من الرحمن ، فما موقف الدين من صلاتى اثناء ممارستها ، وصلاتى بعد التوبه التى أريد من الله أن يوفقنى لها .

ملاحظة : ارجو الاجابة على هذا السؤال رأفة بحالتى النفسية سريعا

س . أ . م السنة الاولى ـ كلية الآداب

ج : اولا : المني اذا أصاب الملابس الداخلية لا ينجسها ـ قال صلى الله عليه وسلم « يا عائشة اغسليه رطبا وافركيه يابسا » فيغســـل المنى اذا كان رطبا ويفرك اذا كان يابسا ، وقد ذهب الشافعية الى أن المني طاهر ، وذهب غيرهم الى نجاسة المنى ورأى الشافعية رأى قوى ، ولكن الأفضل غسل المنى اذا تيسر ذلك . فان لم يغسل فالصلاة به صحيحة .

ثانيا : العادة السرية ـ نشرت « مجلة الوعى الاســـلامى » فى عدد ذى الحجة سنة ١٣٩٢ هـ سؤالا يقول :

هل ينجم عن العادة السرية أضرار صحية وما حكم الدين فيها ؟

الاجابة : يقول الأطباء : ان العادة السرية تنجم عنهـا اضرار صحية وعقلية ، فهى تفقد الانسان حســاسيته الجنســية وهذا يؤثر على الحيـاة الزوجية كما أن الافراط فيها يسبب التبلد الذهنى والنسيان . فضلا عن انها تسبب التهابا فى المســالك البوليـــة وتؤدى الى ارتعاش أطـراف معتـادها ويقول الامام أحمد انها حرام واستدل على ذلك بقوله تعالى : ((والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ماملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون))

وأقول للأخ س . أ . م : رفقا بنفسك لقد تبت وعدت لها مرة واحدة ثم اخلصت فى التوبة فلا تكثـر من الخوف والقلق وكن ســعيدا بتوبتك وثق ان الله يقبل التـوبة ويعفو عن الســـيئات ويعلم ما تفعلون ويستجيب الذين آمنـوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله ، ويرى بعض علمـاء التربيـــة الجنســية والصحية أن أكثر من ٩٠ ٪ من الشبان يمارسون العادة السرية فى وقت من أوقات حياتهم وان العادة السرية فى ذاتهـا ليس فيهـا ضرر كثير ولكن الضرر يأتى من ادمانها أو الاكثار منهـا ، والضرر يأتى كذلك من توهم المرض والضعف والاعتقاد الخاطىء المنتشر بين الناس بأنهـا سـبب لضعف

البصر والقوى العقلية والجسمية .. الخ وهذه أوهام لا حقيقة لهـا كما أن خطر العادة السرية فى التخوف الزائد من غضب الله وعقابه أو اليـأس من قبول التوبة ، ويرى هؤلاء العلماء « ان العادة السرية مرض عارض يصـادف الكثير من الشباب فى بعض مراحـل حيـاتهم ، وأن من الخطر أن نذكر له عيوبا ومساوىء ليست فيه بل ان الحق أحق وأولى بالقول والمعرفة » .

ويجب ان يدرك الشـباب أن العـادة السرية لا تسبب كل الأضرار والأمراض التى تشاع عنها وأنها مرض طارىء يمكن التغلب عليه وأن الضرر فى الادمان عليها ، وفى توهم المرض والخوف والقلق بعد ممارستها وان كثيرا من الشباب مارسوها ثم تركوها زهدا فيها وتعاليا بأنفسهم وسموا بإقدارهم ان تضعف أمام اغراء الشهوة ، ومما يساعد على التخفيف من العادة السرية « قراءة القرآن ، والمحافظة على الصلاة ، والصلاة بالليـل ، والاخلاص فى الصلاة ، وصيام بعض الأيام ، وانشغال الانسان بعمل نافع كرحلة خلوية أو ممارسة رياضية أو الاشتراك فى صحيفة بالكلية أو ممارسة هواية نافعـة كالاشتراك فى جمعية للشعر أو التصوير أو غير ذلك » .

ان حياة الطالب حياة اجتماعية سليمة وشغل فراغه بعمل نافع كفيل بأن يسمو به الى الحياة الجادة ، وان أخطأ فليسـارع بالتـوبة النصوح ، وليثق بأن باب الله مفتوح وأن رحمته واسـعة وانه يحب التـوابين ويحب المتطهرين قال تعالى :

((قل يا عبادى الذين أسرفوا على انفسهم لاتقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم)) .

أيها السائل هنيئا لك توبتك واترك الخوف والقلق واشرح صدرك وثق بنفسك وضع يدك فى يد الله فما أقرب مولاك منك وأنت لاتشعر قربه وما أحبك اليه وأنت لاتشعر حبه ــ قال تعالى : ((والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاسـتغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون . أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم اجر العاملين)) ــ وفى صـحيح البخارى يقول النبى صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن رب العزة جل جلاله انه قال : «أن تقرب عبدى الى شبرا تقربت اليه ذراعا وان تقرب الى ذراعا تقربت اليه باعا وان جاءنى يمشى أتيته مهرولا » .

س : انـا طالبة بالسـنة الثانية ــ كلية الآداب جامعة عين شـمس جمعتنى الصدفة بزميل لى فى نفس السنة على درجة عالية من الدين والأخلاق، واتضح من خلال صداقتى له ومن كلامه معى أنه يريد خطبتى ، فرفضت نظرا لظروفى الاجتماعية وبعد الرفض لاحظت عليه اليأس والضيق النفسى وصرح لى أنه لم يذاكر وانه سيرسب لو لم اوافق على الخطبة منه .

سيدى الدكتور ماذا أرد عليه لأنقذ مستقبله هل اتركه وابتعد عنه أو أعده بالخطبة منه حرصا على مستقبله وعند التخرج كل واحد فينا يذهب لشأنه .

شكرا لسيادة الدكتور للاجابة على هذا السؤال ــ أختك س.أ بالسنة الثانية جامعة عين شمس .

ج : لي تعليق على سؤالك قبل الاجابة عليه ، فأنا لا أوافق على أن يكون سبب الرفض هو ظروفك الاجتماعية السيئة ، واذا كان سبب الرفض هو الفقر فليس الفقر عيبا ، فقد كان أشرف المرسلين فقيرا .

لقد تعلمت الفتاة وصارت قادرة على العطاء والمشاركة فى تحمل أعباء الحياة ، فأنت بالتعليم والاخلاق والثقافة والقدرة على التفاهم ثروة كبرى لا تقدر ــ وأنت انسانة والانسان مقدر بانسانيته لا بظروفه الاجتماعية ، وانا أعرف ان المجتمع له حكم صارم ، ولكننا يجب أن نقاوم عوج المجتمع وأن نقدر الفتاة بأخلاقها وانسانيتها وفضيلتها لا بفقر أهلها أو غناهم ، فالقرآن يقول : « **لا تزر وازرة وزر أخرى** » ويقول سبحانه وتعالى : « **كل امرىء بما كسب رهين** »

أما الاجابة على السؤال ، فأنا من دعاة الصراحة ، كونى صريحة مع نفسك ومعه ، قولى له أنا رفضت الخطبة نظرا لظروفى الاجتماعية السيئة ، فان قبل فأهلا وسهلا ، وان رفض فمع السلامة . ولا أوافق مطلقا على الوعد بالخطبة حرصا على مستقبله ــ انه رجل والرجل يجب أن يتحمل مثل هذا الموقف بشجاعة ــ ان الذى يرسب من أجل رفض خطبته لا يصلح أن يكون زوجا يتحمل مسئولية الحياة الزوجية وأعباءها ومتطلباتها ــ كونى حازمة ، وعموما فالابتعاد عنه اليوم أفضل من الوعد الكاذب الذى ينتج عنه أسوأ الأثر فى المستقبل .

على حافة الهاوية

س : سكنت فى شقة بعد أن تركت المدينة الجامعية فوقعت فريسة المنزل كله .. كل يوم أجد امرأة تداعبنى بشكل مغر حتى الجيران .. هم أيضا يفعلون ذلك .. كدت أرتكب الخطيئة أكثر من مرة مع فتيات ونساء ولكن كان ايمانى والحمد لله قوى ، حاولت البحث عن شقة أخرى ، ولكن للاسف لم أجد مطلقا .. ولكن خوفى من هذا البيت يزداد يوما تلو الآخر واحساسى بأننى سوف أرتكب الذنب يؤلمنى كثيرا ، ويراودنى الشيطان أكثر من مرة باعتبارى شابا فى مثل هذه السن .

ماذا أفعل بالله عليك يا أستاذى الفاضل ؟ .. أدركنى والا وقعت فى الخطيئة .

(عطية . ع)

الاجابة : يظل فى ظل عرش الله تعالى سبعة ، منهم : (رجل دعته امراة ذات منصب وجمال فقال انى أخاف الله رب العالمين) .

اذا آمنت بالله حقا فالتفت الى علومك واشغل نفسك ببعض الأنشطة والرياضة خارج المنزل ، وثق أن هناك جزاء عادل من الله لكل مؤمن يقـــاوم الاغراء وينتصر على الهوى ويسير فى الطريق القويم .

الكلام لا يكفى منى ، لكن بالارادة الصادقة والعزيمة الجادة تجـد من السعادة فى طاعة الله مالا يجده الأشقياء فى معصيته . انك تطيع الرحمن وهو القائل (**وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا**) أى لا يقدرون على الزواج الحلال (**حتى يغنيهم الله من فضله**) . قواك الله والهمك السـداد . (**واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى**) .

بنى العزيز ،

رب شـــهوة ساعة اورثت اهلهـــا حزنا طويلا ، تذكر أسرتك : امك .. أختك ، وابنتك فى المستقبل ، زوجتك ، هل تحب أن تنتهك اعراضهم . اتق الله فى أعراض الناس . وفى الحديث الشريف (عفـــوا تعف نســـاؤكم ، وبروا أباءكم تبركم ابناؤكم) .

لقد مدح الله المؤمنين ووصـفهم بالفلاح ، اذا أقاموا الصلاه وآتوا الزكاة وحفظوا فروجهم من الزنا ، قال تعالى (**والذين هم لفروجهم حافظون**) . وقال صلى الله عليه وسلم : « من يضمن لى ما بين لحييه ورجليـــه أضمن له الجنة » .

* * *

س : اننى فتاة متزوجة .. ذات يوم وجدت زوجى يخوننى فى الشقة المجاورة لشقتنا ، وهـــذا بعد ان علمت عن العـــلاقة التى بينه وبين المراة المجاورة لنا .. فأردت الانتقام لنفسي ولكرامتى فكان يسكن فى الدور الثالث طالب جامعى فى مثـــل سنى ، أو ربما كنت أكبر منه قليلا راودته عن نفسه فوقع تحت تأثيرى وزنا بى فانا لم أكن اعقد النية لخيـــانة زوجى ولـــكن ردا لشرفى وكرامتى فعلت ذلك بالرغم من اننى لم أكن راضية نفسيا على مافعلت.

أولا : هل لهذا الطالب المسكين ذنب فى هذا وهو على وشـــك التخرج من الجامعة .. وهل يغفر له الله اذا تاب .. وهل يقبل منه التوبة .

ثانيا : اننى ارتكبت الخطيئة مع أكثر من واحد وأغلبهم من الوســـط الجامعى .. فهل يمكن أن يقبل الله منى هذه التوبة ويجعلها توبة نصـــوحا بعد ذلك .. وكيف اتوب الى الله ؟

ثالثا : هل أصارح زوجى بالحقيقة ثم ألقى الضـــوء على ما يفعله هو واقول انه السبب .. أم لا ؟ اريد أن اتوب ..

المعذبة : ع . ع . ا . ا
السنة الثالثة ــ حقوق القاهرة

ج : الى المعذبة ع . ع . أ . أ . بالسنة الثالثة ـ بجامعة القاهرة

ارتعـدت عندما قرات خطابك وداوت بى الأرض وتركت مكتبى وكل الأسئلة نافرا منها . وابتعدت عن اجابة الأسئلة كلها ثلاثة أسابيع . ثم عدت للاجابة .

ابنتى ،

لقـد عرفت أن زوجك يخونك فانحرفت وزعمت انك انتقمت لشرفك بجريمة الزنا مع جارك .

ولكنك والله مرغت شرفك فى الوحل .

ثم انك استمرات الخطيئة وطريق الحرام .

واضع امامك هذه الحقائق :

(أ) من رأى شريك حياته يخونه فليفكر طويلا فى اسـباب الخيانة ، وليحاول أن يسبغ على شريك حياته العطف والحنان والرعاية وان يتحلى بالنظـافة والطهارة والصبر . وأن يلتمس العذر للآخرين ، عندئذ ستجدين من زوجك ندما وارعواء وعودة الى حماك عودة التائب المنيب ، النادم على ما فعل .

(ب) الزنا جريمة فى حد ذاته ولكنه من المتزوج جريمة ابشـع . وقد رأى النبى صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء والمعراج رجلا بين يديه طعـام هنىء نضيج وطعام خبيث نيىء فجعل الرجل يترك الطعام الهنىء النضيج ويأكل من الطعام الخبيث ، فقال النبى ما هذا يا جبريل . قال : هذا الرجل من أمتك تكون عنده زوجة حلالا طيبا فيتركها ويبيت بامراة خبيثة والمراة من أمتك تقوم من عند زوجها حلالا طيبا فتتركه وتبيت برجل خبيث . قال الفقهاء ولا عبرة بالبيات بل المراد الوقوع فى الزنا على كل حال .

ابنتى ، تسألين ثلاثة أسئلة . وهذه اجوبتها :

اولا : نعم لهذا الطالب المسكين ذنب ، وهو ذنب المطاوعة والمشاركة ، ولكن الله مطلع على كل ما حول الموضوع ولا يحاسب الانسـان الا بقـدر ما اشترك . وتسـألين عن توبته : والجـواب نعم اذا تاب وأخلص التـوبة وابتعد نهائيا عن الحرام ، تاب الله عليه وقبل توبته .

ثانيا : ان جريمة المتزوج اشد وافظع لأن عنده الحـلال فيتركه الى الحرام . فاطيعى الله وافطمى نفسك عن السوء واتركى طريق المعصية بكل جد وتصميم .

ثالثا : لا تصـارحى زوجك بالحقيقة ، ولا تلقى الضـوء على ما يفعله فالانسـان معاند مكابر ، قولى له انك افضل رجل واطهر انسان وأنبل زوج

وأغدقي عليه عطفك واعتنى بمظهرك اخلصى له اخلاصا حقيقيا ، وتوبى الى الله توبة نصوحا ، وادع الله أن يشرح صدرك ويلهمك رشدك وأن يشرح صدر زوجك حتى يلتئم شمل هذه الأسرة .

وطريق التوبة واضح ، ويتكون من ثلاثة أمور :

١ ـ الندم الصادق على الذنوب .

٢ ـ الاقلاع عنها فى الحال .

٣ ـ العزم والتصميم على البعد عنها فى المستقبل .

مع دوام المراقبة لله ومراقبة نفسك حتى تحمليها حملا على الطريق القويم .

جواب حذف سؤاله

تلميذتى المعذبة

لماذا نحول النعم الى نقم ، لماذا نريد أن نعيش فى دراما متصلة وأحزان وعذاب .

شىء طبيعى أن يصادفك فى حياتك معجب أو محب مخلص وشىء طبيعى أن يتردد أهلك خوفا عليك وشكا فى قدرتك على اختيار شريك لحياتك .

الدين يعطيك الحق فى اختيار شريكك ويعطى لأسرتك الحق فى الاطمئنان على أن خطيبك كفء فى منزلته وأسرته وشكله ومجموع أموره اذا اقتنعت بالزميل ، واقتنع به أهلك فلا مانع من اعلان الخطبة بعد انتهاء الامتحان .

وفى الحديث الشريف «خير النساء ما خفت مهورهن وقصرت خطبتهن» أى أن من يمن الزوجة أن تكون فترة الخطوبة قصيرة لا طويلة .

لا أدرى يقينا سر عذابك ، ولكن اذا لم توافق أسرتك ، أو لم توافقى أنت فكونى شجاعة وصارحيه بوجوب أن يتركك فترة حتى تستقر عواطفك وتختارين رأيا بعد ترو ومهلة كافية ،

جواب محذوف السؤال

الطالبة س ف بالفرقة الرابعة الجامعية

تصرفك أشبه بتصرفات الصغار الذين يريدون أن يجمعوا كل شىء فى أيديهم ؟

لماذا قبلت أن يعقد قرانك على ابن عمك ، هل هذا لعب أم جد ؟

كوني عاقلة ، ابحثي عن مستقبلك ، لاتظني أن زميلك سيموت أو ستطبق عليه السماء . كلا .

ستطلع الشمس فى كل يوم وسيجد زوجة تناسبه

انسي زميلك تماما . وبعد الامتحان واستقرار الاعصاب حاولي ان تقبلي ابن عمك فان لم تقدري فاطلبي منه الطلاق ان لم يكن من ذلك بد .

واضع بين يديك هذا الحديث الشريف .

«أيما امراة سألت زوجها الطلاق من غير ما سبب لم ترح رائحة الجنة»

اكرر نصيحتي حاولي أن تقبلي ابن عمك ، فاذا رايت ان كرهك له كامل لا يحتمل فاطلبي منه الطلاق .

علما بأن الفتاة العاقلة تنظر بعين العقل وميزانه فان كان ابن عمك فيه صفات مؤلمة فلعل هناك صفات اخرى مرضية

وفى الحديث الشريف « لا يفرك مؤمن مؤمنة ان كره منها خلقا رضي منها آخر » ومعناه لا يبغض الزوج زوجته بغضا كاملا فان كان فيها بعض العيوب فلينظر بعين الرضا عن صفاتها الحسنة .

ومثل هذا يقال للزوجة ، انظري اليه ككل بعيدة عن كل تأثير ، والله يوفقك

تعدد الأديان

تعرفت على صديق برع فى مهنته ، وعرف بين الناس بأمانته كصيدلي يبيع الدواء فى صيدليته ويخلص فى عمله ، وساق الحديث بعضه بعضا الى الكلام عن الايمان بالله واخذ يسألني

اذا كان الله واحدا فلم تعددت الاديان السماوية ولم لم تكن دينا واحدا ؟

واجبته

ان تعدد الاديان ، تعدد فى الشكل لا فى الموضوع ، فكل رسالة كانت مناسبة خاصة لفترة من فترات البشرية ولمرحلة من مراحلها ، فهى اشبه بتدرج التشريع الواحد فى الشريعة الواحدة وبلغة الطب ، هى أشبه بالطبيب الذى يغير الدواء للمريض الواحد تبعا لتطور مرضه ، والطبيب واحد والمريض واحد .

ولقد كان رب الكون بطب للبشرية ، ويرسل لها من يعالج أدواءها ويهديها سواء السبيل .

وضربت له مثلا بقولى اذا كان لقطر من الأقطار حاكم واحد وولى عددا من المتصرفين لعدة ألوية أى طبق نظام اللامركزية ، أو الادارة المحلية ، فلكل متصرف قوانينه التى تناسب اللواء الذى يريده ولكن جميع المتصرفين يخضعون فى الاساس العام للنظام الرئيسي للدولة وقوانينها وحاكمها .

وبهذا المثل فهم كيف تعددت الرسالات بما يناسب الامم والشعوب وكان كل رسول يدعو قومه الى توحيد الله ويأمرهم بالفضائل وينهاهم عما شاع بينهم من الرذائل مع خضوع المرسلين جميعا لأساس واحد وشريعة واحدة هو الله سبحانه وتعالى .

ودراسة التاريخ الطبيعي تؤكد قوله تعالى (**كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه**)

بل ان الشريعة الواحدة كانت تتدرج فى تشريعاتها ترويضا للنفس البشرية وتمهيدا لقبول الوحى الالهى وتريثا فى تربية المؤمنين وتزيين الايمان فى قلوبهم ، فان البطء مع التنظيم خير من العجلة مع الفوضى .

* * *

وحسبنا على سبيل المثال ان نذكر التحريم القرآنى المتدرج للعادة الشعورية الخطيرة المسماة (بأدمان المسكرات)

فقد نزل فى أمرها قوله تعالى (**يسالونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما أكبر من نفعهما**) – البقرة – ٢١٩ .

فوجه انظار السكارى الى ان الحرمة انما تقوم على غلبة الشر ، فمهما يكن فى الخمر من منافع اقتصادية فى المتاجرة بها ، ومن منافع ظاهرية فى حمرة الخد التى توهم الصحة الحسنة ، ومن منافع اجتماعية فيما تدفع اليه من السخاء والجود فى حالة السكر والعربدة او من الشجاعة التى تبلغ أحيانا حد التهور فى ساحة الحرب ، فان اثمها اكبر من نفعها فتلك علة كافية لتحريمها ، فكانت الخطوة الاولى تحريكا للمنطق ، بقوله تعالى

(**يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون**) ٤٢ – النساء .

فضيق عليهم الفرصة لمزاولة السكر ، لأن الصلوات الخمس كانت قد شرعت فى أوقات متقاربة ، لا يكفى ما بينها للافاقة من نشوة الخمر حتى إذا أصبحت فرصة السكر نادرة – بطبيعة الحال حرم الله عليهم الخمر فى لهجة قاطعة جازمة فقال سبحانه (**يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ، انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون**) ٩٤ – المائدة .

فقالوا انتهينا وانتهوا حقيقة واصبحوا ينتظرون حدود الله فى شارب الخمر ، ويخجلون ان يصل الامر بأحد المسلمين الى ان يقام عليه هذه الحدود .

اخرج البخارى فى صحيحه عن عائشة قالت : انما نزل او ما نزل منه (اى القرآن) سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى اذا ثاب الناس الى الاسلام نزل الحلال والحرام ولو نزل اول شىء .

(لا تشربوا الخمر لقالوا لا ندع الخمر أبدا ، ولو نزل (لا تزنوا) لقالوا لا ندعوا الزنى أبدا) صحيح البخارى ٦/١٨٥ .

ذلك من فضل الله وتيسيره ورحمته بعباده أن مهد نفوسهم لتقبل احكامه حتى لا يكون فيها حرج ولا مشقة قال تعالى **(ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج) (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر)**

***

وسكت صديقى كانه تقبل الامر فى الظاهر والله اعلم بالسرائر ، فقرات له ثلاث آيات من سوره النساء هى قوله تعالى **(يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم ، والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما . يريد الله ان يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا)** . النساء ٢٦ ، ٢٨

وما رواه البخارى فى صحيحه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (انما مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى دارا فاتمها واكملها الا موضع لبنة فجعل الناس يقولون ما أكمل هذه الدار وما أجملها لو وضعت هذه اللبنة فانا هذه اللبنة وانا خاتم الرسل) — وقوله (صلى الله عليه وسلم) (والأنبياء أخوات لعلات (١) امهاتهم شتى ودينهم واحد) .

---

(١) أبناء العلات هم أبناء الضرائر أبوهم واحد وأمهاتهم متعددة .

(١١)

قصص القرآن الكريم

« جهاد الأنبياء والمرسلين »

ارســـــل الله الرســـــل وانزل عليهم الكتب لهداية الناس من الضلالة الى الهدى واخراجهم من الظلمات الى النور ، قال تعالى

(رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) ١٦٥ ــ المائدة

***

وقد ابلى الأنبيــاء والمرســلون بلاء حسنا وتعرضــوا لكثير من الوان العــذاب وصنوف الاضطهاد فصبروا وصــابروا واحتســبوا قال تعــالى **(فاصبر كما صبر اولو العزم من الرســـل)**

***

وضع فى النار ابراهيم ، فجعلها الله بردا وسلاما عليه واضجع للذبح اسماعيل حين قال له أبوه **(يا بنى انى أرى فى المنام انى اذبحك فانظر ماذا ترى قال يا ابت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصــابرين ، فلما اسلما وتله للجبين وناديناه ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزى المحسنين ان هذا لهو البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم)** ١٠٣ ــ ١٠٧ الصافات

واخرج موسى من مصر خائفا يترقب **(قال رب نجنى من القوم الظالمين)** وضاق يونس بقومه حين خرج هاربا منهم فركب ســفينة كادت ان تغرق بســـببه فالقى فى البحر ، وفى ظلام البحر وظلام الألم والغم لم ييأس يونس من رحمة الله **(فنادى فى الظلمات ان لا اله الا انت ســبحانك انى كنت من الظالمين . فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين) .**

٨٧ ، ٨٨ الأنبياء .

واشد البلاء والمرض بأيوب عليه السلام ولكنه صبر واحتسب حتى صار قدوه حسنة ومثلا يحتذى قال تعالى (**وايوب اذ نادى ربه انى مسنى الضر وانت ارحم الراحمين ، فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه اهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين**) ٨٣ ـ ٨٤ الأنبياء .

وتعرض يوسف الصديق لمحنة نفسية قاسية حين راودته امرأة العزيز عن نفسه وقالت هيت لك ولكنه قاوم الاغراء ولبى نداء ربه ونهى النفس عن الهوى (**قال معاذ الله انه ربى احسن مثواى انه لا يفلح الظالمون**) ٢٣ ـ يوسف .

وجمعت زليخا اتباعها وامرت يوسف بالخروج عليهن فلما رأينه أكبرنه فسلب لبهن جماله وحير الالباب بحسنه وكمال خلقته فانضمت النسوة الى زليخا وزاد الاغراء منهن والتبذل ـ والامتهان ، فلما قاوم يوسف وتأبى ، وذكرهن بالله ، وحرمة الازواج ، وعقوبة الظالمين ، لم تلن قناة زليخا ، بل اوعدته بالسجن والذل والصغار ، ولكن يوسف آثر السجن فى طاعة الله (**قال رب السجن احب الى مما يدعوننى اليه والا تصرف عنى كيدهن اصب اليهن واكن من الجاهلين ، فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن انه هو السميع العليم**) ٣٣ ، ٣٤ ـ يوسف

ولما أرسل الله سيدنا محمدا عليه الصلاة والسلام (**شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا**) اخذ يدعو قومه الى توحيد الله ، والايمان بالبعث والحساب والجزاء ويرشدهم الى الرحمة والعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهاهم عن الفحشاء والمنكر والبغى ، ويحذرهم من عبادة الأصنام وقد لاقى عليه الصلاة والسلام عنتا شديدا وضيقا وحرجا من كفار مكة الذين آذوه وآذوا أصحابه بكل صنوف الأذى ، حتى اضطروهم للهجرة الى الحبشة ولم يكتف كفار مكة بذلك بل بعثوا وراءهم من يكيل لهم التهم ، عند النجاشى ملك الحبشة ، حتى يوغروا صدره على المسلمين ويخرجهم من بلاده .

ولكن النجاشى ابى أن يخرج المسلمين حتى يستمع الى كلامهم فاستدعاهم الى مجلسه وسألهم عن هذا الدين الجديد الذى جاءوا به فقال له جعفر بن أبى طالب (رضى الله عنه) .

(أيها الملك ، كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتى الفواحش ونقطع الأرحام ، ونسىء الجوار ، ويأكل القوى منا الضعيف ، فكنا على ذلك حتى بعث الله الينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا الى الله لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان وامرنا بصدق الحديث ، واداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال

اليتيم ، وقذف المحصنة ، وامرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئا وامرنا بالصلاة والزكاة والصيام فصدقناه وآمنا به .. فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا الى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى وان نستحل ما كنا نستحل من الخبائث ، فلما قهرونا وظلمونا ، وضيقوا علينا، وحاولوا بيننا وبين ديننا خرجنا الى بلادكم) .

ثم قرأ جعفر بن أبى طالب صدرا من سورة مريم **(كهيعص ذكر رحمة ربك عبده زكريا ، اذ نادى ربه نداء خفيا ..)** فلما اتم قصة زكريا وقصة مريم ، عليهما السلام قال النجاشي هذا والله هو الذى جاء به المسيح انه لينبع من مشكاة واحدة .

أيها المستمع الكريم

تلك صفحات مشرقة ، من جهاد الأنبياء ، وبلاء المرسلين ، وصدق السابقين الأولين من المؤمنين ، فى اخلاص النية وجلال التضحية والفداء وجمال الصبر فى البأساء وشدة البلاء **(والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون)** ..

ادريس

ادريس نبى الله ابن بارد بن سهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام واسمه فى التوراة العبرية خنوخ وفى الترجمة العربية اخنوخ .

قال الله تعالى : **((واذكر فى الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا))** .

قال الحافظ ابن كثير وهو أول من أعطى النبوة بعد آدم وشيث عليهما السلام .

وقال ابن اسحاق هو اول من خط بالقلم .

وفى صحيح البخارى فى حديث الاسراء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر فى السماء الرابعة فرأى ادريس عليه السلام .

قال البخارى ويذكر عن ابن مسعود وابن عباس أن الياس هو ادريس عليه السلام .

ولد ادريس عليه السلام بمصر وكان مولده بمدينة منف ولما كبر ادريس آتاه الله النبوة فنهى المفسدين عن مخالفة شريعة آدم وشيث ، ودعا الخلائق الى الايمان بالله والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وطاعة الله عز وجل ودعا قومه الى تخليص النفوس من عذاب الآخرة بالعمل الصالح فى الدنيا ،

وحث على الزهد فى الدنيا والعمل بالعدل وأمر قومه بصلوات ذكرها لهم على صفات بينها ، وأمرهم بصيام أيام معروفة من كل شهر وحثهم على الجهاد لأعداء دينهم وأمرهم بزكاه الأموال معونة للضعفاء ، وحرم السكر من كل شيء من المشروبات وشدد فيه أعظم تشديد وجعل لهم أعيادا كثيرة فى أوقات معروفة ، منها أعياد الرؤية الهلال ، وأعياد لدخول الشمس ورءوس البروج ..

ولما ملك ادريس الأرض رتب الناس ثلاث طبقات كهنة وملوكا ورعية ، وجعل مرتبة الكاهن فوق مرتبة الملك لأن الكاهن يسأل الله فى أمر نفسه وفى أمر الملك وفى أمر الرعية وليس للملك أن يسأل الله الا فى ملكه وفى الرعية ، ولا يدعوه فى أمر الكاهن لأن الكاهن أقرب الى الله منه وبذلك تنقص منزلة الملك عن منزلة الكاهن ، وليس للرعية أن تسأل الله فى شيء الا فى أنفسها لأن الملك أجل منزلة منها عند الله الذى ملكه على الرعية فنقصوا بذلك مرتبة عن الملك ومرتبتين عن الكاهن .

صورة ادريس :

قيل انه كان رجلا آدم (أحمر يضرب الى سواد)

تام القامة حسن الوجه كث اللحية مليح الشمائل والتخطيط عريض المنكبين ضخم العظام قليل اللحم براق العينين أكحلهما متأنيا فى كلامه كثير الصمت ساكن الأعضاء اذا مشى أكثر نظره الى الأرض كثير الفكرة به عبسه وبحرك سبابته اذا تكلم .

وكانت مدة حياته فى الأرض ٨٢ سنة .

وكان على فص خاتمه (الصبر مع الايمان بالله يورث الظفر) وعلى المنطقة التى يلبسها وقت الصلاة (السعيد من نظر لنفسه وشفاعته عند ربه أعماله الصالحة)

وكانت لادريس مواعظ وآداب تجرى مجرى الأمثال والرموز ومن ذلك قوله :

(لن يستطيع أحد أن يشكر الله على نعمه بمثل الأنعام على خلقه)

وقال (من أراد بلوغ العلم وصالح العمل فليترك من يده أداة الجهل وسيء العمل) .

وقال (اذا دعوتم الله سبحانه فأخلصوا النية ، وأخلصوا النية كذلك فى الصلاة والصيام) .

وقال (لا تحلفوا كاذبين ولا تهجموا على الله سبحانه باليمين ولا تحلفوا الكاذبين فتشاركوهم فى الاثم) .

وقال (تجنبوا المكاسب الدنيئة)
وقال (أطيعوا لملوككم واخضعوا لأكابركم واملأوا أفواهكم بحمد الله) .

ابراهيم عليه السلام

ساق القرآن الكريم كثيرا من القصص للعظة والاعتبار أو لتحقيق مبدأ وتأكيد هدف وابراز حكمة من احكام التشريع أو العقيدة أو البعث والجزاء .

ولقد جرى القرآن الكريم ان يكتفى من القصة بموضوع العبرة ومحل العظة ، وقد ساق كثيرا من قصص الأنبياء والمرسلين ليكونوا نماذج هادية واعلام مضيئة ، قال تعالى : ((**لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شىء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون**)) .

ايها المؤمن :

تحدث القرآن عن ابراهيم الخليل فذكر انه أبو الأنبياء وأبو الملة (الديانة) والرجل الذى جمع خصائص الرجولة فكان امة واحدة ((**ان ابراهيم كان امة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين**))

وقف ابراهيم يناقش قومه ويجادل أباه آزر وكان أبوه يصنع الأصنام لقومه ويدعوهم لعبادتها فقال ابراهيم لأبيه أتتخذ أصناما آلهة ؟ أتنحت الأصنام بيدك وتصنعها من الأخشاب بقدومك ثم تسجد لها من دون الله مع انها لا تسمع ولا تبصر ولا تجيب ولا تضر ولا تنفع .

وينكر الأب على ابنه عزوفه عن آلهته ويستصغر سنه بل يلح عليه أن يتبعه ويهدده بالطرد والحرمان ويتلطف ابراهيم فى خطاب أبيه فيخبره أن الهدى بيد الله وليس الهدى مقصورا على كبير ولا محجوبا عن صغير ، يقول ابراهيم :

(**يا أبت لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا يا أبت انى قد جاءنى من العلم مالم يأتك فاتبعنى اهدك صراطا سويا . يا أبت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا**)) .

أيها المؤمن :

للايمان الحق أثره الواضح فى صدق الهمة ومضاء العزيمة ونجاح العمل وقد أوتى ابراهيم الخليل من كل ذلك النصيب الأوفى وكان من أولى العزم من الرسل .

ناقش ابراهيم قومه فى عبادة الأصنام وبين لهم خطأ فكرتهم وضلال

عبادتهم ، وان الأولى بالعبادة هو الاله الواحد الخالق الذى رفع السماء وبسط الأرض وقدر الأرزاق والأقوات وهو الذى يسمع النداء ويجيب الدعاء .

ولما اصم القوم آذانهم عن سماع دعوته وحجبوا عقولهم عن التفكير فى رسالته لجأ الى برهان عملى قام به فى جراة ومضاء ، فقام الى الأصنام التى يعبدونها من دون الله فانهال عليها تحطيما وتكسيرا حتى صارت قطعا قطعا وترك صنما كبيرا لم يمسه .

فلما جاء القوم ورأوا ما صنع ابراهيم بأصنامهم أجمعوا على محاكمته وواجهوه بالتهمة فلم ينكرها ، وانما طلب منهم ان يسألوا الصنم الكبير عمن كسر الأصنام .

وهنا بدأ القوم يتأملون فى أعمالهم ويتشككون فى سلوكهم ويتبينون أن الحق مع ابراهيم ، ولكنهم تكبروا عن الخضوع لرأيه وقالوا له فى اباء وجحود : لقد علمت يا ابراهيم أن الأصنام لا تنطق ولا تتكلم وهنا صاح ابراهيم فيهم :

((أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئا ولا يضركم))

ولما هزم القوم امام منطق ابراهيم وحجته الواضحة لجأوا الى القوة والعنف فأوقدوا نارا عالية والقى ابراهيم فى النار فحفظه الله منها وجعلها بردا وسلاما عليه وكانت هذه معجزة للخليل ابراهيم عليه السلام .

ايها المؤمن :

للخليل مواقف خالدة على مر الزمان منها نقاشه أمام النمرود ملك بابل وقوله للملك **((ان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر))** أى تحير وانقطعت حجته .

ومن مواقف ابراهيم الخالدة قصة الفداء حين أمر بذبح ولده اسماعيل فامتثل لأمر الله واخذ ابنه للجبل واضجعه للذبح ولما رأى الله منه الصدق والامتثال أرسل اليه ملاكا يحمل كبشا للفداء ونجا اسماعيل بعد ان صار علما من اعلام الصدق والوفاء .

وقد كان ابراهيم دائم التأمل فى ملكوت الله ، يتأمل فى النجوم وفى القمر وفى الشمس ، ثم يقول النجوم تغيب والقمر يغيب والشمس تغيب والاله لا يغيب **((انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما انا من المشركين))** الأنعام ٧٩ .

يوسف الصديق

يوسف الصديق نبى الله - أبوه يعقوب نبى الله ، وجده ابراهيم خليل الله وقد رأى يوسف فى منامه رؤيا اخبر بها اباه .

قال يوسف لابيه رايت الشمس والقمر يسجدون لى ورأيت وراءهم أحد عشر كوكبا يسجدون لى أيضا .

وقال الأب لابنه اكتم هذه الرؤية عن اخوتك لأن معناها ان أباك وامك واخوتك الاحد عشر سينحنون لك ساجدين . وكان السجود علامة التعظيم وكان مباحا وجائزا قبل الاسلام ثم حرم الاسلام السجود الا لله .

وقد تسرب خبر هذا الحلم الى اخوة يوسف فأخذوه معهم الى المرعى ثم ألقوه فى بئر عميق ليتخلصوا منه .

ولكن الله الكريم اراد أن ينجيه من البئر لانه مظلوم ومرت جماعة من الناس ارادو أن يشربوا فالقى أحدهم دلوا ليملأ الماء من البئر، فتعلق يوسف بالدلو وفرحت به القافلة لأنه كان جميلا ثم باعوه ظلما الى ملك مصر واشتراه الملك بثمن قليل وتركه فى القصر وقال لزوجته أحسنى معاملة هذا الغلام لان عليه علامة النبوغ وكرم الاصل والسماحة ،

ونما يوسف وترعرع وكان يزداد فى كل يوم جمالا وتتضح معالم شبابه وفتوته ، وراودته امرأة العزيز عن نفسه وعرضت عليه جمالها ومفاتنها وحاولت أن تغربه بنفسها

(وقالت هيت لك .. قال معاذ الله)

امتنع يوسف عن الفحشاء والمنكر وحافظ على الامانة والفضيلة .

وحاولت زليخا تنفيذ غرضها بالقوة فأسرع يوسف من أمامها وادركته زليخا فجذبته من قميصه وقطعت القميص ، وفى أثناء ذلك كان الملك يمر فى القصر ورأى بنفسه منظرا مريبا .

فاتهمت زليخا يوسف بالتعدى عليها ولكن الله نجاه من تهمتها لان القميص كان مشقوقا من الخلف وهو يجرى منها وتسامع النسوة بخبر يوسف وجاءوا الى قصر الملكة يلومونها على انشغالها بخادمها . فأجلستهن الملكة وأمرت يوسف أن يخرج عليهم فلما رأوه بهرهن جماله .

(وقلن حاش لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم) .

***

تألم يوسف من حياة القصر وتمنى ان يعيش فى السجن بعيدا عن الفتنة والاغراء واستجاب الله دعاءه فمكث فى السجن سبع سنين وكان يوسف يفسر الأحلام ويدعو للايمان ويأمر المظلومين بالصبر والرضا بالقضاء .

ورأى الملك فى منامه سبع سنبلات خضر وسبع سنبلات جافة ورأى سبع بقرات سمان قويه يأكلهن سبع بقرات عجاف ضعيفة ، وطلب الملك من يوسف تفسير رؤيا ففسر البقرات القوية بأنه سيأتى سبعة أعوام يزيد فيها النيل ويكثر الزرع ويعم الخير ،

وفسر البقرات الضعيفة بأنه سيأتى سبعة أعوام أخرى مجدبة تستهلك كل ما ادخروه فى الاعوام السابقة وبعد السنوات المجدبة يأتى عام جميل يزيد فيه النيل وتجود الأرض بالزراعة ، وتنتهى المجاعة ويسود الخير أنحاء البلاد .

ولما فسر يوسف الرؤيا للملك جعله الملك وزيرا للتموين حتى يحفظ القمح فى سنابله والذرة فى كيزانه ويخزن التموين وينظم صرف الحبوب ونجت البلاد من المجاعة بفضل تدبير يوسف .

وجاءت البلاد المجاورة تشترى القمح من مصر .

وجاء أخوة يوسف فعرفهم واكرمهم وذكرهم بما فعلوه معه فطلبوا منه العفو والصفح وطلب منهم يوسف أن يحضروا معهم اباهم وامهم وبقية اخوتهم ، وقدم الجميع الى يوسف وخروا له سجدا الاب والأم والاخوة الأحد عشر وأجلس يوسف أبويه على عرش الوزارة وشكر الله على فضله ونعمه وأكرم اخوته واحسن معاملتهم قال تعالى :

(ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا وقال يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربى حقا ، وقد احسن بى اذ أخرجنى من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بينى وبين اخوتى ان ربى لطيف لما يشاء انه هو العليم الحكيم) . سورة يوسف الآية ١٠٠

٢٣ ـ ((قصة موسى وفرعون))

حديث اليوم عن قصة نبى كريم هو موسى عليه السلام .

وهو حديث موصول السبب بقدرة الله وعظيم تدبيره فاذا أراد أمرا هيأ له الاسباب ثم قال له كن فيكون .

لقد طغى منفتاح ، احد ملوك قدماء المصريين الملقب ((بفرعون))

فذبح الأبرياء واستباح الحرمات وجعل الناس شيعا وأحزابا يقرب فئة ويستبعد أخرى .

وولد موسى عليه السلام فى هذه الظروف القاسية فوضعته امه فى تابوت والقته فى البحر والقى الله على موسى محبة من عنده فكل من رآه احبه

رأته آسية امرأة فرعون وكانت عديمة الولد ففرحت به وقالت : **(لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وهم لا يشعرون)** ٩/القصص .

وهكذا تربى موسى فى بيت فرعون وساقت الأقدار أمه اليه ترضع ولدها وتأخذ أجرتها ، والفطرة السليمة كالشجرة الطيبة تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ،

نشأ موسى سليم الفطرة يكره ظلم فرعون وبطشه بل كان ينذره ويحذره وانطلق موسى الى الناس يدعوهم الى الايمان بالله وينهاهم عن عبادة فرعون حتى ضاق فرعون ذرعا بموسى وأمر بقتله ، وفى أحلك ساعات العسر تظهر رجولة الرجال وصدق الاصدقاء قال تعالى :

(وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى قال يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج انى لك من الناصحين) ٢٠ سوره القصص .

خرج موسى من مصر خائفا يترقب قال رب نجنى من القوم الظالمين .. بيد ان المروءة وفعل الجميل ، ان ضاع جزاؤها عند الناس فلن يضيع عند رب الناس .

سقى موسى الغنم لبنتى نبى الله شعيب وجلس تحت ظل شجرة — فى أرض مدين — جائعا خائفا ، فمد يده الى السماء وقال : رب انى لما انزلت الى من خير فقير .

فجاءته احداهما تمشى على استحياء قالت : ان ابى يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا .

وهكذا قيض الله لموسى الكليم ، أن يصاهر الى نبى كريم ويمكث عشر سنين فى أرض مدين ثم يعود الى مصر ، ليجاهد فرعون ويخلص بنى اسرائيل وفى طريق سيناء عند الشجره المباركة يسمع موسى صوت الحق الالهى يبشره بالنبوة والرسالة ، والفضل العظيم يسمع قوله تعالى :

(يا موسى . انى أنا ربك فاخلع نعليك انك بالوادى المقدس طوى . وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى . اننى أنا الله لا اله الا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى) ١٢ — ١٤ طه

ويذهب موسى مع أخيه هارون الى فرعون الى توحيد الله والكف عن ظلم الرعية فيهزأ بهما فرعون ويقول : من ربكما يا موسى ؟

كان فرعون يسأل عن صفة الرب ما لونه ؟ وما جرمه ؟ وما هيئته فبين له موسى ان الاله منزه عن الكم والكيف فلا يحده مكان ولا يحويه زمان وليس جوهرا ولا عرضا ولا جرما ولا صوره انه علة العلل او هو المعلول الاول : يخلق ولا يخلق يوجد ولا يوجد هو مسبب الاسباب وخالق الخلق ومبدع الاكوان .

قال موسى : ربنا الذى أعطى كل سىء خلقه ثم هدى

قال فرعون : فما بال القرون الأولى

اى ما شأن الاجيال الســـابقه التى هلكت وصارت رمادا باليا أبعد ما تكون عن الحياة

قال موسى : (**علمها عنـــد ربى فى كتاب لا يضـــل ربى ولا ينسى ، الذى جعل لكم الأرض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وانزل من السماء ماء فاخرجنا به ازواجا من نبات شتى**)

فقال فرعون : هل من دليل على صـــدق رسالتك ودعوتك ؟

قال موسى نعم : وأخرج موسى يده من جيبه فاذا هى بيضاء بياضا باهرا يغلب ضوء الشـمس ويبهر العيون والابصـار ثم ألقى موسى عصـاه فانقلبت حية هائلة خاف منها فرعون وولى الادبار ، فأسار موسى للحيـة فعـادت عصـــا كما كانت فى يد نبى الله ، ورجع فرعـون قائلا : أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى ؟ فسأجمع لك السحرة ليبطلوا سحرك ولك أن تحدد يوم اللقاء .

قال موسى : موعد اللقاء يوم العيد فى وقت الضحى ليســـهد الناس ظهور الحق واندحار الباطل .

وجمع فرعون السحرة من كل مكان ومناهم الامانى ووعدهم بالقربى منه وبالدرجات العلا وفى اليوم الموعود القى السحره حبالهم بعد أن وضعوا عليها الزئبق فلما ارسلت الشمس أشعتها كان للحبال تموج وتألق وبريق فخيل للمشاهدين أن الحبـال تسـعى وتتحرك ، « **وسحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم** »

فأوحى الله الى موسى أن الق عصاك ، فألقى موسى عصاه فانقلبت حية هائلة ابتلعت جميع الحبال ، ثم عادت الى يد موسى .

وهنا أيقن السحرة أن عمل موسى ليس سحرا ولكنه معجزه الهية فوق قدرة البشر وطاقتهم فخروا ســجدا لله : قالوا آمنا برب هارون وموسى . واشتد غضـــب فرعون حين شاهد ايمان الســـحره وهددهم بالـوعيد والعذاب الشديد ، ولكن الايمان اذا دخل القلب عن يقين وعقيده صـادقة اتسع له الصدر وانشرح وهانت الدنيا بجوار ثواب الله وعقابه ،

فقال السحرة لفرعون : **انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى** .

أيها المستمع الكريم : كانت العاقبه للمتقين ، وفى النهايه انتصر ايمان

المؤمنين واهلك الله الطغاة المفسدين فنجى الله موسى ومن آمن معه واهلك فرعون ومن ابعه فدولة الباطل ساعة ودولة الحق الى قيام الساعة .

قال تعالى : **(وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر فاتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى اذا أدركه الغرق قال آمنت انه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين ، الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون)** ــ الآيات : ٩٠ ــ ٩٢ / سورة يونس

(١٢)

تربية إلهية

عام جديد (١)

قلت للواقف على باب العام أعطنى نورا يضىء لى الطريق فقال لى ضع يدك فى يد الله فانه نور كل شىء وضياه وهو الذى فلق الظلمات بنوره . وهو الذى يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء .

على راس كل عام يقف المؤمن وقفة يستعرض عامه الذى مضى وما قدم فيه من خير أو شر ، فيحمد الله على الخير ويتوب اليه ويستغفره من التقصير والتأخير فى أداء الواجب فان المؤمن بين مخافتين أجل قد مضى لا يدرى ما الله قاض فيه ، وأجل قد بقى لا يدرى ما الله صانع به ، فلياخذ العبد من نفسه لنفسه ، ومن الشبيبة قبل الكبر ومن الحياة قبل الموت فهو الذى نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب وما بعد هذه الدار من دار الا الجنة أو النار .

لقد انقضى عام كامل من حياتك أيها الانسان وختم فصل من فصول الكتاب الذى تمثله ، وفى يوم القيامة ستجد كتابك بين يديك فيه جميع أعمالك والكتاب مكون من أبواب وفصول وأوراق وصفحات ، فالأبواب هى السنون الرئيسية فى حياتك والفصول هى الشهور والاوراق والصفحات هى الأيام والليالى . وقد أثبت فى هذا الكتاب ما قدمته فى دنياك وسجل فيه كل عمل أحصاه الله ونسيته ، قال تعالى : « **ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا** » . سورة الكهف ٤٩ .

فى ختام هذه السنة نجد ظاهرة لا تتكرر الا فى كل ثلث قرن وهى التقاء راس السنة الميلادية براس السنة الهجرية ، فالسنة الميلادية تزيد

---

(١) القيت فى يوم الجمعة . أول محرم سنة ١٣٩٦ الموافق ، يناير سنة ١٩٧٦ م .

احد عشر يوما عن السنة القمرية أى أن كل ثلاث وثلاثين سنة ميلادية يكون فيها فرق سنة للسنوات القمرية وكل مائة سنة ميلادية يكون فيها فرق ثلاث سنوات عن السنوات القمرية وقد لمح القرآن الى أن كل ثلاثمائة سنه شمسية تزيد أيامها تسع سنوات عن مثيلاتها من السنوات القمرية ، قال تعالى : « **ولبثوا فى كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا** » الكهف ٢٥ .

والقرآن بذلك يشير الى نظام السنين وحساب الأيام والليالى وقدرة الله المبدعة التى سخرت الليل والنهار وجعلت الليل ظلاما للنوم والراحة وجعلت النهار ضياء للسعى والعمل قال تعالى : ((**وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شىء فصلناه تفصيلا** » الاسراء/١٢ .

فى هذه السنة تقترب نهاية السنة الهجرية من نهاية السنة الميلادية ويحتفل المسلمون والمسيحيون بأعيادهم وتعقد مؤتمرات عالمية وقومية لتوطيد العلاقة بين الأديان ولبيان أن الأديان السماوية فى جملتها هى رسالات الهية لاصلاح العقيدة والدعوة الى مكارم الأخلاق وبث الفضائل والآداب وتلقين الشرائع والأحكام ومحاربة الرذائل والمنكرات .

فالرسل جميعا أساتذة ورواد للبشرية يبلغونها احكام السماء ويأخذون بيدها الى طريق الاستقامة والعدل . وهم وسائط للحق والخير يحملون رسالة الوحى عن ملائكة الله ويبلغونها الى الناس لئلا يدعى انسان أن رسالة الله لم تصله وأن طريق النور والفلاح لم يعرض عليه قال تعالى : ((**رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما**)) .

ان الأديان كلها دعوة الى التوحيد ، وصيحة للحق والعدل ، وغضبة فى وجه الظالم ، وهمة للتحرير والبناء ، والمؤمنون جميعا أسرة واحدة فى ركب الايمان ، قال تعالى : ((**ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصائبين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون**)) البقرة / ٦٢ .

أيها المؤمن : أمامك عام للعمل والأمل وخلفك عام أعطيت فيه الحياة والوقت وغيرهما فماذا عملت فيه ؟ ، ان كنت عملت خيرا فاحمد الله على التوفيق واسأله المزيد ، وان كنت أخطأت فاختم عامك بتوبة نصوح تندم فيها ندما شديداً على ذنبك واقصد باب مولاك بتوبة صادقة فانه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات . وثق أن السعيد من أرضى مولاه وصدق فى توبته وأخلص فى عبادته .

ان التوبة فى حقيقتها عرفان بالخطأ وكل بنى آدم خطاء وخير الخطائين

النوابون ، التوبة فى حقيقتها طهارة من الذنوب ، ومغفرة من السيئات وصلح على الرحمن وزجر للشيطان وباب للاستقامة والعمل الصالح قال تعالى :

« والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفرالذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون. أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم اجر العاملين » آل عمران ١٣٥ ، ١٣٦ .

ايها المؤمن :

امامك عام حافل فاغتنم أوقاته للعمل الصالح وثق ان الله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه فساعد المحتاج ، وفرج كربة المكروب ، وعز المحزون وخذ بيد الضعيف، وتعاون مع المواطنين لبناء صرح الوطن ، واعزازه واسعاده فحب الوطن من الايمان .

وعليكم بالوحدة والجماعة وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان وثقوا ان النصر معالصبر وانالشجاعة صبر ساعة وان وحدة الصف قوة وسعادة وأن التفرق والتخاذل باب الهوان والتخلف قال تعالى :

«ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص» . الصف / ٤ .

اجعلوا من هذا العام عاما للوحدة الوطنية وتماسك ابناء الوطن من أجل استرداد حقوقه ، وارغام عدوه ، وبناء مستقبل مشرق للأجيال القادمة . قال تعالى : **« واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين »** الأنفال/٤٦ .

السعادة فى التمسك بالدين

يقول الله تعالى فى كتابه الكريم .

(واذا سالك عبادى عنى فانى قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون) .

ايها المؤمن ، ما اقرب مولاك منك وانت لا تشعر قربه وما احبك اليه وانت لا تشعر حبه انه قريب من عباده يكلؤه بعطفه ويرعاهم بعنايته يجيب السائلين ويرحم المسترحمين ويغفر للمستغفرين جعل الارض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعللها رواسى وجعل بينالبحرين حاجزا جعل الشمس سراجا والقمر نورا يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل ، يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ، يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء عمن ناداه بيده الخلق والامر **(كل يوم هو فى شان)** رفع السماء بلا عمد وقسم الارزاق فلم ينس احد .

قديم وجوده عميم فضله وجوده أول بلا ابتداء وآخر بلا انتهاء ، لا تراه

العيون ولا تحيط به الظنون تنزه عن النظير والمثل ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

وقد حثنا الله على الدعاء وحرضنا على الالتجاء اليه فبابه مفتوح ورحمته واسعة ومغفرته سابقة يغفر الذنب ويقبل التوب لا يرد من قصد بابه ولا يحرم من التجأ اليه كرمه سابغ وفضله واسع يرزق من يشاء بغير حساب .

لقد لجأ الى باب الله الأنبياء والأصفياء ، والضعفاء والفقراء ، والاقوياء والاغنياء فهو لا يرد سائلا ولا يخيب طالبا فاعتمد عليه واكثر التضرع بين يديه .

لا تسألن بنى آدم حاجة وسل الذى ابوابه لا تحجب
الله يغضب ان تركت سؤاله أما ابن آدم حين يسأل يغضب

تاب اليه آدم فقبل توبته وتوسل اليه نوح فأجاب دعوته وناداه ذو النون (**لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين**) قال الله تعالى (**فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين**) وتضرع اليه ايوب قائلا (**انى مسنى الشيطان بنصب وعذاب**) فاستحق نعمة ربه وقال له : (**اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب ووهبنا له اهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولى الألباب**) .

واشتكى اليه موسى فقره وحاجته قائلا : (**رب انى لما انزلت الى من خير فقير**) وما ان أتم كلامه حتى جاءته فتاة تمشى على استحياء (**قالت ان ابى يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا**) .

والتجأ اليه خاتم الأنبياء والمرسلين حين اشتد عليه ايذاء المشركين فتضرع الى رب العالمين قائلا : (**اللهم انى اشكو اليك ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس يا رب العالمين انت رب المستضعفين وانت ربى الى من تكلنى ؟ الى عدو يتجهمنى او بعيد ملكته امرى اعوذ بنور وجهك الذى اشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن ينزل بى غضبك أو يحل على سخطك لك العتبى حتى ترضى ان لم يكن بك غضب على فلا أبالى، عافيتك هى اوسع لى**) .

وما ان أتم النبى هذا الدعاء حتى جاءه جبريل الأمين يقول **يا محمد ان الله امرنى ان اطيعك فى قومك بسبب ما فعلوه بك فان شئت ان اطبق عليهم الاخشبين فعلت ، فقال له النبى لا تفعل انى لأرجو ان يخرج من ظهورهم من يعبد الله اللهم اهد قومى فانهم لا يعلمون** ، ولم يتخلف زكريا عليه السلام عن دعاء ربه والتضرع اليه فقال (**ولم أكن بدعائك رب شقيا**) فسمع زكريا صوت الحق جل جلاله (**يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا**)

لقد كان قادة الجيوش الاسلامية يستمدون النصر من السماء بأخلاص الدعاء والاستغاثة بمن يجيب المضطر اذا دعاه وفى اول معركة فاصلة بين المسلمين والكافرين ـ فى ليلة الفرقان ـ وقف النبى يدعو ربه طويلا حتى أوشك رداؤه أن يسقط عن كتفه وابو بكر وراءه يقول يا رسول الله خفف عن نفسك ان الله منجز لك وعدك وفى ذلك يقول الحق سبحانه (**اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم انى ممدكم بالف من الملائكة مردفين • وما جعله الله الا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم**) ٩ ، ١٠ ـ الانفال .

واثر ان لبعض الصالحين دعاء مقبولا فكان المطر اذا ابطأ عن اهل بغداد لجئوا الى بعض الأتقياء والصالحين فخرجوا معهم الى الفضاء وصلوا صلاة الاستسقاء واستغاثوا بالله والحوا فى الدعاء فينتشر الغيم فى السماء ويهطل المطر باذن الله قال تعالى (**استغفروا ربكم انه كان غفارا • يرسل السماء عليكم مدرارا • ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا**) .

وقد وردت ادعية وابتهالات اثرت عن الأئمة المتعبدين تهز أوتار القلوب وتخلص فى المتضرع الى علام الغيوب فمن ذلك ابتهال ابى حيان التوحيدى حين قال :

اللهم انى أبرأ من الثقة الا بك ومن الأمل الا فيك ومن التسليم الا لك ومن التوكل الا عليك ومن الطلب الا منك ومن الرضا الا عنك ، أسألك أن تجعل الاخلاص قرين عقيدتى ، والشكر على نعمك شعارى ودثارى ، والنظر الى ملكوتك ، دأبى وديدنى ، والانقياد لك شأنى وشغلى ، والخوف منك أمنى وايمانى ، اللهم انى أسألك خفايا لطفك وفواتح توفيقك ومألوف برك وعوائد احسانك وأسألك القناعة برزقك والرضا بحكمك .

ومن دعاء للجنيد يقول (اللهم انى أسألك يا خير السامعين وبجودك ومجدك يا اكرم الأكرمين وبكرمك وفضلك يا أسمح السامحين ، أسألك سؤال خاضع خاشع متذلل متواضع ضارع اشتدت اليك فاقته وعظمت فيما عندك رغبته وعلم الا يكون شيء الا بمشيئتك ولا يشفع شافع اليك الا من بعد اذنك ، الهى وسيدى وسندى انا بك عائذ مستغيث مستنجد) .

هذه مآثر الصالحين الذين عرفوا ربهم فى الشدة والرخاء وشكروه على النعماء وصبروا على البأساء حتى لقوا ربهم راضين مرضيين (**رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه**)

« الانسان الصالح خليفة الله فى الأرض »

يقول الله تعالى فى كتابه الكريم :

(واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال انى أعلم مالا تعلمون) ٣٠ ـ البقره .

ايها المؤمن :

ارأيت كرامة الانسان عند ربه ومنزلته لدى خالقه ، لقد استخلف الله الانسان لعماره الأرض وأخبر الملائكة بذلك ، والملائكة عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .

ومن المشاهد ان الكون كله يخضع لله خضوع القهر والغلبة فالسماء مرفوعة والأرض مبسوطة والجبال مرساة ، والبحار مجراة والليل مظلم والنهار مضيء والشمس تسير فى مدارها والقمر يظهر فى منازله **(وكل فى فلك يسبحون)** . اى أن كل ما فى الكون انما سخر بقدرة الله وخضع لأمره وقوانينه والملائكة أنفسها قد خضعت لطاعته واستمرت على عبادته بدون مخالفة ، والانسان هو المخلوق الوحيد الذى أعطى العقل والتفكير والارادة ، واعطى القدرة على الطاعة والمعصية ، فان أطاع صار خيرا من الملائكة وان عصى كان شرا من البهائم .

وقد كان اعتراض الملائكة متضمنا هذا المعنى حين قالت لله سبحانه **(اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ؟)** فقد عرفت الملائكة ان هذا الانسان سيحمل خصائص مميزة تجعله يستطيع الاصلاح والافساد ويملك المقدرة على عمل الخير والقدرة على فعل الشر وسفك الدماء .

وكان جواب الله سبحانه للملائكة **(انى أعلم مالا تعلمون)** اى انى اعرف ان الأرض لا يعمرها الا الانسان وحده ، فهو الذى يملك خصائص التنافس والتسابق فى عمارة الأرض واختراع الآلة واستخدام العقل والفكر واستنتاج المجهول من المعلوم ، وهو أهل لأن يعرف خصائص الأسماء والمسميات ولو كانت الأرض كلها ملائكة تعبد الله لما وجدت من يعمرها ويفلح أرضها ويغوص بحارها ويطير فى سمائها فالانسان الصالح خليفة الله فى الأرض لاقامة الحق والعدل وبث الحياة والنماء فى جنبات الأرض فى كشف الظنون (لو علم عباد الله ان رضى الله فى احياء أرضه لم يبق فى وجه الأرض خراب)

ان الانسان الفاضل والمؤمن الصادق اهل لأن يكون خليفة الله فى الأرض فعليه أن يحيى مواتها ويبعث جوانب الخير والنماء فيها بالزراعة والصناعة والتجارة واتقان الحرفة واحترام المهنة واعتبار العمل ـ اى العمل ـ قربة الى الله ومساهمة عملية فى نفع الناس ورقى الأمة ودعم الثروة قال صلى الله

عليه وسلم (ما أكل احدكم طعاما خير من أن ياكل من عمل يده وان نبى الله داود كان ياكل من عمل يده) رواه البخارى وأبو داود والنسائى وغيرهم .

ان العمل فى حد ذاته كسب شريف ومهنة نافعة وهو نوع من العبادة الصامتة فسعى الانسان على نفسه عمل صالح ورعايته لأسرته عمل صالح وكفالته لوالديه وذوى قرابته عمل صالح .

روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا مع أصحابه يوما فنظروا الى شاب ذى جلد وقوة قد بكر ليسعى فقالوا ويح هذا لو كان شبابه وجلده فى سبيل الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقولوا هذا فانه ان كان خرج يسعى على ولده صغارا فهو فى سبيل الله وان كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو فى سبيل الله ، وان كان خرج يسعى رياء ومفاخرة فهو فى سبيل الشيطان) رواه الطبرانى .

ايها المؤمن :

لقد بعث الاسلام النشاط والهمة فى نفوس المؤمنين به فاذا رأيت المسلم رأيت نشاطا لا يهدأ وعزيمة لا تكل ، استمع الى قوله تعالى (فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه) وقوله سبحانه (فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله) .

فانطلق المسلم ولم يدع سهلا ولا جبلا ولا واديا ولا عامرا ولا غامرا الا وقد تحصن باسلاميته ثم اقتحمه واستعمره وأجرى الخير فى جنباته واطلع السعاده فى آفاقه .

***

الا ان الأمل أن نسرى روح النشاط فى جميع اعمالنا وان يفلح الزارع الأرض وينميها ويجرى الخير والخضرة فى جنباتها ، فلا شىء يذيب نفسى حسرة أكثر من رؤيتى ارضا صالحة للزراعة والنفع والحياة وأراها مع ذلك مهملة يبابا قفرا بلقعا ويحضرنى كلام العالم المفكر الفيلسوف (ابن حزم) الأندلسى :

« اعلموا ان اللذة والسلامة والعز والأجر فى أصحاب فلاحة الأرض » فان فى اصلاح الأرض وزراعتها آية من آيات الله ودليلا من دلائل قدرته قال تعالى (ومن آياته انك ترى الأرض خاشعة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذى احياها لمحيى الموتى انه على كل شىء قدير) ٣٩ ــ فصلت .

انما تبنى الأوطان وترقى الأمم بجد ابنائها واخلاص شبابها وقيام كل ذى مهنة وحرفة باتقانها وفى الحديث الشريف

(ان الله يحب اذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه) .

واذا استلان الناس حياة الدعة والراحة وأهملوا سبل التقدم والتطور فقد استبدلوا الذى هو أدنى بالذى هو خير .

ان للحياه قوانين صارمة ونواميس قاطعة تقوم على تمجيد العاملين واهلاك المترفين واستخلاف الصالحين قال تعالى **(ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون)** .

فاعملوا كما عمل أسلافكم وجدوا فقد جد الزمان بكم واعلموا ان قافلة الحياة تسير ولا مكان لمتخلف أو كسول وقد كان من دعاء رسولنا العظيم . (اللهم انى اعوذ بك من الهم والحزن واعوذ بك من العجز والكسل واعوذ بك من الجبن والبخل واعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال) .

القدوة الحسنة

جاء الاسلام ومعه الدعوة الى القدوة الحسنة ، والطريق القويم ، والفضيلة والهداية قال تعالى **(ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين)** وكان الاسلام روحا وحياة ، ايقظ الجزيرة العربية من غفوتها وبعثها من سباتها فحول العرب من رعاة للشاه والغنم الى هداة للدين والأمم .

وانتشر الاسلام الى فارس والروم وامتد من المحيط الاطلنطى الى الخليج الفارسى وكان النشاط الاسلامى ينهض بالمجتمع فى افراده وفى مجموعة فلا ترى المسلم الا غاديا الى بيت الله أو مجاهدا فى سبيل الله أو عاملا على سعادة امته وتقدم بلاده أو باحثا عن العلم والمعرفة .

قدم المسلمون الى العالم حضارة من أرقى الحضارات قامت على احترام العقل وحرية الفكر وتمجيد العاملين .

فهذا كتاب الله يحث على العلم والمعرفة فيقول سبحانه وتعالى **(قل انظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شىء) (هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) (شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم)**

وقال صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة .

وحضارة الاسلام العقلية والفكرية غنية بأبطال كانوا روادا أوائل ، اناروا الدنيا واستضاء بعلومهم الفكر الانسانى فى الشرق والغرب ، ونزع الاسلام من نفوس هؤلاء الرواد كل هوى أو غرض ذاتى ، وجعل فيها الإخلاص لله وحده **(اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده)** .

ومن هؤلاء الرواد الاعلام الامام محمد بن ادريس الشافعي ، فقد كان رضى الله عنه عجيبة من عجائب الدنيا ، حفظ القرآن الكريم وهو ابن سبع سنين ، وجلس للفتيا وعمره خمسة عشر عاما ، ورحل الشافعي الى العراق سنة ١٩٥ هـ ، واسس بها مذهبه القديم ، ثم رحل الى مصر سنة ١٩٨ هـ ، ورأى مصالح الناس واحوالهم على نمط جديد فاسس بمصر مذهبه الجديد ، لأنه يرى أن الفقه قانون الحياة والحياة متطورة فيجب ان يتطور الفقه بما يوافق شرع الله من جهة وما يناسب مصالح الناس من جهة اخرى ، وأينما توحد المصلحة فثم شرع الله .

والامام الشافعي ، واضع علم أصول الفقه ، ومبتكر قواعده واحكامه ، مثل :

ان العبرة بالمعاني لا بالألفاظ ، وان الضرورات تبيح المحظورات ، وان المشقة تجلب التيسير ، وان الضرر الخاص يتحمل لدفع الضرر العام ، وانه لا ينكر تغير الأحكام بتغير الأزمان ، وانه لا ضرر ولا ضرار فى الاسلام .

وكان الامام الشافعي بحرا لا يجارى فى فقهه وعلمه ، وكان عالما بالرياضة والانساب والشعر والرمي والفروسية ، ويرمى العشرة اسهم فتصيب جميعها الهدف ولا يخطىء فى رمية واحدة .

وسئل الشافعي يوما بم عرفت الله ؟ قال بالنحلة نصفها يلسع ونصفها يعسل .

ايها المؤمن :

لقد نزع الاسلام من هذه الأنفس الخيرة كل حقد وكل ضغينة فلن نجد رجلا حربا على رجل ولا عالما حاقدا على عالم .

واليكم حادثة حدثت بين الامام الشافعي والامام احمد بن حنبل وكلاهما امام مجتهد فى الدين ، ولن ترى بينهما الا الولاء والحب والتقدير ، وانما يعظم فضل الواحد منهما على مقدار ما اسدى الى الناس من نفع .

نزل الشافعي ضيفا على أحمد بن حنبل ، وكانت للامام احمد ابنة صالحة تسمع اخبار الشافعي وتتشوق الى رؤية صلاحه وعبادته فرقبت عبادته بالليل وذكره بالاسحار ، لكن الشافعي أصبح مستلقيا على ظهره حتى الفجر وابن حنبل مشغول بذكره وعبادته فلما أصبحت قالت لأبيها رأيتك تعظم الامام الشافعي وما رأيت له فى هذه الليلة صلاة ولا ذكرا ولا وردا ، فبينما هما فى الحديث قام الامام الشافعي فقال له الامام احمد كيف كانت ليلتك ؟ قال ما رأيت ليلة أطيب منها ولا ابرك ولا اربح .

فقال الامام احمد وكيف ذلك ؟ قال الشافعي لأنى استنبطت فى هذه الليلة مائة مسالة ، وانا مستلق على ظهرى كلها فى منافع المسلمين ثم ودعه ومضى .

فقال أحمد بن حنبل لابننه هذا الذى عمله الليلة وهو نائم أفضل مما عملته وانا قائم .

وكان أحمد بن حنبل رضى الله عنه يقول ما صليت صلاة منذ أربعين سنة الا وانا أدعو للشافعى ، فقال له ابنه أى رجل كان الشافعى حتى تدعو له كل هذا الدعاء ؟ قال الامام أحمد يابنى كان الشافعى كالشمس للدنيا والعافية للناس فانظر يابنى هل لهذين خلف ؟ أو عنهما عوض ؟ .

أيها المؤمنون :

تلك هى القدوة الحسنة أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ، تكانف وتساند فى سبيل الهدف الأسمى ، وتعاون وتآزر فى خدمة الدين ومرضاة لله رب العالمين

رجال وهبوا حياتهم لله ، وجهودهم لنصرة دين الله ،

فمنحهم الله توفيقه العظيم ، وجدد بهم شباب الدين ، وحقق بهم ما قاله النبى الأمين محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم .

(لا يزال الله يرسل لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها) .

من هدى الأنبياء

ميز الله الانسان وفضله على سائر المخلوقات ومنحه كثيرا من الفضائل والمزايا ووهبه قدرات خاصة ومكنه من تنميتها واستغلالها الى أبعد حد .

وأرسل الله الرسول وأنزل الكتب وشرع الشرائع لهداية الانسان والأخذ بيده الى مسالك الخير والسمو بنفسه وروحه الى مراحل التطهر والنقاء . وكان الأنبياء والمرسلون عناصر ممتازة من الرجال اصطفاهم الله واختارهم ليحطموا للناس مصابيح الهداية وأساليب الرفعة والعزة .

وكان للانبياء حواريون وأتباع مخلصون تأثرت أفئدتهم وقلوبهم برسل الله وانبيائه وكانوا أكثر تفاعلا مع العقيدة وأوضح ايجابية مع التعاليم الدينية . قال الله تعالى : **(يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصارى الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله فآمنت طائفة من بنى اسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين)** .

واذا كان هدف التربية الحديثة هو ايجاد أكبر قدر من التماسك والترابط بين المواطنين باعتبار التعليم وسيلة من وسائل التقارب الفكرى بين المعلمين ، فلقد كانت رسالات السماء جميعا من أسبق أساليب لتربية فى الدعوة الى المساواة والاخوة بين الناس .

فلم تفرق بين جنس وجنس . ولا بين طبقة وطبقة ، بل كانت دعوات عامة الى الناس جميعا باعتبار ان الانسان هو المخلوق الاسمى ، الذى خلقه الله بيده واسجد له ملائكته وأباح له الكون ليستعمله ويستثمره ، فكان نداء النبوات والرسالات الى هذا الانسان سواء أكان عبدا ام حرا ، حاكما ام محكوما غنيا ام فقيرا ، قويا ام ضعيفا ، فالجميع عباد الله وخلقه ، ومن اجلهم جميعا خلق هذا الكون وسخر لهم افلاكه وأرضه وسماءه . قال تعالى **(ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا)** . الاسراء / ٧٠

وكانت آيات القرآن نداء جهيرا يدعو الناس ــ كل الناس ــ الى دعوة الحق والصدق وتكريم الانسان .

وفى أول آيات تنزلت من الوحى يقول الله تعالى : **(اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الاكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان مالم يعلم)** العلق / ١ ــ ٥ .

وافلح رسول الله (ص) فى اكتشاف هذه النفس الانسانيه وفى تفجير الطاقة الهائلة من المواهب والقوى فجمع المسلمين على معان سامية من الوحدة والاخاء ، والجد والبناء ، ثم حثهم على الصدق والصبر والتحمل ، ودفعهم الى الجهاد فى سبيل الله واعلاء كلمته ، فكانوا العقل الجديد والفجر الجديد والروح الجديد . وفتحوا البلاد بأخلاقهم قبل أن يفتحوها بسيوفهم . واستعلوا على المال والجاه والسلطان وكانت نفوسهم اقوى من عوارض الحياة التى تعترضهم ، فلما نجحوا فى تطهير انفسهم وافلحوا فى الامساك بزمامها واحكام قيادها ، رزقهم الله الفلاح والنصر ، وكانوا أهلا للعزة والسيادة ومظهرا من مظاهر سمو الروح البشرى وآية من آيات الله فى اظهار فضائل الانسان . وكان المربى العظيم والقائد الكريم يفرح حين يرى أصحابه بين يديه ثروة من المواهب المبدعة ، وحلقة يكمل بعضها بعضا فيهم القائد المحنك الذى يعرف سبيله الى النصر ، والفقيه العالم الذى حفظ الحديث وفقه كتاب الله ، والقاضى العادل الذى لا يخشى فى الحق لومة لائم ، والفدائى المخلص الذى باع نفسه لربه ، والداعية المسلم الذى يأخذ سبيله الى القلوب والنفوس بما يحمل من كتاب الله وكلماته . وكان الصحابة رضوان الله عليهم نجوما زاهرة ، وثمارا يانعة ورد وصفها فى التوراة والانجيل والقرآن .

قال تعالى : **(محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء**

بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما) . الفتح /٢٩

صفات المؤمنين

بسم الله الرحمن الرحيم

(انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون ، الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ، أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم) . الأنفال ٢ ــ ٤

(وجلت) أى خافت : يقال وجل يوجل وجلا أى خاف **(تليت)** أى قرئت .

وصف الله المؤمنين هنا بخمس صفات : وجل القلوب عند ذكر الله ، وزيادة الايمان عند تلاوة آياته ، والتوكل على الله وحده ، واقامة الصلاة ، والانفاق مما رزق الله .

ثم بين أنهم بهذه الأوصاف يكونون من أهل الايمان واستأنف مبينا جزاءهم بقوله **(لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم)** .

الصفة الأولى وجل القلوب :

والصفة الأولى تدل على أن من خصائص المؤمنين عند ذكر الله الوجل والخوف ، والخوف على قسمين : خوف العقاب ، وخوف العظمة والجلال ، وخوف الجلال والعظمة لا يفارق قلب المؤمن لأنه يرى بايمانه أن الله غنى وما سواه محتاج ، قوى وما سواه عاجز ، عالم مطلع على خفيات النفوس ، وما سواه جاهل لا يحيط بشيء من علمه ، فاذا استحضر الانسان فقره وحاجته وضعفه وعجزه وجهله أمام عظمة الغنى القوى المحيط بكل شيء ، امتلأت نفسه وقلبه بوجل الهيبة والجلال والعظمة والجمال ، سواء تذكر عصيانا يخشى عقابه ، أم تذكر طاعة يرجو ثوابها .

الصفة الثانية زيادة الايمان :

والصفة الثانية زيادة الايمان عند تلاوة الآيات ، وللايمان اطلاقان : يطلق ويراد منه التصديق فقط كما فى قوله تعالى : **(وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه)** ويطلق ويراد منه جميع عناصر الدين من تصديق واقرار وعمل وذلك كما فى قوله تعالى : **(أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا ؟)**

وزياده الايمان بالمعنى الثانى مما لا سبيل الى انكاره لأن من أجزائه العمل ولا ريب انه يزيد وينقص ، وبزيادته يزيد الايمان وينقصه ينقص الايمان كالرجل يكمل خلقه ، فيقال كامل الخلق وكالرجل يفقد بعض أعضائه فيقال ناقص الخلق أو مشوه الخلق .

أما الايمان بمعنى التصديق فقط فقد اشتهر انه لا يقبل الزيادة ولا النقصان والحق انه يقبل الزيادة والنقصان وزياده الايمان معناه الثقه والاطمئنان واليقين الكامل بالله العلى القدير . فكلما قلب المؤمن بصره فى القرآن أو تأمل آيات الله فى الكون زاد ايمانه رسوخا فى النفس ويقينا فى القلب . قال تعالى (**ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم الا ايمانا وتسليما**) .

التوكل على الله

والصفة الثالثة : التوكل على الله وحده ، والتوكل على الله أعلى مقامات التوحيد ، وان من مقتضيات الايمان بأن الله هو المدبر للامور ، التوكل عليه فى كل ما يحتاج اليه المؤمن فيما وراء مقدوره . وليس من متناول التوكل ترك الأسباب وتنكب سنن الله فى الخلق فمن يترك الطعام والشراب باسم التوكل على الله فى حفظ حياته فهو جاهل بالله ، ومن يترك العمل للحصول على الرزق باسم التوكل على الله فهو جاهل بالله ، ومن يترك اعداد العدة للدفاع عن الأوطان واعلاء كلمة الله باسم التوكل على الله وباسم ان يدافع عن الذين آمنوا فهو جاهل بالله .

التوكل معناه الأخذ فى الأسباب وعمل ما يمكن عمله مما هو فى اختيار المخلوق ثم ترك النتائج اعتمادا على الله وتوكلا عليه .

أما ترك الأسباب بالكلية فهو تواكل وتنطع فى الدين . والتوكل الحقيقى عمل وسعى ، ثم يقين صادق وثقة كاملة بالله . وقد جمع الرسول صلى الله عليه وسلم شطرى التوكل فى كلمة جامعة . حين جاءه اعرابى وقال : يارسول الله ناقتى بالباب اعقلها ؟ أم اتركها واتوكل على الله ؟ فقال عليه الصلاة والسلام (اعقلها وتوكل على الله) .

اقامة الصلاة :

والصفة الرابعة : اقامة الصلاة ، واقامتها عبارة عن أدائها مقومة الأركان كاملة فى صورتها وأركانها الظاهرة من قيام وركوع وسجود وقراءة وذكر ، وفى معناها وروحها الباطنة من خشوع وحضور فى مناجاة الرحمن ، وتدبر واتعاظ بتلاوة القرآن ، وهذه الاقامة الحقة هى التى تجعل صاحبها

مستقيدا بخشوع الصلاة منتهيا عن الفحشاء والمنكر قال تعالى **(ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر)**

الانفاق مما رزق الله

والصفة الخامسة الانفاق مما رزق الله ، فقد قضت حكمة الله ـ ابتلاء لخلقه ـ ان يجعل فيهم الفقير والغنى ، وان يربط الفقراء والأغنياء برباط اخوه الدين والانسانية ، وان يكلف الغنى بمقتضى ذلك الرباط أن يسد حاجة الفقير ، حقا له فى ماله ، وواجبا دينيا فى ذمته ، **(والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم)** المعارج ٢٤ ، ٢٥

وبذلك يكمل التعاون وتطهر القلوب ، وتصفو النفوس من الأحقاد التى يولدها الجشع ويميها الشح . والآيه بعمومها تطلب الانفاق من كل ما رزق الله وهو يشمل كما فصل الفقهاء زكاة النقدين والزروع والمواشى والبضائع التجارية .

تلازم الصلاة والزكاة :

لا نكاد نجد آية عرضت للصلاة ، الا وتذكر الانفاق فى سبيل الله كما أنا لا نكاد نجد آيه تعرض لأوصاف المؤمنين وتهملهما أو نهمل احداهما ، فقد جعل الله اقامة الصلاه مثالا لبذل النفس فى سبيله ، وجعل الانفاق مثالا لبذل المال فى سبيله ، واقتصر فى كثير من المواضع عليهما من جهة الأعمال الظاهرة كما نراه فى آيتنا هذه .

وقد ذكر قبلها من أحوال القلوب ثلاث مراتب : الأولى : الوجل من هيبة الله وجلاله ، الثانية : نمو هذا الوجل وامتلاء النفس به ، الثالثة : الاعتماد القلبى على الله وحده فى جميع الشئون .

الجزاء المعد لأرباب هذه الصفات :

بعد أن ذكر الله هذه الأوصاف ختم لأصحابها بخاتم الايمان الحق الذى لا مكان فيه للباطل فقال : **(أولئك هم المؤمنون حقا)** واثبت لهم بهذه الأوصاف **(درجات عند ربهم)** .

واذا كانت الأحوال الباطنة والأحوال الظاهرة متفاوتة فى ذاتها وهى التى بها وعلى قدرها استحقاق الجزاء ، كانت الدرجات متفاوتة بتفاوتها ، فبقدر ما يكون عند المؤمن من هذه الصفات يكون له عند الله من هذه الدرجات .

ثم عطف على هذه الدرجات **(مغفرة ورزق كريم)** مغفره الله لهم ، ورزقه الكريم اياهم .

اما المغفرة فهى محو ما يكون من سيئات **(ان الحسنات يذهبن السيئات)** والتجاوز عن عقابها حتى لا يعكر عليهم صفو هذه الدرجات والرزق الكريم هو المنحه الالهية التى لا يعلم حقيقتها ولا يحيط بكميتها الا خالقها ومانحها فهى رزق كريم من رب كريم .

فساد بنى اسرائيل فى الأرض

يقول الله تعالى فى سورة الاسراء (**وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا**) الاسراء / ٤

هذه الآية هى الآيه الرابعة من سوره الاسراء ، وتفيد هذه الآية والآيات الأربعة التى تليها أن من طبع اليهود البغى والعدوان ، والظلم والطغيان ، وخلاصة المعنى المستفاد من هذه الآيات ما يأتى :

١ ــ اخبر الله أن بنى اسرائيل سيفسدون فى الأرض مرتين وهذا الفساد معناه طغيان وعدوان منهم على عباد الله وخروجهم على الطريق القويم

٢ ــ أخبر الله عنهم انهم لما طغوا وبغوا سلط الله عليهم من ينتقم منهم .

٣ ــ بعد الانتقام الاول عادوا الى طريق الجادة فانتصروا على اعدائهم لكنهم لم يلبثوا أن عادوا للفساد فحق عليهم وعيد الله .

٤ ــ سلط الله عليهم فى المرة الثانية من أذلهم وهدم هيكلهم وهدم المسجد الأقصى وقضى عليهم وعلى ملكهم .

٥ ــ ذكر الله انه يشملهم برحمته اذا تابوا اليه فان عادوا للفساد عاد عليهم بالعقاب .

٦ ــ كثر عدد اليهود بعد الافساد الأول والثانى وعقوبتهما . واعزهم الله بعد الذل واعطاهم المال والجاه .

٧ ــ ارسل الله محمدا صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا يعرفون صفته فى التوراة ، ولكنهم كذبوه وغدروا به فسلط الله عليهم المسلمين فحاصروهم وقاتلوهم وفرضوا عليهم الجزية واخرجوهم من بلاد العرب .

٨ ــ استمرت حياة اليهود بين مد وجزر فكلما أرخى الله لهم الحبل ومتعوا بالنعمة أسرفوا فى استغلال النعمة وفى الفساد وسلط الله عليهم من ينتقم منهم .

٩ ــ كان من افسادهم فى الوقت الحاضر سيطرتهم على فلسطين سنة ١٩٤٨ واغتصاب مساحات واسعة من البلاد العربية عام ١٩٦٧ .

١٠ ـ تكاتفت مصر والأمة العربيةالاسلاميه فقامت حرب رمضان عام١٣٩٣هـ ودمرتا عبرت اسرائيل وتركت حصونها فى خط بارليف وبدأ الأمل يراود المسلمين فى أن يستردوا حقهم وارضهم المغتصبه .

تلك معان تتعلق بالآيات التى ذكرت فساد بنى اسرائيل فى الأرض مرتين ، ولم يذكر هذا المعنى فى القرآن كله الا مرة واحدة فى سورة الاسراء .

وفى ختام الآيات بشارة من الله للمسلمين بأنهم اذا تمسكوا بالقرآن وعملوا بأحكامه وتادبوا بآدابه فان أمامهم طريق النصر فى الدنيا والثواب الكبير فى الآخرة .

وتفيد الأحاديث الصحيحة أن المسلمين سيقاتلون اليهود قتالا عنيفا، وأن اليهود ستختبىء فى الحصون خلف الاحجار ولكن الحصون ترشد اليهم وتدعو المسلمين الى قتالهم .

وقد تحقق ذلك فى حرب العاشر من رمضان ، والأمل وطيد فى الأمة العربية أن يستمر تماسكها وتساندها ، وأن تعلم أنها أمام عدو شرس عنيد، ولا فلاح لنا فى الدنيا والآخرة الا بالتزام طريق الجهاد والنضال ، جهاد الميدان ، وجهاد النفس ، وجهاد الكلمة ، وجهاد العمل ، وجهاد الأمل ، فطريق النصر له معالم وأسس تتمثل فيما يلى :

١ ـ وحدة الكلمة ووحدة الصف لأن يد الله مع الجماعة ، فالاتحاد قوة والتفرق ضعف .

٢ ـ اخلاص النية والرغبة فى الجهاد والطمع فى الثواب وايثار الآخرة على الدنيا .

٣ ـ اتقان العمل واعتقاد كل مواطن انه على ثغرة من ثغور العدو فالصانع والزارع والطبيب والمهندس والمدرس والموظف ، كل واحد من هؤلاء اذا قام بعمله وأدى واجبه فانه يسهم فى بناء صرح الوطن ويضيع لبنة فى بناء العزة والكرامة والاعداد والقوة ويحقق قوله تعالى **(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة)** الانفال / ٦٠ .

الانسان فى القرآن

جعل الله الانسان خليفته فى الأرض ، ليعمرها ويثريها ويقيم عليها الحق والعدل ، وقد كرم الانسان أنواعا من التكريم ، فمنحه العقل وميزه على جميع الكائنات ، لأن السماء والأرض والجبال والبحار ، تخضع لله خضوع القهر والغلبة ، أما الانسان فهو المخلوق الوحيد الذى يخضع لله ويعبده عن حرية وارادة ، واختيار وتفكير، وفى تفسير الأمانة ـ التى عرضها

الله على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان ــ انها هي الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية ، لقد خيرت هذه المخلوقات بين التفكير والارادة ، وبين الطاعة النامة بلا تفكير ولا ارادة فاختارت الطاعة النامه بلا تفكير ولا ارادة .

وهذا معنى قوله تعالى (**وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا**) .

فالأرض لا يعمرها ملاك مطيع ، ولكن يعمرها انسان ينافس ويتسابق ويطيع . ويعصى ، ويعمل الخير والشر فهذا جزء من حقيقة هذه الحياه ، حتى يتميز المحسن من المسيء . قال تعالى (**ولو شاء ربك لجعل النـاس امة واحدة ولا يزالون مختلفين ، الا من رحم ربك ولذلك خلقهم**) هود ١١٨،١١٩

لقد كان الانسان مجهولا فى ظلمات العدم فهيا الله له الحياة والوجود ، وندرج خلقته من تراب ثم من طين ثم من حمأ مسنون ثم خلق من نطفـة ثم علقة ثم مضغة ثم عظام ثم كسى العظام لحما ثم أنشأه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين .

قال تعالى (**هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا ، انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا ، انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا**) الانسان ١ ــ ٣

لقد خلق الله الانسان من نطفة أمشاج : والأمشاج هى الاخلاط ، يقال مشجه يمشجه مشجا خلطه ، والمراد اختلاط الحيـوان المنوى للذكر ببويضـة الانثى فينشأ مخلوق جديد يحمل صفات الأب وصـفات الأم ، بل يحمـل صفات الأجداد والأقارب ، وملايين الحيوانات المنوية حجمها فى مثل راس الدبوس ، يسبق حيوان واحد منها فيتم عملية الاخصاب ، ويحمل هـذا الحيوان خصائص اللون والتفكير والصفات النفسية والحسية لوالديه ، ثم يتم الخلق بقدرة الله ، ليتم الابتـلاء والاختبـار ولذلك وهب الله الانســان أدوات التفكير والارادة فجعله سميعا بصيرا ، وبين له طريق الهدى والضلال ليختار الشكر والعرفان أو الكفر والنكران ، فمن عصى فله النار ، ومن أطاع فله جنات النعيم .

نعيم الآخرة :

تحدث القرآن عن وصف الجزاء فى الآخـرة فذكر البعث والنشـور والحسـاب ، والصراط والميزان والجنة والنار ، وقد بين الله فى سورة الانسان جزاء الكفار وثواب الأبرار .

فتحدث عن الكفار فى آية واحدة هى قوله تعالى : (**انا اعتدنا للكافرين سلاسل واغلالا وسعيرا**) الانسان ٤

اى جعلنا لمن كفر بالله وصد عن سبيله سلاسل للايدى واغلالا وقيودا فى العنق ، وسعيرا تتلظى ، ونارا تحرق جميع الجسم .

ثم تحدث عن النعيم الالهى فى آيات مستفيضة تبدأ من قوله تعالى : **(ان الأبرار يشربون من كاس كان مزاجها كافورا)** الانسان ٥

فذكر أنهم ابرار ، والبر هو الذى أطاع ربه ، وبر خالقه وابتعد عن ايذاء الأخرين ، هؤلاء الأبرار يشربون خمر الجنة وقد مزجت مرة بالكافور، ومزجت مرة بالزنجبيل ، ويأكلون من ثمارها ، وهى ثمار قريبة منهم ينالها القائم والقاعد والمضجع والمتكىء .

ويطوف عليهم غلمان صباح الوجوه لا يعتريهم المشيب كانهم فى صفائهم وجمال وجوههم اللؤلؤ المنثور ، ويلبس اهل الجنة حريرا رقيقا ، وحريرا مبطنا ، ويحلون أساور الفضة والذهب و للؤلؤ .

ويتمتعون بالنعيم الكبير ، والجنــة الواســعة والملك العريض ، **واذا رايت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا)** الانسان ٢٠

وهناك رضوان الله ورؤية الجبار ، وعزف الأوتار ، وجرى الأنهــار وقطف الثمار .

هناك انهار من لبن لم يتغير طعمه ، وانهار من خمر لذة للشــاربين ، وانهار من عسل مصفى .

هناك مالا عين رات ولا اذن ســمعت ولا خطر على قلب بشر ، هنــاك رضوان من الله اكبر ، اى رضا الله وفضله عن المتقين .

قال تعالى :**(للذين احسنوا الحسنى وزيادة)** يونس ٢٦

اى للذين آمنوا واحســنوا الجنة ورؤية الله رؤية تكريم وتشريف .
قال تعالى : **(وجوه يومئذ ناضرة ، الى ربها ناظرة)** القيامة ٢٢ ٢٣

ارحموا ترحموا واغفروا يغفر لكم

اتصف الله بالرحمة ، وقسم الرحمة مائة جزء أنزل جزءا واحدا فى الدنيا يتراحم به الناس ، وادخر ٩٩ جزءا يرحم بها العباد يوم القيامة .

وحين نستفتح الصــلاة نبــداها بقولنا **« بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم »** وقد وصف الله رســوله بالرحمــة فقال **(وما ارسلناك الا رحمة للعالمين)** وقال عليه السلام عن نفسه **(انما انا رحمة مهداه)** .

وقد حث الاسلام على الرحمة وبين انها صفة من صفات المؤمنين .

وتواردت أحاديث النبى الأمين تدعو الى الرحمة وتحث عليهـا وهو الذى يقول (ان البر يهدى الى الجنة ، ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء ، لا يرحم الله من لا يرحم الناس ، الراحمون يرحمهم الرحمن ، لا تنزع الرحمة الا من شقى) .

وقال تعالى : (**لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم**) .

وقد اتسعت رحمته صلى الله عليه وسـلم فشملت الكبير والصـغير والغنى والفقير وجاهد لتحرير العبيـد ورفع قيمتهم ، فلم يدخر مالا ولا سلطانا ولا دعوة فى سبيلهم وكانت روحه تفيض بالرحمة عليهم والبر بهم .

عن ابى مسعود قال : ضربت غلاما لى بالسوط فسمعت صوتا من خلفى، فاذا برسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : اعلم أبا مسعود ان الله اقـدر عليك منك على هذا الغلام .

وبلغ من رحمة النبى الأمين . أنه كان لا يطيق أن يقول أحد : عبدى أو امتى فأمر المسلمين أن يكفوا عن ذلك وان يقولوا فتاى وفتاتى وقد كان لهذه التربية احسن الأثر فى تحرير الأرقاء ، ونشر المساواة ، وتغليب روح الاخوة والمودة والرحمة .

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من نفس عن مؤمن كربة نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيـا والآخرة ، ومن أطعم جائعـا أطعمه الله من ثمار الجنة ومن كسـا عريانا كساه الله من السندس الأخضر يوم القيامة والله فى عون العبد مادام العبد فى عون أخيه) .

أيها المؤمنون :

لقد حث الاسلام على التراحم والتكافل فمن رحم عباد الله شمله الله برحمته وفضلة .

ارحم عبـاد الله يرحمـك الـذى
عم البريـة فضـله ونوالـه

فالراحمون لهم نصـيب وافـر
من رحمة الرحمـن جـل جلالـه

وهذا معنى الحـديث الشريف ارحموا ترحمـوا واغفروا يغفر لكم ، اى عليكم بالسماحة والعفو والصفح فما تواضع أحد لله الا رفعه ومازاد الله عبدا بعفو الا عزا .

قال تعالى : (**ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم . وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم**) .

تعاونوا على البر والتقوى ، وكونوا يدا واحدة كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ، فالله فى عون العبد مادام العبد فى عون أخيه ، والله يضاعف ثواب العاملين ، ويبارك خطى المنفقين قال تعالى (**ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من أحسن عملا**) .

مصر تعاليم السماء

ورد ذكر مصر فى كثير من آيات القرآن منها قوله تعالى على لسان نبى الله يوسف (**ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين**)

ووردت احاديث كثيرة تصف مصر بأنها كنانة الله فى أرضه وتدعو المسلمين الفاتحين الى معاونة الأقباط . ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم (ستفتح عليكم بعدى مصر فاستوصوا بقبطها خيرا فان لهم ذمة ورحما)

وقد حكى القرآن أن نبى الله ابراهيم جاء الى مصر ، وان نبى الله موسى جاء الى مصر ، وان نبى الله عيسى جاء الى مصر ، وأن رسالة النبى محمد صلى الله عليه وسلم وردت الى المقوقس عظيم القبط بمصر وفيها (أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين) .

***

وقد حملت كنيسة الاسكندرية دورا رائدا فى الدعوة الى الهداية والايمان .

ولما جاء الاسلام الى مصر خلص اهلها من عنت الرومان وابتزاز اليهود ونشر العدل والعمران ، وليس صدقا أن الاسلام انتصر بالسيف ، ولكن الحق أن الاسلام انتصر على السيف . وأراح الناس من الظلم والجبروت وهيأ لهم العدالة والاستقرار .

ان الاسلام هو الدين الوسط الذى لا غلو فيه ولا تفريط قال تعالى (**وكذلك جعلناكم أمة وسطا**) .

ان الاسلام يحترم الملكية الفردية ولكنه يجعل الغنى موظفا فى ماله عليه أن يخرج منه الزكاة وصدقة الفطر والعيدين والأضحية والنذور والكفارات والصدقات الموسمية .

وتلك وسيلة الاسلام الى التعاون والتكافل والتراحم قال تعالى (**وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان**) .

وقال صلى الله عليه وسلم (مثل المسلمين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى) .

لقد مكث الأزهر فى مصر الف عام ويندر ان تجد بلدا من بلاد الاسلام الا وتجد فيه أثرا لعالم ازهرى أو كتاب أزهرى ، وقد أمدت مصر البلاد العربية والاسلامية بالعلماء والمدرسين . ونأمل أن تقوى .. اواصر التعاون والتكاتف بين الأمة العربية جمعاء وبين المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها لتعود لنا العزة والكرامة بصدق العقيدة وسلامة الفكرة وحمل الدعوة الصادقة وخيرها وسعادتها . قال تعالى (**كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله**) .

امة واحدة

يقول الله سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم (**ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون**) . الانبياء «٩٢»

كان العرب فى جاهليتهم اشياعا مختلفة وقبائل متفرقة لا يجمعهم سلطان ولا توحدهم حكومة وربما تفاخروا بالغارة على بعضهم البعض ، وافتخر القوى بسلب حق الضعيف واذا رحلوا فى طلب الكلأ والمرعى تركوا كبار السن فى الصحراء يلقون مصيرهم المحتوم .

فلما أرسل الله محمدا صلى الله عليه وسلم مبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ، دعا الى توحيد الله وندد بعبادة الأوثان والأصنام وقد مكث فى مكة ثلاثة عشر عاما يؤكد سلامة العقيدة ويحارب الشرك والانحراف ، فلما هاجر المسلمون الى المدينة المنورة نزلت التشريعات المدنية والاجتماعية والانسانية تنظم حياة الفرد وحياة الاسرة وحياة المجتمع وتغير المثل الأعلى فى الاسلام عنه فى الجاهلية . فصار المثل الأعلى للمؤمن هو طاعة الله والتزام الاوامر والبعد عن المحرمات واقامة الحق والعدل وترك الفحشاء والمنكر والبغى .

وخلق القرآن روحا جديدا بين العرب ورباطا جديدا بين المسلمين فاذا المؤمنون أخوة متحابون متعاونون متساندون يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، وأصبح المسلمون يدا واحدة وقوة متماسكة كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا وتوالت آيات القرآن تحث على التعاون والتراحم وتنهى عن الخلاف والشقاق فيقول سبحانه (**وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان**) . المائدة « ٢ »

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم قائدا حكيما ومصلحا ومربيا حازما

فوضع لهم أساس الوحدة والقوة وجنبهم مواطن الضعف والخلاف وارسل توجيهاته الحكيمة وأحاديثه الشريفة تقوى روابط المودة والألفة بين المسلمين وتحارب التنابذ والفرقة فيقول عليه الصلاة والسلام :

(اياكم والظن فان الظن أكذب الحديث ، ولا تجسسوا ولا تحسسوا ، ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ، ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله اخوانا كما امركم الله تعالى ، المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ، ولا يخذله ، ولا يحقره بحسب امرىء من الشر ان يحقر أخاه المسلم : كل المسلم على المسلم حرام ماله ودمه وعوضه ، ان الله لا ينظر الى أجسادكم ، ولا الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم واعمالكم) رواه البخارى ومسلم .

لقد كانت وحدة المسلمين وترابطهم وتعاونهم من اسباب قوتهم وعزتهم بل اصبحوا اقوى قوة فى الجزيرة العربية وامتد نور الاسلام فعم بلاد العرب وفتحت مكة ام القرى ودخل الناس فى دين الله افواجا وجماعات ولم نمض عشر سنوات على وفاة الرسول الامين حتى كان الخلفاء الراشدون يفتحون بلاد الفرس والروم ومصر وينشرون دين الله فى المشارق والمغارب .

يا من راى عمرا تكسوه بردته
والزيت ادم له والكوخ مأواه
يهتز كسرى على كرسيه فرقا
من بطشه وملوك الروم تخشاه

ولقد كانت الفرقة والخلاف بين المسلمين بعد ذلك من أسباب ضعفهم وتفرق كلمتهم وانتزاع بعض أملاكهم وسقوط بعض دولهم .

ثم شاء الله ان يبعث فى المسلمين روحا جديدا وفجرا جديدا ونورا جديدا فتقاربت أمورهم فى العصر الحاضر وتعاونت رؤساؤهم ، وتساندت دولهم وقامت حرب العاشر من رمضان سنة ١٣٩٣ هـ ـ اكتوبر سنة ١٩٧٣م ـ وعبر المصريون قناة السويس وحطموا خط بارليف وتقدم السوريون ليطبقوا على اعداء العرب والاسلام واذا العرب جميعا يدا واحدة هدفهم واحد ، وأملهم واحد ، نشيدهم واحد ، واحرزوا جانبا من النصر حين توحدت كلمتهم وتوحدت صفوفهم ، ودخل البترول فى المعركة سلاحا حاسما ينبه الجميع الى حقوق العرب فى أوطانهم وبلادهم ، وفهم الناس لغة القوة وأدركوا ان فلسطين عربية فتحها العرب المسلمون منذ أكثر من الف عام وبقيت عربية اسلامية طوال هذه القرون ، وان اسرائيل المعتدية قد تنجح لفترة محدودة ولكن الباطل عمره قصير ودولة الباطل ساعة ، ودولة الحق الى قيام الساعة .

أيتها الامة العربية الاسـلامية ، هدفنا واحد ، كتابنا واحد ، ربنا واحد ، نبينا واحد ، قبلتنا واحدة ، أمتنا واحدة ووحدتنا هي مصـــدر عزتنا وقوتنا

يمينا لو يمينك في يميني   لقبلت الشـعوب لنا يمينا

ان امضى سلاح في يد اليهود هو سلاح الكيد والدس والخداع والفتنة وقديما حاول شاس اليهودي أن يذكى نار الخلاف بين الانصار من أهل المدينة فقال لغـلام تسـلل الى الاوس والخزرج وذكرهم بيـوم بعاث . وهـو يوم مشهور تحاربوا فيه في الجاهلية . فتناشـدوا اشعار ذلك اليوم واختلفوا وتنادوا السلاح السلاح وبلغ ذلك رسـول الله صلى الله عليه وسلم فخرج جزعا يجر رداءه وقال :

(ادعوى الجاهلية وانا بين ظهرانيكم ؟ ذروها فانها مفتنة ذروها فانها مفتنة) وتنزلت آيات القرآن الكريم تقول :

(يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين . وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم) . آل عمران « ١٠٠ ، ١٠١ »

وعاد الانصار اخوة يتعانقون بعد ان أدركوا دسيسة الأعداء ومكرهم .

***

أيتهـا الأمة العربية الاسلامية . ان أعداءكم يبذلون جهودا مكثفة حتى يشـغلوكم بانفسـكم ويقضوا عليكم باسلحتكم ، ويتركوكم فريسـة للنزاع والخلاف والاطماع . فاحذروا الفتنة فانها قائمة لعن الله من ايقظها (والفتنة اشد من القتل) .

ارتفعوا فوق الحقد والضغينة ، وتناسـوا آلام الماضى من اجل آمال المستقبل ، وتعاونوا فيما اتفقتم عليه ، وليعذر بعضكم بعضا فيما اختلفتم فيه وثقوا أن النصر مع الصبر وان يد الله مع الجماعة ، وأن رحى الاسلام دائرة ، فدوروا مع الكتـاب وعليكم بالجماعة فانما يأكل الذئـب من الغنم القاصية .

أيتها الأمة العربية المسلمة : ان العمل هو الحياة فلا مكان على ظهر هذه البسـيطة للكسالى والعاطلين ، ان العمل شرف وقوة والله تعالى يقول :

(ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا) الكهف « ٣٠ » . اتقنوا اعمالكم واخلصوا في خدمة اوطانكم واعلموا ان ميـدان المعركة واسع رحيب يشمل الزارع في حقله والصانع في مصنعه ، والمدرس في فصـــله ، والعالم في معمله ، والموظف في مكتبه ، وكل عامل على ثغرة من ثغور الوطن فلا يؤتين من قبله ،

لقـد كانت الحروب فى القرون الوسـطى تعتمد على شـجاعة القـائد وتنهزم الجيوش بانهزام اميرها ولكن الحروب الآن تنوعت وتعقدت وصارت فنا من فنون العلم والمعرفة ، واصبح مـيدان المعركة محتـاجا الى كل ذى خبرة وموهبة ، وصارت الجيوش مرتبطة بالشعوب نسـتمد منها الزاد والروح والفكر والالهام .

ايها الشعب المصرى ان لك ماض فى الحضارة عريق ولك قدم فى الجهاد اصـيل طهرت البـلاد من الغزاة والمغـامرين وقمت بواجب التحـرير فى حرب رمضـان وأصبح امامك واجب مقدس هو اكمال التحرير والتطهير واتمام البناء والتعمير فلنعمل جميعا يدا واحدة ، وشعورا وطنيا سابغا ، ولنعلم ان حب الوطن من الايمان وان الايمان ليس كلاما ولكنه عمل وجهاد ، وسعى وجلاد ، وتضحية وانتاج . قال صلى الله عليه وسلم (ليس الايمان بالتمنى ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل الا وان اقواما غرتهم الامانى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا نحسن الظن بالله وكذبوا على الله لو أحسنوا الظن لاحسنوا العمل) .

الاسلام والتربية الجنسية

جاء الاسلام دينا عاما لارساء قواعد التوحيد واصلاح العقائد وتثبيت دعائم القيم والأخلاق الحميدة . وقد مكث النبى عليـه الصـلاة والسـلام ثلاثة عشر عاما فى مكة داعيا الى توحيد الله مذكرا بما أصاب الامم السابقة التى كذبت أنبياءها . منبها الى الحياة الآخرة وما فيها من بعث وحساب وجزاء وجنة ونار .

فلما هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم الى المدينة مكث عشر سنوات يرسى دعائم الاخوة بين المسلمين ويبلغ عن ربه قواعد العبادات والمعاملات ويعلم المسلمين أمور دينهم ودنياهم موضحا لهم أن قوة الأمة فى قوة عقيدتها وأن النصر مرتبط بتمسك الامة بالقيم والاخلاق والمبادىء وأهداف الدين .

وفى سبيل ذلك وضحت آيات القرآن المدنى احكام الحلال والحرام وتشريعـات الصلاة والصـيام والزكاة والحج ، وسنت للنـاس أحكام الجهاد والقصاص ، والزواج والطلاق وعـلاقة المسلم بربه وعلاقة المسلم بأخيه المسلم وبغيره من الناس .

وقد شملت التشريعات الاسلامية شئون الحياة كلها فى الحرب والسلم والبيع والشراء وطرق المقاضاة واقامة الدعوى وانواع الشركات ، والرهن والاجارة . الى جوار الاخلاق والآداب التى ينبغى مراعاتها والتمسك بها .

ومما وضحه القرآن أيضا الحدود والقصاص ، وكل ما يكفل سلامة الفرد والمجتمع .

وقد كان القرآن منهجيا وتربويا فى علاجه للأمراض الاجتماعية المنتشرة ووضع العقوبات اللازمة لمن يتعدى حدود الله .

ومن أمثلة ذلك تحريم الخمر ، فقد سلك القرآن سبيل التدريج فى تحريمها ، فبين أولا ان ضررها أكبر من نفعها ، ثم نهى عن الدخول فى الصلاة عند السكر ، ثم حرمها تحريما قاطعا صريحا .

* قال تعالى : **(يسالونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما اكبر من نفعهما)** البقرة / ٢١٩

* ثم قال سبحانه : **(يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى)** النساء / ٤٣

* واخيرا قال عز شانه : **(يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ، انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون)** المائدة / ٩٠ و ٩١

كذلك فى التشريعات الخاصة بتحريم الزنا ، فقد سلك القرآن الى ذلك طريقة الحكيم فارسى دعائم التوحيد أولا ثم شرع للمسلمين امور الحلال والحرام ، وتوج هذه التربية بتحريم الزنا والخمر بعد ان مهد لذلك بالتهذيب والتاديب والتدريب العملى والسلوكى .

قالت عائشة رضى الله عنها : انما نزل من القرآن أول ما نزل ايات تدعو الى توحيد الله وتحث على الايمان بالله وملائكته ورسله واليوم الاخر . ولو نزل أول ما نزل ايات تدعو الى ترك الزنا لقال العرب لانترك الزنا أبدا . ولو نزل أول ما نزل ايات تبين تحريم الخمر لقال العرب لا نترك الخمر ابدا .

لقد وضع القرآن الاساس السليم من الدعوة المتكررة الى الايمان بالله وساق الأدلة المتعددة على وجوده ولفت نظر الانسان الى الكون وما فيه من ادلة شاهدة على عظمة الخالق وابداعه ، فلما استقر الايمان فى القلوب شرع للناس الشرائع وبين الاحكام . ثم وضع الحدود لمن يخالف هذه الاحكام

وكمثال على ذلك علاج القرآن لجريمة الزنا ، فقد كانت منتشرة بين العرب فى الجاهلية ، وكانت هناك نساء ينصبن رايات حمراء فوق بيوتهن ليرشدن الزوار اليهن . وكانت بعض الاماء تكره من سادتها على ممارسة البغاء حتى يجلبن المال لسادتهن .

قال تعالى : **(ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ، ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم)** النور / ٣٣

وكانت بعض النساء فى الجاهلية تخرج لقضاء حاجتها وتتلاقى جماعات النساء مع جماعات الرجال فى الطرقات ، وربما دار هناك حديث أو كلام وربما اعقب ذلك ملاطفة أو مواعدة .

وتنزلت آيات القرآن تدعو الى انصاف المراة وحمايتها من الغواية والرذيلة فقد نهى القرآن عن الزواج بالمشركة وبالزانية وبالبغى فقال سبحانه **(لا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولامة مؤمنة خير من مشركة ولو اعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم أولئك يدعون الى النار والله يدعو الى الجنة والمغفرة باذنه ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون)** البقرة / ٢٢١

وحرم القرآن الزنا ، وبين ما يترتب عليه من آثار ضارة بالفرد والمجتمع فقال سبحانه : **(ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا** الاسراء / ٣٢ .

وفى سورة النور استهلال بارع ببيان أحكام الزناة ووجوب اقامة الحد عليهم ، وتنفير من الزنا بأحكم بيان وأروع أسلوب . قال تعالى :

(الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تاخذكم بهما رافة فى دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين ، الزانى لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك وحرم ذلك على المؤمنين) النور / ٢ و ٣ .

***

وفى نفس السورة بين الله طائفة من الاحكام تستهدف صيانة المراة وابعادها عن التبذل والاثارة والفتنة ، واغلاق الباب امام حيل الشيطان وأساليبه ، فقد حرم الله الخلوة بالمراة الاجنبية ، كما حرم اللمسة والقبلة والنظرة ، وصان المجتمع من عبث العابثين وطرق المفسدين . قال سبحانه : **(قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك ازكى لهم ان الله خبير بما يصنعون ، وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن او آبائهن او آباء بعولتهن او ابنائهن او ابناء بعولتهن او اخوانهن او بنى اخوانهن او بنى اخواتهن او نسائهن او ما ملكت ايمانهن و التابعين غير أولى الاربة من الرجال او الطفل الذين لم يظهروا على**

عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون) النور / ٣٠ و ٣١

وقد تتابعت ايات القرآن تحث على الفضيلة وتحذر من الغواية والرذيلة وتأخذ على الشيطان مسالكه وتأمر المرأة ان تستر جسمها والا تبدى مواطن الفتنة والا تظهر شيئا من العورة ، لأن القرآن اذا حرم شيئا حرم السبل المؤدية اليه من باب قولهم مالا يتم الواجب الا به فهو واجب . قال تعالى : (**يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما**)

الأحزاب / ٥٩

ووجه الله امهات المؤمنين الى الطريقة المثلى والقدوة العملية فنهاهن عن اسباب الاثارة والفتنة وحذرهن من التبرج ومن اظهار الزينة امام الاجانب ، وحثهن على اقامة الصلاة وايتاء الزكاة وتلاوة القرآن وبذلك رسم للمراة طريق العفاف النفسى وطريق الحماية والحفاظ الاجتماعى .

قال تعالى : **(يا نساء النبى لستن كأحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولا معروفا ، وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى واقمن الصلاة وآتين الزكاة واطعن الله ورسوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا ، واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة ان الله كان لطيفا خبيرا) .**

الاحزاب / ٣٢ — ٣٤

وتكفل رسول الله صلى الله عليه وسلم يرسم الطريق الامثل لسلوك الرجل والمراة ، فامر بغض البصر وحفظ الجوارح وحذر من الزنا وشدد فى النكير عليه ، وبين الطرق النفسية والتربوية لتنقية المجتمع من هذه الفاحشة الضارة .

ورد فى الحديث الصحيح ان شابا موفور الصحة والقوة جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم وقال : يارسول الله ارجو ان تأذن لى فى الزنا . فتالم اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم واوشكوا ان يأخذوا على يد الشاب . فقال (ص) لأصحابه مه مه (أى كفوا عنه) ، ثم قال للشاب ادن (أى اقترب) اتحب ان يفعل ذلك بامك ؟ قال لا يارسول الله . فقال النبى ولا الناس يحبون لأمهاتهم ، ثم قال النبى (ص) للشاب : اتحب ان يفعل ذلك بزوجتك ؟ . قال : لا يارسول الله ؟ . قال النبى : ولا الناس يحبونه لزوجاتهم . ثم قال النبى للشاب : أتحب أو يفعل ذلك بابنتك ؟ قال الشاب : لا يارسول الله . فقال النبى : ولا الناس يحبونه لبناتهم .

وفى رواية اتحب ان يفعل ذلك بعمتك او خالتك ؟ قال : لا يارسول الله . فقال له : ولا الناس يحبونه لعماتهم ولا لخالاتهم .

ثم مسح النبى صلى الله عليه وسلم على صدر الشاب وقال : اللهم اشرح له صدره ويسر له أمره والهمه رشده ، قال الشاب فوا الله ماوجدت اثرا لنزغ الشيطان بعد ذلك .

وتوالت احاديث الرسول الكريم تهيب بالمسلم أن يحفظ عينه ويده ورجله وأن يحفظ قلبه وفكره .

روى البخارى فى صحيحه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(ان الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا ادرك ذلك لا محالة فالعينان تزنيان وزناهما النظر ، واليدان تزنيان وزناهما اللمس ، والرجلان تزنيان وزناهما الخطى ، والقلب يهوى ويتمنى ، ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه)

وفى القرآن الكريم يقول الحق سبحانه **(ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولا)** الاسراء / ٣٦ .

وامتدت توجيهات النبى الكريم فامرت بغض البصر وحفظ الفرج ، واداء الأمانة وترك الخيانة . وصدق الحديث ووفاء العهد ، وكلها آداب سلوكية تؤدى الى خلق سلوك مهذب ومجتمع سليم .

قال صلى الله عليه وسلم (يا معشر الناس اضمنوا لى ستا اضمن لكم الجنة : اصدقوا اذا حدثتم ، واوفوا اذا عاهدتهم ، وادوا الأمانة اذا أؤتمنتم ، وغضوا أبصاركم ، واحفظوا فروجكم ، وكفوا أيديكم) .

وحذرت الأحاديث النبوية من تتبع العورات ، ونهت عن اتساع النظر لأن النظر بريد الزنا ولأن العين هى الدائرة التى تطل على الدنيا وترى بها كل شيء من الخير والشر .

وفى الحديث : (يا على لا تتبع النظرة النظرة ، فان لك الأولى وعليك الثانية) .

(من نظر الى امرأة لاتحل له صب فى عينيه الآنك ـ وهو النحاس الأصفر ـ يوم القيامة) .

وفى الحديث القدسى (النظرة سهم مسموم من سهام ابليس من تركها خوفا منى أبدلته ايمانا يجد حلاوته فى قلبه) .

وقد تمكن هذا الهدى الالهى من نفوس المسلمين فادى الى حفظ المجتمع الاسلامى وتماسكه والى قلة الرذيلة فيه . قال انس بن مالك :

« نظرت الى امراة فاتبعتها بصرى ثم دخلت على عثمان بن عفان فقال عثمان يدخل أحــدكم علينا وأثر الزنا بين عينيه . قلت أبـوه بعـد رسول الله يا عثمان ؟ قال لا ولكن المؤمن ينظر بنور الله » .

وقد فرق جمهور الفقهاء بين الزانى المحصن (المتزوج) والزانى الاعزب فاذا كان الزانى متزوجا فحده الرجم حتى يموت لأنه كفر بنعمة الله وترك زوجته الحلال الى اخرى لا تحل له .

واذا كان الزاني اعزبا فانه يجلد مائة جلدة ، يضرب بسـوط لا ثمره فيه (اى لا عقدة به) ويوزع الضرب على جميع جسمه حتى يحس بالالم كما أحس باللـذة الحرام ، ولا يضرب على وجهه لأنه مجمع المحـاسن ولا يضرب على فرجه لأنه مقتل ، ولا يشـدد على الزانى الضرب فيؤدى ذلك الى هلاكه ولا يخفف عليه فيؤدى ذلك الى عدم الاحساس بالالم ، بل يضرب ضربا وسطا ويراه طائفة من الناس ليعتبروا به وليكون اوقع فى احـداث الألم النفسي به ، فان شرع الله يحارب الزناة ، وياخذ على الرذيلة طريقهـا ويسد الباب امام السعار الجسدى ويأمر بغض البصر وحفظ الفرج وينهى عن الرذيلة والفاحشة .

وما نراه الآن من انتشار الامراض الفتاكة كالسيلان والزهرى بين الزناة وانتقال ذلك الى ذريتهم ومن يخالطهم هو اكبر دليل على صدق القرآن وهو تفسـير عملى لقوله تعالى (**ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وسـاء سبيلا**) .

الاسراء / ٣٢

وتيسير الزنا يؤدى الى تقليل الزواج ، وبذلك تنهار الأسرة وينهار المجتمع بعد ذلك .

قد حقت كلمة العـذاب على امم سـابقة لاحقـة فاصـابها الخـزى والخذلان نتيجة لسيرها فى طريق الهوى وبعدها عن الحفاظ والاستقامة .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (خمس بخمس) قلنا يا رسول الله وما خمس بخمس ؟ قال : (ما ظهرت الفاحشة فى قوم يتعامل بها علانية الا فشا فيهم الطاعون والاوجاع التى لم تكن فيمن قبلهم ، ولا حكموا بغير ما انزل الله الا جعل الله تعالى بأسهم بينهم ، ولا عطلوا حدود الله تعالى الا سلط الله عليهم عدوهم فاستنفذوا بعض ما فى أيديهم ، وما منع قوم الزكاة الا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا ، وما طفف قوم المكيال والميزان الا اخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور الحكام) .

ان الأمة اذا اختلت فيها القيم وسادت الرذائل وهجرت الفضـائل فســد ذوقها وتعطلت فيها الحدود وانتشر المنكر وهجر المعروف ، بل

تنشأ فيها اجيال تأمر بالمنكر لأنها الفته وشاهدته وتنهى عن المعروف لأنها هجدته ولم تعـرفه وحينئذ تترك الأمه فى حيص بيص وفى شـدة يعسر التخلص منها فيحس المؤمن انه حائر لا يدرى اين الطريق ، ولا طريق له سوى طريق الله ، وتنفيذ الحدود واقامه الاحكام .

***

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف بكم اذا طغى نسـاؤكم وفسق شبانكم وتركتم جهادكم ؟ قالوا وان ذلك لكائن يا رسول الله ؟ قال نعم والذى نفسى بيده واشد منه سيكون . قلنا وما أشد منه يا رسول الله قال : كيف بكم اذا تـركتم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ؟ قلنـا : وان ذلك لكائن يا رسول الله ؟ قال : نعم والذى نفسى بيده وأشد منه سيكون . قلنا : وما اشد منه يا رسول الله ؟ قال كيف اذا رأيتم المعروف منكرا والمنكر معروفا ؟

قلنا وان ذلك لكائن يا رسـول الله ؟ . قال : نعم والذى نفسى بيـده واشد منه سيكون . قلنا : وما أشـد منه يارسول الله قال : كيف بكم اذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف ؟ قلنـا : وان ذلك لكائن يا رسـول الله ؟ . قال : نعم والذى نفسى بيـده يقـول الله تعـالى : (**بى حلفت لأتيحن لهم فتنة يصـير الحليم فيها حيران**) .

***

خاتمة

هذا كتاب قدمت احاديثه بالاذاعة والتليفزيون

ثم نظمت هذه الأحاديث ، ورتبتها بحسب موضوعاتها ، وقدمت لهـا بفكرة عن الدعوة الى الله وعن فن الخطابة والاعلام الدينى ، وآمل أن يفيد الداعية وان يجد فيه المسلم زادا روحيا مناسبا وان يعاون الامام والمتصدى للدعوة الى الهدى ،

وان يكون وسيلة لعرض الدعوة الاسلامية بأسلوب العصر ، والكتاب غير متخصص فى فن الدعوة ، ولكنه حصاد خبرة عملية فى ميدان الخطـابة الدينية والاعلام ، والكتب فى هذا الميدان محدودة .

ومن يمن الطالع ان هناك بوادر نهضة اسلامية كبرى فى الدعوة والاعلام، فقد انشىء معهد للدعوة الاسلامية بجامعة الامام محمد بن مسـعود بالرياض بالمملكة العربية السعودية وهو معهد عال يقبل جميع الحاصلين على أى شهادة جامعية مدنية او دينية فيقبل الأطباء والمهندسـين ورجال الاعلام وخريجى كليات الآداب والتجارة والشريعة واللغة العربيـة ، وبه ثلاثة تخصصـات ، تخصص لخريجى الكليات العملية ، وثان للكليات النظرية ، وثالث للكليـات الشرعية وانشئت كلية للدعوة الاسلامية بمدينة طنطا بجمهورية مصر ، تقبل الحاصلين على شهادة الثانوية ويدرسون بها التفسير والحديث وسائر العلوم الاسلامية والعربية فضلا عن دراسة الدعوة الاسلامية .

وهناك وثبة اسلامية فى العناية بالدعوة والتاريخ لها وتنظيم مناهجهـا وتوضـح طرقها .

واسال الله ان يوفقنا جميعا لاقوم السبل وان يرزقنا الاخلاص والقبول

(قل هذه سبيلى ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعنى وسبحان الله وما انا من المشركين) ١٠٨ يوسف .

والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ، وصـل اللهم على سـيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

المحتوى

احاديث الاذاعة

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٨٦/٤٣١٥

ISBN ٩٧٧ - ٠١ - ١٠٥٨ - ٢

٣٥٠ قرشا

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب